

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلبي الشلف
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية



العنوان:

الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال القرنين 18 و 19م - بين التأثيرات
السياسية والاجتماعية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد:

الطالبة: مسعودي فتيحة

إشراف: أ.د حمدون بن عتو

المناقشة بتاريخ 2024/07/08م من طرف اللجنة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بن شرقي حليلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلبي الشلف	رئيسا
بن عتو حمدون	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلبي الشلف	مشرفا ومقررا
جمال مخلوفي	أستاذ محاضر أ	جامعة حسيبة بن بوعلبي الشلف	ممتحنا
بلعربي خالدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلبي الشلف	ممتحنا
محمد حواس	أستاذ محاضر أ	جامعة خميس مليانة	ممتحنا
ودان بوغفالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	ممتحنا

2024 / 2023م – 1445 / 1444هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]

قال الله عز وجل

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11-]

شكرا وتقديرا

الحمد لله بعزته وجلاله كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك لك الحمد حتى ترضى.
قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥ ﴾ [الأحقاف: 15]
الشكر لله تعالى ﷻ.

أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذين المشرفين: الأستاذ الدكتور **مصطفى بن عبد الوهاب** والأستاذ الدكتور: **فخر بن محمد** على جميل ما قدماه لي من نصائح، وتوجيهات وإرشادات قيمة طيلة سنوات بحثي، إذ رأيت فيهما الأستاذين المخلصين الصابرين مع طالبتهما، فلا توفيكم عبارات الشكر حقكم سوى الدعاء لكما بالصحة والعافية ويسدكما الله في مسعاكما العلمي النبيل.

إلى لكل من علمني حرفا طيلة مسيرتي الدراسية.
إلى كل عائلتي التي ساندتني في ضرائي قبل سرائي.
إلى كل الطيبين الذين تركوا أثرا طيبا في نفوسنا.

شكرا لكم جميعا

فتيحة مسعودي

الإهداء

إلى أمي و أبي

حفظهما الله ورعاهما وألبسهما تاج الصحة والعافية

إلى ابني وسندي "عبد المعز"

إلى نفسي....

فتيحة مسعودي

قائمة المختصرات

A

ANT: Archives Nationales de Tunisie.

ANEP: Entreprise Nationale de communication D' Edition et de Publicité.

ATE : Archives de la Tunisie en Espagne.

F

Fpc: fond période coloniale.

FA: fond archivistique.

FA 1881: fond avant 1881.

FR: fond des registres.

I

I S H T C: Institut Supérieur de L'Histoire de la Tunisie Contemporaine



مقدمة

تعتبر ظاهرة الكوارث الطبيعية وتداعياتها على البيئة والمجتمع من الموضوعات البحثية المتجددة، والجديرة بال العناية والاهتمام، إذ لا زالت تحتاج إلى الدراسة والتعمق فيها أكثر، وذلك نظرا لخصوصياتها من حيث تداخلها وترابطها مع مجموعة من العلوم كالبيولوجيا، الجيولوجيا، علم المناخ، علم التاريخ، وغيرها من العلوم؛ فهي تندرج ضمن ما يسمى " بالتاريخ للأزمات" لمنطقة أو إقليم ما، وتأتي هذه الدراسة لرصد أهم الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين، والتي خلفت وراءها أثارا عديدة مسّت مختلف الجوانب؛ السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان لها الأثر البالغ على البنية الديمغرافية، وعاملا أساسيا في ضعف البنية التحتية، وفي تغيرات حاسمة خلال مسارها التاريخي جراء ما أصابها من زلازل وموجات القحط والجفاف والمجاعات، والأزمات الصحية من طاعون وكوليرا وغيرها....

لقد أنهكت هذه الكوارث المتعاقبة طيلة سنوات المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه، فقد أودت بحياة الإنسان والحيوان والنبات ممّا ترتب عنه تردّي الحالة الصحيّة، واضطراب الأوضاع الداخلية من نقص الأمن وغيرها، دون نسيان العامل البشري الذي لطالما كانت له يد في تأزم الأوضاع بسبب الفتن والحروب، فأفرزت هذه الأزمات مجتمعة واقعا مريرا صَعَبَ على الإنسان التعايش معه، ساهم في قهر إرادة الإنسان، وحول مجرى حياته.

1. أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في الكوارث والأزمات الطبيعية في الجزائر، كونها من المواضيع التي لم تنل حظّها الوافر من الدراسة، إذ تحتاج إلى التوسع فيها خاصة في بعض العناصر التي لم يتطرق إليها بعض الباحثين، وبالتحديد فترة التواجد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي، واللّتان تختلفان عن بعضهما البعض، من حيث طبيعة تواجدهما، فلا زالت الأبحاث فيها غضة طرية إذ ما قورنت بالدراسات السياسية والعسكرية التي نالت النصيب الأكبر؛ فالبحت في الكوارث الطبيعية في مجالنا التاريخي لا يوازي نفس الاهتمام مع باقي الدراسات الأخرى، لذا أردنا إمطة اللثام عن جزئية هامة من جزئيات البحث في تاريخ المجتمع الجزائري، الذي تعاقبت عليه مختلف الكوارث وكشف مدى تفاعل السلطة الحاكمة تجاه الكوارث الطبيعية، وتداعياتها المأساوية على العامة.

2. أهداف الموضوع:

يندرج موضوع بحثنا ضمن الأبحاث التاريخية للأزمات والكوارث الطبيعية في الجزائر خلال القرنين (18_19م)، وذلك برصد التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة التي تعرضت لها، وغيرت الكثير من سلوكيات المجتمع وواقعه، كما نسعى من خلال هذه الدراسة المتواضعة إلى تسليط الضوء على دور السلطة الحاكمة مع المجتمع الجزائري في ظل تعرضه لهذه النكبات، و محاولة الإمام بحيثياتها دون إهمال أي جزء منها، فهذا النوع من الدراسات يفتح لنا مجالا واسعا للاطلاع على الواقع المرير الذي عاشه المجتمع، ومدى تأثير هذه الكوارث المتكررة على نفسيته، وسلوكياته انطلاقا من المقاربات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية لتلك الفترة.

3. دوافع اختيار الموضوع:

تعود دوافع اختيارنا لهذا الموضوع لعدة اعتبارات.

1.3. الدافع العلمي:

- تسليط الضوء على هذا النوع من الدراسات التي تساهم في كتابة تاريخ الجزائر، ف جاء الاهتمام بها كونها تشهد نقصا مقارنة بباقي الدراسات الأخرى كالسياسية والعسكرية، فموضوع الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال القرنين 18 و19م بحاجة ماسة لدراسة عميقة، لهذا استوجب علينا الإلمام بكل تفاصيلها.

- إعطاء صورة تقريبية حول موضوع الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال فترتين مختلفتين، وذلك بإبراز التطور التاريخي لهذه الأزمات مرورا بردود الفعل المختلفة بين المجتمع والسلطة، وصولا إلى تأثير هذه الكوارث على المجتمع الجزائري.

2.3. الدافع الشخصي:

- المساهمة في تدعيم الرصيد العلمي للبحوث العلمية المنجزة في هذا الصدد، والتي تناولت هذا الموضوع بشكل نسبي، وأيضا لكونه مساهمة في إثراء جزئية من الجزئيات الهامة في تاريخ المجتمع الجزائري.

4. إشكالية البحث: تتطلب هذه الدراسة الاطلاع على التطور الكرونولوجي لهذه الكوارث، والجوائح خلال القرنين 18 و19م، وما صاحبها من تأثيرات سياسية اجتماعية، واقتصادية، فهي علاقة تأثر وتأثير، وللاجابة على هذه القضايا الجوهرية ارتأينا طرح الإشكالية التالية: ما مدى تأثير الكوارث الطبيعية على المجتمع الجزائري خلال القرنين 18 و19م؟

كما يوجد تساؤلات فرعية من بينها:

- ما مدى تأثير الكوارث الطبيعية على العلاقات الخارجية للجزائر خلال هذه الفترة؟

- كيف تعاملت السلطة العثمانية، والإدارة الفرنسية مع الكوارث الطبيعية خلال فترة حكمهما؟

- ما هي ردود أفعال المجتمع الجزائري بعد توالي سلسلة من الجوائح الطبيعية؟

- وما الدور الذي لعبته فئة الصلحاء، والفقهاء في احتواء الأزمات والتصدي لها؟

5. خطة البحث:

للإحاطة بالموضوع اتبعنا الخطة التالية والتي قسمناها إلى مقدمة، فصل تمهيدي، خمس فصول وخاتمة، ومجموعة من الملاحق التي تتماشى مع مضمون البحث:

الفصل التمهيدي: عنوانه بمقاربات مفاهيمية حول مصطلحات الكوارث الطبيعية، تطرقنا في المبحث الأول: إلى المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للكارثة، ثم إلى نظرة الفرد للكوارث الطبيعية، وانتقلنا للحديث عن تصنيفاتها حسب الدراسات القديمة والحديثة.

أمّا المبحث الثاني الذي تطرقنا فيها إلى الكوارث الطبيعية وأنواعها. النوع الأول: كوارث المناخ (الزلازل، الفيضانات، القحط، الجفاف، المجاعة).

النوع الثاني: وهي الآفات الزراعية (الجراد، القوارض)، ثم انتقلنا للمبحث الثالث وخصصناه للحديث عن الأوبئة ومساراتها التاريخية، وحقبة الأمراض المعدية وطرق الوقاية منها.

أما الفصل الأول: فقد تحدثنا فيه عن الكوارث الطبيعية من 1700 / 1830م والأثار المترتبة عنها.

ففي المبحث الأول تطرقنا الى الزلازل والفيضانات، والمجاعات وغيرها من الكوارث التي شهدتها الجزائر في الفترة الممتدة من 1700 إلى 1830م. والمبحث الثاني أشرنا فيه إلى الكوارث الزراعية مثل الجراد والقوارض. أما المبحث الثالث وجننا فيه على ذكر الأوبئة والأمراض في الجزائر العثمانية، وأسباب تفشيها، والعوامل المساعدة في انتشار هذه الأمراض.

أما الفصل الثاني: تطرقنا فيه إلى الحديث عن انعكاسات الكوارث الطبيعية على الأوضاع السياسية في الفترة العثمانية.

فالمبحث الأول: كان بعنوان الدوافع الأساسية لاندلاع الثورات المناهضة للحكم العثماني، على غرار السياسة الضريبية، الاحتكار، غلاء الأسعار التي كانت وراء اندلاع ثورة ابن الأحرش، وما نتج عنها من تأزم الوضع الاقتصادي والاجتماعي. ثم انتقلنا للمبحث الثاني: والموسوم بجهود السلطة في مواجهة النكبات الطبيعية، فتطرقنا الى سياستها في مواجهة المجاعات، الجراد، والزلازل وأيضا سياستها في مواجهة الأوبئة والحد من انتشارها.

أما الفصل الثالث: تطرقنا فيه إلى التأثيرات الاجتماعية للكوارث الطبيعية على المجتمع الجزائري من 1700- 1830م.

أشرنا في المبحث الأول: عن تأثير الكوارث الطبيعية على السلوكيات في المجتمع الجزائري، بشقيها الايجابي والسلبى، والمترتبة عن هذه الكوارث، وأيضا جننا على ذكر موقف الفقهاء في احتواء المجتمع في ظل الجوائح والأزمات. أما المبحث الثاني الذي تطرقنا فيه إلى أثار الكوارث على الممارسات الدينية والهندسة المعمارية، ذكرنا من خلاله أثارها على الجانب الديني والمؤسسات الثقافية، وأثارها على العمران في الجزائر، كما تطرقنا من خلاله الى الانعكاسات الديمغرافية على التركيبة السكانية، وعلى الوضع الصحي.

أما المبحث الثالث: فخصصناه للحديث عن طرق التداوي في المجتمع الجزائري، كالتب الشعبي، والهياكل الصحية المنتشرة آنذاك، وأشرنا فيه الى انعكاس الحالة الصحية على الأنشطة الاقتصادية.

أما الفصل الرابع: والموسوم بالكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 _ 1899م.

بحيث خصصنا المبحث الأول للحديث عن العوامل المناخية والطبيعية المؤثرة على الصحة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وتطرقنا أيضا الى أهم الأوبئة المنتشرة آنذاك.

ثم انتقلنا إلى المبحث الثاني: تحدثنا فيه عن السياسة الفرنسية تجاه الأهالي في ظل الظروف، والكوارث الطبيعية ودورها في تردي الأوضاع، من خلال سياستها في مجال الأرض، وأيضا تأثير نظام الضرائب والغرامات على الجزائريين المسلمين.

أما الفصل الخامس: فنوناه بانعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري.

بحيث خصصنا المبحث الأول للحديث فيه عن بعض المقاومات الشعبية التي كانت كرد فعل على الاحتلال الفرنسي ككل، وعن سياسته المنتهجة في حق الجزائريين، وانعكاساتها اجتماعيا، ثقافيا ودينيا داخل المجتمع. أما المبحث الثاني: تطرقنا إلى معالم الصحة في الجزائر خلال السبعين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي، أشرنا فيه إلى المنظومة الصحية الاستعمارية، وأيضا تحدثنا عن سياسة السلطات الفرنسية وإجراءاتها الوقائية في مواجهة الأوبئة، كما تطرقنا إلى الحديث حول العلاج عند المجتمع الجزائري ووسائله. وأنهينا البحث بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

6. المنهج المتبع:

من أجل الإجابة على الخطة المتبعة في البحث اعتمدنا المنهج التاريخي وأدواته، باعتباره منهج لا يقتصر على سرد الأحداث التاريخية بل يحللها ويفسرها.

7. مصادر البحث:

لإعداد هذه الأطروحة اعتمدنا على جملة من المصادر، والمراجع التاريخية غدت مسيرة البحث، وأمدته بزيادة معرفي ثري في مقدمتها مخطوطات باللغة العربية ومصادر ومقالات باللغة الفرنسية والتي تحصلنا عليها من:

• المكتبة الوطنية بالعاصمة التونسية.

1/ مخطوط "حسن النبأ في جواز التحفظ من الوباء" لمحمد بيرم، الذي تحدث فيه عن وباء الطاعون الذي اجتاح البلاد التونسية عام 1784م ودام أكثر من عامين، والذي يدعوا فيه إلى الاحتراز، والاحتياط من الأمراض المعدية في حديثه أيضا عن الجذام، والطاعون، كما يردّ فيه عن المنتقدين والمعارضين لنظام الكرنيتينة.

2/ مخطوط "نفائس الدرر الحسان فيما يزيل المرض ويحفظ صحة الإنسان" لأحمد الدهماني، وقمت بنسخ 58 صفحة من المخطوط والتي اعتمدت فيها على نقل وتدوين أهم الأعشاب، والأدوية التي يستخدمها الفرد لمعالجة نفسه من الأمراض والأوبئة، كما ذكر صاحب المخطوط منافع بعض الأعشاب، والحالة التي تستدعي تناولها، فيما أشار إلى أضرار بعضها وتجنبها.

3/ مخطوط "رسالة في التعريف بالمرض الحادث سنة 1230هـ (الهيضة: الكوليرا)" الذي ألفه رئيس حكماء اسطنبول، وعربها عن التركية أحد التونسيين سنة 1247، ويذكر مؤلفها أنّ غايته من تأليف هذه الرسالة، باعتبارها وسيلة ليتحفظ الإنسان من هذا المرض قبل الوقوع بعدما ظهر، وشاع بين الناس وقوع العلة الجديدة.

• الأرشيف الوطني التونسي بالعاصمة، وأيضا أرشيف المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر بولاية منوبة.

• الدفاتر الإدارية والجبائية المتواجدة بالأرشيف.

- عبد الجليل التميمي، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990.

- الدفتر 139 من موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي.

- الدفتر رقم 2984، الدفاتر الإدارية والجبائية، الأرشيف الوطني التونسي.

- الدفتر رقم 2307.

كما اعتمدت على بعض الوثائق الأرشيفية المتنوعة وبلغات عدة منها: (العربية، الفرنسية، الإنجليزية والإيطالية)، معظمها تتحدث عن نظام الحجر الصحي (الكرنتينا) في الجزائر، وأيضا عن تأثير التجارة والإقتصاد من خلال المراسلات، والتقارير التي كان يرسلها القناصل والتجار لدولهم، أو ما يكون على شكل قرارات مؤرخة لاجتماعات مجلس التحفظ العمومي على غرار ما استقرأناه في الوثائق سواء العربية منها 219، 223، 225، 275، 276، 277، وأيضا مجموعة أخرى من الوثائق الأرشيفية؛ هي عبارة عن مراسلات بين حكام الجزائر وبيات تونس. وثائق أرشيفية فرنسية خاصة بمراسلات واردة من القنصليات الفرنسية في الجزائر، وهذه المراسلات تحمل الكثير من المعلومات حول الأوبئة التي وقعت بالجزائر.

وأيضا بعض الوثائق التي تعود الى اجتماعات المجلس الصحي المنعقد بمالطا، أو بمناطق مختلفة من ايطاليا كما ورد في الوثيقة رقم 14، 19، 20، و المؤرخين بتاريخ 5 و 16 و 27 جوان 1867، و 6 جويلية 1867م من نفس السنة، والتي تقتضي فيها ضرورة اخضاع الوافدين من الساحل الشرقي للجزائر للحجر الصحي (نسخ منها باللغة الإنجليزية ونسخ منها بالإيطالية)، وأيضا الوثيقة رقم 23 المكتوبة باللغة الإنجليزية الصادرة من قسم الموانئ بمالطا المؤرخة في سنة 1860م، التي طالبت التجار الجزائريين والتونسيين بشهادة تثبت الوضع الصحي للوافدين إليها مع إدراج أسماء أفراد الطاقم مع الركاب وسلامتهم من مرض الطاعون وهي تحمل اسم **Clean Bill of Health**.

● أرشيف قسنطينة:

تطرقنا لبعض العقود من دفتر الوفيات لسنة 1840م للمحكمة المالكية بقسنطينة، بحيث تحتوي الورقة الواحدة على ثلاثة عقود، وركزنا فيها على الوفيات بسبب الأمراض، والأوبئة التي اجتاحت البلاد على غرار (العقد الأول، الثاني والثالث من ص 52)، (العقد الأول ص 73)، (العقد الأول، الثاني، الثالث من ص 29 مكرر). التي تتعلق بموضوع البحث.

كما اعتمدنا على مصادر أخرى منها محلية وأخرى أجنبية.

1/ خوجة حمدان بن عثمان، **اتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء**: والذي تكلم فيه عن وباء الطاعون، وكيفية الإحتراز منه من خلال ما رآه حمدان خوجة في البلاد المسيحية، وتعنت الجزائريين وعدم قبولهم بتلك الإجراءات لكونها صادرة من مسيحيين.

2/ العنتري صالح، **مجاعات قسنطينة**: ويعد مصدر مهم جدا لأن صاحبه عاش الفترتين أي خلال التواجد العثماني، وفترة الاحتلال الفرنسي، وكتب عن مجاعة قسنطينة التي عاشها، وعن الفترات العصبية والواقع المرير الذي عاشه المجتمع الجزائري، كما تطرق في مؤلفه عن أهم الثورات المناهضة للحكم العثماني، والتي أزمت الوضع كثورة ابن الأحرش وثورة الدرقاوة.

3/ محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، يعدّ من أبرز المصادر التي تناولت التواجد العثماني في الجزائر، كما تطرق الى ذكر ثورة الدرقاوة، والتي تعد من بين الثورات التي أشرنا إليها في المتن.

4/ العربي المشرفي، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تكلم عن وباء الطاعون وأعراضه وأسبابه، كما رصد معلومات مهمة عن الأوبئة التي حلت ببلدان المغرب العربي، في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م.

ومن أجل تنوع المادة العلمية تم الاعتماد على عدّة مراجع نذكر منها كتاب:

1/ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر خلال العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي للجزائر، وطرق العلاج المتبعة، وانعكاس الوضع الصحي على مختلف المجالات.

2/ الأوبئة والمجاعات في الوطن العربي بجزأيه هو عبارة عن كتاب استكتابي لمجموعة من الباحثين من مختلف البلدان العربية، بحيث يعد هذا الكتاب بجزأيه من أهم المراجع التي مكنتني من توسيع نظري حول مختلف الأوبئة، والمجاعات التي أصابت البلاد العربية عبر مراحل تاريخية مختلفة.

زيادة على ذلك اعتمدت على العديد من المقالات بمجالات، ومؤتمرات مختلفة تحدثت عن الكوارث الطبيعية والوضع الصحي في الجزائر، خلال التواجد العثماني وأيضا الوضع الصحي في الفترة الاستعمارية من بينها:

1/ محمد الزين، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات، الذي جاء فيه على ذكر الكوارث الطبيعية من زلازل ومجاعات، وجفاف وجراد، كما تطرق إلى أسباب انتشار الأمراض والأوبئة في الجزائر.

2/ فؤاد كيداني، المجاعة وانتشار الأمراض- معالم المأساة الانسانية بالجزائر 1866-1868م من خلال الكتابات الأجنبية.

3/ سليم بعلوج، الأوبئة والمجاعات الفتاكة في الجزائر خلال الفترة العثمانية 1917م.

4/ سارة خباشة وفاروق زروق، المناخ الطبيعي للجزائر وأثره في انتشار الأوبئة والأمراض خلال القرن التاسع عشر. وأيضا مقال باللغة الفرنسية:

1/ Salvatore Speziale. Au Dela De Peste: Problemes Methodologiques et Resultats Demographiques Dans L'Etude De La peste en Afrique Medtterraneenne, Revue D'Histoire Maghrebine, N°121, Mars 2006.

وهذا المقال للدكتور "سلفاتور سبسيالي" من جامعة "مسينا" بإيطاليا والمعنون ب: " ماوراء الوباء: المسائل المنهجية والنتائج الديمغرافية في دراسة الوباء في افريقيا المتوسطية" عربيه الدكتور عبد الجليل التميمي، إلا أنّ المقال الذي بحوزتنا هو باللغة الفرنسية، في حين جاء للحدّث حول تداعيات الطاعون والأمراض المعدية الأخرى، تطرق فيها الى الوباء الذي حل بتونس سنة 1817-1818م، وأيضا ذكر الطاعون الذي حل بالجزائر في 1784، 1785م وما انجرّ عنه من مآسي ووفيات.

دون أن نغفل عن توظيف بعض الأطاريح والرسائل الجامعية الأكاديمية في الدراسات السابقة من بينها أطروحة الدكتوراه لـ:

1/ رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، وهي أطروحة دكتوراه نوقشت سنة 2021م، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة تحت إشراف الدكتور خليفة حماش، تناولت الدراسة فيها عن الكوارث الطبيعية أثناء العهد العثماني، واعتمد فيها على مجموعة من الوثائق الأرشيفية والمصادر المهمة التي ساعدته لتقديم هذه الرسالة.

2/ خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م): أطروحة دكتوراه تحت إشراف الدكتور شايب قدارة، نوقشت سنة 2019م بجامعة قلمة، وتعدّ من أهم المراجع المساعدة في معرفة الأوضاع الصحية والمجاعات في الجزائر، بحيث اعتمد الباحث على مجموعة هائلة من الوثائق الأرشيفية العثمانية، وأيضا بعض الوثائق الأرشيفية الفرنسية.

3/ سمية مزدور المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927هـ)، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور محمد الأمين بلغيث، نوقشت هذه الرسالة سنة 2009م بجامعة منتوري بقسنطينة، أضفت هذه الرسالة معلومات قيمة ورصيد معرفي في هذا النوع من البحوث الأكاديمية.

8. الصعوبات:

لقد واجهتنا جملة من الصعوبات والعقبات أثناء إعدادنا لهذا البحث المتواضع من

بينها:

- قلّة المصادر المحليّة التي تتكلم عن الكوارث الطبيعية، التي حلّت بالجزائر خلال القرنين 18 / 19م، ربّما يعود ذلك لنقص ثقافة التدوين والتأريخ لدى المجتمع الجزائري.

- غياب الوثائق الأرشيفية التي تتحدّث عن الزلازل والجفاف، وغيرها من كوارث المناخ، وهذا ما صعب عليّ تسليط الضوء على أهم ما تعرضت له البلاد من جوائح عدّة رغم تعرضها لها بشكل مستمر وتكراري، وأحال دون الإجابة على العديد من الإشكاليات والتساؤلات.

- صعوبة قراءة العديد من المخطوطات، والوثائق المكتوبة بخطوط رقيقة وغير واضحة في الكثير من الأحيان، صعب مهمة التمهيص والتدقيق فيها.

- صعوبة ترجمة بعض الوثائق المكتوبة بلغات كالإيطالية والإسبانية في ظل غياب ونقص المترجمين المختصين في الدراسات، والبحوث التاريخية الأكاديمية، كما لا يفوتنا أن بعض التطبيقات الالكترونية التي نستخدمها لا تعطينا ترجمة دقيقة ومضبوطة.

- فالبحوث في هذه المواضيع لا تزال قليلة إذا ما قورنت بالدراسات السياسية، والعسكرية لتاريخ الجزائر، نظرا لنقص المعطيات الدقيقة لهذا النوع من المواضيع.

رغم ذلك لم يفارقنا الإصرار على مواصلة هذا العمل المتواضع، بالبحث والتنقل بين المكتبات العامة والخاصة، وكلنا دراية أنّ هذه الدراسة لم تكن سوى غيض من فيض، وبذرة تفتح الأفاق لمن بعدنا للبحث في مواضيع مشابهة. أخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا في معالجة هذا الموضوع الهام، الذي يبقى مجال البحث فيه واسعا ومفتوحا، كما يحتاج إلى دراسة وتمحيصا من طرف المؤرخين والباحثين، الأمر الذي قد يعيد النظر في الكثير من الجوانب التي عالجناها برؤية جديدة لإزالة اللبس والغموض عن تاريخ الجزائر.

الفصل التمهيدي

مقاربات مفاهيمية حول الكوارث الطبيعية والأوبئة



المبحث الأول: الكوارث الطبيعية: مصطلحات ومفاهيم

1. الكارثة (التعريف اللغوي والفقهى والاصطلاحي).
2. نظرة الفرد للكوارث الطبيعية.
3. الكوارث والأوبئة في الفكر الإنساني.
4. تصنيف الكوارث الطبيعية.

المبحث الثاني: قراءة حول الكوارث الطبيعية وأنواعها.

1. كوارث المناخ (الزلازل، الفيضانات، القحط، الجفاف، المجاعة).
2. الآفات الزراعية (الجراد، القوارض).

المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض بين المسارات التاريخية والمفاهيم الطبية.

1. الوباء بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي.
2. أنواع الأوبئة (الطاعون، الكوليرا).
3. حقيقة الأمراض المعدية وطرق الوقاية.

تعني الكارثة في اللغة العربية النّازلة العظيمة والشّدة، وجمعها كوارث ويقال كرثته الكوارث أي أفلقته، وكرثه الأمر أي اشتدّ عليه وبلغ منه المشقة⁽²⁾. وقد وردت بعدة ألفاظ ومصطلحات تصب في نفس المعنى كالنوازل؛ جمع مفرد نازلة، وهي الشّدة من شدائد الدّهر تنزل بالنّاس⁽³⁾.

وأيضاً أطلق عليها مصطلح الجائحة أي جاح الشيء بمعنى استأصله، ومنه الجائحة يعني الشّدة والنّازلة العظيمة التي تنزل بالنّاس، وتأتي في أغلبها على الثمار، وروى الشافعي قال: «الجوائح ما أذهب الثمر أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية لأدمي»⁽⁴⁾.

2.1. أما المفهوم الفقهي:

قد أجاز الفقهاء في الجائحة في أغلب الأحيان الأضرار الناجمة عن حركة الجيوش، واللصوص على شرط أن تزيد الخسائر على الثلث من محصول الثمار⁽⁵⁾. في حين جاء تحديد الجائحة عند أبي إسحاق الغرناطي على النحو التالي: « معرفة شهادته بالقائم والموضع المجاح وتحديده، وتسمية الجائحة ما كان أمر غالباً لا يمكن دفعه، ولا يقدر على الاحتراز منه كالرياح المطر والبرد والجراد والجليد، الطير والعفن والنار، واختلفت في الجيش والسارق، وتسمية قدر ما أذهبت وأن تكون الثلث فأزيد»⁽⁶⁾.

3.1. الكارثة اصطلاحاً:

الكارثة "catastrophe": مشتقة من اليونانية **Katastrophe**، ومرادفها بالعربية (انتكاس أو انقلاب)، وتعني وقوع حادث مدمر (مهلك)، وفجائي يصيب جماعة، أو هي كل حادث طبيعي ذي قوة (شدة) غير عادية، يصنّفه تصريح رسمي من السلطة على أنه كارثة طبيعية مثل: الزلازل، الفيضانات، العواصف (الزوابع)، والتي عادة ما تكون مدمرة وتمسّ عدداً كبيراً من أفراد المجتمع، لتتحول إلى ظاهرة تتداخل فيها العديد من العوامل ممّا يحتم علينا أن لا ننظر إليها على أنها ظاهرة

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج05، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، دس، ص175.

(2) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1419_1998م، ص53.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج 11، ص 659.

(4) رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: خليفة حمّاش، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2021/2020م، ص26.

(1) الحسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص ص 25-26.

(6) عبد الكريم حسانين، الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية المؤثرة في النشاط الزراعي خلال العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد03، 2020م، ص 303.

خارجية، بل على أنها إشكالية تفرض وجوب التعامل معها على صعيدي الأسباب والنتائج⁽¹⁾.

تعرف الكارثة الطبيعية أيضا: بأنها تأثير سريع وفجائي للبيئة الطبيعية وعلى النظم الاقتصادية، والاجتماعية **Socio Economic Systems**، وعرفها **Tunner** بأنها حدث مركز مكانيًا وزمانيًا يهدد المجتمع أو منطقة ما، مع ظهور نتائج غير مرغوبة نتيجة لانهايار الحذر أو الحيطة التي ألفها السكان منذ القدم⁽²⁾.

كما تعرف أيضا: (بأنها حدث ينجم عنه خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات وتلوث البيئة، قد تكون طبيعية أو تكون بفعل إنسان سواء كان الفعل إراديا أو غير إراديا، ويتطلب لمواجهتها جهد الدولة أو الجهود الاقليمية أو الدولة وفق حجم الكارثة وحجم الخسائر التي تنجم عنها)⁽³⁾.

وفي اللغة الإنجليزية يجب التمييز بين مصطلحين للكارثة هما **disaster/catastrophe**، وقد ورد في معجم هينمان تعريف مصطلح **disaster** بأنه حدث فجائي خطير يسبب ضررا عظيما، أو خسائر في الأرواح، مثل الزلازل والجفاف، أما مصطلح **catastrophe** يعني شيء في غاية السوء يحدث فجأة، ويسبب غالبا شذائد عظيمة أو وفاة⁽⁴⁾.

قد تؤدي الكارثة لحدوث خسائر في الأرواح في مجتمع مكتظ بالسكان تماثل في عددها نفس الخسائر بمجتمع قليل السكان، وبرغم تماثل الكارثتين في النوع القوة إلا أنّ التأثير الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الثاني أكبر بكثير نظرا لقلّة عدد سكانه، وعليه يجب على من يعالج الكارثة، ويقيم نتائجها ألا تقتصر معالجته على كونها كارثة فيزيقية أو بيولوجية ذات قوة معينة، ولكن يجب أن يأخذ في الحسبان مدى تأثير المجتمع بها⁽⁵⁾.

2. نظرة الفرد للكوارث الطبيعية

1.2. الكوارث الطبيعية كعقاب إلهي:

ينظر إلى الكوارث الطبيعية كنوع من العقوبات الإلهية في الثقافة الشعبية، لاسيما أنّ القصة الديني حافل بالأقوام الذين لا قوا الكوارث الطبيعية كغضب إلهي⁶، وجاء في

(1) محي الدين شبيرة، التأمين على الكوارث الطبيعية في الجزائر- فعل اقتصادي لعقلنة التضامن وترشيد الموارد، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 33، 2010، ص ص 304-305.

(2) محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة، دار الفكر العربي، ط01، القاهرة 1998م، ص37.

(3) جمال الدين أحمد حواش، إدارة الأزمات والكوارث ضرورة حتمية، المؤتمر السنوي الثالث، جامعة شمس، كلية التجارة وحدة بحوث الأزمات، 1998م، ص 4.

(4) عزة احمد عبد الله، إدارة الكوارث الطبيعية مع تطبيقات على الزلازل والسيول، مجلة كلية التدريب والتنمية، أكاديمية مبارك للأمن، جامعة الزقازيق، العدد 09، 2003م، مصر، ص342

(5) محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب، مرجع سابق، ص37.

(6) محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18، المملكة المغربية 1992م، ص 346.

قوله عزوجل: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾⁽¹⁾ وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم كأحداث ومجريات عرفتتها الأقوام السابقة كقوم عاد وثمود وغيرهم، وقد جاء في القرآن الكريم أنّ جلّ العقاب الذي سلطه الله عزوجل على هذه الأقوام بسبب كفرهم وطغيانهم ، فكان عقاب الله عسيرا، وشديدا، فمنهم من أهلكوا بالريح الصرصر²، وجاء أيضا قوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾⁽³⁾.

فمنهم من أهلكوا بالغرق، والظوفان، ومنهم من خسفت بهم الأرض مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

فعلى سبيل المثال تتراءى كارثة الجفاف في المعتقدات الشعبية من خلال منظور ديني ينزع عن صبغتها الطبيعية، ويجعل منها ظاهرة غيبية، فحظ الموسم الفلاحي وتسلط الجراد، وانتشار الجوع الذي يسوق الناس بالجملة الى القبر كل هذا يبرز في مخيلة المعاصرين بصورة عقاب من السماء نزل بسبب خطايا مجهولة⁵.

انطلاقا من هذا التصور الغيبي فان القلق الأساسي الذي ينتاب الناس هو اختلالا ما طرأ على المجرى العادي للأمور، وهذا يعني أنّ الكارثة لا تنزل فجأة من السماء، وإنما هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بأعمال الناس، فلئن كانت تعزى الى القدرة الالهية الجبارة، كانت تعتبر أيضا عقابا للانسان على شروره، وتتكبه عن الطريق السوي والسنة المحمدية، نقرأ في وثيقة بتاريخ 25 صفر 1285هـ/17 يونيو 1868:

« والجوع قاهر بالسطوة الالهية وان كنا مستحقين لجميع ما يحل بنا لما نحن عليه من العصيان والمخالفة»⁽⁶⁾.

لم يكن هذا التصور الغيبي خاصا بالفقهاء أو بعامة الناس، بل نجده بارزا في خطاب السلاطين والحكام، فهناك علاقة مباشرة بين انتشار المناكر، ونزول المصائب « إنّ البدع والمناكر إن فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم، وأظلم ما بينهم وبين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت العلّات، وشحت السماء، وسبحت النقماء، وغيض الماء، واستولت الأعداء، وانتشر الداء، وجفت الضروع، ونقصت

(1) آل عمران: 136-137.

(2) محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب، مرجع نفسه، ص 38.

(3) الحاقة: 6-7.

(4) العنكبوت: 39-49.

(5) محمد الأمين البزاز، مرجع سابق، ص 347.

(6) نفسه، ص 347.

بركة الزروع، لأن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد و يسدّ طريق المنافذ»⁽¹⁾، ولعلّ من الأسباب أيضا هو انتشار الظلم، واستضعاف العباد كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ (2) ، والظلم من المعاصي التي يعجل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، قال ﷺ (إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)⁽³⁾.

بالإضافة الى فساد أخلاق النّاس، وتفريطهم في أمور العقيدة، كما نلاحظ أيضا أنّ السياسة كانت حاضرة في التصورات التقليدية لكارثة الجفاف، فكثيرا ما تغزوها المعتقدات الشعبية الى مساوئ السلطة، وكان " الأمغار " يعزل من منصبه إذا أصيبت القبيلة بمصائب خلال مدّة ولايته، كما كانت التهمة توجّه الى السلاطين «إنّ الله جعل الجور هلاكا للحرث والماشية والبلاد، وإمّا لفرضهم ضرائب غير شرعية»⁽⁴⁾.

لكن هناك بعض الثقافات من تنظر للكارثة على أنّها أمر طبيعي متكرر الحدوث، وتحاول إخضاعه للتقصي العلمي، أمّا في مجال العلاقة، والتفاعل بين الانسان والبيئة الطبيعية قد انبعثت كثيرا من الاتجاهات، ولكن تتفق جميعها على حقيقة واحدة مفادها أنّ البيئة هي مصدر للموارد التي تسد حاجات الانسان، وأنّه بصرف النظر عن الكوارث الباطنية فإنّ أغلب الكوارث الخارجية هي من صنع البشر أنفسهم⁵.

إلا أنّ المفهوم التقليدي وإن ظلّ ينطلق من معتقدات غيبية في تصويره للجفاف باعتباره تجسيدا لغضب قدرة الهية خارقة، فإنّه ركز أيضا على مسؤولية الإنسان لا الطبيعة، وبناء على هذه الثنائية، وتفاعلها الجدلي نشأ شعور راسخ بأنّه لا يمكن حدوث انفراج في الأزمة إلاّ بارتضاء الرب الغاضب، لهذا نرى الناس خلال الكوارث الطبيعية يجتمعون في المساجد، والأضرحة للاستغفار والابتهاال والتضرع لله بطلب اللطف بخلقه، كما نراهم يقوّمون سلوكهم ويكثرون من أعمال البرّ والاحسان، بحيث تكون الأزمة مناسبة لنوع من الاصلاح الديني والاجتماعي⁽⁶⁾.

(1) نفسه، ص 343.

(2) الكهف: 58-59.

(3) حديث نبوي شريف، رواه أبو داوود والترمذي.

(4) محمد الأمين اليزاز، مرجع السابق، ص 348.

(5) نفسه، ص 348.

(6) محمد الأمين اليزاز، مرجع سابق، ص 348.

3. الكوارث والأوبئة في الفكر الإنساني

1.3. ذهنيات التعليل الخرافي

أفضى بنا البحث عن السلوكيات، والذهنيات التي واجه بها الانسان إلى النش في هذه الظواهر، التي تصنف ضمن لائحة البدع والمحرمات، تجلت في ذهنيات خرافية، وسلوكيات سحرية تنجمية أحيائها الانسان، وارتبط بها أشد الارتباط إبان المنعطفات المناخية الحرجة في حياته ليعلق عليها عجزه وآماله وآلامه، وهذا النصّ يكشف غياب عقلية نقدية فاحصة للأخبار ومحصنة للزائف، فيها من المعقول فضلا عن انعدام أي تبرير أو تعليل يستند إلى أسس علمية منطقية، فكانت النتيجة أن بعثت هذه الوشاية الخرافية الذعر، والهلع في صفوف شرائح واسعة من العوام ممن جزم بتصديقها⁽¹⁾.

كما شاع تعليل حدوث الكوارث الطبيعية بتأثير الطلاسم التي خربها الانسان إمعانا في إرهابه وحمله على الاستسلام للطقوس السحرية، دونما تفكير أو معارضة سعيا من المشعوذين، والمنجمين إلى تعطيل حاستي الشك والنقد بغية وأد إرهابات الوعي في أوساط العوام مهما كان ذلك جنينيا⁽²⁾.

إنّ تركيز المنجمين على عناصر المناخ في حدوث الاضطرابات، والفناء بالطوفان تركيز يجد تفسيره في توظيف المسابقات، والتمثلات الدينية، محاكاة المقدس في تطهير الأرض من المذنب، سيما أنّ الرّيح والعواصف الغائبة ارتبطت في مخيال الناس الديني بعلامات الساعة، والبعث متخذة صورة شتى لألوان العذاب، والعقاب التي استهدفت الأرواح الغابرة⁽³⁾، كقوم عاد الذين أهلكوا بالرّيح الصرصر لقوله تعالى: ﴿أَمَّا تَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَآمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾⁽⁴⁾.

تباينت وجهات النظر حول تفسير الكوارث الطبيعية، ونظرة الفرد إليها، فقد تعددت وتنوعت الآراء في مختلف الحضارات الانسانية، فترسخ عبر التاريخ الاعتقاد بأنّ هذه الظواهر عقاب سماوي، ومن هنا تحدد الأصل العقائدي والديني لها اذا كانت بمثابة عقاب الهي للمجتمعات، والأفراد على خطاياهم وذنوبهم لقوله عزوجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽⁵⁾، ففي الموروث المغاربي ساد نفس الاعتقاد لدى الاخباريين، وارتبط أساسا بما ترسخ في الذهنية الجماعية من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في تفسير بعض الكوارث⁽⁶⁾.

(1) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس (ق6_12/8_14م)، دار الطليعة للطباعة والنشر ط01، بيروت، دس، ص 131.

(2) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية، مرجع سابق، ص 131-132.

(3) عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 132.

(4) الحاقّة: 5-6.

(5) يوسف: 111.

(6) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 99.

4. تصنيف الكوارث الطبيعية:

لقد تعددت تصنيفات الكوارث الطبيعية، وتقسيماتها حسب الباحثين والمختصين في هذا المجال، كما تنوعت حسب الدراسات السطحية والمعمقة إذ توجد فيها تقسيمات سطحية حسب نظرة المؤرخ، والفترة التي تناولها في بحثه، وحسب شيوخ الكارثة وتكرارها، التي يعتمد فيها بشكل كبير على المعلومات التي توفرت له عن الازمات والكوارث لإقليم أو منطقة ما التي هو بصدد البحث فيها، أو حسب ما تعتمد الدراسات العلمية الأكاديمية الحديثة الموثقة، لهذا نجد التقسيم يختلف نوعا ما ولكن تندرج كلها ضمن دائرة الكوارث الطبيعية.

1.4. التصنيف التقليدي

هو التصنيف الذي يندرج ضمن الأنواع الثلاث المتبقية، وهي الكوارث البشرية، الآفات الزراعية، الأوبئة والأمراض وهو التصنيف المتداول في ستينيات القرن الماضي، علما أن هذه التصنيفات في تحديث مستمر تتماشى مع التغيرات الطارئة في كل مرحلة جديدة تواجه البشرية، خاصة في ظل التطور الهائل الذي يشهده عدد السكان في العالم⁽¹⁾.

2.4. تصنيف مستحدث

تقسم فيه الكوارث الطبيعية الى أربع مجموعات رئيسية، وكل مجموعة تحتوي على العناصر التالية⁽²⁾:

أنواع الكوارث	المكونات والعناصر
جيولوجية	الزلازل والبراكين والانزلاقات.
مناخية	الفيضانات، الجفاف، العواصف، الصواعق، موجات البرد، والحر، الاحتباس الحراري.
بيولوجية	الأوبئة والأمراض.
ايكولوجية	الجراد، فنران الحقول، أنواع من القوارض (الآفات الزراعية).

(1) محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم أرباب، مرجع سابق، ص ص 14-15.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، 31.

1.2.4. تصنيف حسب نظرة لـ **Burton**: التي تعدّ محاولة مبكرة نسبياً في التصنيف، بحيث يعتمد التصنيف هنا على العوامل المسببة، ويعدّ هذا التصنيف كما يذكر بيرتون واحد من الطرق العديدة التي يمكن من خلالها تصنيف الأخطار الطبيعية، ويهدف تصنيفه في الواقع إلى توضيح أثر الأخطار الطبيعية على إدارة الموارد ⁽¹⁾ **Resource Management**.

جدول يمثل تصنيف الأخطار الطبيعية لبيرتون:

الأخطار الجيوفيزيائية	الأخطار الجيولوجية	الأخطار البيولوجية	الأخطار الحيوانية
مناخية وميتورولوجية	جيولوجية وجيومورفولوجية	نباتية	حيوانية
عواصف ثلجية الجفاف الفيضانات الضباب الصقيع عواصف برد موجات حارة هريكين حرائق الترنيدو ⁽²⁾	انهيارات ثلجية زلازل تعرية (تشمل تعرية التربة ونحت البلاجات). انزلاقات أرضية حركة الرمال التسونامي طفوح بركانية	منها مرض السنوبر صدأ القمح	المالريا التيفوس داء الكلب القوارض مثل الأرانب والنمل الأبيض الجراد الجنادب

2.2.4. تصنيف جون بيار لابورت (Jean Pierre Laporte): ⁽³⁾

عناصرها	أصناف الكوارث الطبيعية
- سقوط نيازك وكويكبات (Chut d'astéoide)	1_ فلكية (Astrophisique)
- الزلازل والبراكين- موجات	2_ أرضية) Evénements

(1) صبري محسوب، مرجع سابق، ص 44.

(2) الترنيدو: Torando هي عاصفة رعديّة غايةً فالعنف، هي من الأنواع الفريدة من العواصف المحلية، يزداد هبوبها في فصلي الربيع والصيف وتتحرك من الغرب إلى الشرق. ينظر إلى: محمد صبري محسوب، الأخطار والكوارث الطبيعية...، مرجع سابق، ص 88-89.

(3) Pierre Laporte (Jean), Peuplement et catastrophes naturelles dans L'Afrique de nord anciennes, dans le Maghreb antique et médiéval actes du troisième colloque international, (souse,05-06 et 07 Mai 2016),pp 117-149.

المدّ والجزر.	(Tellurique)
- أمطار غزيرة وسيول جارفة (فيضانات). - جفاف. - برق وعواصف رعدية.	3_ تقلبات مناخية وجوية. (Climat et météorologie)
الجراد والجنّاب، فئران الحقول وقوارض أخرى.	4_ آفات زراعية
- طواعين وأمراض مختلفة.	5_ أوبئة وأمراض مختلفة
نتيجة عن عدّة عوامل طبيعية	6_ مجاعات

3.2.4 التصنيفات الأكاديمية الحديثة:

تعتمد هذه التصنيفات على مجموعة من الظواهر الطبيعية التي تشكل خطراً لتندرج ضمن دائرة الكوارث الطبيعية على العناصر التالية:
الزلازل، التقلبات الجوية، الجفاف، والمجاعات، طاعون وأمراض معدية وأسراب الجراد، وحرائق⁽¹⁾، ويمكن تصنيف الكوارث الطبيعية وفقاً للعوامل المسببة لحدوث الكارثة إلى⁽²⁾:

الزلازل، الأمواج البحرية الزلزالية، البراكين.	كوارث جيولوجية
العواصف، السيول، الفيضانات، الجفاف، التصحر، ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض.	كوارث ميتروولوجية
الانهيارات الأرضية، سقوط الصخور، الهبوط الأرضي، زحف الكتبان الرملية، تآكل السواحل.	كوارث جيومورفولوجية
سقوط النيازك، والأشعة الكونية.	كوارث كونية
وتشمل الأمراض الوبائية وأخطار الجراد.	كوارث بيولوجية

(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 30.

(2) عزة أحمد عبد الله، أساليب مواجهة الكوارث الطبيعية، مجلة مركز بحوث الشرطة، أكاديمية مبارك للأمن، العدد 21، 2002م ص 532.

هذا التقسيم يندرج ضمن الكوارث الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها، فهي خارجة عن نطاقه عكس الحرائق على سبيل المثال التي يتسبب فيها الإنسان بالدرجة الأولى. تصنيف الكوارث الطبيعية وفقا لسرعة تأثير الكارثة الى: _ كوارث فجائية التأثير وتشمل الزلازل والأمواج الزلزالية والبراكين والعواصف الرملية والرعدية والسيول والفيضانات، الانهيارات الأرضية والهبوط الأرضي وسقوط الصخور وسقوط النيازك، هجوم الجراد.

_ كوارث بطيئة التأثير وتشمل الجفاف، التصحر، زحف الكتلان الرملية⁽¹⁾.

4.2.4. تصنف الكوارث من حيث شدتها إلى درجات على النحو التالي:

_ كوارث بسيطة ويكون تأثيرها محدود داخل المحافظة أو المدينة، ويمكن مواجهتها بإمكانية المحافظة، أوالمدينة مثل: حدوث هزة زلزالية خفيفة ينتج عنها أضرار طفيفة⁽²⁾.

_ الكوارث المتوسطة: هي كوارث يخرج نطاقها عن المحافظة أو المدينة، مثل حدوث زلزال بقوة متوسطة قد تؤدي الى انهيار عدد محدود من المباني القديمة، وتصدّع مباني أخرى وعدد من القتلى والجرحى.

_ الكوارث الشديدة: ويكون تأثيرها ممتد من عدّة محافظات وتحتاج إمكانيات الدولة، بالإضافة الى بعض المعونات الخارجية ويكون المسؤول عن السيطرة عليها كبار الحكام، والمسؤولين في الدولة⁽³⁾.

(1) عزة أحمد عبد الله، مرجع سابق، ص343.

(2) نفسه، ص 343.

(3) عزة أحمد عبد الله، المرجع نفسه، ص344.

المبحث الثاني: قراءة حول الكوارث الطبيعية وأنواعها

1. كوارث المناخ

1.1 الزلازل Earthquakes:

منذ فجر تاريخ الإنسانية، والهزات الزلزالية العنيفة تصيب العالم بأسره⁽¹⁾، ويعود سبب حدوثها إلى الطاقة المخزونة في باطن الأرض، انطلاقاً منها في حركة مفاجئة لمنطقة ضعيفة من القشرة الأرضية تسمى الفوالق⁽²⁾

1.1.1 المفهوم اللغوي:

الزَّلْزَلَةُ بفتح الزَّاي تحريك الشيء، وقد زَلَّله زَلْزَلَةً وزَلَّالاً، وقد قالوا: لأنّ الفَعْلَال؛ والفَعْلَال مطرد في جميع مصادر المضاعف، والاسم الزَّلْزَال، وزلزل الله الأرض زلزلة⁽³⁾.

وزلزال بالكسر، فتزلزلت هي، وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾⁽⁴⁾، المعنى إذا تحركت حركة شديدة، والقراءة زِلْزَالَهَا بكسر الزَّاي⁽⁵⁾.

والزَّلْزَال بالفتح؛ الاسم، قال ابن الأنباري في قولهم: «أصابت القوم زلزلة»، قال: الزَّلْزَلَةُ التخويف والتحذير⁽⁶⁾، ومنها ما جاء في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾.

والزَّلْزَال: الشدائد والأهوال، والزَّلْزَلَةُ في الأصل: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض⁽⁸⁾.

قد ورد ذكر الزلازل في عدة مواضع من القرآن الكريم لقوله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾⁽⁹⁾.

كما جاء في الحديث النبوي الشريف ممّا رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال في وصفه لعلامات الساعة «لا تقوم الساعة حتى يقبض

(1) هدى محمد حسين الويسي، الهزات الأرضية في بلاد الشام القرنين (6-7/12-13 م)، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2008 م، ص 02.

(2) فادي حسين عسقلان، إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015 م، ص 75.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مج11، المصدر السابق، ص 307.

(4) الزلزلة: 1.

(5) اسماعيل بن حامد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ج05، بيروت، ط02، 1989 م، ص 1717.

(6) ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، مج11، ص 308.

(7) الحج: 1.

(8) ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 308.

(9) الزلزلة: 1.

العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتكثر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل»⁽¹⁾، دون وجه حق.

2.1.1. تعريف الحكماء:

يرى السيوطي: «أنّ الزلازل إنّما تكون عن كثرة الأبخرة تحت الأرض بحيث لا تقمعهما برودة حتى تصير ماء، ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها ويكون وجه الأرض صلبا بحيث لا ينفذ البخار منها، فإذا صعدت ولم تجد منفذا اهتزت الأرض منها، واضطربت كما يضطرب البدن المحموم لما يثور في بدنه بخار الحرارة، وربما انشق ظاهر الأرض فتخرج تلك المواد المحتبسة، ووجه فسادها أنّه قول لا دليل عليه ورد الأدليل بخلافه»⁽²⁾.

إذا رجعنا لتفسير ابن رشد نجد ما يشفي الإجابة عن مبهم هذا السؤال بقوله: «تكون الزلزلة شديدة في المواضع التي تشتد فيها مجاري ماء البحر، وفي المواضع كثيرة المغارات الرخوة في باطن الأرض، وذلك لاحتقان الريح في هذه المواضع أكثر ممّا في غيرها، ولهذا السبب بعينه تكون الزلازل في الربيع والخريف، وفي الأوقات كثيرة الأمطار وفي الأزمنة اليابسة»⁽³⁾.

3.1.1. تعريف المتصوفة للزلازل:

يرى ابن سحنون: «أنّ الزلزلة هي ارتجاج الأرض، وحركتها وسببها المعروف عند أهل الحق هي تجلي الحق سبحانه للأرض»، ولتأكيد ذلك قد روى عن الرسول ﷺ عن ابن العباس رضي الله عنه قال: «إذا أراد الله أن يخوف خلقه أظهر للأرض منه شيئا فارتعدت، وإذا أراد أن يهلك خلقه تبدى لها»⁽⁴⁾.

يدرك ابن سحنون أنّ تفسير المتصوفة لا يستند إلى العقل فيفرض عليه شرعية دينية، وكنقله رواية عمر ابن الخطاب في عهد خلافته عن المؤرخ الطبري: «أرجفت المدينة أيام عمر فخطب الناس ثم قال إنّ هذا لا يكون إلّا في بلد يكثر فيها الزنا والرّبا، فإن رجعت ثانية لم أقم بين أظهركم»⁽⁵⁾.

(1) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، ج01، دار الريان التراث، لبنان، (د.س) ص 60، رقم الحديث 1036 نقلا عن: بن عبد الله صالح، مرجع سابق، ص52.

(2) أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2013م، ص211.

(3) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6_12/8_14م)، مرجع سابق، ص 180.

(4) محمد غالم، ظاهرة الزلازل في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين (الذاكرة والتاريخ)، مجلة إنسانيات، العدد 03، الجزائر، شتاء 1997م، ص54.

(5) عمر بن داهة، السرعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن...، مرجع سابق، ص ص 54-55

فالزلازل علامة من علامات الله، فزلزال مدينة وهران في أول صفر 1205 أي أثناء حصار الباي محمد الكبير⁽¹⁾ لها فلعاملين أساسيين هما:

__ تعاضم الغضب الإلهي على الإسبان الكفرة وأفعالهم الدنيئة.
__ قرب ساعة تحريرها إذ أنّ الزلازل يحدث خسائر تعجل ساعة الهجوم عليهم
(2).

4.1.1. المفهوم العلمي للزلازل: الزلازل هي عبارة عن اهتزازات مباغطة وقويّة لقشرة الأرض تنتج بفعل التحرّر السريع للطاقة المتجمعة في الصخور، لتتوزع هذه الطاقة المتحرّرة من مصادرها أو من بؤرها في كافة الاتجاهات على شكل موجات مختلفة⁽³⁾.

وللتعرّف على ماهية الزلازل وأماكن تواجده، فإنّ هذا يتطلب إعطاء فكرة مبسطة عن التركيب الداخلي للأرض، وعلاقتها بالعوامل المسببة لها.

5.1.1. التركيب الداخلي للأرض:

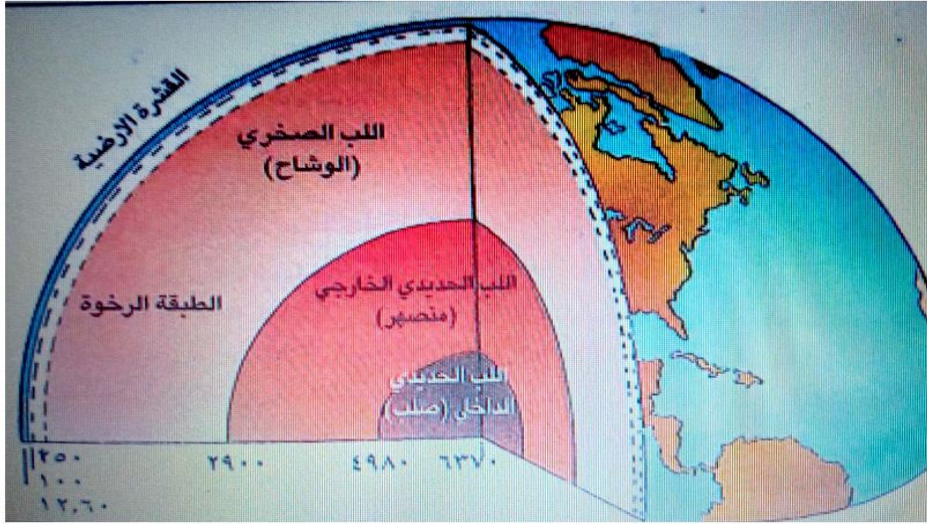
دأّت الدّراسات الجيوفيزيائية الحديثة على أنّ التركيب الداخلي للأرض يبلغ 6271 كم يتألف من أربع طبقات أساسية هي: القشرة، الوشاح، اللب الخارجي، واللب الداخلي، وتلعب هذه الطبقات دورا هاما في مرور وانعكاس وانكسار الموجات الزلزالية، نظرا لاختلاف كثافة الصخور وتركيبها المعدني، بالإضافة إلى اختلاف درجات الحرارة والضغط مع ازدياد العمق، ويمكن التوضيح أكثر بالشكل الموجود في الأسفل⁽⁴⁾.

(1) هو محمد بن عثمان الكردي الملقب بالأكلح لسمرته، من مواليد مليانة ما بين 1739-1745م، من أم عربيّة وأب تركي، تولى إدارة البايك ما بين 1778-1779م، واجه الإسبان إلى غاية تحرير مدينة وهران 1791م وبقي بايا بها إلى غاية 1796م-ينظر: عدة بن داهة، السرعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 03، ديسمبر 2008م، ص 85.

(2) عمر بن داهة، مرجع سابق، ص ص 54-55.

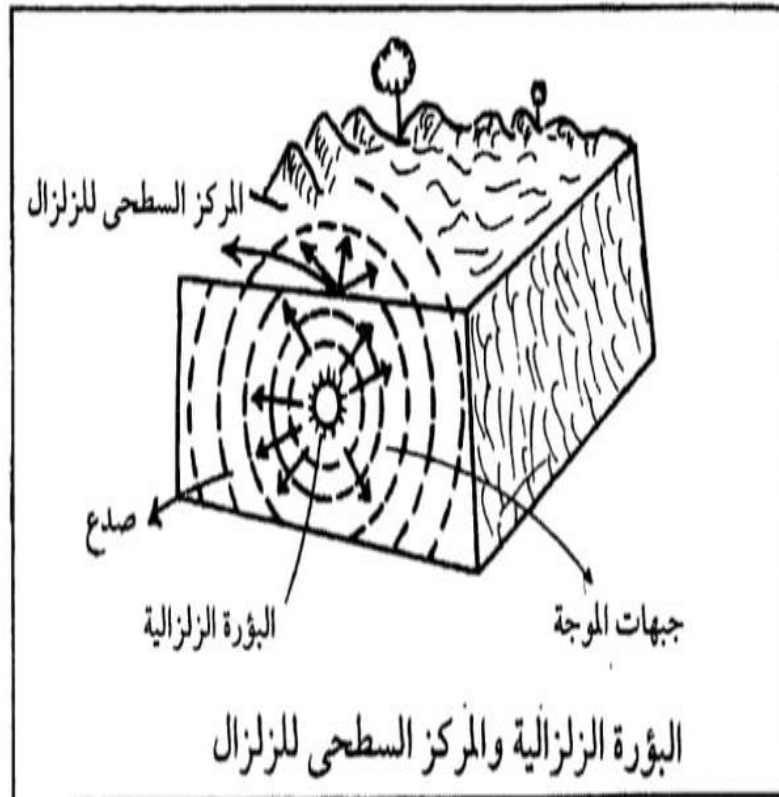
(3) محمد صبري محسوب، الجغرافيا والطبيعة أسس ومفاهيم حديثة، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مصر، 1996م، ص 45.

(4) عبد الله محمد العمري، الكوارث الطبيعية، مجلة العلوم والتقنية، العدد 32، الرياض، شوال 1415هـ/ مارس، 1995م، ص 8.



CamScanner الممسوحة ضوئياً بـ

والزلازل هو حركة تموجية **Vibration** تحدث في القشرة الأرضية على شكل سلسلة من الهزات الزلزالية، كما أنّها عبارة عن خروج موجات اهتزازية من منطقة تقع تحت سطح الأرض، تسمى البؤرة الزلزالية **Focus of Earthquakes** وتشمل النقطة الواقعة عليها مباشرة سطح الأرض مركز الزلزال **Epicentre**، والذي يعدّ بدوره أكثر المناطق تأثراً بالهزة الزلزالية على سطح الأرض⁽¹⁾ (أنظر الشكل)⁽²⁾:



(1) أحمد عزة عبد الله، إدارة الكوارث الطبيعية مع تطبيقات على الزلازل والسيول، مرجع سابق، ص 352.

(2) محمد صبري محسوب، الجغرافية الطبيعية...، مرجع سابق، ص 47.

قد قسم علماء الزلازل **Seismologists** الموجات الزلزالية الى ثلاثة أنواع:
6.1.1. الموجات السطحية: وهي الموجات المدمرة المصاحبة للزلازل وتجتاز من المركز السطحي للزلازل متحركة في مجال متعرج على سطح الأرض بسرعة نحو 4 كلم.

7.1.1. الموجات الطولية: وهي تشبه الموجات الصوتية، وتنتقل في جميع الأجسام وتتراوح سرعتها ما بين 5,5 و 13 كم/ ثانية وهي أول ما يصل الى سطح الأرض.

8.1.1. الموجات المستعرضة: وهي أمواج اهتزازية تنتشر متعامدة على الموجات الطولية، ويمكن تشبيه كيفية حدوث الاهتزازات الأرضية بانفجار يحدث تحت سطح الأرض، تنبعث منه تموجات سطحية في شكل دوائر تتسع وتضعف(تخفت) بالبعد عن المركز، وتضعف كل الاهتزازات بعد انتهاء الانفجار لفترة تتناسب مع قوته⁽¹⁾.

9.1.1. طرق قياس شدة الزلازل:

حسب الدراسات العلمية الحديثة، وما أورده بعض الطرق المعتمدة في قياس شدة الزلازل، هو ما قام به جيبسيه ميراكللي عام 1902م⁽²⁾، وهو في حقيقة الأمر بعيد نوعا ما عن الفترة التي تقوم بدراساتها (1700- 1899م)، كون العلوم آنذاك لم تكن تشهد تطور كما ينبغي؛ لهذا حاولنا تسليط الضوء على المقاييس القديمة للزلازل و كما ذكرنا سابقا أنها ترجع لعام 1902م، وهو مقياس وصفي تختلف خلاله شدة الزلازل حسب البعد أو القرب من البؤرة الزلزالية، ويتألف هذا المقياس من 12 درجة.

درجات ريختر	شدة الزلازل
2,5	لا يشعر به الانسان (غير محسوس)
4,5	ضرر محلي محدود
6	يُدْمَر المناطق المزدهمة بالسكان
7	أضرارها ضخمة جدا تحدث بمعدّل 10 مرات كل سنة
أكثر من 8	زلازل ضخمة وغاية في التدمير تحدث مرة (في فترة تتراوح ما بين 5- الى 10 سنوات)

أمّا من الأجهزة الواسعة الانتشار حاليا هو مقياس ريختر **Richter** المستخدم في قياس درجة شدة الزلازل، وهو مقياس لوغاريتمي ومعنى ذلك أنّ تزايد درجة في

(1) محمد صبري محسوب، الجغرافية الطبيعية، مرجع سابق، ص 48.

(2) نفسه، ص 47.

المقياس يقاربها زيادة في حركة الأرض عشر مرّات، وانطلاق طاقة أكبر ب 30 مرّة وهكذا.

فحسب الباحث محمد محسوب أنّ زلزال قدره 6,5 ريختر سيطلق طاقة أكبر ب 30 مرّة من زلزال 5,5 ريختر وأكبر من زلزال 4,5 ريختر ب900 مرّة، وزلزال رئيسي قدره 8,5 يطلق طاقة أكبر بحوالي مليون مرّة من طاقة يطلقها زلزال ضعيف يشعر به الانسان (زلزال محسوس)⁽¹⁾.

2.1. الفيضانات

1.2.1. لغة:

فيض: فاض الماء أي كثر حتى سال على ضفة الوادي (أكثر من الحدّ)، وفاض الماء، والمطر، والخير إذ كثر، وفاض الحديث أي ذاع وانتشر، ويقال فيض كثير، والحوض فائض أي ممتلئ، ونهر فياض أي كثير الماء، وأرض ذات فيوض إذا كان فيها ماء يفيض يعلو⁽²⁾.

أمّا في المعنى العام الذي يتبادر إلى الذهن هو زيادة الماء حتى يرتفع، ويسيل على جوانب الوادي، غير أنّه ليس بالضرورة أن يكون هناك واد ليسيل الماء إليه ثم يفيض على الجانب، وهذا يعني أن نأخذ أيضا المعنى الثاني وهو معنى الانتشار، ففي بعض المناطق شديدة الانبساط، التي قد تكون خالية من المجاري أو بها مجاري صغيرة، ومتباعدة فإنّ الماء الكثير ينتشر على مساحات واسعة، ويسمّى سيجا طبقيا أو سيلا طبقيا⁽³⁾.

2.2.1. اصطلاحا:

هي عملية الغمر بصفيحة مائية معينة، ويعرف الجيومورفولوجيين الفيضانات بأنّها الصبيب الاستثنائي، الذي يغمر السرير الكبير للمجرى المائي الذي يؤدي إلى حدوث تغيرات جيومورفولوجية⁽⁴⁾ هامة بالمجرى المائي، فظاهرة الفيضانات هي إحدى الظواهر الطبيعية الأكثر كارثية، التي لا تقل خطرا عن باقي الكوارث الأخرى⁽⁵⁾. ويحدث الفيضان عندما تفوق المياه الواردة للنهر من المصادر المختلفة (الأمطار، والمياه الوفيرة) قدرته على استيعابها فتتجاوز المياه ضفته إلى خارج

(1) محمد محسوب صبري، الجغرافية الطبيعية، مرجع سابق، ص 48.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج 07، ص 210-213.

(3) مصطفى محمد خوجلي، مقدمة في دراسة الكوارث التصحر والجفاف والاحتباس الحراري والفيضانات والزلازل، مطبعة جامعة إفريقيا، السودان، 2012م، ص 149.

(4) الجيومورفولوجيا: هو علم من العلوم الجغرافية الحديثة، تشمل دراسة القشرة الأرضية والأشكال التضاريسية لسطح الأرض. ينظر: حسن سيد أحمد أبو العينين، أصول الجيومورفولوجيا- دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 01، 1995م، ص 11.

(5) سهام رامول، حساسية الأخطار الطبيعية بولاية قالمة (حالة حوض وادي سيبوس الأوسط)، رسالة ماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، دس، ص 119.

حدود التصريف⁽¹⁾، مما يؤثر سلباً على البنية التحتية، وعلى المنشآت العمرانية، وعلى الحياة البشرية والحيوانية⁽²⁾، وتحدث نتيجة لعدة عوامل أهمها:

_ ارتفاع مستوى البحر _ ذوبان الجليد.

_ الطموم (التسونامي)، وهي موجة بحرية مدمرة تحدث بسبب نشوء زلزال في مستوى البحر⁽³⁾.

فالفيضانات تعتبر من الكوارث الطبيعية التي تقهر الإنسان فهي غير منتظمة تحدث بفعل الطبيعة وهي أنواع:

_ الفيضانات المفاجئة: هي فيضانات تحدث في منطقة صغيرة خلال ساعات بفعل الهطول الغزير للأمطار في المنخفضات والصحاري، وتعدّ هذه الفيضانات من الظواهر المتكررة ذات ارتفاع المياه القليلة.

الفيضانات الإقليمية: هي فيضانات تحدث على امتداد الأنهار الكبيرة، وتستمر لعدة أسابيع وتكون المياه فيها مرتفعة نسبياً مما يسبب غمر مساحات واسعة.

_ الفيضانات الناجمة عن انهيار السدود.

_ الفيضانات الساحلية: تنجم عن الأعاصير وأمواج تسونامي⁽⁴⁾.

3.1 القحط والجفاف

1.3.1.1 التعريف اللغوي للقحط والجفاف

القحط: يحمل في اللغة عدّة معاني، والقحط: الضرب الشديد، واحتباس المطر، قحط العام، كَمَنَعَ وَفَرَحَ وَغُنِيَ: قِحْطًا، وَقَحْطًا، وَضَرَبُ قَحِيْطٍ، وَزَمَن قَاحِطٍ، ج: قَوَاحِطٍ، وَالْقَوْمُ: أَصَابَهُمُ الْقَحْطُ⁽⁵⁾.

يعني أيضاً الجذب، والجفاف معناه: القحط الشديد، والضارُّ وراء: القحط والشدة، والشيباح تعني القحط أيضاً، وقد يقال للقحط: الكحط، وأمحلّ البلد: إذا قحط فهو ما حلّ، ويطلق عليه أيضاً للأواء: وتعني المشقة والشدة، وقد كانت العرب تسمي القحط شتاء لأن المجاعات كانت أكثر ما تصيبهم في الشتاء البارد⁽⁶⁾.

(1) علي عبد الرحمن الربح، دراسة جيومورفولوجية خور أبو فارغة ولاية القضارف شرق السودان وأثر ذلك على فيضانات الخور، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، فيفري 2018م، ص 07.

(2) الميلود زروقي، نمذجة فيضانات واد كرد: نموذج مدينة الديروش من خلال استعمال ARC_GIS_GEOSAS_HFC، الندوة الدولية الثالثة لمستخدمي نظم المعلومات الجغرافية، وجدة، 2016م، ص 47.

(3) الميلود زروقي، نمذجة فيضانات...، نفسه، ص 119.

(4) جمال باقر، حيدر محمد جواد جاسم، إدارة الكوارث الفيضانات والسيول في منطقة بحر النجف، مجلة البحوث الجغرافية، العدد 27، بغداد، دس، ص ص 37-38.

(5) مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (7362)، تج: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، الحديث، مج 01، القاهرة 1429هـ/2008م، ص 1290.

(6) سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588_927/1192_1520م)، إشراف: محمد الأمين بلغيث، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 2008-2009م، ص 16.

الجفاف: ما جفّ من الشيء الذي تجفّفه، ما يبس من النبات: جفّوا وجفافا⁽¹⁾.
وجفافا: يبس، والجفيف: ما يبس من أحرار البقول، وقيل ما ضمت منه
الريح، والجفف أي الغليظ اليابس من الأرض⁽²⁾.

2.3.1. التعريف الاصطلاحي للقحط والجفاف Drought: يعتبر الجفاف هو أحد أهم مكونات القحولة **Aridity** التي تهيمن على المظهر الطبيعي للأراضي في كافة أجزاء العالم، وكذلك تعتبر القحولة من أهم مكونات مناخ الأراضي الجافة وشبه الجافة⁽³⁾، ويعتبر الجفاف ظاهرة طبيعية بالنسبة للمناخ الذي يتميز بتغيرات كبيرة، ونتيجة مباشرة لتذبذب تساقط الأمطار⁽⁴⁾، وانقطاعها في بعض الفترات لمدة قد تستغرق الموسم الفلاحي كلّهُ، وإن كان ذلك بالنظر إلى مواصفات المناخ المتوسطي السائد بالجزائر الشمالية ظاهرة طبيعية، ولعلّ هذا ما جعل نزول المطر في فصل الربيع بمثابة المؤثر عاى حلول الرخاء، أو توقع القحط، فإذا انقطعت الأمطار في شهر مارس وأفريل وتكرر ذلك لسنة أو سنتين، فإنّه لا مناص من ندرة المحاصيل وحلول القحط⁽⁵⁾؛ بالتالي تؤثر في المردود الزراعي ما يدفع بالإيالة في بعض الأحيان إلى استيراد كميات كبيرة من الحبوب، هذه الظاهرة تساهم فيها عدّة عوامل إلى جانب قلّة التساقط منها الرياح الجافة القادمة من الجنوب خاصة شهر جويلية وأوت، ممّا يتسبب في حدوث انعكاسات فيما بعد على شكل أوبئة ومجاعات⁽⁶⁾، خاصة في الفترات التي يطول فيها مثال ذلك الجفاف الذي حلّ بالإيالة طيلة تسع سنوات (1603-1612م) مخلفًا مجاعات في باقي مناطقها وبالأخص مدينة قسنطينة⁽⁷⁾، ونزول الجوائح واستفحال القحط الذي استمر بها سنتين متواليتين، وغياب الاهتمام بالفلاحة في العهد التركي، فقد كانت ضعيفة جدا ولم تكن هناك كميات كافية من الحبوب لمواجهة هذه الأزمة⁽⁸⁾.

4.1. المجاعة:

1.4.1. لغة: المجاعة في اللغة هي مفعلة من الجوع، ومن الفعل جاع يجوع، فهو جائع وجوعان، وهو اسم للمخمصة والمعتبة، وهي خلاء البطن من الطعام جوعا⁽⁹⁾.

(1) المجد الدين فيروز آبادي، مرجع نفسه، ص 279.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج 09، ص ص 28-30.

(3) جهاد محب قربة، الخصائص الديناميكية للجفاف في العالم وأساسيات التصدم، جامعة أم القرى، مصر، د.س، ص 02.

(4) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 47.

(5) محمد الزين، مرجع سابق، ص 131.

(6) رشيد حفيان، مرجع نفسه، ص 47.

(7) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر، مرجع سابق، ص 93.

(8) العنتري، مجاعات قسنطينة...، مصدر سابق، ص ص 13-14.

(9) سمية مزور، المجاعات والأوبئة...، مرجع سابق، ص 15.

والجوع ضد الشبع، وبالفتح المصدر، جاع جَوْعا ومجاعة، وهي جائعة و جوعى، من جياع وجوّع، وجائعة الوشاح: ضامرة البطن⁽¹⁾، والمَسْعَبَةُ أيضا تعني المجاعة، فقال: سَعَبَ الرجل يَسْعَبُ، وَيَسْعَبُ سَعْبًا: جاع، والسَعْبَةُ الجوع⁽²⁾، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم لقوله جلا جلاله: (أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ ٤١) (3).

كما يطلق على المجاعة أيضا مصطلح الألبية: وهي مأخوذة من التآلب والتجمع، لأنّ الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون أرسالا، ويقال للجوع أيضا الخَوْبَةُ⁽⁴⁾.

2.4.1. إصطلاحا: في المعنى الاصطلاحي اقترن مصطلح المجاعة بحالة عجز الفرد على توفير الحد الأدنى من الطعام والشراب، وقد صبغ هذا اللفظ بصبغة دينية تناولتها الكتب المناقبية بالذكر، فعرف بلفظ مسغبة عبرت من خلاله على القحط والجوع الشديد والخاصة والشدة⁵.

(1) الفيروز آبادي، قاموس المحيط الحديث، مصدر سابق، 1742، ص 311.
(2) جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الامامين الجلالين، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، (د س)، ص 808.
(3) [البلد: 14].
(4) سمية مزدور، المجاعات والأوبئة...، مرجع سابق، ص 15.
(5) بعاك نور الدين، المجاعات والأوبئة في تلمسان الزبانية من خلال النوازل الفقهية، المؤتمر الدولي بعنوان: الأوبئة والمجاعات في الوطن العربي عبر العصور، ج 01 المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021، ص 143.

3.4.1. المجاعة في المصادر التاريخية:

إنّ المجاعة لفظ واضح في الدلالة، ولم يكن موحد الاستعمال في سائر المصادر التاريخية، فالمجاعة في بعض المصادر اصطبت بصبغة دينية، وفضلت استعمال مصطلح المسغبة الذي هو مرادف لها، وقد سارت المصادر الفقهية في تصورهما للمجاعة على نهج كتب المناقب، فإضافة الى مرادفات عديدة للمجاعة استخدمتها كالحقظ والجوع الشديد والخصاصة والمجاعة والشدة، إلا أنّ المصادر الفقهية آثرت في كثير من الأحيان استعمال لفظ المسغبة أيضا (1).

2. الآفات الزراعية

1.2. الجراد

يعدّ الجراد من أشد أنواع الحشرات فتكا بالمحاصيل الزراعية التي يهاجمها في حقولها، ولا توجد حشرة أخرى تماثلها في درجة الخسائر الاقتصادية، والبيئية التي تتسبب عنها ممّا جعلها ترتبط بأخطار تصل الى حد الكارثة، وذلك في المناطق التي تتعرض لها فهي في حقيبة الأمر تتسبب في إحداث مجاعات من خلال قضاء أسرابه على الأخضر واليابس (2).

2.2 القوارض

تعتبر الفئران من أهم القوارض التي تهاجم المحاصيل وهي في طور النضج، حيث كانت الخسائر عالية في المحاصيل كالطماطم، والبطيخ، والشمام، وبالنسبة لمخازن الغلال، فإن الفئران تهاجم الحبوب سواء كانت معبأة أو مكومة على الأرض، وتؤدي إلى نسبة كبيرة قد تصل لـ: 05% إلى تلوث الحبوب، ومنتجات أخرى ببول وفضلات

الفئران، ممّا يفقدها الكثير من قيمتها الاقتصادية، وتصبح غير صالحة للاستعمال والاستهلاك الآدمي (3).

المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض بين المسارات التاريخية والمفاهيم الطبية

من الطبيعي جدا أن تكون الصحة هي الشغل الشاغل لنا جميعا، وأن تكون الموضوع المسيطر على وسائل الإعلام طوال الوقت في عصرنا هذا أو حتى في عصور

خلت، لذلك اجتمعت العديد من الدراسات لتأسيس علم الأوبئة لاستكشاف أغوار الصحة، والمرض مستعينة بأدوات الأبحاث الطبية.

(1) محمد عيساوي، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (07-09/13-15م)، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 02، ع02، الجزائر، ديسمبر 2018م، ص232.

(2) محمد صبري محسوب، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة...، مرجع سابق، ص 188.

(3) عبد العليم سعد سليمان وسعودي عبد الوهاب سيد، دراسة حول القوارض (تصنيفاتها- صفاتها المورفولوجية- سلوكياتها- مكافحتها)، منشورات قسم وقاية النبات، كلية الزراعة، جامعة أسيوط، مصر، 2017، ص 09.

يعود الفضل في تحديد الأطر الكبرى لعلم الأوبئة لتلك النظريات التي أوجدها العالم اليوناني هيبوقراط (**Hippocrate**)، الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين (377-460 ق.م)، والتي انطلق في بادئ الأمر ضمنها في الحديث عن تأثير: الهواء، والماء، والأتربة في إيجاد الأمراض وتطويرها ونقلها من شخص لآخر، وهو أول من استعمل مصطلحي (**Endemic**) و(**Epidemice**) للدلالة على الأمراض الناجمة عن انتقال العدوى من فئة بشرية أخرى خلال فترة زمنية محدّدة، ويكون تأثيرها على عدد كبير من الضحايا⁽¹⁾.

1. الوباء بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1.1. لغة: يقول صاحب الصحاح "الوباء" يمد ويقصر: مرض عام وجمع المقصور أوباء وجمع الممدود أوبئة، وقد وبئت الأرض توبياً وبا فهي موبوءة، إذا كثرت مرضها"⁽²⁾.

وقال ابن منظور: «الوباء: الطاعون بالقصر والمد والهمز: وقيل هو كل مرض

عام، وفي الحديث: إن هذا الوباء رجز؛ وجمع الممدود أوبئة وجمع المقصور أوباء؛ وأرض وبيئة على فعيلة ووبئة على فعلة وموبوءة وموبئة: كثيرة الوباء»⁽³⁾.

في حين يقول صاحب القاموس المحيط: «الوبأ، محركه: الطاعون، أو كل مرض عام»⁽⁴⁾، وفي معجم لغة الفقهاء: "بفتح الواو مصدر وبؤ ووبىء، جمع أوبئة: المرض الذي تفشى وعم الكثير من الناس كالجدري والكوليرا وغيرهما"⁽⁵⁾.

2.1. اصطلاحاً:

لعلّ من أشهر التعريفات الاصطلاحية ما ذكره صاحب كتاب "غريب الحديث" بقوله: «...المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان..»⁽⁶⁾، وذكر العسقلاني في "فتح الباري" تعريفه فيما نراه أصلح ما يمكنه التعبير به عن ماهية الوباء والطاعون معاً، ما نصّه: «...والحاصل أنّ حقيقته ورم ينشأ عن هيجان وانصباب الدّم إلى عضو فيفسده، وأنّ غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعوناً بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 19.

(2) أبو نصر اسماعيل الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص 1224.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص 4751.

(4) الفيرز أبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص 55.

(5) مجد رواس قلعه جي وحامد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط02، 1996م، ص 469.

(6) مجد الدين أبي السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط01،

2000/1421م، ص 564.

وكثرة الموت...وما أطلق على كل وباء طاعون فبطريق المجاز..»⁽¹⁾، أمّا تعريف الأوبئة حسب منظمة الصحة العالمية؛ فهو حالة انتشار لمرض معين، حيث يكون عدد حالات الإصابة أكبر ممّا هو متوقع في مجتمع محدّد أو مساحة جغرافية معينة، أو موسم أو فترة زمنية، و قد يحدث الوباء في منطقة جغرافية محصورة، أو قد يمتد إلى عدّة مناطق ودول، وقد يستمر لعدّة أيام أسابيع، وربّما يستمر لسنوات كما هو الحال بالنسبة لفيروس كورونا أو الفيروس التاجي⁽²⁾.

كما اصطلح أيضا على الأوبئة "بالأمراض الوافدة"، لأنّها قادمة على الناس من بعد مع الهواء ليست من جهة مطعم، ولا مشروب لا عرض نفساني وشبه ذلك"، أو لكونها أيضا أمراض عامة تشمل وفدا كبيرا من الناس⁽³⁾.

المرض الوافد هو مصطلح أطلقه الطبيب الأندلسي ابن خاتمة (ت: 770هـ/1369م) معنونا به كتابه "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد"، وقد أطلق ابن خاتمة هذا الاسم نظرا للعلاقة بين صبغة المرض الكونية، وانتقالها من بلد إلى آخر عن طريق العدوى⁽⁴⁾.

2 أنواع الأوبئة

1.2 الطاعون:(La Peste): هناك عدة تعريفات تناولت مصطلح الطاعون:

1.1.2 التعريف اللغوي:

الطاعون مشتق من الفعل طَعَن، يطعن ويطعنه طعنا، فهو مطعون وطعين، من قوم طَعُنْ؛ وخزه بحَرْبَة ونحوها- والطحنة أثر الطعن وقول الهذلي: قال فإنّ ابن عبس قد علمتم مكانة أذاع به ضَرْبٍ وَطَعْنٍ جَوَائِفٍ⁽⁵⁾.

يعرفه ابن منظور على أنه داء معروف، وجمعه طواعين؛ وطعن الرجل والبعير، فهو مطعون، وطعين أصابه الطاعون، والطاعون المرض العام والوباء يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان⁽⁶⁾.

2.1.2. التعريف الاصطلاحي:

(1) أحمد بن علي حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو قتيبة ناضر محمد الفيدياني، كتاب الطب، دار طبية، ج13، الباب 30، الرياض، ط01، 2005م، ص 131.

(2) ادريس بن مصطفى، رواية الطاعون لالبيير كامو أنموذجا، المؤتمر الدولي بعنوان المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، مرجع سابق، ص 112.

(3) رفيق تلي، المجاعات والأوبئة دراسة في الدلالة والمفهوم، المؤتمر الدولي العلمي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م، ص 162.

(4) حسين بوجرة، الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350م-1800م)، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 2011م، ص 35.

(5) اسماعيل محروق، الطاعون الجارف وأثره على الحياة الفكرية في بلاد المغرب الاسلامي، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، مرجع سابق، ص 129.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مج 13، ص 266.

يعتبر وباء الطاعون من الأمراض القديمة، والمعدية التي تصيب الإنسان، والحيوان بسبب بيكتيريا تحملها القوارض والبراغيث، التي سكنت منازل وأماكن عمل الإنسان وتسبب له الموت⁽¹⁾، ويقدم لنا محمد بن يحيى السوسي نموذجاً فريداً فهو يعرف الطاعون على أنه: «ورم حار قتال يخرج في المراق والمغابن غالباً، وشده في الإبط الشمالي خصوصاً عند هيجان الدم في أيام الربيع، والأسود منه أشد، ويكون معه الحمى والقيء»⁽²⁾، ولعلّ سبب هذه الأمراض في الغالب فساد الأغذية، وتلوث المياه، وربما يكون ذلك أيضاً بسبب الماء البارد الذي يشربونه⁽³⁾.

في حين أورد شرف الدين النويري صاحب كتاب "المنهاج في شرح مسلم ابن الحجاج" نقلاً عن ابن حاتم في مؤلفه الجرح والتعديل؛ تعريفاً هاماً للطاعون استناداً إلى شرح متون الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت الطاعون بقوله: «أما الطاعون الجارف فسمي بذلك لكثرة من مات فيه من الناس، وسمي السيل جارفاً لاجترافه على وجه الأرض، والجرف العرف من فوق الأرض وكشح ما عليها؛ وأما الطاعون فوباء معروف وهو بثر وورم مؤلم جدا يخرج من لهاب ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية، ويحصل معه خفقان القلب والقيء»⁽⁴⁾، وقد اعتقد جماعة من الأطباء الأطباء منهم أبو علي ابن سينا أنّ الطاعون مادة سميّة يحدث وربما قتالا، يحدث في المواضع

الرخوة، والمغابن من البدن، وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة⁽⁵⁾، ووصف ابن الوردي أعراض الوباء بقوله: «وقتل خلق ببثرة... ومنها من من الأقدار أنه يتبع أهل الدار؛ فمتى بصق أحد منهم دماً تحققوا كلهم عدماً ثم سكن الباصق الأجداث بعد ليليتين أو ثلاث»⁽⁶⁾، وعبر عن ذلك شعراً بقوله⁽⁷⁾:

سألت باري النسم في دفع طاعون صدم
فمن أحسن بلع دم فقد أحسن بالعدم.

3.1.2. التعريفات الفقهية للطاعون:

(1) مجدوب موساوي، الطاعون في الجزائر خلال الفترة العثمانية دراسة في الدوافع والانعكاسات، ج 01، المؤتمر الدولي الافتراضي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور تحت إشراف رفيق تلي، المركز الديمقراطي العربي - ألمانيا، ص 314.

(2) الحسن فرقان، مرجع سابق، ص 312.

(3) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج 01، لبنان، ط 03، 1998، ص 83.

(4) اسماعيل محروق، المرجع السابق، ص 130.

(5) نفسه، ص 130.

(6) الحافظ بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ص 375.

(7) زين الدين ابن الوردي، الديوان، تح: أحمد فوزي، دار العلم، الكويت 1986م، ص 87.

يعتبر الطاعون في التصور الديني الجماعي هو شهادة ورحمة للمسلمين، وعقاب إلهي سلّطه الله على الكفار، فعندما يتحدث العربي المشرفي مثلاً عن المعنى اللغوي للوباء ينطلق من الحديث: «**الطاعون وخز أعدائكم من الجن**»؛ ثم يسرد عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة والأحكام الفقهية، ليخلص إلى أنّ الطاعون أخطر من الوباء، ثم يتبنى حكم ابن حجر العسقلاني بعد ذلك «**الوباء ينشأ عنه كثرة الموت، ولما كان الطاعون كذلك أطلق عليه اسمه**»⁽¹⁾، استناداً للحديث النبوي الشريف: «**الطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجز على الكافرين**»⁽²⁾، يعجلّ لهم قبل الآخرة، أمّا بالنسبة للمسلم الذي يموت بالطاعون فيعتبر شهيداً " من مات في الطاعون فهو شهيد"، ويوضع في الدرجة نفسها مع من مات مجاهداً في سبيل الله⁽³⁾.

فالطاعون هو وخز من الجن، وقد منعه الله عن المدينة إنّما لوجود ملائكة مكلفين من الله بحمايتها من الدجال، والجن الطاعن، وقد ربط العلماء وخز الجن أو طعنه بأمور فلكية متمثلة في ظهور الثريا وسقوطها، والثريا هي النجم، فإذا سقطت الثريا وغابت تكثر الأمراض والطواعين، وإذا طلعت ترتفع كل الأمراض، والعاهات عن كل قطر⁽⁴⁾، وذلك استناداً للحديث النبوي القائل: «**إذا ارتفع النجم رفعت العاهة عن كل بلد**»⁽⁵⁾، فبطلوع الثريا أو ظهورها تزول الأهوية الفاسدة المتعفنة، وفي مدة غيابها يكون الهواء فاسداً وخيماً، وهذه المدّة إنّما يكون فيها طعن الجن الذي بسببه يحدث الطاعون»⁽⁶⁾.

كما اصطلى الأدباء والشعراء والخطباء بنار الأوبئة، حتى صارت جزءاً من تراجمهم، فلا يكاد يخلو كتاب في التراجم، أو تاريخ الأدب العربي من إشارة خفيفة، أو ظاهرة إلى الوباء كون هذه الأوبئة موجودة منذ القدم، وما نتج عنه من أسباب أودت بحياة ذاك الأديب، أو هذا العالم، وقد أصيب الشاعر أبو نؤيب الهذلي بنار الوباء؛ فقتل الطاعون خمسة من أبنائه في سنة واحدة، فجزع لذلك ورثاهم بقصيدة مشهورة يقول فيها⁽⁷⁾:

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمَعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ
مَنْذُ ابْتَدَأْتُ وَمِثْلُ مَالِكٍ يَنْفَعُ

أَمَّنَ المُنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ
قَالَتْ أَمِيمَةٌ مَا لَجَسْمِكَ شَاحِبَا

(1) الفرقان (حسن)، مرجع سابق، ص 311.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 62.

(3) الحسن فرقان، مرجع سابق، ص 308.

(4) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 122.

(5) الطبراني، المعجم الصغير المسمى الروض الداني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، الإسلامي، عمان، ط 01، 1405هـ-1985م، 1/ 81، حديث رقم 104، وأورده الامام أحمد بن حنبل بروايتين مختلفتين: أنظر: المسند 2/ 341، 388/ 2، حديث رقم 8476، 9027.

(6) سمية مزدور، مرجع نفسه، ص 122.

(7) أبو ذؤيب الهذلي، ديوان أبو ذؤيب الهذلي، تحقيق وشرح أنطونيوس بطرس، دار صادر، لبنان، 2003م، ص ص 138-143.

فَأَجَبْتَهَا أَنْ مَا لَجَسْمِي أَنَّهُ
أودى بِنِي وَأَعْقَبُونِي عَصَّة
وَلَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أودى بِنِي مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
بَعْدَ الرِّقَادِ وَعِبْرَةَ لَا تَقْلَعُ
فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تَدْفَعُ
أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

ويذكر ابن الوردي في إحدى قصائده بعدما أثر الطاعون على نفوس الناس التي أصابها الجزع، والخوف فجادت قرائحه شعرا متغنيا فيها بالأبيات التالية (1):

فهذا يوصي بأولاده
وهذا يهين أشغاله
وهذا يصلح أعداءه
وهذا يوسع إنفاقه
وهذا يحبس أمواله
وهذا يغير أخلاقه
وهذا يودع جيرانه
وهذا يجهز أكفانه
وهذا يلاطف إخوانه
وهذا يخالل من خانه
وهذا يحرر غلمانه
وهذا يعير ميزانه.

2.2. أنواع الطاعون:

من أشهر الطاعون الذي انتشر بالجزائر ذكرت المصادر والمراجع ثلاثة أنواع

وهي:

1.2.2. الطاعون الخمجي أو التعفني (peste septicémique):

بالدموي أو التسممي (2)، وهو من أخطر أنواع الطاعون لأن الجرثومة تصيب خلايا (3)، وقد عبر عنه ابن خاتمة بالقروح السود، وهي قروح تظهر لأول مرة في الجلد على شكل نفاخات سوداء (4)، أو احمرار نتيجة حدوث نزيف في الجلد، ومن أعراضه الحمى الشديدة التي قد تصل إلى 42° وتصحبه نوبات العطس (5)؛ وكانت هذه النفاخات لا تلبث كثيرا حتى تنفجر بالماء، فتخلف بذلك نقط سوداء تنبع بالماء، أو يصاحب ذلك تورم في مواضعها أو ما حولها، وهذه القروح هي أشد احتراقا من العقد التي تظهر في المغابن، ويظهر في الجسم كمادات سوداء كأنه محترق (6).

2.2.2. الطاعون الرئوي (peste pneumonique):

- (1) ابن الوردي، مصدر سابق، ص 94.
- (2) عزيمة معط الله وحياة بوشريشة، الأوبئة وتأثيرها على مجتمع بايلك الشرق الجزائري- وباء الطاعون أنموذجا، مؤتمر دولي بعنوان المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور 02، المرجع السابق، ص 75.
- (3) محمد بستي وأمينة مسعودي، الأوبئة والأمراض في الجزائر خلال القرن التاسع عشر (طبيعتها- تأثيرها وطرق وطرق الوقاية منها)، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج 2، مرجع سابق، ص 61.
- (4) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 21.
- (5) عزيمة معط الله وحياة بوشريشة، مرجع سابق، ص 75.
- (6) عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)- مقارنة اجتماعية- إشراف دادة محمد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2014-2015م، ص ص 53، 54.

هو النوع الذي أشار إليه ابن خلدون بقوله: « فإن كان الفساد قويا (يقصد فساد الهواء)، وقع المرض في الرئة، وهذه الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة، وهو من أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق»⁽¹⁾، ويظهر هذا الوباء خلال الأشهر التي تعرف انخفاض في درجة الحرارة وتشهد برودة⁽²⁾، كما ينتقل من الإنسان للإنسان عن طريق التنفس، ويتوقف انتشاره إلى العوامل المناخية المساعدة كالرطوبة الجوية، والحرارة التي لا تقل عن 15° مئوية، ونظرا لسرعة تطوره فالطاعون يقضي على المصاب خلال بضع ساعات إلى يومين⁽³⁾، لأنه يصيب الرئة ويفرق عروقه، ويهتكها لحدّة الدم المنبعث إليها وكثرة مقداره وعجزها عن حصره⁽⁴⁾، ويصعبه سعال مع عسر التنفس وازرقاق في البشرة⁽⁵⁾، وترتفع درجة الحرارة عند المصاب إلى 41° مئوية⁽⁶⁾، وهذا النوع الأكثر انتشارا عن طريق العدوى⁽⁷⁾، فهو أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق فلا يكاد يسلم منه أحد ولا علاج له في الغالب، وهو قاتل في جميع الحالات⁽⁸⁾.

3.2.2. الطاعون الحيواني (peste bubonique): ويعرف بالطاعون العقدي، أو الدبلي باللاتينية **bubonic** مشتق من كلمة **bubon** أي الدبل⁽⁹⁾، وهي عبارة عن خراجات ناتئة، تظهر في المغاين⁽¹⁰⁾؛ (الإبط وبواطن الأفضاخ)، واللحوم الرخوة من الجسم؛ أي مكان الغدد اللفافية كما تعرف الآن في الطب الحديث⁽¹¹⁾، كما يعرف هذا النوع عند الجزائريين بالولسيس، ويعدّ من أخطر الأنواع حيث يؤدي بحياة 70 % من سكان المنطقة التي يصيبها⁽¹²⁾، ومن أعراضه الصداع الشديد المصحوب بالغثيان، والتقيؤ وآلام المفاصل، وقد يتوفى المصاب نتيجة الألم خلال أربعة أيام⁽¹³⁾.

3.2 الفرق بين الوباء والطاعون

هناك تداخل في استخدام المصطلحات، فالوباء والطاعون دون التفريق بينهما يصعب معرفة نوع المرض أو الوباء لأي فترة زمنية حدث فيها، فكل طاعون ووباء

- (1) عثمان بوحجرة، مرجع نفسه، ص 53.
- (2) محمد بستي وأمينة مسعودي، مرجع نفسه، ص 61.
- (3) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 65.
- (4) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 53.
- (5) بوجمعة رويان، الطاعون الزهري بالمغرب خلال عهد الحماية 1912-1938م- المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2011م، ص 188.
- (6) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي...، مرجع سابق، ص 223.
- (7) مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات...، مرجع سابق، ص 22.
- (8) عثمان بوحجرة، مرجع نفسه، ص 53.
- (9) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 21.
- (10) المغاين: جمع مغين وهو الإبط وبواطن الأفضاخ: أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 13، ص 309.
- (11) عثمان بوحجرة، مرجع نفسه، ص 53.
- (12) محمد بستي وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص 61.
- (13) عزيزة معطا الله وحياة بوشريبيشة، مرجع سابق، ص 75.

وليس كل وباء طاعون؛ أي أنّ الوباء قد يشمل أمراضا عديدة من بينها الطاعون الذي يعرف بأنه نوع من الأمراض التي تحدث في الزمن الوبائي⁽¹⁾.

فهذا الغموض المرتبط بتعريف الطاعون وعمومية المعلومات التي نصادفها في المصادر الغربية، والعربية عامة يتحدد على مستوى المصطلح، فنجد لفظ الوباء يرد باستمرار عند ذكر أي مرض فتاك سواء كان طاعونا أم حمى وبائية أم أي مرض وبائي يتميز بالانتشار الواسع وحصد أعدادا كبيرة من الضحايا، ويعضده رأي القاضي عياض «... و الوباء هو عموم الأمراض فسميت طاعونا لشبهها بالهلاك، وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون⁽²⁾»، والقاسم المشترك بين الوباء والطاعون يتجلى في العدد الكبير من الضحايا كما يتضح من كلام المشرفي: «...على أنّ الوباء أعمّ من الطاعون، وأنّ كلاهما يطلق على الآخر بجامع كثرة الموت فيهما»⁽³⁾، ويقول ويقول ابن أبي حجلة (725-760هـ) في هذا الصدد⁽⁴⁾:

أرى الطاعون يفتك في البرايا ويطن طعن أرباب الحراب
وينشد عند هدم العمر لدوا للموت وابنوا للخراب.

إلا أن البعض يرجع سبب حدوث الوباء الى فساد الهواء، بحيث أرجع العقباني⁽⁵⁾ العقباني⁽⁵⁾ فساد الهواء الى انعدام شروط النظافة في بعض المدن، إذ كانت الطرقات تعجّ بالأوساخ وجيف الحيوانات، إضافة الى مخلفات الحرفيين من أعمالهم كرمي جلود البقر من طرف الخرازين⁽⁶⁾، كما يمكن للهواء أن يتعفن عن طريق مخالطة للأبخرة التي تخرج من المطامير المتعفنة طائلة الاختزان، أوالهواء المتصاعد من أفضية الآبار التي يموت فيها الحيوان بفعل الرطوبة، والحرارة الزائدتين⁽⁷⁾، ويقول الشاعر ابن الوردي في هذا الصدد⁽⁸⁾:

قالوا فساد الهواء فيردي فقلت يردي هوا الفساد
كم سيئات وكم خطايا نادى عليكم بها المنادي

بينما يرجع البعض منهم حدوث الطاعون إلى سبب روحاني في أنّه وخز من الجان⁽⁹⁾، استنادا للحديث النبوي الشريف الذي يرويه أبو موسى الأشعري عن رسول

(1) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 51.

(2) خير الدين، مرجع سابق، ص22.

(3) الحسن الفرقان، مرجع سابق، ص 311، 312.

(4) شمس الدين السخاوي، وجيز الكلام في الدليل على دول الإسلام، ج01، تحقيق: بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م، ص 99.

(5) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني العقباني وتوفي بتلمسان عام 871هـ/1468م، وصاحب كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر الذي حققه الدكتور علي شنوفي.

(6) نور الدين بعكاك، المرجع السابق، ص 145.

(7) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 118.

(8) زين الدين ابن الوردي، مصدر سابق، ص87.

(9) سمية مزدور، مرجع نفسه، ص 121.

رسول الله ﷺ إذ يقول: « فناء أمتي بالطعن والطاعون، قيل يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهداء»⁽¹⁾.

4.2. الكوليرا

تعدّ الكوليرا من الأمراض المعدية التي تنتج عن تكاثر الميكروبات، وانتشار سمومها في داخل الجسم، ولقد تمّ اكتشاف هذا الميكروب سنة 1883م في الهند، ومصر من قبل عالم الجراثيم الشهير كوخ (KOCH) في برلين، فيرى سبب الكوليرا هي جرثومة أو بكتيريا تمس الجهاز المعوي،⁽²⁾ وبعدها بسنوات توصل "جون سنو" (John Snow)، أنّ للماء الملوّث دور في هذا المرض وسبب مباشر لانتشاره⁽³⁾.

(1) نفسه، ص 122.

(2) محمد بستي وأمينة مسعودي، الأوبئة والأمراض في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 64.

(3) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني...، مرجع سابق، ص 189، 190.

5.2. العلاقة بين المجاعة والوباء

إذا ما انتقلنا إلى علاقة المجاعات، والأوبئة فإنّه في الكثير من الأحيان تكون علاقة سببية لكنها ليست حتمية، ففي الغالب ما تحدث مجاعات دون أن تعقبها أمراض، وأوبئة مع حدوث العكس⁽¹⁾.

قد تقرّر عند المختصين في الطب أن المجاعة تؤثر بشكل مباشر، وأحيانا بشكل غير مباشر في انتشار المرض والوباء، فنقص الغذاء يؤدي لنقص البروتينات، والسكريات، والدهون، والفيتامينات التي تدخل في تركيب خلايا الجسم وحاجياته، كما تعمل على تنشيط النخاع العظمي الذي ينتج الخلايا البيضاء، ونشاط الخلايا البيضاء يمكن الجسم من مواجهة العصيات المعدية المنتجة للأمراض الجرثومية، وفقدان أو نقص هذه الخلايا يجعل الجسم غير قادر على مواجهة الفيروسات التي تحملها الأوبئة، وبالتالي الإصابة بالوباء⁽²⁾.

3. حقيقة الأمراض المعدية والإجراءات الوقائية

1.3. حقيقة الأمراض المعدية

ينظر إلى الأمراض المعدية بأنّها اضطرابات تحدث بسبب كائنات صغيرة مثل البكتيريا، أو الفيروسات، أو الفطريات؛ حيث يعيش عدد من هذه الكائنات التي قد تكون ضارة، أو نافعة في الجسم الانساني أو عليه، والتي في بعض الظروف والحالات قد تسبب بعض الأمراض، والتي قد تكون معدية فتنتقل من شخص إلى آخر من خلال المخالطة، أو أن يكون ذلك بسبب الحشرات، أو بعض الحيوانات، أو قد يتسبب تناول طعام أو شراب ملوث، أو التعرض لكائنات صغيرة في البيئة لبعض الامراض؛ ومن المعدية كالحصبة، وجدري الماء وغيرها من الأمراض والتي قد يمكن منعها من خلال التحصينات بينما تساعد النظافة والطهارة، وغسل الأيدي بشكل متكرر في الحماية من الأمراض المعدية⁽³⁾.

بما أنّ الوقاية لها دور مهم في منع انتقال الأمراض، وانتشارها فسنتناول هذه الدراسة البحث في الإجراءات الوقائية التي سنّها النبي ﷺ لمنع الضرر عن الناس، والحفاظ على الصحة العمومية، باتخاذ تدابير وقائية كالحجر على منطقة الوباء،

(1) بكري حمزة ومجد الصديق بولغيث، التطور الكرونولوجي للمجاعات والأوبئة في الجزائر العثمانية أواخر القرن 18م وانعكاساتها ديمغرافيا "بايلك الغرب أنموذجا"، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج 02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية - برلين - ألمانيا، 2021م، ص 269.

(2) بكري حمزة ومجد الصديق بولغيث، مرجع سابق، ص 269.

(3) سهيل الأحمد، التدابير الشرعية المتعلقة بالنظافة والطهارة لحماية الانسان من الأمراض المعدية، المجلة المتوسطة للقانون والاقتصاد، مج 05، العدد 01، الجزائر، 2020م، ص 48.

وعزل المرضى، والاهتمام أيضا بتصحيح نظرة الناس للمرض المعدي، وتقوية
إيمانهم عند ظهور الوباء⁽¹⁾.

2.3 الاجراءات الوقائية الخاصة بالأمراض المعدية والهدف من تطبيقها⁽²⁾:

(1) نجمة موالكية، الوقاية من الأمراض المعدية والأوبئة في السنة النبوية، مجلة المعيار، مج 25، العدد 60،
الجزائر، 2021م، ص 121.

(2) محمد لونييس، أهمية الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي في الوقاية من الأمراض المعدية، مرجع سابق،
(بتصرف) ص 88.

التعريف	الأهداف	الإيجابيات	الرهانات	السلبيات
العزل	فصل المرضى بأمراض معدية عن الأشخاص الغير مصابين	منع انتقال المرض الى الأشخاص الغير مصابين	صالحة للأمراض كثيرة العدوى بين الأشخاص والتي تكزن فيها الذروة عند ظهور الأعراض	محدودة الفعالية خاصة بالنسبة للأمراض التي تنتقل عن طريق الأشخاص الحاملين للمكروب قبل أو بدون ظهور الأعراض
الحجر الصحي	فصل المشتبه بإصابتهم بمرض معد لاحتمال اتصالهم بالمرضى دون ظهور الأعراض لعدم إصابتهم أو لكونهم في مرحلة الحضانة	تكون أكثر نجاعة في حالة الكشف السريع للمرضى مع تتبع المشتبه بإصابتهم في أقصر مدّة ممكنة بالإضافة الى ضمان الحجر الصحي	ضرورة التكفل النفسي للأشخاص الخاضعين للحجر وتوفير العناية الصحية والغذائية	ضرورة التعويض المادي للأشخاص الخاضعين للحجر - تفضيل الاختياري على الاجباري - صعوبة تحديد المدة اللازمة للحجر
التباعد الاجتماعي	كل الاجراءات المتعلقة بمنع التجمعات كالأسواق، وكل ما يمكن جمع عدد كبير من	التقليل من التواصل والاختلاط بين أفراد المجتمع لمنع انتقال العدوى	مفيدة جدا إذا كان انتقال المرض بين الأشخاص في منطقة معينة من خلال سن قوانين وتوجيهات لشرح	ضرورة تطبيق القانون بصرامة في المقابل صعوبة أسباب التطبيق الاجتماعية ودينية وأخرى متعلقة بالثقافة الفرديّة وللإنسان، وبالتالي

الفصل التمهيدي: مقاربات مفاهيمية حول الكوارث الطبيعية والأوبئة

صورة تلاؤمها مع درجة خطورة المرض خسائر اقتصادية كبيرة	فوائد وضرورة تطبيقها			الأشخاص في أماكن ضيقة	
//	//	مفيدة وضرورية في حال الانتشار الكبير للمرض بين الأشخاص في منطقة معينة	الحد من انتشار الميكروب أو التقليص منه وتقليص الضغط على المؤسسات الاستشفائية	اجراءات مطبقة في منطقة أو ولاية قد تكون كلية أو جزئية بالإضافة الى الاجراءات المذكورة سابقا	الاحتواء أو الغلق العام

الفصل الأول

الكوارث الطبيعية في الجزائر من 1700 إلى 1830م



المبحث الأول: الكوارث المناخية في الجزائر خلال العهد العثماني.

1. الزلازل في ذهنية المجتمع الجزائري.
2. الزلازل.
3. الفيضانات.
4. القحط والجفاف.
5. المجاعة.

المبحث الثاني: الكوارث الزراعية.

1. الجراد في الجزائر العثمانية
2. القوارض.

المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض في الجزائر العثمانية (1700 إلى 1830م).

1. الطاعون.
2. الكوليرا.
3. الأمراض (حمى المستنقعات، التيفوس، أمراض العيون).

1. الزلازل في ذهنية المجتمع الجزائري.

تناولت عدة مصادر تاريخية شهادات حية لأشخاص عايشوا بعض الكوارث الطبيعية، وعلى رأسها الزلازل، فتركوا انطباعات تعكس نظرة الفرد لهذه الأزمات والشدائد، وتختزن لنا تصورات، وممارسات المجتمع الجزائري إبان فترة الكوارث، فمنهم من نظر إليها بأنها عقاب إلهي لمجتمع انحرف عن الشريعة والعقيدة، ومنهم من غلب على ذهنه تصديق الخرافات، والأساطير حول تفسير هذه الظواهر، ومنهم من كانت له نظرة تصوفية بحته، ويذكر ابن سحنون الراشدي في كتابه " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" أن إحدى الروايات التي كانت ضمن الاعتقادات السائدة في الأوساط الشعبية (العامة) يقول فيها سيدي إبراهيم الشبرخيتي: « أن بعوضة خلقها الله تعالى وسلطها على الثور الذي عليه الأرض، فهي تطير بين عينيه فإذا دخلت أنفه حرّك الثور رأسه فيتحرك جانب من جوانب الأرض»⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى من نفس المصدر يقال: «أن عروق جبل قاف ذاهبة في أصول بلاد الأرض، فإذا أراد الله أن يعذب أهل بلدة أمر ملكا بتحريك ذلك العرق الذي هو راسخ تحتها فتزلزل تلك البلدة، وجبل قاف هو المحيط بالدنيا؛ سمي قاف لأنه قفل العالم»⁽²⁾.

تأتي هذه الرواية في فصل الزلازل لتأكيد تنوع المعتقدات الشعبية التي رسخت رسوخا بسبب تراجع العلوم، والانحطاط الفكري والثقافي حينئذ.

2. الزلازل.

إن تاريخ الزلازل ومراكز البحث المختصة تبين بأن الشمال الجزائري عرف عدّة زلازل مدمرة، نظرا لموقعها في منطقة نشاط زلزالي كثيف بين جنوب القارة الأوربية، والشمال الإفريقي على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، بفعل تكوينها الجيولوجي، وطبيعتها الطبوغرافية تعتبر من الأسباب الأولى لتفسير هذه الظاهرة⁽³⁾. عرفت الجزائر خلال العهد العثماني سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة، التي ترتبت عنها خسائر في الأرواح، والممتلكات وتخريب المدن في كثير من الأحيان، مثل زلزال عام 1632م الذي أهلك عدد كبير من سكان المدينة، ونظرا للطبيعة الجغرافية للجزائر حدثت هزة أخرى بنفس المدينة سنة 1635م، لتليها سنوات أخرى 1665م، 1662م⁽⁴⁾.

هذا ما أكده الرحالة الألماني هابنسترايت أيضا قائلا: «...أن البلاد الجزائرية قد عرفت العديد من الهزات الأرضية العنيفة منذ العصور القديمة وحتى الآن، وقد كان

(1) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 212.

(2) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 212.

(3) ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط01، 2011م، ص 102.

(4) أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، إشراف: عائشة غطاس، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2007_2008م، ص 119.

لها تأثير مدمر على العمران؛ بحيث تعرضت مدينة الجزائر في العهد العثماني للعديد من الزلازل المدمرة أهمها حدث في سنوات (1632/1639/1665/1676/1716/1723/1724/1735)»⁽¹⁾.

كما شهدت الجزائر خلال سنة 1716م زلزالا، والذي يعدّ من أخطر الزلازل التي عرفتها الجزائر، وهو الزلزال الذي أشار إليه صاحب الرحلة وعين آثاره المدمرة، فقد ألحق هذا الزلزال خرابا كبيرا بمدن عدّة كالجزائر، وشرشال وبجاية، بعد أن تكررت هزاته المدمرة أيام (3 و5 و26 فبراير 1716م)، وقضى على حسب بعض المصادر على حوالي عشرين ألف نسمة من سكان مدينة الجزائر وما حولها⁽²⁾.

كما أشار الباحث يحي بوعزيز إلى ذلك أيضا قائلا: «مما زاد من مصائب الجزائر الداخلية في هذه الفترة حدوث زلازل مخربة بها في أعوام (1717م، 1724م، 1755، 1732م) بالإضافة إلى الأوبئة، وحصول القحط والجفاف أدى ذلك إلى موت الآلاف من الناس وانتشار الفقر والبؤس، وقلة المون والمحصولات الزراعية، ونتج عن ذلك انتشار الغضب والتذمر على المستوى المعيشي»⁽³⁾، فقد شهدت مدينة الجزائر لوحدها لأكثر من 36 زلزالا حسب بعض المصادر باعتبارها منطقة غير مستقرة جيولوجيا مقارنة بالقسم الجنوبي لها⁽⁴⁾.

كما تعرضت مدينة البليدة للعديد من الزلازل العنيفة، غير أنّ أكثرها قوّة تلك التي حدثت خلال أعوام 1601م و1716م، حيث دامت الهزات في هذه السنة من 03 فيفري إلى نهاية جوان بصفة متقطعة، وبعدها زلزال 15 ماي 1732م الذي أشار إليه هابنسترايت قائلا: «...عندما نصبنا خيمتنا في وطن قشتولة أحسنا بهزة أرضية، فسمعنا دويّا كبيرا وصوتا عميقا في شكل دمدمة، شعرنا بعدها باهتزاز المكان الذي كنا ننام فيه بشدة وقد تأثرت بهذا الزلزال مدينة الجزائر في نفس الوقت؛ ولحسن الحظ فإنّ هذا الزلزال اقتصر آثاره بالنسبة لنا على إثارة الهلع في نفوسنا...»⁽⁵⁾ ويعدّ زلزال 1755م الذي يقال عنه زلزال لشبونة، وهو زلزال قوي شمل الحوض الغربي

المتوسط، وقد أدى إلى انقطاع المياه، وتهدّم بعض المباني، وظهور الحرائق، وشيوع

(1) ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، تر و تق وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ص 68.

(2) نفسه، ص 68.

(3) يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط01، ج02، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009 م، ص58.

(4) رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية... مرجع سابق، ص 296.

(5) هابنسترايت، مصدر سابق، ص 68.

أعمال النهب والفوضى⁽¹⁾، وتلت البلاد بعد ذلك هزات أرضية في سنوات 1760-1770م، كان أعنفها وأشدّها هدمًا وفتكا زلزال 1825م الذي كاد يمحوها من الوجود، وتسبب في تناقص سكانها من 20,000 إلى حوالي 3,000⁽²⁾، والذي كان متبوعا بانفجار وباء التيفوس فخلال(22) يوما التي دام في المدينة كانت البلدية قد فقدت نصف سكانها⁽³⁾.

قد كانت الزلازل منتشرة بكثرة في الجزائر الشمالية بفعل تكوينها الجيولوجي، وطبيعتها الطبوغرافية⁽⁴⁾ من حيث الشدّة والتواتر ما يجعلها بحق أحد الأسباب المؤثرة في المواسم الفلاحية، ومن أشد الهزات الأرضية تدميرا هو زلزال 1216هـ-1802م الذي ضرب الجزائر وعمالتها⁽⁵⁾.

أيضا هزّ زلزال مدينة الجزائر سنة 1825م⁽⁶⁾، وبالضبط في أواخر شهر شعبان شعبان خلفا خسائر مادية وبشرية هامة⁽⁷⁾، وبالتحديد ضرب الأطلس البلدي في شهر

مارس، وقد استمرت هزّاته المدّمة ثمانية عشر يوما، ممّا أجبر الفلاحين على مغادرة حقولهم، والتوقف عن الأعمال الزراعية⁽⁸⁾، تلت هذه الهزّة هزات أخرى في ظرف 48 ساعة، وقد نجم عنها تدمير مدينة البلدية تماما، بحيث لم يبق منزلا واحدا قائما على أساس، وقد كان الدّمار أصاب هذه المدينة عاترة الحظ مفاجأة تامة للسكان بحيث لم يكذبوا أحد منهم بالفرار، وتدّل تقديرات معتدلة جدا على أنّ عشرة آلاف نسمة قد هلكت في هذا الحادث الفظيع، ويذكر وليام شالر⁽⁹⁾ في هذا الصدد قائلا: «لما

(1) محمد بن جبور، الوضع الصحي بالجزائر في أواخر العهد العثماني، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 07، جامعة الجبلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013م، ص 66.

(2) هابنسترايت، مصدر نفسه، ص 55.

(3) مراد قبال، مدينة البلدية خلال العهد العثماني (1518-1830م)، مجلة الرواق، العدد 03، جوان 2016م، الجزائر، ص 26.

(4) مشتقة من كلمة الطبوغرافيا: هي علم يبحث في توقيع ورسم الهياكل الطبيعية والاصطناعية في مساحة من الأرض. للمزيد ينظر: خالد بن سليمان بن سالم الخروصي، الطبوغرافيا وتطور علم الخرائط - قراءة الخرائط والملاحة الأرضية، ط 01، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 2006، ص 19.

(5) محمد الزين، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، 2012م، الجزائر، ص 131.

(6) أوجين فايس، تاريخ بايات فسنطينة في العهد التركي (1792-1873م)، تر: طالح نور، عبد الرحمن شيبان، شيبان، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ-2010م، ص 243.

(7) فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830م)، إشراف ناصر الدين سعيدوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 109.

(8) سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1836م، دار السلطان أنموذجا، إشراف: محمد دادة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014م، ص 60.

(9) وليام شالر: قنصل أمريكا في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1816-1824م، ظهر القنصل شالر على مسرح الأحداث في الجزائر في مرحلة شهدت فيها العلاقات الجزائرية الأمريكية تطورات مهمة، وقام بكتابة مذكراته وهو متواجد بالجزائر للمزيد ينظر الى: مذكرات وليام شالر، تع وتو: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 05.

لما تساءلت بشأن الفرق الكبير بين عدد سكان المدينة، وعدد الهالكين في الحادث تلتقيت الرد التالي: ... إن موقع المدينة الممتاز ووفرة المياه فيها، وخصوبة أرضها وتبعيتها للحكومة المركزية التي تحميها من تعنت الباي، عوامل جعلت الناس يتدفقون عليها من المناطق المجاورة في غضون السنوات الأخيرة، وبذلك زاد عدد سكانها زيادة كبيرة وسريعة»⁽¹⁾، ووصل الضرر إلى مدينة القليعة⁽²⁾، ونجد أيضا مدينة عنابة هي الأخرى لم تسلم من الهزات الزلزالية التي ضربتها سنة 1815م⁽³⁾.

ليختتم العهد العثماني بالجزائر عام 1241هـ-1829م بزلزال آخر يضرب مدينة البليدة⁽⁴⁾، الذي يقول فيه أحمد الشريف الزهار: «كانت الزلزلة التي صدمت منها البليدة ومات فيها خلق كثير»⁽⁵⁾.

مما لا شك فيه أنّ هذه الزلازل أزهدت أعدادا هائلة من سكان المدينة، فوصف حمدان خوجة تلك الأحداث المتردية في البلاد بقوله: «...فشوهت خلقة الجزائر عذراء مستحسنة فأفقرت معالم البلاد وتشوهت أحوال البلاد...»⁽⁶⁾.

كادت هذه الأحداث أن تقضي على الحكم المركزي بالجزائر⁽⁷⁾، كما نجد أن الزلازل أدت إلى انقطاع المياه، وتهديم البنية التحتية، فتركت نتائج وخيمة وسلبية على الوضع الصحي والديموغرافي، وعلى الحالة النفسية للسكان التي تأزمت بسبب هذه الكوارث، حيث حمل السكان الحكام المسؤولية للأحوال المأساوية التي مروا بها كما قاموا بالعديد من الثورات ضد حكاهم⁽⁸⁾.

في بايلك الغرب أيضا ومنذ نهاية شهر أوت 1790م وقع بمدينة وهران العديد من الهزات الأرضية، توقفت حينًا منذ منتصف سبتمبر إلى غاية أول أكتوبر، وتجدد في ليلة 8-9 أكتوبر 1790م، بشكل عنيف على الساعة الواحدة ليلا، وقبل حدوث هذا

(1) وليام شالر، مذكرات وليام شالر...، مصدر سابق، ص36.
(2) أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، إشراف عمار بن خروف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص304.
(3) محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)، إشراف محمد دادة رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 1435هـ-2014م، ص47.
(4) سعاد آل سيد الشيخ، الأوضاع الصحية وانعكاساتها على المجتمع الريفي اجتماعيا واقتصاديا بالجزائر العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، المجلد 09، العدد 01، صفر 1443هـ/2021م، ص102.
(5) احمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168هـ_1246هـ/1754-1830م، 1830م، تق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص155.
(6) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م. مصدر سابق، ص131.
(7) عبد العزيز فيلال، محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة- دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للبعث للنشر، دس، ص202.
(8) يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1892م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: فغور دحو، قيلان اللوم، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018م، ص33.

الزلازل هبت عاصفة هوجاء⁽¹⁾، دام هذا الزلزال ثلاث دقائق ثم انقطع ليتجدد مرات عديدة يوم السبت⁽²⁾، وقد ذكر ابن زرفة أنّ هذا الزلزال وقع في جوف ليلة التاسع والعشرين من محرّم سنة خمس ومائتين وألف (1205هـ)⁽³⁾، بينما يذكر ابن سحنون أنّ الزلزال وقع ليلة السبت الأول من شهر صفر سنة خمس ومائتين وألف هجرية بعد مضي سبع ساعات ونصف من الليل⁽⁴⁾.

بلغ عدد ضحايا الزلزال سبعة آلاف (7000) قتيل وأربعة آلاف بقوا تحت الأنقاض، كما بقي عشرون جنديا من فيلق في ثكنة القصبة القديمة في وهران، وهلك الحاكم الإسباني للمدينة Don Nikolas Garcia ولم يعثر على جثته، وتمّ تعيين حاكم جديد للمدينة يدعى Lecomte Gumbre Hermozo، وتحطم أكثر من نصف المدينة⁽⁵⁾، ويذكر الباحث أحمد توفيق المدني أنّ عدد الذين لاقوا حتفهم بلغ ثلاثة آلاف نسمة من سكانها، وجندها، وحطمت كل منازل وهران تقريبا، وألحقت بالحصون والقلاع والكنائس أضرارا بالغة⁽⁶⁾، فسقطت بها الدور والأبراج على أمم النصارى يقصد الإسبان فأهلكوا بذلك، إلى أن أخذوا (النصارى) بيوتا من اللوح وقيل بأنّ تلك الزلزلة هي سبب فتحها⁽⁷⁾، وكان ذا فائدة على الجيش الجزائري الذي كان يحاصر المدينة تمهيدا لاسترجاعها من أيدي الإسبان، ولقد أضر هذا الزلزال بالقدرات العسكرية الإسبانية التي كانت محصنة بالبرج الأحمر، والمرسى الكبير، بحيث مكنت الأتراك من دخول المدينة فيما بعد عام 1792م⁽⁸⁾، كما التهمت النيران بعض السفن وأماكن أخرى؛ ومما ذكره قائد الجيش الإسباني في تقريره للملك ما يلي:

«.. إنّ بعض الرجال الذين لا أخلاق لهم من أصحاب الحياة السافلة (من إسباني وهران) قد اغتتموا فرصة هذه الحادثة، فأمنعوا في نهب الديار الغنية بصفة أفضع مما لو كان العدو هو الناهب، ولم يبق للمستعمرين البائسين أي شيء مطلقا، ورغم القسوة التي قابلنا بها هذه الأعمال اللصوصية، والعقاب الصارم الذي أنزلناه بمرتكبيها، فإنّ الأشقياء لم يرتدعوا أصلا واستمروا في أعمال السلب والنهب⁽⁹⁾».

(1) دغموش كاميليا و حمدادو بن عمر، الوضع الصحي والمعيشي لبابيك الغرب الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 10، العدد 02، جوان 2019م، ص 341.

(2) Fey Henri Léon, *Histoire d'Oran avant pendant et après la Domination espagnol espagnol*, editeur Adolphe perrier, Oran, 1858. p233.

(3) دغموش كاميليا و حمدادو بن عمر، الوضع الصحي...، المرجع نفسه، ص 341.

(4) نفسه، ص 341.

(5) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، مصدر سابق، ص 211.

(6) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، ص 524.

(7) سعاد آل سيد الشيخ، الأوضاع الصحية وانعكاساتها...، مرجع سابق، ص ص 102-103.

(8) محمد بن جبور، الوضع الصحي بالجزائر...، مرجع سابق، ص 4.

(9) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، مرجع نفسه، ص ص 324-325.

نخلص في حديثنا بأنّ الجزائر تعرضت للعديد من الكوارث الطبيعية التي أثرت سلباً على الوضع السكاني، والاقتصادي في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني بالجزائر، وتعتبر الزلازل بفعل أثارها المدمرة من العوامل المساعدة على انتشار المجاعة، واشتداد وطأتها نظراً للخسائر والدمار الذي تتسبب فيه⁽¹⁾.

(1) محمد الزين، نظرة عن الأحوال الصحية...، مرجع سابق، ص 131.

3. الفيضانات.

تعتبر الفيضانات من أخطر الكوارث الطبيعية التي فتكت بالجزائر خلال العهد العثماني، نظرا لما تحدثه من هلاك الكثير من الأشخاص، واختفاء الأوقات وما ألحقته من أضرار كبيرة على البساتين والمزروعات، مما أدى إلى نقص اليد العاملة في الأراضي وكذلك تراجعها في الأسواق⁽¹⁾، كفيضانات 1812م وأخرى في 1816م⁽²⁾، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع وزيادة عدد الفقراء، وتشردهم في الشوارع، ووفاة الكثير منهم جوعا، وبردا نتيجة الفيضانات التي عرفتها المدن والأرياف⁽³⁾.

من الفيضانات التي تعرضت لها الجزائر خلال فترة الدراسة تلك التي تميزت بفداحة خطرهما، وذلك خلال سنوات (1733/1731/1727-1734/1736/1740/1753/1755/1757/1791/1812/1816م)⁽⁴⁾.

نتيجة لهذا تضررت الأوضاع الاقتصادية للجزائر مما أدى إلى تشتت الكثير من سكانها وهلاكهم، فاشتدت الضائقة الاقتصادية بفعل غلاء الأسعار، وشح الأوقات، وإتلاف المزروعات، وبذلك تناقص عدد السكان، فبقيت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية غير مستغلة⁽⁵⁾، فتحول جزء من هذه الملكيات إلى مؤسسات الأوقاف⁽⁶⁾، كما أدت إلى تدمير المباني فأدت إلى تدمير السكان نتيجة انعدام الأمن، وتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية بصفة عامة⁽⁷⁾.

4. القحط والجفاف.

1.4. القحط:

يعتبر القحط من أهم الجوائح التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، ويعتبر من بين الكوارث الستة عشر، فهناك من عددها نوعا ونظمها في هذا الرجز قائلا⁽⁸⁾:

قحط وتلج ثم غيث بردها ريح وعفن وجراد وفارها

- (1) عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة دمشق، 1435هـ-2014م، ص ص 186-187.
- (2) مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الإستعمار الفرنسي 1830-1962م، إشراف دحو فغورور، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2017-2018م، ص 34.
- (3) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني بالجزائر، مرجع سابق، ص 88.
- (4) محمد بن جبور، الوضع الصحي...، المرجع السابق، ص 4.
- (5) توفيق دحماني، الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج5، ع 2، الجزائر، 2013م، ص 03.
- (6) الوقف: وهو الحبس في اللغة، تقوم فكرة الأوقاف على مبدأ شرعي وعلى أسس قضائية ملزمة ترتكز عليها إدارة الأوقاف، ينظر إلى: مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، الجزائر، نيسان 2013م، ص 431.
- (7) محمد بن جبور، الوضع الصحي...، مرجع سابق، ص ص 4-5.
- (8) محمد عليش، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، مطبعة بولاق، مصر، ط01، 1301هـ، ص 32.

طير ودود غاصب ثم سارق غرق وجيش والمحارب نارها.

لعلّ من الأسباب الجوهرية لظهور المجاعات هو عامل المناخ، وأثره في كل ذلك بحيث يتسبب تذبذب التساقط في الكثير من الأحيان إلى حدوث سنوات قحط، تؤدي بدورها إلى الدفع باتجاه وجود مجاعات خطيرة⁽¹⁾، ما يؤدي إلى غلاء في الحبوب، كالمجاعة والهول الذي وقع بقسنطينة زمان الدولة التركية، ودام الحال كذلك عليهم مدة ثلاث سنوات متتالية، سببها الجائحة فإنّها قد أصابت الزرع بأكمله، وأعدم حصاده في جهات كثيرة سيما ناحية القبلة (الجنوب)⁽²⁾، وأعراشها كالحرakنة والنمامشة، وأولاد يحيى بن طالب، والخرارب وغيرهم، ولم تتجوا من ذلك إلا ناحية السواحل فإنّ زرعها لم يقع فيه ضرر كبير⁽³⁾.

وبزمن ليس ببعيد عن هذه الحادثة قيل قبل تولي محمد الكبير⁽⁴⁾ الحكم ببايلك الغرب الغرب أصابهم قحط شديد دام حتى منتصف 1191/1777م، وقد أشار إلى هذا القحط الشاعر الشعبي سيدي الأكل بن خلوف في قوله:

ستين والثلاثين تقحط العباد ونصف عام من بعد تذهب الكثر.

لما تولّى البايك محمد الكبير ارتفع القحط وأخصب الناس، ولكن الأخباري مسلم بن عبد القادر يلاحظ أن القحط قد امتد بعد توليه للحكم سنة 1192/1778م⁽⁵⁾.

وفي سنة 1207/1793م تحدّث كتاب الصروف في تاريخ الصحراء عن حدوث قحط أضرب بالحياة العامة للناس، ممّا دفع بهم إلى الانتقال عن مضاربهم إلى أماكن أخرى، وفي آخر السنة وقع جذب بالصحراء أضرب بالمواشي وتزاحم الناس عن موقع المطر⁽⁶⁾.

ثم نذكر هنا ما وجدته من بعض كلام الناس المصابين، فإنّهم تكلموا به كالنظم حال نزول الشرّ بهم، وعند سؤالهم للناس في الديار، والأزقة يغنون لديهم به:

جلّ جلاله

ذا العام كاد الرّجالة

ريت الهجالة⁽⁷⁾

(1) محمد عليش، مرجع نفسه، ص33.

(2) القبلة: في الإطلاق الجزائري والمغربي يراد بها الجنوب أنظر: صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح: رابح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 28.

(3) صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص ص 27-28.

(4) محمد الكبير: الباي محمد بن عثمان الكردي المعروف بمحمد الكبير، الدين أسهموا في صناعة تاريخ المنطقة أواخر أواخر ق18م، عرف بتميزه عن بقية البايات بأعماله التي أثبتت أن الرجل كان مسائرا لمشروع حضاري تغذيه حركة إصلاحية واسعة، فيما تجسد ذلك، بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير، باي وهران 1779-1797م، مجلة

عصور، مج02، ع01، الجزائر، 2003، ص01.

(5) سعد آل سيد الشيخ، الأوضاع الصحية وانعكاساتها...، مرجع سابق، ص ص 99، 100.

(6) نفسه، ص 100.

(7) الهجالة: في اللهجة المغربية: الأيم والأرملة. انظر صالح العنتري، المصدر السابق، ص 44.

تبكي بالجوع

يا خالقي حنّ علينا هذا العام المشؤوم

خلف الخلاق تهوم.

ويقول غيره:

وسيادي راحت الهمة ⁽¹⁾	خير الأغزاز؟
جبدوا التنكيدة على النعمة	طيشوا ⁽²⁾ الخيوط
لا حبّ القرمز لا حنة ⁽³⁾	ريت النسوان
اجبدوا الفيسان القريوا ⁽⁴⁾ .	أجبدوا الفيسان

2.4. الجفاف

كان الجفاف كثيرا ما يتسبب في نكبات لا تعدّ ولا تحصى، خاصة منها الطبيعية التي كانت تنزل بسكان الريف، فلا يستطيعون لها ردّا ولا مواجهة كما لا تستطيع السدود القليلة والضعيفة التي أقامها الريفيون، أن تخفف من هول النكبات التي تحلّ بهم⁽⁵⁾، فلطالما عانى الريف الجزائري من الجفاف في القرن الثامن عشر والتاسع عشر⁽⁶⁾، وهذا ما يسمح لنا بالقول بأنّ الفلاح بمقاطعة الجزائر مثله مثل فلاح باقي الأقاليم الجزائرية، كان في قوته اليومي، ونشاطه الفلاحي الموسمي تحت رحمة التقلبات المناخية التي لا يمكن التحكم فيها أو توقعها، فكثيرا ما كان ضحية تعاقب وتكرار ظواهر الجفاف، وما يعقبها في بعض الأحيان من فيضانات مفاجئة⁽⁷⁾.

ينتج عن تذبذبات الأمطار جفاف خطير، وسنوات قحط رهيبية، ولأنّ هذه وتلك لا يمكن التنبؤ بها فإنّ سنة جافة قد تفصل سنتين رطبتين أو أكثر والعكس صحيح، وفي ظلّ هذه الظروف المناخية تصبح المحاصيل تحت رحمة المياه المتساقطة من السماء، فالسنة الممطرة تعني المحصول بينما السنة الجافة تعني المجاعة كما أنّ نقص الأمطار في شهري مارس، وأفريل يجعل المحصول رديئا⁽⁸⁾.

(1) راحت الهمة: ضاعت الأنفة. ينظر: صالح العنتري، مجاعات قسنطينة...، المصدر السابق، ص44.

(2) طرّحوا، ينظر: صالح العنتري، نفسه، ص44.

(3) يعني أنّ النساء تركن كل صباغ بالقرمز، أو الحناء لانشغالهن بما كن عليه من نكد، انظر: نفسه، ص44.

(4) صالح العنتري، مصدر سابق، ص44.

(5) فاطمة دخية، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، إشراف: عبد الرحمن تيرماسين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغة العربية، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة 1435هـ-1436هـ/2014-2015م، ص17.

(6) أمير يوسف، الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة القضايا التاريخية، مج 01، ع01، الجزائر، ديس، ص64.

(7) سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519_1830م دار السلطان أنموذجا، إشراف محمد دادة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013/2014م، ص59.

(8) ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بأقليم مدينة الجزائر(دار السلطان أواخر العهد العثماني 1791-1830م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص324.

فالتقلبات المناخية دائما كانت تهدد إقليم مدينة الجزائر، ويعتبر الجفاف أكثرها تأثيرا على نشاطهم، وقد تعاقب الجفاف عليها بشكل تكراري، وكان ذلك في سنوات (1804/1805/1813/1815م)، كما اجتاح الجفاف البلاد عامي (1826، 1827م) فقلّت المحاصيل، وعرفت هذه السنوات "بعام خبز الباشا"⁽¹⁾، ومن السنوات التي كانت أكثر اشتدادا للجفاف هي سنتي 1804، 1800م⁽²⁾.

قبل ولاية حسين باي استفحل الجفاف مرة أخرى، وكان ذلك في سنة 1816م فلم تمطر السماء، وعلى إثره اختفت الحبوب في الأسواق وظهر الغلاء فحصلت للناس شدة⁽³⁾، وارتفعت أسعار المواد الغذائية بما في ذلك القمح في كل من الجزائر والمدينة والبلدية⁽⁴⁾.

كانت فترات الجفاف دورية، وغالبا ما كان الجفاف مصحوبا بغزو الجراد، وانتشار الأوبئة وإتلاف المزروعات، فقد كانت الفلاحة تعاني أيضا من قساوة الطبيعة⁽⁵⁾.

لعلّ من أخطر موجات الجفاف التي ضربت الجزائر أيضا كانت سنة 1814م، التي أدت إلى انتشار المجاعة المروعة التي عرفت الجزائر عام 1815م⁽⁶⁾، 1815م⁽⁶⁾، وتبعتها موجة أخرى، والتي وقعت سنة 1817م، الأمر الذي حال دون انتعاش الأحوال الزراعية، واضطر الداي إلى دعوة العلماء، وأهل الخير إلى تنظيم صلوات الاستسقاء في مدينة الجزائر يوم 16 ابريل 1818م، ورغم تجدد سقوط الأمطار إلا أنّ الأوضاع الزراعية بما فيها الإنتاج الفلاحي عرف تراجعا كبيرا⁽⁷⁾.

لقد كانت عواقب حدوث الجفاف وخيمة على المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، فقد تسببت في حدوث مجاعات مهلكة، وقد كان كل ما يحدث جفاف تعقبه مجاعات، بالإضافة الى هلاك عدد كبير من السكان، وانعدام الفلاحة بسبب ندرة المياه، وزوال نباتات الحقول والمزارع وهلاك الحصاد⁽⁸⁾، وساهم الجفاف في ارتفاع ارتفاع الأسعار⁽⁹⁾ بالنسبة للحبوب كالقمح و أصبح قليلا⁽¹⁾، حيث تسبب الجفاف الذي

(1) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 86.

(2) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، 2، دار البصائر، الجزائر، ط2، دس، ص03.

(3) محمد غالم، مرجع سابق، ص67.

(4) مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، منشورات ANEP، دط، دس، ص215.

(5) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص336.

(6) محمد مقصودة، مرجع سابق ص53.

(7) ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجبابة في الجزائر أثناء العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، دس، ص98.

(8) ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص90، 91.

(9) سيمون بفايز، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر تق وتغ: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص123.

حلّ بالجزائر ما بين 1770-1780م في حصول القحط، وغلاء الأسعار بعد أن شح المطر لعشرية كاملة⁽²⁾، إذ عرفت الجزائر ما بين (1777-1779م) مجاعات من أشد المجاعات خطورة في القرن الثامن عشر نتيجة الجفاف الذي حلّ بالبلاد⁽³⁾، وهذا ما يؤكدّه "الزهّار" في مذكراته حيث يقول: «... بعد ذهاب الاصبانيول⁽⁴⁾ في المرة الأخيرة 1184هـ وقع غلاء في القمح ست سنوات وأعطى الله القحط، وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع الجزائري أربع بجة⁽⁵⁾ والناس يموتون في الأسواق»⁽⁶⁾.

يذكر الباحث المنور مروّش أنّه في سنة 1782م قدرت قيمة صاع القمح ب9.00 رقص، وقيمة صاع الشعير ب4.00 رقص، بينما قدرت قيمة كل رأس غنم ب2.25 رقص؛ أي أنّ قيمة صاع القمح كانت تقابل قيمة أربع رؤوس من الغنم، وهذا ما يظهر شدّة المسغبة⁽⁷⁾.

كما أنّ الزهّار قد أشار إلى أزمة الغلاء التي حدثت في الجزائر بداية القرن التاسع عشر حيث يقول: «وقد حضرت أنا سنوات الغلاء فوصل القمح عندنا في الجزائر سنة 1219هـ (1804م)، وكنت صغير دون البلوغ بخمسة عشر بجة، وهي خمسة دورو للصاع الجزائري»⁽⁸⁾.

أمّا في قسنطينة فقد وقعت بها مجاعة حادّة وذلك في سنة 1805م زمان حكم الباي عثمان، وقد دامت المجاعة ثلاث سنين متتالية أضرت بالأسكان ضررا فادحا⁽⁹⁾، كما تسبب الجفاف في نقص الإنتاج الزراعي، وجفاف الأودية والأنهار المستعملة للرّي، كذلك ظهور العديد من المشاجرات والخلافات بين السكان حول السقي⁽¹⁰⁾، وفي خضم هذه المسغبة هلك الكثير من الناس حتى العلماء، ومن بينهم

(1) أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهّار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص31.

(2) سعد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية...، مرجع سابق، ص59.

(3) المنور مروّش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة والأسعار والمداخيل)، دار القصبّة للنشر، ج01، الجزائر، (د.ط.)، 2009م ص147.

(4) الاصبانيول: يقصد بها الإسيان وذلك بعد تحرير وهران من الإسيان وفتحها سنة 1792م.

(5) بجة: يقصد بها بوجو، والبوجو عملة فضية وهي من أكثر القطع تداولاً في المعاملات التجارية، وزنه 10غ وقطره حوالي 22 مم ينظر: وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبّة للنشر، الجزائر، 2006م، ص137..

(6) الشريف الزهّار، مصدر سابق، ص31.

(7) المنور مروّش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني...، مرجع نفسه، ص ص150، 147.

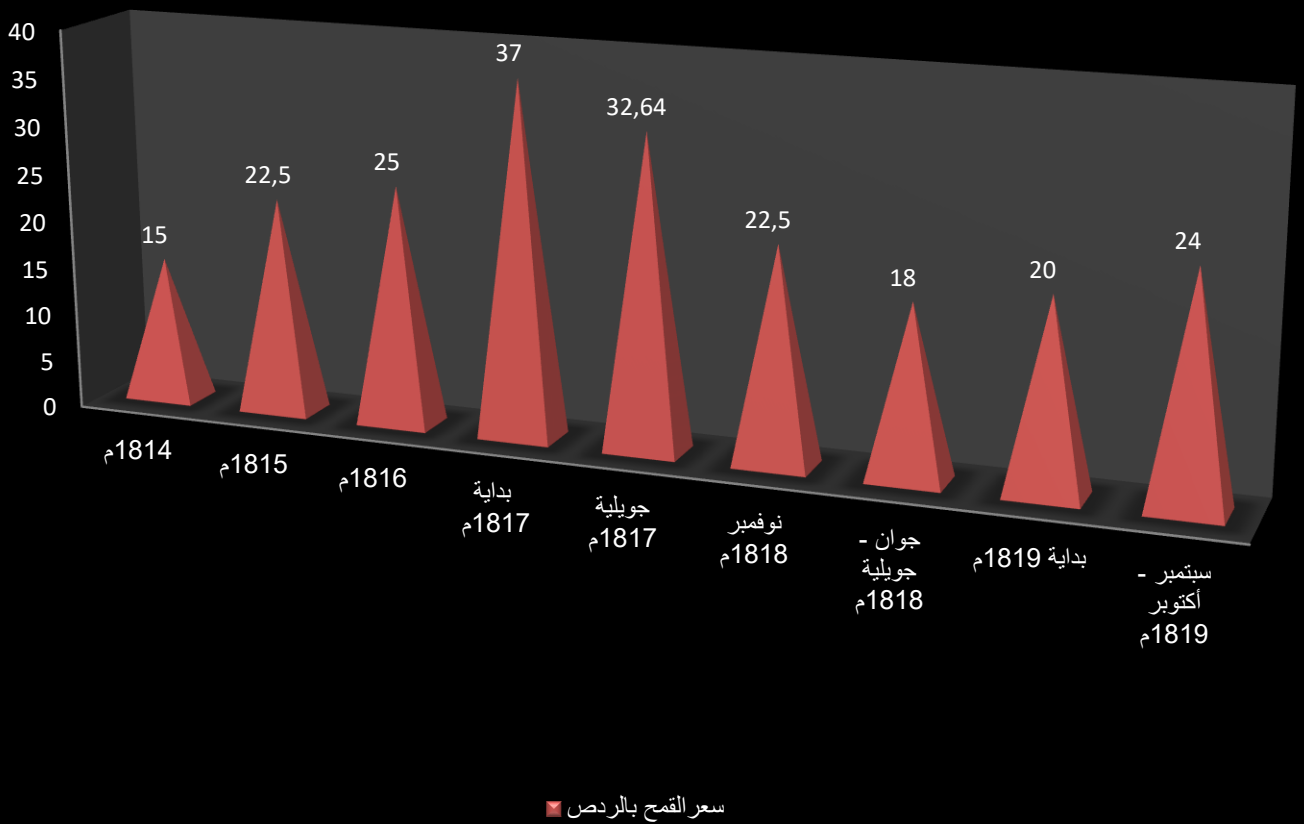
(8) الصاع لغة: هو مكّيال لأهل المدينة يسع أربعة أمداد. ينظر: علي جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس للنشر، القاهرة ط02، 2001، ص37.

(9) يمينة سعودي، الحياة الأدبية بقسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، إشراف: الربيعي بن سلامة، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، ص44.

(10) بلخوص الدرّاجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16 و17م (10-11هـ)، إشراف: مختاري حساني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012م، ص98.

الفقيه عبد القادر السنوسي ابن زرفة، وأخيه الفقيه الهاشمي وابن عمّهما الأديب صاحب تأليف " فتح وهران " مصطفى بن عبد الله⁽¹⁾، والملاحظ أيضا أن أسعار القمح شهدت ارتفاعا إلى غاية 1815م، وتظهر أسعار الحبوب في السنوات التالية مدى تأثير هذه الأزمة على أسعار القمح، حيث قدر صاع القمح في مارس 1814م بستة (6) رقص ليبلغ أواخر نفس السنة 15 رقص، والأعمدة البيانية توضح حركة الأسعار في مدينة الجزائر⁽²⁾.

أعمدة بيانية توضح حركة الأسعار لمادة القمح خلال الفترة الممتدة من 1814- 1819م



(1) سعاد آل سيد الشيخ، الأوضاع الصحية وانعكاساتها...، مرجع سابق، ص 101.
 * ملاحظة: الأعمدة البيانية من انجاز الباحثة معتمدة على معطيات المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 165.
 (2) المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 165.

من خلال الأعمدة البيانية* يتضح لنا أن حركة أسعار القمح عرفت تذبذبا بداية من سنة 1814م إلى غاية شهر أكتوبر من سنة 1819م، ومرتبط ذلك أساسا بالتقلبات المناخية التي كانت تهدد الجزائر من حين لآخر، بحيث وصل سعر القمح سنة 1814م إلى 15 رقص، وهذه السنة شهدت فيها البلاد جفافا ما أدى إلى ارتفاع أثمانه، ليرتفع في سنة 1815م بعد المجاعة المروعة، والتي كانت إحدى النتائج الناجمة عن الجفاف الذي حلّ بالبلاد في سنة 1814م، فيصل سعره إلى 22.5 رقص، ليقفز في 1816م إلى 25 رقص بعدما شهدت الجزائر موجة جديدة من الجفاف، وبعدها فياضانات من نفس السنة، إلا أنّ سعره لم يتوقف هنا بل بلغ أوجّه بداية من سنة 1817م ليصل إلى 37 رقص بسبب انتشار الطاعون فسي هذه السنة، أمّا سنة 1818م تراجع ثمنه قليلا إلى غاية شهر أكتوبر 1819م، التي تراوحت ما بين 22.5 إلى 24 رقص، ليتضح لنا أن سعره مرهون ومرتبط بالتقلبات المناخية، والصحية التي شهدتها الجزائر.

وفي معرض الحديث عن الجفاف صاحبت قرائح الشعراء بالأبيات التالية⁽¹⁾:

إذا اشتدّ الخناق وضقتنا لخالقنا ورازقنا رجعنا
قحطنا أنت معهود كريم تسامحنا إذا نحن أسأنا

5. المجاعة

من المعلوم أن المجاعة تأتي كنتيجة حتمية لجملة من المسببات، والتي أرجعها ابن خلدون إلى قبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر، بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال، والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا، وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود، ولا على وتيرة واحدة، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوي ويضعف ويقل، ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبه⁽²⁾، وبما أنّ المناخ الجزائري يتميز بخاصية قلة الأمطار في بعض المناطق، وسوء توزّعها خلال الموسم الزراعي، إذ غالبا ما تنعدم الأمطار في فصل الخريف فيتعذر بذلك الحرث والبذر، وما زاد من حدة الأزمة أن الجفاف كثيرا ما كان مصحوبا بأفة غزو الجراد، وكان كلما أصاب البلاد ألحق أضرارا جسيمة بالانتاج⁽³⁾، وهذه الظاهرة لفتت انتباه بوتان "Boutin"، حيث تعرض في تقريره الشهير لغزو الجراد الذي صاحب القحط العظيم، فألف الغمّات

(1) هو الشاعر المغربي زين العابدين المباركي نقلا عن كتاب محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات...، مرجع سابق، ص102.

(2) سمية مزدور، المجاعات والأوبئة...، مرجع سابق، ص37.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، مرجع سابق، ص57.

والمنتجات، وارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا⁽¹⁾، إلا أنّ الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فقد الإحتكار عظم توقع الناس للمجاعات، فغلى الزرع، وعجز عنه أولوا الخصاصة فهلكوا، وكان بعض السنوات الاحتكار مفقودا فشمّل الناس الجوع⁽²⁾، التي لطالما كان اليهود هم السباقون في استغلال الفرص في ظل الظروف الصعبة، وأصبحوا يشرّفون على عملية تصدير الحبوب إلى أوروبا، وخاصة فرنسا بدل عرضها وبيعها للناس⁽³⁾.

تعتبر ظاهرة المجاعات من أهم الأزمات التي شهدتها دول المغرب الإسلامي، وترجع حسب العلامة المؤرخ ابن خلدون إلى عوامل بشرية أهمها فقدان الادخار وعدم الاستقرار⁽⁴⁾، ومن الأسباب الجوهرية أيضا لظهور المجاعات هناك عامل المناخ وأثره في كل ذلك، وأنّ تذبذب التساقط أدّى في الكثير من الأحيان إلى حدوث سنوات قحط أدّت بدورها إلى الدفع باتجاه وجود مجاعات خطيرة⁽⁵⁾، كان أثرها وخيما على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والصحي للبلاد، ففي عام 1717م حلّ الجفاف بالجزائر العثمانية، وأُعتبت المجاعة سنة 1130هـ/ 1718م فتركت خلفها أثرا كبيرا على أهالي مدينة الجزائر⁽⁶⁾، ويمكن الإشارة إلى مجاعة 1794م التي اتسمت فيها الأوضاع بالتردي، والفوضى وغلاء الأسعار وغياب الأقوات، وبوقت ليس ببعيد عن هذه المسغبة نذكر أيضا مجاعة 1778م و1779م، التي قيل عنها أنّ الناس كانوا يموتون بالمئات في شوارع مدينتي الجزائر وقسنطينة، وكذلك الشأن لمجاعة 1787م و1789م التي كان من أسبابها الجراد⁽⁷⁾، أمّا رأي الأهالي في هذه الأوضاع المالية القاسية فيمكن أن نلتمسه في الأدب الشعبي، الذي كان خير وسيلة عبّر بها الفرد آنذاك عن موقفه من الحالة الاقتصادية المتردية، وعلى سبيل المثال نورد هذه الأبيات للشيخ بلقاسم الرحموني الحدادي⁽⁸⁾، التي تعكس الأوضاع الاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في الأرياف والمدن، وقد جاء في هذه القصيدة⁽⁹⁾:

عام مكبرة هاي سيدي

بالكساد وغلّات النعما

كيف تخير هاي سيدي

(1) نفسه، ص 58.

(2) سمية مزدور، المجاعات والأوبئة...، مرجع نفسه، ص 73.

(3) شهرزاد شلبي، المؤسسات المالية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 287-288.

(4) محمد عيساوي، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي...، مرجع سابق، ص 232.

(5) سعاد آل الشيخ، الأوضاع الصحيّة وانعكاساتها...، مرجع سابق، ص 99.

(6) نفسه، ص 99.

(7) الزهار، مصدر سابق، ص 144.

(8) حسب الروايات المتواترة أنّ هذا الشاعر الشعبي ولد بمدينة قسنطينة في عهد صالح باي (1771- 1793م)، ووافته المنية في عهد الباي ابن شاكّر (1814- 1818م). نقلا عن: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 223.

(9) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص 224.

بالفساد في كمان حوما

باح كل شيء بلا كتما

في بلدة قسنطينة الدهما

واش تنظر هاي سيدي

واش تنظر فيها هلكت

راهي فسدت ما بقات تسمى بلدة...

كما لا يخفى سرا أنّ من بين الأسباب المباشرة لموجات المجاعات بالجزائر العثمانية في مدنها وأريافها هو تردّي الأحوال الصحية للسكان، جراء تفشي الأوبئة، والطاعون في غالب الأحيان فجرت من خلفها وبالا على البلاد، والعباد باختفاء الأقوات في الأسواق فساءت الأحوال الاقتصادية مما جعل الحالة المعيشية للرعية في بعض السنوات سيئة للغاية⁽¹⁾، فهذا التناوب بين أصناف الكوارث الطبيعية ترك بصمات البؤس والشقاء من مجاعات، وأمراض، وغلاء الأسعار على الساكنة آنذاك⁽²⁾.

للفتن أيضا نصيب في تأزم الأوضاع الداخلية كالتى قامت بين بعض القبائل المتحاربة فيما بينها التي أدت إلى تأثير سلبي على الوضع الاقتصادي، الذي بدوره نتج عنه حلول المجاعات كالنزاع القائم بين قبيلة فليس، ومعاثقه سنة 1769م والتي دامت سبع سنوات⁽³⁾.

ويذكر المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلالي في هذا الصدد: «...أنّ الجزائر ما كادت تنتهي، وتستريح من ويلات الحرب المحزنة، حتى فاجأها الجذب والقحط، وأصبحت تعاني مجاعة حادة وخانقة ارتفعت فيها الأسعار وغلا المعاش غلاء فاحشا، واستمر الحال على ذلك لبضع سنين، وكان محمد الكبير باي وهران يأتي بالقمح من بلاد أوربا، ويوزعه على الأهالي مجانا، وأعفى المزارعين، والفلاحين من دفع الضرائب، والخراج عن أراضيهم»⁽⁴⁾.

يذكر العنتري في هذا الصدد أيضا من بين الأسباب التي أدت لظهور المجاعة في بايلك الشرق، الذي عرف ثورة ابن الأحرش في أواخر سنة 1218م/1803م التي أعقبتها أزمة قحط، ومجاعة شديدة أصابت الناس لأسباب منها نزول الجوائح، واستفحال القحط الذي استمر سنتين متواليتين، وغياب الاهتمام بالفلاحة في العهد التركي، فقد كانت ضعيفة جدا، ولم تكن هناك كميات كافية من الحبوب لمواجهة

(1) سعاد آل سيد الشيخ، الأوضاع الصحيّة وانعكاساتها...، مرجع سابق، ص 99.

(2) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها...، المرجع السابق، ص 22.

(3) رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية...، المرجع السابق، ص 110-111.

(4) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، ج03، الجزائر 1994م، ص

الأزمة⁽¹⁾، فمن كثرة الهول، واضطراب الرعية لموت الباي، وتشنت أهل محلته، بحيث قامت بعض الأعراش بالنهب والفساد، وانعدمت الحراثة في تلك السنة أيضا في جهات كثيرة، وانفقدت حبوب الزرع نتيجة الاضطرابات، والفتن ما أدى لارتفاع أسعار القمح⁽²⁾ فقيل فيها⁽³⁾:

القمح يا باهي اللون من شبعتك لا زيادة
أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة

لن نجد أبلغ ما يعبر عن حدة وقع المجاعة على رقاب الناس من هذه القصيدة الشعرية، التي أوردتها عبد الله بن عمر العياشي في مؤلفه "الإحياء والانتعاش" حيث يقول صاحبها⁽⁴⁾:

يا من عدّ الغرب عام الجوع قد غربا لا تنكرنّ على من جوعه غلبا
إن حدثوك أحاديث إذا سمعت يظل سامعها يقول: واعجبا
لا تسترب⁽⁵⁾، لا ولا تستغربنّ فما يظل ما كتموا من أمره عجبا
من كل داهية تدهى العقول بها وشدة قطعت أربابه إربا
أشدد بعام يكاد الزرع فيه يكون كالدواء فيبيع وزنه ذهباً
ما أعظم الأمر إذ كادت تعود فيه التمر تبراً وعاد حشفه رطباً
فمضغة اللحم تكسو المجد والحسبا كما مذاقه حيسي⁽⁶⁾ تثبت النسبا
فثمن الدرّ دون ثمن الدرة فيه وبالغز والفضل والحسا ذهباً
هي حقائق لا شك قد انقلبت فانخفض الرفع والحفض قد انتصبا
لله دنيا فما أكثر ما وعظت ذا اللب فازداد منها لبّه هرباً
وذو الحماقة ما أكثر ما سخرت بلبّه وإيها يكثر الطرباً

المبحث الثاني: الكوارث الزراعية

1. الجراد

يعدّ الجراد من أشد أنواع الحشرات فتكا بالمحاصيل الزراعية التي يهاجمها في حقولها، ولا توجد حشرة أخرى تماثلها في درجة الخسائر الاقتصادية، والبيئية التي تتسبب عنها ممّا جعلها ترتبط بأخطار تصل الى حد الكارثة، وذلك في المناطق التي

(1) صالح العنثري، مصدر سابق، ص ص 13-14.

(2) نفسه، ص 33.

(3) نفسه، ص ص 43-44.

(4) محمد العمراني، صورة من تداعبات المجاعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي بالمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12، ع 01، الجزائر، أبريل 2021م، ص 145.

(5) لا تسترب: لا تشك، من استيراب، يستريب، إذ شك وتردد في الأمر ينظر إلى: محمد العمراني، مرجع سابق، ص 161.

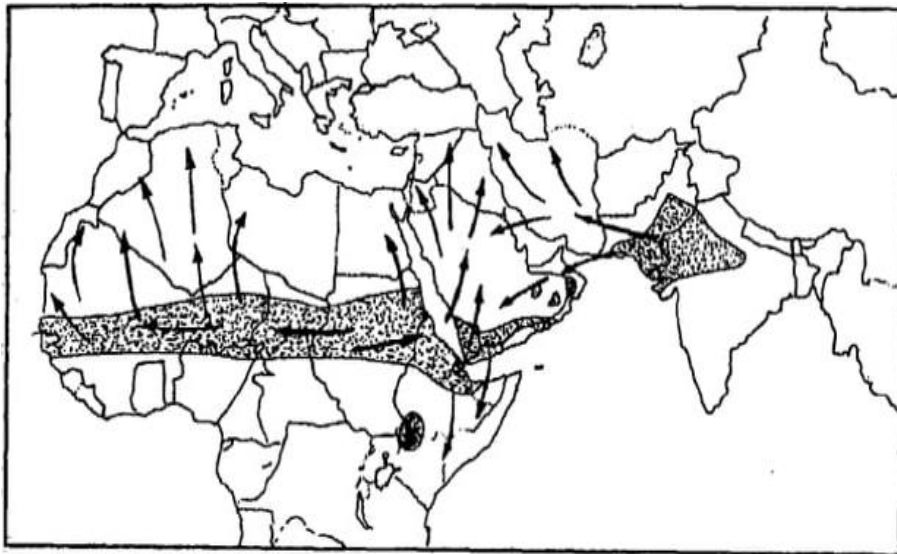
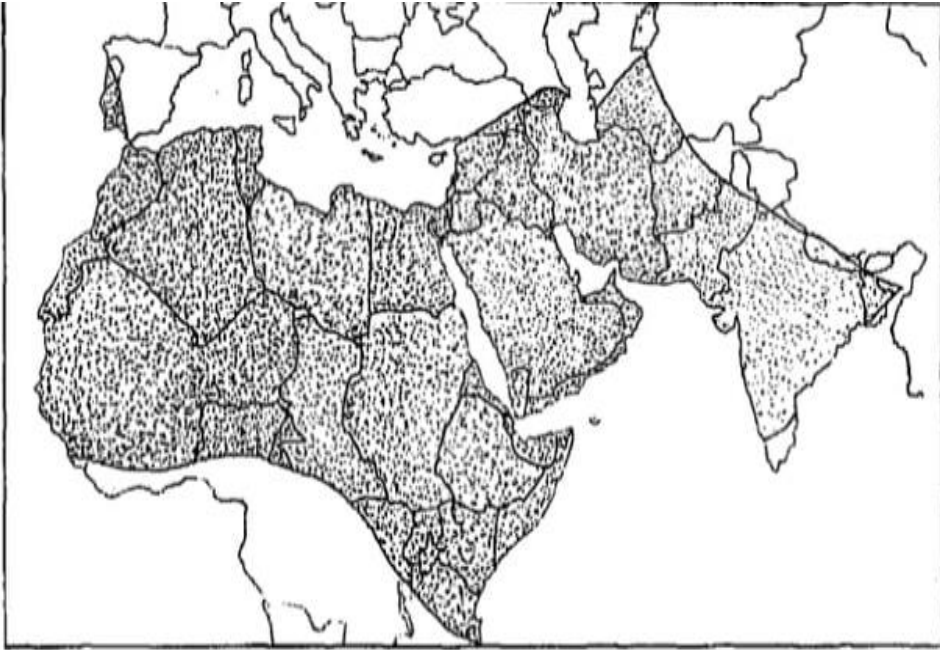
(6) حيسي: الحيس المتخذ من التمر والأقط (جبن اللبن المستخرج زبدة)، وحيسه: خلطه واتخذّه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ص 61.

تتعرض لها فهي في حقيقة الأمر تتسبب في إحداث مجاعات من خلال قضاء أسرابه على الأخضر واليابس⁽¹⁾.

هذا ما شهدته الجزائر خلال الفترة العثمانية، فكثيرا ما كانت وفود الجراد على منطقة ما نذير شؤم، لا يبقى أثره منحصرًا في تلك المنطقة بل يتعداها إلى غيرها، فإنّ تقرر هذا ذهبنا إلى بيان الأثر الحقيقي لحركة الجراد على المحاصيل، إذ أنّ أسراب الجراد هذه كثيرا ما دمرت المحاصيل وسببت المجاعات بشكل مباشر⁽²⁾، وحسب ما أورده الشريف الزهار أن الظروف المناخية السائدة بالجزائر تعد أحد العوامل التي ساعدت على ظهوره؛ لا سيما المرتبطة بالمناخ الصحراوي في الجنوب، وتأثيره على مناطق الهضاب العليا الرعوية في الوسط، ومناطق التل الزراعية الخصبة المحاذية للبحر في الشمال فكان زحفه متوقعا كل أربع أو خمس سنوات⁽³⁾، لهذا لطالما اعتبر الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية التي تهدد الأمن الغذائي للإنسان، ولاسيما أنّه سريع التكاثر الانتشار خصوصا إذا لم يسقط مطر كثير في فصل الربيع، فلا تمت بويضاته فيتكاثر أكثر⁽⁴⁾، وتكمن خطورته في إتلاف الزروع، ولعلّ أخطر أنواعه على الإطلاق حسب ما يقرّه علماء الزراعة هو الجراد الصحراوي⁽⁵⁾، نظرا لقدرته على الطيران لمسافات بعيدة في أسراب ضخمة مع سرعة انتقاله وتحركه من مكان إلى آخر، إلى جانب شراسته في الأكل وقدرته على التفريق بين النباتات السامة، والنباتات الصالحة للأكل⁽⁶⁾. (انظر للخريطين التي تمثل مناطق تكاثر الجراد لفصل الصيف والربيع)⁽⁷⁾:

- (1) محمد صبري محسوب، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة...، مرجع سابق، ص 188.
- (2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 76.
- (3) أحمد الشريف الزهار، مرجع سابق، ص 83.
- (4) عبد الهادي التازي، ظاهرة التعاون في التاريخ الدولي للمغرب "الجراد"، مقال ضمن الكوارث الطبيعية - آفة آفة الجراد، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1989م، ص 76.
- (5) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 117.
- (6) محمد صبري محسوب، الأخطار والكوارث الطبيعية...، مرجع سابق، ص 188.
- (7) نفسه، ص ص 190-191.

الشكل الأول: يوضح خريطة لمناطق تكاثر الجراد لفصل الصيف .



الشكل الثاني: يوضح خريطة لمناطق تكاثر الجراد لفصل الربيع.

فغزو الجراد للمناطق المزروعة هو أحد الأسباب و الأركان الفعلية التي ترتكز عليها المجاعات الدورية، أو كما يقول صاحبي كتاب " الأوبئة والمجاعات في مغرب القرنين 16 و17م: «...أنّ الجراد كان يدخل في موكب الجفاف...»، و كثيرا ما كان ذكر مرور الجراد بمنطقة ما موازيا لحدوث أزمة غذائية، فعند حلوله يأتي فيها على

الأخضر واليابس معا، ويجعل المنطقة كأنها لم تك من قبل⁽¹⁾، فخلفت غزوات الجراد سواء الزاحف أو الطائر منه دمارا شاملا خاصة في المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها من زرع وخضر وأشجار الفواكه⁽²⁾، علما أن ظهوره يتزامن مع فصل الربيع (مارس) مثل الذي حدث في الجزائر عام 1724م، 1725م⁽³⁾، وقد أشار أيضا إلى ذلك ذلك مارشيكاً بحديثه عن الوباء الذي ضرب الولاية خلال سنة 1700م قد كان مصحوبا أيضا بأسراب الجراد والجنادب⁽⁴⁾، وكثيرا ما اعتبر مرور الجراد نبا عن مرور البلاد بنقص الغذاء، كما هو الحال في سنة 1710م حيث يذكر أحد الرحالة الذين مروا على ناحية الجنوب الغربي بمحاذاة "الأغواط" و"عين ماضي" أن الجراد قد أهلك ودمر بتلك البلاد بتلك الناحية⁽⁵⁾، في حين تؤكد بعض الدراسات أنه عندما يشتد الجفاف لفترة لفترة طويلة نسبيا وتهطل بعده الأمطار المتأخرة بنسبة كبيرة متسببة في حدوث فيضانات مفاجئة، فإن ظهور الجراد سيكون بكثرة بعد ذلك⁽⁶⁾، ويذكر من أمثلة غزو الجراد للحقول أيضا ما نقله "غيو" عن "شاو" بأن الجراد كان قد أتى على المحاصيل الزراعية في سنة 1136هـ/1724م، وفي السنة التي تلتها تجدد ظهوره، وكان بأعداد كبيرة جدا مما يعني أنه أثر فعلا على المحصول الزراعي لسنتين كاملتين، حينها جعلت السنة الثالثة تلك التي تلتها معرضة لتكون سنة شح، وارتفاع الأسعار إن لم يؤدي الأمر إلى أكثر من ذلك، وهو ما حدث بالفعل⁽⁷⁾.

الأمر نفسه يتكرر في سنوات مختلفة، ويؤدي غالبا إلى نفس النتائج، فنقف فيما ذكره "الدي غرامونت" من مجاعة أصابت البلاد كنتيجة حتمية لغزو الجراد للحقول، بحيث قامت بمهاجمة أحواز مدينة قسنطينة فقضت على جلّ القمح، وكل ما وجد في طريقها من بساتين حتى غدت كأنها لم توجد من قبل تماما⁽⁸⁾، لتتعرض بعدها مدينة الجزائر إلى موجات جراد لسنوات 1798، 1799، 1800م⁽⁹⁾، واجتاح الجراد أيضا مدينة قسنطينة من عام 1804م⁽¹⁰⁾، ولم يلبث الأمر على الاستقرار حتى جاء بعده الجراد في سنة 1230هـ/1815م و يقول عنه الشريف الزهار: «...أتى طائرا ثم

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 76

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 303.

(3) نفسه، ص 303.

(4) خير الدين سعدي، مرجع نفسه، ص 76.

(5) نفسه، ص 77.

(6) محمد الزين، مرجع سابق، ص 131.

(7) خير الدين سعدي، مرجع نفسه، ص 77.

(8) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 77.

(9) محمد الزين، مرجع سابق، ص 131.

(10) محمد العربي الزبير، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص 24.

غرس وأقام أياما في الأرض ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار»⁽¹⁾، فعن هذا الوصف الذي جاء به الشريف الزهار في تكاثر الجراد، فبصورة مشابهة ذكرها العياشي قبل ذلك فقرب زريبة حامد بقرية تسمى الكلابية قال: «...سرى إليه- يقصد الجراد- طائفة من الحجاج فأخذوا منه ما استعانوا به في زادهم تلك المدة، وكان الجراد في إبان ولادته بيوضا»⁽²⁾ فتضع أنثاه نحو 300 بيضة⁽³⁾. من الأساليب المتعارف عليها للقضاء على الجراد للحفاظ على المحاصيل الزراعية⁽⁴⁾، والزرع فغالبا ما يلجأ الفلاحون إلى استخدام الدخان ضد أسراب الجراد لتهجيره، وحرارة الأرض من أجل التخلص من بيض الجراد لمنع تكاثره، وتحولها إلى يرقات كمرحلة من مراحل نمو الجراد⁽⁵⁾.

2. القوارض

لقد ساهمت القوارض بشكل كبير في نقل العدوى، والأمراض للإنسان خاصة داخل السفن والموانئ البحرية، وهو الأمر الذي تقطن له الطبيب السويسري "يارسين" " Yersin " عام 1896م، وأكد أنّ الفأر ناقل لجرثومة الطاعون بعد إصابته عن طريق القاذورات الملقاة على الأرض⁽⁶⁾، و غالبا ما اعتبر أن الجو، والمناخ قد ساعدا في الكثير من الأحيان إلى تزايد نشاط الطفيليات، والبراغيث، وهي تعدّ ناقل من القوارض إلى الإنسان، فهذه الطفيليات تجد ضالتها في درجة الحرارة أقل من

20 °، فالبرد يزيد من نشاطها، والحرارة المرتفعة تضع حدا لعملية تناسلها⁽⁷⁾. شكلت فئران الموانئ عاملا أساسيا في نقل العدوى للإنسان في إفريقيا باعتباره يعيش على مقربة من محيطه⁽⁸⁾، كما أكدّ الباحث بول لويس سيمون Paul Louis Simond عام 1898م، في نفس المجال دور برغوث القوارض في نقل العدوى، وينسب مالا يقلّ عن 80 جنسا مختلفا من البراغيث في نقل العصبية، وتكاثر في العادة داخل أجسام القوارض التي تعدّ خزانات طبيعية للجرثومة، أهمها الأرانب؛ (الأرانب البرية)، والجرذان السوداء⁽⁹⁾، ومن الأمراض التي تنتقل للإنسان عن طريق

(1) أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 117.

(2) سعاد آل الشيخ، مرجع سابق، ص 101.

(3) محمد صبري محسوب، الأخطار والكوارث الطبيعية...، مرجع سابق، ص 189.

(4) أحمد حامد ابراهيم القضاة، الكوارث الطبيعية في إمارة شرقي الأردن- الجراد كحالة- (1828- 1930م)، دراسة وثائقية تاريخية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 11، العدد 02، الأردن، 2017م، ص 72.

(5) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 303.

(6) مصطفى أمال، الحج والوباء خلال القرنين 18 و19م- تونس نموذجا- المجلة التاريخية المغاربية، العدد 162، تونس، 2016م، ص 119.

(7) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 70.

(8) مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات...، مرجع سابق، ص 20.

(9) روبرت جونفريد، الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، تر: أبو أدهم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017م، ص 32-33.

القوارض (السالمونيلا)، والطاعون والحمى النزفية والتهاب الكبد وغيرها من الأمراض⁽¹⁾، وبالتالي تنتقل هذه الطفيليات (البراغيث والجراثيم) إلى الحيوانات، والبشر عبر الناقلات المذكورة سالفا التي أطلق عليها البعض اسم الوسطاء قاصدا بها الفئران والجرذان البرية والبق والقمل وغيرها من الحشرات المروجة للطاعون بين الإنسان، ممّا أدّى في بعض الحالات إلى موت الكثير منها، فقد لاحظ الرحالة الأوربيون تعليق السكان للأحجية على الإبل للمحافظة عليها، لكن دون جدوى مثل ما حدث في ليبيا بداية القرن التاسع عشر⁽²⁾.

في الختام يتبين أن مسألة العدوى شكلت أكبر هاجس بالنسبة لساكنة الايالة بمختلف شرائحها كغيرهم من المجتمعات، فقد تعددت منافذها ولعبت آلياتها دور الوسيط في جعل هذه الأوبئة تستوطن الجزائر العثمانية بحكم موقعا الجغرافي، ممّا استوجب البحث عن سبل، وطرق للوقاية من مخاطرها.

المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض في الجزائر العثمانية.

في معرض الحديث عن الأزمات الصحية، والتي كانت تمتاز بخصائص عديدة، حيث أشارت الباحثة عائشة غطاس الى أنّ معظم الأمراض، والأوبئة لم يكن مصدرها الجزائر وإتّما كانت وافدة إليها، أمّا فترات انتشارها فقد تميزت بالظهور بصفة تكرارية خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر كل 7 أو 8 سنوات، كما تساعدها في ذلك المجاعة الشديدة بسبب الجفاف، وقلة الإنتاج الفلاحي، ومن حيث التوزيع الجغرافي للأوبئة الطاعونية فقد كانت الجهة الغربية لا تتعدى 15 % عكس مدينة الجزائر، وما جاورها 54 % وبايلك الشرق 26⁽³⁾ %.

كما شهدت الناحية الغربية أزمات صحية ومعيشية، فبالنسبة للمجاعات فقد وصلت إلى ذروتها في السنوات التالية 1779- 1786- 1793- 1798- 1800م، أمّا وباء الطاعون فتمثله في الجدول الآتي:

السنة	المنطقة التي شهدته
1786م	معسكر، وهران
1793م	تلمسان
1794 الى 1797م	وهران
1798 الى 1800	وهران، معسكر، تلمسان

(1) عبد العليم سعد سليمان وسعودي عبد الوهاب سيد، مرجع سابق، ص 10.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 273.

(3) بكري حمزة ومحمد الصديق بولغيث، مرجع سابق، ص 270.

1. الطاعون

1.1. أسباب تفشي الطاعون

لم تكن الجزائر بيئة خالية من الأمراض، إذ تنفق أغلب المراجع و المصادر على ذكر مختلف الأوبئة، التي كانت تتعرض لها البلاد خلال العهد العثماني بين أونة وأخرى، فساعدت بدورها على تردّي الأوضاع الصحيّة، وكغيرها من الأقاليم الأخرى عرفت انتشار الأوبئة وعلى رأسها الطاعون⁽¹⁾، الذي أصاب مدينة الجزائر مرّات عدّة بحيث لقي عددا كبيرا من السكان حتفهم في المدن والأرياف، وهلكت الماشية والرعاة بعد أن لاقوا المصير نفسه، فقد أرجعها البعض إلى التغيرات المناخية التي تعتبر إحدى أهم الأسباب في انتشار الأوبئة في الجزائر، إذ يذكر المؤرخ دانيال بنزك أن الإيالات العثمانية التي تعرف رطوبة مرتفعة تشهد بها انتشار وباء الطاعون، في حين يتضاءل الوباء مع نقصان درجة الحرارة⁽²⁾، بالإضافة إلى العامل الطبيعي، والمناخي هناك عامل بشري متحكم في ذلك كون أنّ المرض ينتقل من السفن التي ترسو في المدن، والتي تجلب معها المرض، أو ملامسة الحيوانات، وتطور المرض ليتحول إلى حمى عفنة تظهر بعض الدبيلات (الدملة)، وقد أدّى الطاعون إلى وفاة عدد كبير من السكان بعد شرائهم الأمتعة والملابس القديمة التي ينتشر فيها المرض⁽³⁾.

1.1.1. العامل الطبيعي

المناخ العام للجزائر

يعتبر المناخ الجزائري في شقه الإيجابي على أنه مناخ صحي، وهذا ما تؤكده مجمل المصادر المحلية، وكذا الأجنبية على ملأمة مناخ الجزائر للعيش فيه نظرا لما يمتاز به من اعتدال وانتظام، ويؤيد هذا الطرح الطبيب الألماني شونبيرغ عندما يقول: « أن مناخ الجزائر على العموم هو مناخ صحي جدا »⁽⁴⁾، باستثناء مناطق معينة منه وكذا فترات محددة متعلقة بالأساس بالتقلبات الجوية والمناخية، فيتضح لنا أنه يتميز بخصائص أخرى تتمثل في قلّة تساقط الأمطار في بعض مناطق الجزائر، وسوء توزّعها خلال الموسم الزراعي، إذ لعبت دورا سلبيًا في دورة الإنتاج ما نجم عنها

(1) محمد الزين، مرجع سابق، ص 129.

(2) Daniel Panza, "La peste est une constante de l'Algérie Ottomane", La peste dans l'empire ottoman 1700-1850, Edition peeters louvain 1985, p225.

(3) مؤيد محمود المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 05، العدد 16، الجزائر، نيسان 2013م، ص 434.

(4) أف شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال: تر أبو العيد دودو، المجلد الأول، دار الأمة، طبعة خاصة، 2009م، ص 26.

ظهور المجاعات والأمراض⁽¹⁾، إذ غالبا ما تنعدم الأمطار في فصل الخريف فيتعذر بذلك

والبذر⁽²⁾، بالتالي يعدّ المناخ عاملا رئيسيا ومحوريًا في التغيرات، والتطورات التي يعرفها التاريخ، غير أنه كثيرا ما يتغاضى عنه في التعاطي التاريخي مع الأحداث، ولعلّ بروزه مع ظاهرتي المجاعة والأوبئة⁽³⁾ معلوم واضح، وهذا الأمر جعل العديد من

الدراسات، والأبحاث الأوربية في الجزائر بُعيد الاحتلال تحاول رصد هذا المناخ، ولو أنها اعترفت أنّ ذلك الأمر صعب جدًّا⁽⁴⁾، وإن جننا لتفحص هذه الدراسة نجدها تقدّم انطبعا عاما بأنّ المناخ في الجزائر عموما، وفي المنطقة الشمالية خصوصا يقع ضمن إطار المنطقة المعتدلة، وتتراوح درجة الحرارة به في المتوسط ما بين (20-25 °)، أي أنه ضمن إطار المنطقة المميزة والصالحة للنشاط الزراعي⁽⁵⁾.

كما أنّ للتضاريس واتجاهها دور في تحديد الأقاليم المناخية، ونسبة تساقط الأمطار أكثر غزارة في المناطق الشمالية، ولا سيما في المناطق الشرقية من البلاد، وتقلّ كميتها كلما اتجهنا جنوبا، وقد حالت سلسلة جبال الأطلس التلي دون تسرب المؤثرات المناخية الرطبة الساحلية إلى السهول الداخلية، عكس سلسلة الأطلس الصحراوي الذي تتخلله منخفضات واسعة، ممّا كان يسمح للمؤثرات المناخية الصحراوية بالتسرب إلى السهول الداخلية، وهذا ما جعل المناخ يتميز بالرطوبة وغزارة الأمطار، وتساقط الثلوج في المنطقة الشمالية، وشبه الجاف في المنطقة الداخلية، والجاف في المنطقة الصحراوية⁽⁶⁾.

كما نقف عند التقارير الفرنسية التي كانت تعدّ حول مناخ مدينة الجزائر في السنوات الأولى من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، أنّ متوسط درجة الحرارة في

(1) ياسين بودريعة، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800م)-إشراف فلة موساوي القشاعي، دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2016-2017م، ص 133.

(2) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م)، إشراف مولاي بلحميسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص 57.

(3) تعرف كذلك باسم الجوع الجماعي: وهو ما اصطلح على تسميته بالمجاعة **Famine**، وهو آفة تصيب أقاليم ودول بكاملها حيث يندم وجود المواد الغذائية في الأسواق والمخازن الخاصة والعامة، وهي ظاهرة وكارثة تنتج عن عوامل طبيعية كثيرة (الكوارث والأفات) أو عن عوامل بشرية كالحروب الأهلية والإقليمية وتكون نتيجتها موت عدد كبير في المناطق التي تجتاحها باتجاه المدن والأقاليم المجاورة، **ينظر**: عبد الحميد خميسي، مشكلة الغذاء وثورات الخبز في الجزائر وفرنسا القرن 18 وبداية 19م، إشراف كمال فيلاي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م، ص 86.

(4) Vital :climat et météorologie, Gazett médicale de l'Algérie, Directeur Dr e.E.1 Bertherand éditeur J.B.Bailliére, paris, année 23.N°, 1879, p 128.

(5) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 66.

(6) أرزقي شويتم، مرجع سابق، ص ص 31، 30.

مدينة الجزائر أثناء فصل الشتاء كان في حدود (16 °)، بينما لا يتجاوز متوسط ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف (26 °)، ولا يقل عن (2- °) في فصل الشتاء⁽¹⁾.

أمّا الجهات الجنوبية فهي شديدة الحرارة، لأنّ الصحراء تدفع حرارة الصيف ولا تخزنها وإذا جاء البرد لم يجد ما يقاومه فيشتد أيضا، ومن حيث المطر و عدمه فإنّ الجزائر ليس لها في الحقيقة إلاّ فصلان؛ فصل الأمطار و فصل اليبس، فالأول يبتدئ من منتصف الخريف إلى مضي شهرين من الربيع، وأكثر ما يكون المطر في الشهر الأخير من الخريف، وشهور الشتاء الثلاثة، والثاني يبتدئ من أواخر الربيع إلى منتصف الخريف، وفي هذه المدة تشتد الحرارة و تقلق البشر خصوصا إذا هبت رياح السموم⁽²⁾، وهي رياح القبلي المشهورة في شمال افريقية، وهي التي تهب مقدمة الانخفاضات الجوية، فتؤثر على المظهر الحيوي بصفة عامة حيث تعوق النشاط البشري، وتحرق الغلات، وتزيد الأرض جفافا والتبخّر نشاطا⁽³⁾.

أمّا الدكتور أساسني فقد أكد أنه بذل جهد كبير في البحث عن تفسيرات لبعض الأمراض المنتشرة في الجزائر، وأسبابها إلاّ أنه فشل في ذلك، في حين ردّ أغلب الأطباء ذلك إلى الهواء الخانق الذي يعيشون فيه إلى جانب الرطوبة السائدة في أوقات معينة بالجزائر⁽⁴⁾، وهو أمر منطقي فعلى سبيل المثال ما أورده حمدان بن عثمان خوجة حول منطقة متيجة القريبة من مدينة الجزائر، والتي تمتاز بهوائها الفاسد، والضرار نتيجة المستنقعات المتواجدة بها، وهو ما جعله يخشى زيارتها في الفصول الأخرى عدا فصل الربيع، ففي فصل الصيف والخريف تستوطن المنطقة الحمى باستمرار إلى درجة يصعب اتقانها⁽⁵⁾، إضافة إلى وجود مستنقعات غير صحية⁽⁶⁾، وفي أحواز هذه المستنقعات تنتشر وسط السكان مختلف الأوبئة والأمراض كالحمى و الملاريا، بالتالي تشكل هذه المستنقعات موطنا للبكتيريا التي تساهم في استفحال الأوبئة، وانتشار الأمراض وتؤثر بشكل سلبي على الوضع الصحي للسكان بصفة عامة.

(1) أف شونبيرغ، مصدر سابق، ص12.

(2) مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.س)، ص ص 47،48.

(3) عبد القادر علي حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، ط01، 1982م، ص91.

(4) أف شونبيرغ، المصدر السابق، ص 37.

(5) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، مصدر سابق، ص48.

(6) أف شونبيرغ، مصدر سابق، ص 26.

2.1.1. مسالك وطرق انتقال عدوى الطاعون بالجزائر خلال العهد العثماني أ. المسالك البرية

كان خط سير التّجار والحجاج العائدين من الأماكن المقدسة بالحجاز عبر مدينة القاهرة، حيث تختلط فيها قوافل المغاربة بالقوافل المصرية⁽¹⁾؛ ومن مدينة الإسكندرية إلى مدن الإيالة الساحلية⁽²⁾، فكانوا يسايرون ساحل برقة⁽³⁾، وطرابلس فيمرون بمنطقة البتّان، وناحية التميمي إلى غاية طرابلس الغرب، وقد تستغرق الرحلة بين الإسكندرية، وطرابلس الغرب حوالي شهرين، ومن طرابلس تلتحق قافلة الحجاج، والتجار بقابس والقيروان، وقد تقصد تونس قبل أن تتوجه إلى قسنطينة⁽⁴⁾، الجزائر، تلمسان، وفاس، وغالبا ما كان الحجاج يقضون مدة في بعض المدن كعنابة، وبجاية، والجزائر، والمدينة، ووهران للقيام بنشاطاتهم الاقتصادية، ومن هناك كانوا ينقلون العدوى إلى هذه المناطق، أو يصابون بها في حالة وجود الوباء في هذه الجهات، هذا ولم يكن طريق التّل التونسي والجزائري المعبر الوحيد والمقصود من طرف هذه القبائل، إذ كان البعض الآخر يسلك طريق الصحراء "مسلك القصور" للذهاب إلى بسكرة، وورقلة، والأغواط أو بعض الواحات⁽⁵⁾، ويعدّ ركب الحجّ من أبرز وسائل الاتصال، والطرق المساعدة على انتشار مرض الطاعون بالجزائر خلال هذه الفترة نتيجة الاحتكاك المباشر بين الحجاج⁽⁶⁾.

ب. المسالك البحرية

يرجع انتقال العدوى وانتشار الأمراض مع الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط، وعلاقتها التجارية مع أوروبا⁽⁷⁾. (انظر الجدول)⁽⁸⁾ وارتباطها الروحي بالمشرق الإسلامي،⁽⁹⁾ وخاصة مع اسطنبول وأزمير، وفي هذا الصدد يذكر الشريف الزهار: «عندما بلغت المراكب المهداة من استانبول جاء معها الوباء إلى الجزائر، واشتعلت ناره سنة 1817م، وكان الوباء يتسرب إلى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر، لذا نجد أول من كان يصاب

(1) فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدّته وطرق انتقاله، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 01، العدد 01، الجزائر، 2001م، ص 143.

(2) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص 51.

(3) إقليم برقة: تقع بين صحراء مصر الغربية شرقا وطرابلس الغرب غربا، وتمتد جنوبا حتى حدود السودان. للمزيد أنظر: راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط 01، 1953م، ص 17.

(4) تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الأكثر عراقة وقدما. ينظر كتاب: للشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار (1790-1870م)، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، الجزائر، طبعة جديدة - 2011م، ص 43.

(5) فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون...، مرجع سابق، ص 143.

(6) محمد بستى وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص 61.

(7) توفيق دحماني، الأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص 85.

(8) حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 161.

(9) توفيق دحماني، الأوضاع الصحية...، مرجع نفسه، ص 85.

به هم عمال الموانئ، وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد»⁽¹⁾، وقد أشار بوتان في تقريره عن الجزائر أنّ الطاعون لم يكن ناتجا عن البيئة الجزائرية فقد كان يأتي دائما من المشرق⁽²⁾، كما لعبت المدن المصرية خاصة الساحلية منها دورا هاما في انتقال العدوى، باعتبارها محورا هاما للمرور ممّا جعلها تشكل بؤرا للوباء، وعلى رأسها الإسكندرية⁽³⁾، واتجاهها نحو موانئ الجزائر حيث تصل السفن، وعلى متنها ركاب مصر

بالتطاعون⁽⁴⁾، (انظر الخريطة)، التي شكلت حلقة وصل بين موانئ الشرق، وبين الموانئ المغاربية إذ كانت هناك رحلات بحرية تتم بين هذه الأقطار ذهابا فتنتقل من منطقة تيطوان المغربية مرورا بالمرسى ترغا- بادس- فورك- جزر ملوية- هنين وصولا للموانئ الجزائرية، وبالتحديد منطقة وهران ثم مستغانم - تنس- شرشال- الجزائر - دلس- بجاية - جيجل- مرسى القصب- القل (عنابة)، ثم إلى بنزرت بتونس ثم طرابلس⁽⁵⁾، وصولا إلى ميناء الإسكندرية⁽⁶⁾.

كما أشار إلى دلتا النيل، وصعيد مصر باعتبارها أحد الروافد الأساسية في إنتاج ونشر الأوبئة، وهي في ذلك لا تكاد تختلف عن نهر الغانج في الهند، والميسيسيبي في أمريكا وما بين النهرين في العراق⁽⁷⁾، وقد ورد في إحدى مقالات سلفاتور سبسيالي حول تداعيات الطاعون، والأمراض المعدية الأخرى كالجدري والتيفوس التي تنتقل بين الأفراد في الدول الإفريقية، معتمدا في مقاله هذا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية كمذكرات الأطباء الذين مارسوا مهنتهم زمن الوباء، وسجلات المرضى، ومراسلات قناصل كل من فرنسا وانجلترا وإيطاليا، وأيضا مراسلات البايات والدايات مع الباب العالي خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فذكر وباء الطاعون الذي حلّ بتونس 1817 و1821م، وجاء أيضا على ذكر الطاعون الذي شهدته الجزائر سنة 1784م و1785م، والعديد من المشكلات الوبائية والصحية، كما أشار أيضا إلى مصر والتي قال فيها أنها تعد مركزا للأوبئة كالطاعون والكوليرا، مشيرا أيضا إلى تصرفات الانسان وردود أفعال البيئات المختلفة عرقيا ودينيا في ظل انتشار هذه

(1) أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 78.

(2) -Boutin .y.reconnaissance des villes, forts et batteries d'alger :publiée par G.Es - C.D.I.H.A paris 1927 ,p 67.

(3) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 95.

(4) محمد بستني وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص 61.

(5) علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية (1589)، تقديم وتعليق: محمد الصالحي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2007م، ص ص 24- 25.

(6) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 249.

(7) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 79.

الأوبئة⁽¹⁾، أمّا مدينة اسطنبول فجاءت في ذكر أحمد الشريف الزهار قائلا: «نّ مركبا جاء من اسطنبول إلى الجزائر سنة 1786م تسببت في وباء وُصِف بالوباء الكبير» حيث يقول في هذا الشأن: «..وفي سنة 1201هـ/1786م جاء الوباء إلى الجزائر حتى وصل عدد الأموات أحيانا إلى خمس مائة جنازة كل يوم، قيل أنّه أتى من برّ الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية، واستمر الوباء في التجارة الى غاية سنة 1211هـ/1796م⁽²⁾».

جدول يمثل التواجد المكثف للسفن الجزائرية بأوروبا ما بين 1801-1816م-

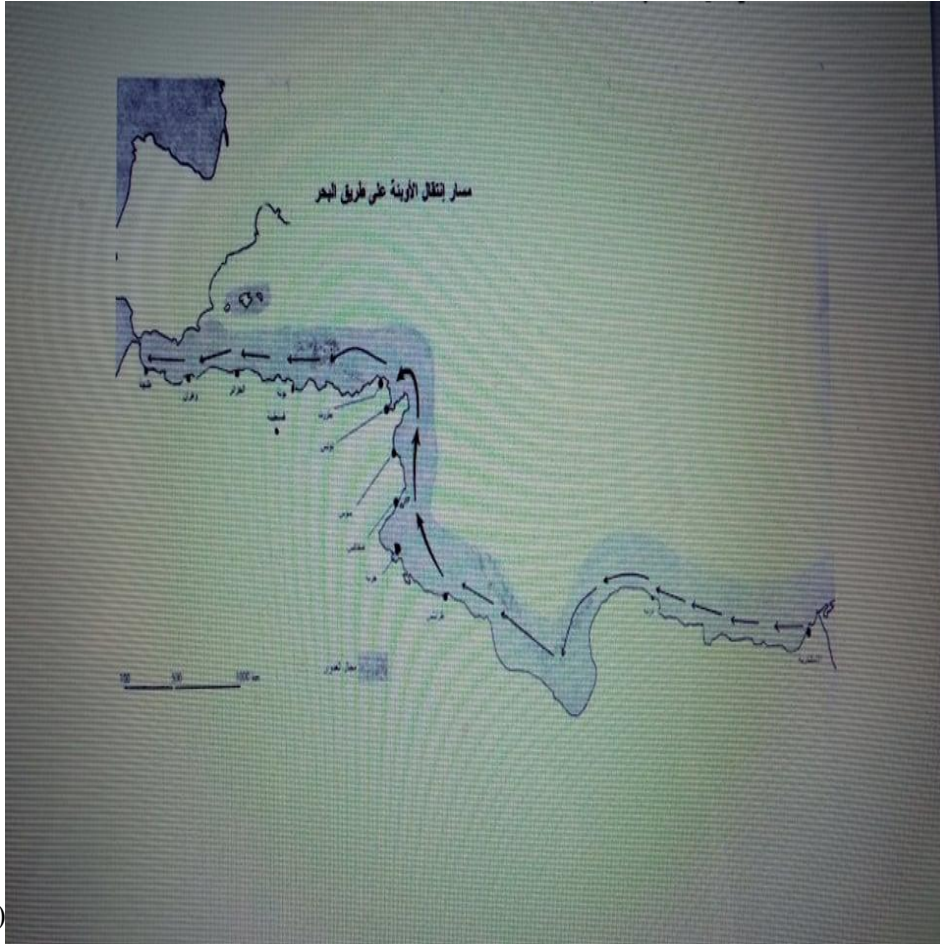
أنموذجاً⁽³⁾.

برشلونة	83 سفينة
مرسيليا	67 سفينة
ليفورنة	5 سفن
مالطه	22 سفينة
المجموع	177 سفينة

(1) Salvatore Speziale. **Au Dela De Peste:Problemes Methodologiques et Resultats Demographiques Dans L'Etude De La peste en Afrique Medtterraneenne, Revue D'Histoire Maghrebine, N°121 ,Mars 2006 ,P 71 -74 – 75.**

(2) أحمد الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار...، مصدر سابق، ص 51.

(3) حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 161.



إضافة إلى أسباب وعوامل أخرى لا تختلف عما ذكرناه ساعدت الطاعون على الانتشار بسرعة على غرار القوافل التجارية، وحركة الطلبة العائدين من الحجاز، والتجار القادمين من الشرق، فيذكر "مارشيكاً" (**Marchika**) أنها من بين الأسباب التي تؤدي بحركة السكان من وإلى الجزائر كانت تنتشر الأمراض، وتزيد من ظهورها ودوامها بشكل مستمر⁽²⁾، على غرار الأسواق التي سنركز على شقها السلبي، بحيث تعتبر نقطة يلتقي فيه التجار المطعونون بغيرهم من التجار، والأهالي غير المصابين، فينتشر هذا الوباء عن طريق تبادل البضائع، والنقود في معظم الأحيان، وقد يزيد الوضع سوءاً إذ يتسارع انتشار الوباء بعد رجوع المصابين إلى أوطانهم مثل ما حدث في مدينة البليدة في شهر ديسمبر من عام 1818م، أين شهدت ضربة للطاعون قادماً إليها من مدينة الجزائر، أو ما حدث في مدينة بجاية عندما عاد إليها تجار الزيت العائدين من مدينة الجزائر، حيث أودى انتقال عدوى الطاعون إليها إلى وفاة 15 فرداً من الساكنة⁽³⁾، نتيجة احتكاك المصابين بمجموعات سكانية سليمة

(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 250.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 268.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 85.

من المرض تواجدت بالأسواق للتزود بحاجياتها، فينتشر المرض في الريف والمدن، ويتسارع انتشار العدوى عادة خاصة عندما يفرّ المصابون إلى مواطنهم للاحتماء بها، ولعلّ هذا ما جعل الأوبئة "الطاعون" في الجزائر يغلب عليها الطابع الريفي، حيث كانت العدوى في الغالب تنقل من القرى إلى الحواضر ومن الحواضر إلى البوادي⁽¹⁾. في حين اختارت بعض القوافل العدول عن بعض الأسواق، ودخولها هروبا وخوفا من الوباء، فقد أورد الرحّالة العياشي أثناء عودته من الحجّ مرورا بمدينة بسكرة قوله:

«...ونزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين، وكان نزولنا خارج البلد من غربيه لأجل الوباء»، إلا أن دخول الناس لهذا البلد كان دخولا اضطراريا لاقتناء ضروريات الحياة⁽²⁾، ورغم ما تتميز به هذه المنطقة من ميزات اقتصادية إلا أنّ الوباء جعل منها منطقة خالية هجرها سكانها بسبب الوباء فيضيف قائلا: «وقد دخلنا المدينة عقبه (عقب الوباء) فوجدنا أكثر حوماتها خالية، ومساجدها دائرة، ومن جهة أخرى أغلقت بعض الأسواق أبوابها في وجه التجّار، والقوافل خوفا من العدوى فقد منع الركب في بعض الأماكن من الدخول مثل ما حدث في الأغواط خشية انتقال العدوى، «...ونزلنا الأغواط وكان في الركب أعراب فقالوا لأهل البلدان: في الركب وباء فلم يتركوا أحد يدخل إليهم...»⁽³⁾.

(1) فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون ...، مرجع سابق، ص144.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص179.

(3) العياشي، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، مج01، ط01، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية، ص - ص 540-546.

3.1.1. ركب الحجّ

يعدّ من أبرز طرق انتقال الأوبئة، ودخولها الجزائر نتيجة احتكاك الجزائريين بغيرهم من المسلمين في موسم الحجّ، وقد ذكر فونتير دي بارادي Venture de paradis أنّ الجزائر كان يغادر منها سفينتان كل عام إلى الحجّ⁽¹⁾، فهذا الاحتكاك المباشر من الحجّ الجزائريين مع غيرهم من مختلف أقطار العالم في البقاع المقدّسة، كثيرا ما أدّى إلى انتقال العدوى البوائية من فئة إلى فئات أخرى، سواء كانوا جزائريين أو غيرهم، كما هو الحال مع وباء سنة (1165هـ/1752م)، الذي ذكره "غيون" بأنّه قدم مع جموع الحجّاج من مكة المكرمة⁽²⁾.

4.1.1. القوافل التجارية

الألبسة والأغطية

اعتبرت الألبسة والأغطية والأفرشة والزرابي من الأدوات الناقلة للطاعون، وذلك بسبب البراغيث المعدية والملتصقة بها⁽³⁾، التي تختبئ في نسيجها، وفي هذا السياق يشير "بانزك" Panzac إلى الدور الخطير الذي ظلت تلعبه البراغيث في نقل

العدوى، التي أشار إلى أنها كانت في الغالب تتمّ عند استعمال لباس الموتى بالطاعون دون تطهيرها، فتبقى البراغيث حيّة في الملابس مدّة أسابيع أو شهورا، وقد زادت أهمية هذا العامل بفعل حاجة السكان إلى استعمال لباس الهلكى لعجزهم عن شراء اللباس الجديد في معظم الأحيان⁽⁴⁾، وكذلك عدم وعي الناس في تلك الفترة بالعدوى، وعدم اتخاذهم أي إجراء وقائي ممّا ساهم في مزيد انتشار الطاعون بينهم إذ كانوا ينظفون قروح المرضى، ويدفنون الموتى دون اتخاذ أي احتياطي، وقد يصل الى حد ارتياد ثياب الموتى⁽⁵⁾، كما شكلت الجلود المصدرة من مدينة الجزائر إلى ميناء بلنسية (Valence) بإسبانيا عاملا آخر في نقل عدوى الطاعون عن طريق الحدائين، ومنهم تنتقل العدوى إلى بعض المناطق الاسبانية، كما كانت كمية الصوف الموجهة لعنابة الى فرنسا ضمن المواد الحاملة لعدوى الطاعون، فقد كانت سببا في انتشار الوباء في شهر ماي من عام 1786م⁽⁶⁾.

الأمر الذي دفع ببعض الدول الأجنبية إلى مراقبة السفن التجارية الجزائرية، والتونسية عن طريق مراسلات صادرة عن بعض قناصلهم ووكلائهم

- Venture de paradis . Alger au XVIII eme Siecle. 2° E dition . editions Bouslama _ (1) Tunis. P30.

(2) - خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 92.

(3) فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون...، مرجع سابق، ص 143.

(4) Panzac. La peste.op.cit.p 184.

(5) أحمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان...، مصدر سابق، ج 03، ص 21.

(6) فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون...، مرجع سابق، ص 145.

الموجودين بالإيالات المغاربية، والمتعلقة بضرورة التحفظ من الأوبئة والأمراض المعدية المنتشرة آنذاك⁽¹⁾.

5.1.1. القوارض والجرذان

لعلّه من الأهمية أن نشير إلى الدور الخفي الذي كانت تلعبه القوارض المتنقلة من القوارب الوافدة إلى الجزائر، عبر قنوات ومناطق مختلفة إلى ميناء الجزائر، فتنقل في سلسلة محددة تضم هذه السلسلة كل من (الحامل + الناقل + المستقبل) من القارض، والبرغوث إلى حيوانات أخرى يحتك بها الإنسان، وبالتالي فالمتلقي للعدوى؛ وهي القوارض التي تحوز غالبا على حرية الحركة، والتي قد لا يحوزه الضحية المصاب بالطاعون إن اكتشف أمر مرضه في الميناء، والناقل للعدوى ممثلا في صورة البرغوث، ووجوده في المنزل الجزائري خلال العهد العثماني يكاد يكون

أما مسـ _____
به، وبالتالي فالمعادلة تكاد تكون مكتملة⁽²⁾، وتشير الدراسات إلى كيفية انتقال المرض عبر البحر ليتغلل بين الساكنة، وينتقل برا كون أن عمال الموانئ كانوا أول من يتعرض للوباء، سواء عن طريق احتكاكهم بالتجار والأجانب، أو عن طريق القوارض الناقلة للمرض، ثم يصيب الأسرى المسيحيين بحكم إقامتهم في السجن الواقع بالقرب من _____

الميناء، بل ينتقل إلى وسط المدينة ليقضي على عدد كبير من الجند في الثكنات، كما يقضي على عمال الحمامات المعدنية، ويتسرب إلى الأحياء الشعبية حيث تتكاثر القادورات والأوساخ، ثم ينتقل من المدن الساحلية إلى المدن الداخلية ليقضي على القرويين، وقد كان السبب في نقل العدوى إلى القرى هم الريفيون الذين كانوا يشتغلون في المدن⁽³⁾، فيتجلى الارتباط بين العوامل الناقلة للمرض، والوباء من البحر إلى البرّ بطريقة أو بأخرى.

6.1.1. مصادر أخرى لانتشار الوباء

بعدّ تساقط الأمطار وعدم استغلال المياه بشكل جيد من العوامل المساعدة على انتشار الأمراض، والأوبئة المختلفة من خلال عدم الاهتمام بالمياه ومصادر⁽⁴⁾ها، ففساد المياه كان له دور كبير في انتشار الأمراض الوبائية عبر مختلف أرجاء الإيالة، وقد ذكرت كتب المصادر عدّة أمراض منها الحميات الدقيقة، الجرب وأمراض المثانة

(1) _ FA 1881 _ H _ 0068 _ 0813.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 92.

(3) سليم يعوج، مرجع سابق، ص 107.

(4) محمد بستني وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص 62.

والحصى في الكلى وغيرها⁽¹⁾، كما حدّدت مدينتي تنس كإحدى المدن التي حدثت فيها هذه الأمراض بسبب فساد مياهها، والتي وصفت في شعر ذكره البكري⁽²⁾:

وماؤها من فجّ ما خصت به نحس يجري على تراب نجس.

وكذا مدينة المرسى التي قيل عنها: « طعنة بمرزاق خير من شربة من بير أرزاق»⁽³⁾.

لعلّ من الأسباب الرئيسية أيضا في انتشار وباء الطاعون هو عقلية الفرد، وتعصبه في دفع المضرة في تلك الفترة، والتي رأوا عدم إتباع المسيحيين في أمور دنياهم، وحتى في طرق وقايتهم من الأمراض، فقد ذكر حمدان خوجة في كتابه إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء مايلي: «.. إن أقوال الحكمة وأفعالها لا يستنكف العاقل عن اقتنائها لضعّة من فعلها أو قالها، بل يبادر للحق وقبوله واستجلاب النفع وحصوله، ولما رأيت الخلل الداخل على المسلمين بإهمال مثل هذه القواعد، وإنكارها والتزام التقشف والتعصب في عدم دفع المضرة، وملاحظة أغوارها في كثير ممّا ابتكره الإفرنج بدعواهم، واشتهرت نسبته إليهم ممّا يتعلق من أمر دنياهم حتى شدد البعض النكير على الذين يستحسنونها»⁽⁴⁾، فيدعون إلى التوكل على الله وعدم الاحتراز غير آخذين بالأسباب معتمدين في رأيهم على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٣٤﴾⁽⁶⁾، وعلى حديث رسول الله ﷺ: « لا يغني حذر من قدر»⁽⁷⁾.

وفي إيالة تونس التي لا تبعد كثيرا عن إيالة الجزائر، اعتبر المناعي عمل الكرنينة عمل من خصائص الكفار، ومن تشبه بفعلهم يصبح كافرا مثلهم، وهذا القول بالتحريم، والتكفير هو الدّي جعل بيرم الثاني⁽⁸⁾ يؤلف رسالته للرد على المناعي، ويدافع على رأي القائلين بجواز التحفظ، واعتماد سبل الوقاية للحدّ من انتشار

(1) نور الدين بعبك، مرجع سابق، ص 146.

(2) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - هو جزء من كتاب المسالك والممالك - مكتبة المثنى للطباعة والنشر، بغداد(د-ت)، ص ص 62-63.

(3) البكري، مصدر نفسه، ص 55.

(4) -محمد بسني وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص 62. نقلا عن: كتاب حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء.

(5) الآية 51 سورة التوبة.

(6) الآية 34 سورة الأعراف.

(7) العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، مرجع سابق، ص 50. نقلا عن رواه الحاكم في مستدرکه عن عائشة رضي الله عنها.

(8) محمد بيرم الثاني (1749-1831م): هو شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد ابن شيخ أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم. ينظر الي: أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، المصدر السابق، ص 158. المعروف "ببيرم الثاني" من مشاهير علماء جامع الزيتونة وهو ينتمي إلى أحد أعرق العائلات التركية الأصل بالبلاد التونسية، تولى عدة مناصب واشتهر باجتهاده له عدة مؤلفات من بينها: حسن النبأ في جواز التحفظ من الوباء، عقد الدرر والمرجان، التعريف بالأجداد البيارمة. ينظر الي: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 01، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1994م، ص 134.

الوباء⁽¹⁾؛ لم يكتف بذلك محمد بيرم بل ردّ على الدّين يعارضون إتباع النصارى في عاداتهم بقوله: «... وأي بأس في أخذ تجربة الحجر الصحي عن النصارى، وهذا الطب الجديد كلّه مأخوذ عنهم وصار معمولاً به بين المسلمين؛ ولم يمتنع أحد عن استعماله لكونه من محدثاتهم، وكيف والقديم منه من محدثات اليونان فلو كانت النسبة للكفار تمنع الاستعمال لمنع الطب كله»⁽²⁾.

لذلك سعى بيرم جاهداً بترتيب رسالته الموسومة " بحسن النّبأ عن جواز التحفظ من الوباء"، ليوضح موقف الدّين والرؤية الصحيحة للإسلام من العدوى ويبين ضرورة الاحتياط من تسرب الأمراض بين الناس، كما ذكر أسباب تأليفه لهذا الكتاب

فبقية: «... وبعد فقد أكثر في وقتنا الطاعنون على من سلك سبيل التحفظ من الطاعون، وعدوه شنيعة في الشريعة، وفضيحة في الدّين فظيعة... حيث ساء في إنكاره النّبأ، وبلغ سيل الانتقاد فيه الزبى تعين لعارض هذا الحال أن يمد بساط مقال، فلذلك كتبت فيه هاته الرسالة مسجلة على الطاعن بأنّه غارق في الجهالة»⁽³⁾.

(1) عبد الرحمن الونيسي، السياسة الصحية بتونس في عهد الحماية (1881-1939م)، ج01، إشراف: خليفة شاطر، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 2003/2002م، ص 83.

(2) عبد الرحمان الونيسي، مرجع نفسه، ص 86.

(3) محمد بيرم الثاني، حسن النّبأ في جواز التحفظ من الوباء، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، عدد 18371، تونس، ص01.

2. الكوليرا (Cholera Morbus)

الكوليرا (Cholera): هي مرض معد ينتج عن تكاثر الميكروبات التي تنتشر سمومها في داخل الجسم⁽¹⁾، جاء ذكرها في مخطوط "رسالة التعريف بالمرض الحادث سنة 1230هـ (الهيضة الكوليرا) والتداوي منه" التي ألفها رئيس حكماء اسطنبول،: «**أنها مرض ينتشر ويهلك المريض به سريعا**»⁽²⁾، وأن سبب الكوليرا هي جرثومة أو بيكتيريا تسمى الجهاز المعوي، وقد توصل "جون سنو" (John Snow) أن للماء الملوث دور في هذا المرض، ليعد سببا مباشرا لانتشارها⁽³⁾، وهو الأمر الذي يقودنا إلى إدراك، وغياب أو نقص وعي الجزائريين بالنظافة نظرا لتردي أوضاع وأحوال المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة⁽⁴⁾.

يعدّ وباء الكوليرا من أخطر الأوبئة التي عرفتها الجزائر خلال الفترة العثمانية، بعد انتشار مرض الطاعون الذي حصد الآلاف من سكان الجزائر، وظهر وباء الكوليرا ليحلّ محلّه، ويشكل بذلك أزمة صحّيّة خطيرة قد أثرت في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة⁽⁵⁾.

قد ضرب وباء الكوليرا مناطق عدّة منها الجزائر، فانتشر خلال القرن التاسع عشر ميلادي في جميع أنحاء العالم، انطلاقا من موطنها الأصلي في دلتا نهر الغانج بالهند والبنغال، راح هذا المرض ينتشر في مناطق عدّة من قارة آسيا لينتقل بعدها إلى قارة أوروبا، ويواصل زحفه الجارف، ولم تسلم منه أكثر البلدان تقدّما بسبب طبيعة المرض الغامضة، ولم يبدأ التحكم فيه إلاّ بعد سنة 1884م عندما اكتشف العالم الألماني كوخ (Koch) العامل المسبب للمرض⁽⁶⁾.

من أعراض الكوليرا حسب ما ورد ذكره في المخطوط «... علامته بادية؛ فإنّ الإنسان يكون صحيح البدن والمزاج سليم العوارض، فتأخذه دوخة في دماغه إلى أن يسقط إلى الأرض، يقع له برد في أطراف أصابع يديه ورجليه وينم وذلك البرد ثم يسري في البدن ويصل إلى بطنه ومعدته، فيحصل له ثقل في جسمه ويصيبه وجع شديد ويسود وجهه وسائر أعضائه»⁽⁷⁾، كما تؤدي الكوليرا إلى حدوث إسهال شديد

(1) فلة القشاعي، وباء الطاعون...، المرجع نفسه، ص 189
(2) مخطوط 19824، رسالة في التعريف بالمرض الحادث سنة 1230هـ (الهيضة _ الكوليرا)، والتداوي منه، المكتبة الوطنية التونسية، تونس، ص 04.

(3) فلة القشاعي، وباء الطاعون...، مرجع نفسه، ص ص 189، 190.

(4) نفسه، ص 190.

(5) عبد القادر قندوز، الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي 1830-1914م، إشراف محمد بوشنافي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي يابس-الجزائر-2016 - 2017م، ص 50.

(6) جمال برجى، وباء الكوليرا في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، مؤتمر دولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج 02، مرجع سابق، ص 128.

(7) مخطوط 19824، مصدر سابق، ص 4.

والتقيؤ، وجفاف في الجسم مع قلة نبضات القلب وألم في البطن؛ وتعتبر العدوى من شخص لآخر الناقل الأساسي للمرض بالإضافة إلى الماء والتيارات الهوائية الساخنة التي تعتبر عاملا لظهورها⁽¹⁾.

1.2. أسباب تفشي وباء الكوليرا

دخل وباء الكوليرا إلى الجزائر قادمًا من دول آسيا، وأوروبا وانتشر في جميع البلاد، في حين تشير بعض الدراسات أنها انطلقت من البنغال ودلتا الغانج، حيث كان الوباء دائما متوطنا في هذين المركزين، وتبين الخريطتين المدرجتين ضمن الملاحق المحاور الرئيسية التي سلكتها الكوليرا خلال دوراتها العالمية الأولى⁽²⁾، ومن بين أسباب انتقاله نذكر:

جلب الكوليرا عن طريق السفن القادمة من المناطق التي عرفت انتشار كبير في آسيا وجنوب أوروبا، فقد تفشى المرض بالجزائر بسبب سفينة آتية من جزر الباليار سنة 1831م، إضافة إلى سفينة تونسية دخلت ميناء الجزائر في نفس السنة، كما انتقل هذا الوباء عن طريق المستشفيات التي كانت تستقبل عدد كبير من المصابين حيث تنتقل العدوى إلى السالمين من خلال الهواء الناقل للمرض⁽³⁾، وعدم التمسك بقواعد النظافة التي كانت تتميز بها الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، وانتشار المستنقعات بالسهول الساحلية، وحول المدن الكبرى نظرا إلى البؤس، والظروف المادية المزرية وسوء التغذية التي كان يعاني منها الكثير في تلك الفترة⁽⁴⁾.

3. الأمراض

تعرضت الجزائر لمختلف أنواع الحمى الناتجة عن الظروف الطبيعية والبشرية نذكر منها:

1.3. حمى المستنقعات أو حمى الملاريا La palpismo

يعود سببها حسب بعض المؤرخين إلى المياه العكرة في المستنقعات المحيطة بالأحياء السكنية، فمن المناطق التي كانت عرضة لهذا المرض منطقة متيجة، حيث يذكر المؤرخون وفي مقدمتهم العالم النباتي "دوفنتي"، بأن هواء متيجة مضر جدا في فصل الصيف بسبب المياه التي كانت تتراكم في السهول خلال فصل الشتاء⁽⁵⁾، وظل السكان يعانون من الحمى التي وجدوا صعوبة في معالجتها، حيث استمرت معاناتهم إلى غاية القرن التاسع عشر⁽⁶⁾، كما أن صلة الجزائر بالعالم الخارجي لعبت دورا في

(1) عبد القادر قندوز، الطب والأوضاع...، مرجع سابق، ص 50.

(2) محمد الأمين البزاز، مرجع سابق، ص 163-164.

(3) محمد بستى وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص 65.

(4) فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون...، مرجع سابق، ص 187-191.

(5) عائشة غطاس، الوضع الصحي...، المرجع سابق، ص 127.

(6) نفسه، ص 63.

ذلك، وكذا انعدام التدابير الوقائية والجهل النسبي بالقواعد الصحية، كانت تلك هي العوامل التي ساعدت في الانتشار الواسع، والسريع لمختلف الأوبئة والأمراض⁽¹⁾. كما أصيب السكان من مختلف الأعمار بهذه الحمى، كما أن هناك نوع آخر منها: كالحمى المترددة والمتواترة، حمى الربيع المعروفة بالحمى الصفراء وحمى الصيف، وتسببت في نسبة كبيرة من الوفيات، وقد تسلمت بصفة حادة ومتكررة على المسنين⁽²⁾.

2.3. مرض التيفوس

يدعى بالهواء الأصفر؛ هو مرض خطير جدا ارتبط بسنوات المجاعة، وقد وصف هذا الداء من طرف إحدى الحوايات والمخطوطات بالحمى القراصية، تتكرر تقريبا كل عشرين سنة⁽³⁾، وهو نوعان:

أ. التيفوس الطفحي

ويدعى أيضا بالنمشي، يسمى باللاتينية **Typhus exanthematicus**؛ وتتمثل أعراضه في ارتفاع درجة الجسم الى 40° مع صداع شديد وطفح جلدي شديد، وقد تضرر السكان منه بصورة شديدة في أوت 1826م⁽⁴⁾.

ب. تيفوس مورين

لا يعرف إلا بتسميته اللاتينية **Typhus Murin**، ويشكل الفأر ناقل لهذا المرض أما أعراضه تكون مماثلة لأعراض النوع الأول⁽⁵⁾.

3.3 أمراض العيون

تشير بعض الدراسات أنها راجعة للتغيرات المناخية وتأثيرها على تركيبة العين، وقد رأى بعض الأطباء، والرحالة الأوروبيين أنّ الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية والأوبئة، وإنما وصلتهم عن طريق أقطار المشرق العربي، وبلاد السودان والمغرب الأقصى وبعض المناطق الأوربية، كما أنّ طريق الحجّ من أهم مصادر الوباء⁽⁶⁾.

ولعلاج آلام العيون كانوا يضعون في الغالب الكحل لوقاية العين من الإصابات، وفي حالة المرض يستخدمون علاجا يتمثل في " استخراجهم لخيوط رفيعة بنية اللون من بين أوراق أشجار الدوم، ويضعون هذه الخيوط في كوب ماء صغير مع

(1) كاميليا دغموش وحمدادو بن عمر، الوضع الصحي والمعيشي لبايلك الغرب ...، مرجع سابق، ص 337.

(2) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر ...، مرجع سابق، ص 253.

(3) عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع ...، المرجع السابق، ص 49.

(4) محمد الزين، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجبلالي يابس، سيدي بلعباس، 2010-2011م، ص 209.

(5) -A.Garnier et V.Delmare:dictionnaire des termes techniques de medecine ,maloine S.A.ed paris,1980.Typhus, p1278.

(6) ناصر الدين سعيديوني، النظام المالي ...، مرجع سابق، ص 54.

قليل من لبن امرأة (حليب لامرأة مرضعة)، ثم يقومون بوضع هذا اللبن في العين على شكل نقط قليلة كل ليلة، فكان يساعد على إزالة المياه البيضاء من العين"⁽¹⁾.
هناك طريقة أخرى تتمثل في وضع عجين من دقيق الذرة المخلوط بالقمح حول العين الملتهبة"؛ وفي حالة الألم المفاجئ للعين أو الناتج من ضربها يوضع حول العين عدد من ورق السجائر بعد أن يضعون فيها صفار البيض"⁽²⁾.

(1) محمد مسعد إمام، الايكولوجيا والأمراض بالمجتمعات الحدودية الإفريقية "دراسة في الأنثروبولوجيا الطبية"، المؤتمر الدولي بعنوان: الأوبئة والمجاعات في الوطن العربي عبر العصور، ج1، ص105.
(2) نفسه، ص 394.

الفصل الثاني

انعكاسات الكوارث الطبيعية على الأوضاع السياسية من 1700 إلى 1830م.

المبحث الأول: الدوافع الأساسية لاندلاع الثورات المناهضة للحكم العثماني.

1. السياسة الضريبية.
2. الاحتكار.
3. غلاء الأسعار.
4. ثورة ابن الأحرش ونتائجها.
5. آثار الوضع الصحي على الأنشطة الاقتصادية.

المبحث الثاني: جهود السلطة في مواجهة النكبات الطبيعية.

1. في مواجهة المجاعات.
2. في مواجهة الجراد.
3. في مواجهة الزلازل والهزات الأرضية.
4. في مواجهة الأوبئة.
5. السياسة المنتهجة للحكام العثمانيين في ظل تعرض الایالة للأزمات الصحية

قبل التطرق إلى الانعكاسات التي خلفتها الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال الفترة الزمنية قيد الدراسة على مستوى المجالات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، لا بدّ أولاً من الإشارة إلى الوضع السائد آنذاك، والتي تزامنت معه الكوارث الطبيعية التي عصفت بالإيالة في هذه الفترة، وتعدّ إحدى العوامل البشرية التي أجّبت الوضع المزري للسكان، ناهيك عن الآفات السماوية التي شهدتها البلاد، والتي لا دخل للإنسان فيها، يوازيها بروز كوارث بشرية أزمّت الحالة، وأرقت المجتمع الجزائري الذي عانى الويلات على إثرها، بغض النظر عن الدوافع الحقيقية وراء ذلك سواء الطبيعية منها، أو السياسية، والاجتماعية.

الجدير بالإشارة إليه هنا أنّه لطالما كان للإنسان عبر التاريخ يد في نشأة الأزمات بسبب قيامه بأعمال قد تكون نتائجها وخيمة فيما بعد، فتكون على شكل حروب وفتن داخلية، ففي الغالب تكون شرارة اندلاعها بسبب معاملة الحكام للرعية، أو من خلال ضرائب مجحفة أنهكت الساكنة، ولعلّ من أبرز التمردات في الجزائر خلال العهد العثماني، والتي تعكس بصدق ما سبق لنا ذكره، هي ثورة ابن الأحرش، والدرقاوة التي تعدّ من أخطر الثورات التي خلفت آثاراً ولنقل صورة المعاناة في تلك الفترة نقف هنا على أحد أهم المصادر التي أرخت لتلك الحادثة، وعاشت الفترة العصبية، وهو كتاب بعنوان " **مجاجات قسنطينة** " للعنتري؛ والتي حاول فيها المؤرخ رصد المجاجات التي أمت ببايلك قسنطينة خلال العهد العثماني، والتي كانت نتيجة لهذه الثورة على حدّ تعبيره، ونجد في هذا المصنف تصويراً لانعكاس العام للأزمات الغذائية، وأيضاً ظلم الحكام العثمانيين للرعية، وتأثيرها على الذهنية الاجتماعية، والفكرية داخل المنظومة الاجتماعية، ما حولها لبيئات مناهضة للوجود العثماني في أكثر من مرة، يشير هنا لثورة ابن الأحرش، والدرقاوة، وهو الأمر الذي تفرد به هذا المصدر عن غيره من المصادر، ما منحه أهمية خاصة كونه أحد الشواهد لتلك الفترة، والمؤرخ لتلك الحادثة.

المبحث الأول: الدوافع الأساسية لاندلاع الثورات المناهضة للحكم

العثماني

لعبت الأوضاع السياسية المتعقبة والمتدهورة في أواخر العهد العثماني دورا كبيرا في تدهور العلاقة بين السلطة العثمانية، ورجال الطرق الصوفية، إذ تميزت بعدم استقرار جهاز الحكم، وكثرة الاضطرابات التي عمها الظلم الاجتماعي، والاستبداد السياسي، بحيث تعاقب على الحكم بايات كثر جلهم تميز بالضعف، وعدم الكفاءة، ولم يتمكنوا من ضبط أمور الدولة⁽¹⁾.

يشير الباحث الجزائري محمد وقاد حول طبيعة العلاقة بين السلطة والسكان، وكيف تحولت من علاقة ولاء الى عدااء بسبب الافراط في الجباية رغم سوء حالة السكان، خاصة القاطنين بالأرياف، وأخذت العلاقة في التوتر بمنحى تصاعدي قبل أن تتحول الى تمردات وانتفاضات؛ فلما حاول السكان التحايل والتهرب من الدفع قوبلوا بالقمع، وهو ما زاد في لهيب التمرد حتى تحوّل الى انتفاضات، وثورات ساهمت الى حد كبير في إضعاف الدولة ماليا وعسكريا، وقد استفادت هذه التمردات من جهتها من الضعف الذي آلت اليه المؤسسة العسكرية، وتراجع السيادة الجزائرية على حوض البحر المتوسط، وانتشار الأوبئة والمجاعات، والكوارث الطبيعية، وهنا نلاحظ علاقة التأثير والتأثر ما بين الأوضاع السياسية الداخلية، والخارجية، والأوضاع الاجتماعية، وحتى الاقتصادية، وكلّ هذه العوامل فرضت نفسها عن طريق التفاعل فيما بينها حتى أفرزت وضعاً داخليا صعبا مسّ الايالة، وهزّ كيان الحكم العثماني في الجزائر، وعجّل بزواله⁽²⁾.

(1) فاطمة الزهراء سيدهم، علاقة دايات الجزائر بالدولة العثمانية ما بين 1791م- 1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2011- 2012م، ص 13.

(2) محمد وقاد، مرجع سابق، ص 92.

1. السياسة الضريبية

عرفت الجزائر في العهد العثماني أنواعا مختلفة من الضرائب، مسّت جميع أنواع النشاطات الفلاحية، والمهنية، والتجارية بحيث يضمن البايات جمع أكبر قدر من الأموال من الرعية، خاصة مع نهاية هذا العهد، بعدما تناقصت مداخيل الدولة جراء ضعف مردود البحرية الجزائرية من جهاد البحر، وانحصار مداخيل الخزينة في الضرائب المفروضة على الرعية.

لهذا السبب جعل ناصر الدين سعيدوني يعلّق على النظام الضريبي للإيالة بقوله: «يمتاز نظام ضرائب الإيالة بتعدّد مصادره، وتأثيره على النشاطات الاقتصادية المنتجة، فلم يفلت من هذا النظام الجبائي أي فرع من الانتاج الفلاحي والصناعي، والتجاري قابل للدفع»⁽¹⁾.

نتيجة لهذه السياسة الجبائية الجديدة كانت تحدث تجاوزات من طرف المكلفين بجمع هذه الضرائب أمام تغاضي الحكام عن هذه الأعمال، إذ يخبرنا الزهار: "بأنّ الأوائل وضعوا الجباية على المنهج الشرعي، والأواخر صاروا يخرجون بالمحلات لاستخلاص المغارم، والظلمات ونهب أموال الرعية"⁽²⁾، ويؤكد ذلك حمدان خوجة بقوله: "أنّ جباة الضرائب كانوا يجمعون أكثر من اللازم"⁽³⁾، ممّا ترتّب عنها آثارا سلبية ناهيك عن الحروب الداخلية، والتمردات هو هجرة الفلاحين لأراضيهم الزراعية ولجوئهم إلى الجبال وأطراف الصحراء، حيث لا يستطيع الأتراك، وأعاونهم الوصول إليهم، أو استعمال طرق وحيل أخرى مثل ما فعل سكان منطقة القبائل حيث قاموا بصنع نقود مزيفة من أجل مواجهة السياسة الضريبية المفروضة عليهم مقارنة مع امكانياتهم المحدودة جدا، وهذه العملية أضرت كثيرا بالاقتصاد⁽⁴⁾.

لم يقتصر الأمر هنا بل تعدت إلى فرض الحكومات العثمانية في الإيالة رسومات جمركية **La ferme de douane**، وهي ضريبة خاصة بحق الانتفاع ببيع بعض المواد الأولية على حد تعريف أحد القناصل لها⁽⁵⁾، لحماية اقتصادها، ولكنه في نفس الوقت أضرت بها، وقد أخذت هذه الرسوم ألوانا، وأشكالا متعددة فرضت على السلع، والبضائع الواردة، والمصدّرة، وعلى وسائل النقل، وعلى الطرف المتاجر سواء المحلي أو الأجنبي، ومن هذه الحقوق الجمركية الرسوم على البضائع: مثلا يدفع الجزائريون نسبة 2% على الصادرات و12.5% على الواردات، أمّا المتعاملون فأداؤهم 04%، ولم تكن تحترم هذه النسب في كل المناسبات، وعلى الأوربيين ما

(1) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص 117.

(2) أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 35.

(3) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 106.

(4) أمير يوسف، مرجع سابق، ص 64.

(5) صر هودة يوسف، سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيالة الجزائر خلال القرن

18-19م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج06، ع 01، الجزائر، 2022م، ص 267،

قيمته 05% ، واليهود 12.5% ، و لكن في حقيقة الأمر لا يدفعون سوى 04% ، ممّا جعل مدا خيل كبيرة تقوت على خزينة الدولة، وقد قدرها فونتير دي بارادي **Venture de Papadis** ما بين 300 ألف، و400 ألف ليرة⁽¹⁾. إضافة إلى الضرائب، والرسوم التي كانت تفرضها السلطة على الأهالي هناك عوامل أخرى، والتي كانت تتحكم في النشاط الاقتصادي على غرار سياسة الاحتكار التي كان يتبعها بعض الدايات، أو منح امتيازات للتجار الأجانب ولا سيما فئة اليهود منهم.

(1) محفوظ سعيداني، التجارة بأقطار المغرب العربي في العهد العثماني ما بين القرنين 18-19م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج05، العدد 02، الجزائر، ص 577.

2. الاحتكار

لقد اتبع حكام الجزائر في العهد العثماني سياسة الاحتكارات التي ظهرت منذ القرن السابع عشر عندما انخفض دخل البحرية على اثر اتفاقيات سلام، وتجارة مع الدول الأوروبية⁽¹⁾، التي بدورها مارست سياسة الاحتكار من قبل الشركات، والوكالات الأوروبية الموجودة بالجزائر، والسيطرة على مختلف المجالات، فمنحت الاحتكارات سيطرة مجموعة من الموظفين مستغلين المناصب في خدمة مصالحهم الشخصية، فزاحم هؤلاء عامة الفلاحين والتجار، وعلى رأسها الاحتكارات الفرنسية كامتياز صيد المرجان في سواحل الجزائر⁽²⁾، فوصلت الى 40000 دولار بالإضافة إلى ما تقدّمه للإيالة أيضا من ضريبة سنوية من شيوخ العرب ما قدره 200000 كيل من القمح، ومن باي قسنطينة وباي وهران 10000 كيل من الشعير التي تستعمل لتغذية رجال البحرية، الجيش، والعمال في القطاع الحكومي⁽³⁾، كما استفادت هذه الشركات أيضا في حق تصدير المواد الأولية مقابل 30000 بياستر سنويا⁽⁴⁾، ويذكر وليام شالر: "أنّ باي وهران يدفع للحكومة المركزية مبلغ 15000 دولار سنويا مقابل احتكار حق تصدير المواد الأولية التي تنتجها مقاطعته، كما اشترى قائد المرسى بوهران امتياز بيع القمح، و الشعير مقابل 10000 سلطاني ذهبي"⁽⁵⁾، وممّا زاد الوضع تأزما هو تخلي الحكومة الجزائرية عن تجارتها الخارجية لصالح اليهود في أواخر القرن 18/هـ، وهذا ما جعل القنصل الفرنسي السيد (D. THAINVILLE)، يقول أنّ هؤلاء اليهود، ولاسيما بوشناق و بكري، "هي الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع، وتتمتع بثقة حكام الجزائر، فإنهم شركاء في كل مكان"، وامتدت علاقاتهم إلى باريس، ومرسيليا، جنوة وليفورنه، مدريد وكذا موانئ أخرى كلندن ولشبونة وهانبورغ وفيلادلفيا، استولوا على كل تجارة المغرب⁽⁶⁾، فعمل اليهود على منافسة النصارى، والتجار المحليين على تجارة القمح مستغلين الظروف الداخلية، والخارجية للمنطقة في تحويل أموال التجارة مع بداية القرن

19م، فظهرت في الجزائر عائلتي بكري و بوشناق⁽⁷⁾، اللذان سعيا جاهدين على تصدير ما يجمعونه من السوق الداخلية إلى الأسواق الأوروبية، ولو على حساب تجويع

(1) محفوظ سعيداني، مرجع سابق، ص 577.

(2) نفسه، ص 577.

(3) وليام شالر، مصدر سابق، ص 60.

(4) صر هودة يوسف، مرجع سابق، ص 267.

(5) وليام شالر، مصدر نفسه، ص 60.

(6) أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 359-360.

(7) امجد السعيد سالم الطويل، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوروبا المتوسطة 1795-

1832م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، الجزائر، 02، 2008م، ص 354.

الساكنة في الإيالة⁽¹⁾، ومن أبرز صور الاحتكار أن وصل الأمر ببوشناق اليهودي أن يصرح، أن قيام الموتى من مقابرهم أهون من خروج حبة قمح من السوق الجزائرية بدون علمه قائلا: «... يقوم موتى باب الواد قبل أن تخرج حبة قمح واحدة...»⁽²⁾ وعلى رأس المحاصيل الفلاحية المحتكرة هي الحبوب، الزيتون، الصوف، الجلود والشمع⁽³⁾، متناسين حالة السوق واحتياجات السكان الغذائية، هنا يصبح الاحتكار سببا مؤثرا في ظهور المجاعات⁽³⁾، و لعلّه الأمر الذي دفع بالقنصل الأمريكي وليام شالر **William Shaler** إلى ذمّ هذا الاحتكار، والحكم عليه بأنّ أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت التجارة في الجزائر مثلها مثل الزراعة تعاني من التأخر والبدائية⁽⁴⁾.

ففي الجزائر سنة 1793م تمّ شحن 100 سفينة من ميناء وهران بحمولة تصل إلى 75.000 قنطارا من القمح، و 60.000 قنطارا من الشعير⁽⁵⁾، ممّا تسبب في حدوث اضطرابات في جهاز الحكم، فاعتيل ستة دايات من مجموع ثمانية في مدّة قصيرة⁽⁶⁾، بل وجدنا في إحدى المرات باي قسنطينة يأمر بمنح رخصة لأحد التجار اليونانيين مع امتياز تحميل السفن بالقمح بالكمية التي يريد، في الوقت نفسه تتكلم وثائق أخرى عن تأزم الوضع في الإيالة 1734م، وهي السنة التي كانت تعرف أزمة غذائية⁽⁷⁾؛ وبذلك تكون الاستفادة لأصحاب المكانة التي تحظى بمكانة سياسية في الإيالة كالبايات وكبار الموظفين⁽⁸⁾.

بعد موت الداوي محمد عثمان باشا تولى مقاليد الحكم الداوي حسان باشا (1791-1798م)، والداوي مصطفى باشا (1798م-1805م)، اللذان انتهجا سياسة جديدة قوامها تصدير المزيد من المحاصيل الزراعية إلى خارج البلاد عن طريق الشركات الأوربية، والمحتكرين اليهود أمثال بكري وبوشناق⁽⁹⁾، في الوقت الذي كانت فيه البلاد معرضة للمجاعة نتيجة القحط الذي أضر بالزراعة في السنوات التالية (1788/

(1) حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة 1815-1830م، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ط01، 2007م، ص52.

(2) محفوظ سعيداني، مرجع سابق، ص 577.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 110.

(4) حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية...، مرجع نفسه، ص52.

(5) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر -العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص36.

(6) توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر (1206هـ- 1282/1792م- 1865م) - دراسة مقارنة إشراف عمار بن بن خروف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر (2007-2008م)، ص 95.

(7) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص 79.

(8) نفسه، ص 79.

(9) توفيق دحماني، مرجع نفسه، نقلا عن:

Barthelemy et Méry: *La Bacriade ou la Guerre d'Alger, Poème héroï- comique, en cinq chants*, 2 e Éd, Ambroise Dupon et Cie. Libraires. Éd de l'histoire de Napoléon. par M. De Norvins, paris. 1827.

1779 / 1800 / 1807 / 1816 / 1819م)، ويلاحظ أن السماسرة اليهود كانوا يصدرون كميات كبيرة من الحبوب أثناء هذه الفترة⁽¹⁾.

في ظل الأزمات والجوائح التي عاشتها الجزائر كالتالي أومأنا إليها (مراجعة 1805م)، وعض أن تقوم هذه الشركات، ومن بينها شركة "بكري وبوشناق" بالوقوف الى جانب المتضررين، واصلت عملية تصدير الحبوب إلى لفرننا ومرسليها، مستغلين في ذلك العلاقات القوية التي تربطهم مع الداي مصطفى باشا⁽²⁾ وكان ارتفاع اليهود في السلم الاجتماعي قد أدى الى تدمير واستياء لدى أفراد المجتمع، الذي ما لبث حتى انفجر في شكل ثورات سواء ضد اليهود، أو ضد رجال الدولة، وعلى رأسهم الدايات⁽³⁾، فقد أدت سياستهم إلى خراب التجارة الجزائرية، وقضى على زراعة البلد قضاء مبرما⁽⁴⁾، هذا ما أدى الى غضبهم، وراح ضحيتها نפטالي الذي قتله أحد أفراد الإنكشارية⁽⁵⁾.

في هذا السياق نذكر من بين الانعكاسات التي حلت بالجزائر منها أزمات غذائية في بداية القرن التاسع عشر، وكانت تجلياتها ضمن قوالب مختلفة تجلت مثلا في ثورة قام بها الأهالي ضد اليهود سنة (1805م)، لاعتقادهم أن هذه الفئة من التجار اليهود قامت بالسيطرة على تجارة القمح وتصديرها له للموانئ الأوربية، فساهمت في ندرة القمح في الإيالة في وقت كان الأهالي في أمس الحاجة اليه، بالتالي حدثت هذه المجاعة في ظل التسهيلات التي كان يحصل عليها اليهود، وغيرهم في هذا السياق⁽⁶⁾.

لقد عانى أهل البوادي والأرياف من احتكار الدولة للمنتوجات الرئيسية، التي صارت تشتري منهم بأسعار منخفضة⁽⁷⁾، ممثلة في الشركات التجارية في تصدير القمح التي كان لها الأثر السلبي على ظهور المجاعات، بل على الحياة الاقتصادية ككل، لأنّ هذا الأمر أتاح للشركات اليهودية تحصيل ثروات طائلة على حساب كدح البسطاء، كما قضى على النشاط الزراعي ككل، إلا أنّ هذا لا يحملنا بأية حال على جعله سببا مطردا وراء كل مجاعة، وإتّما هو سبب متغيّر بتغيّر الزمان والحاجة الغذائية⁽⁸⁾، إلا أنّ ابن خلدون يرجعها لسبب آخر، والذي نعتبره سببا ثانويا يزيد من توقع حدوث المجاعات، والأزمات الغذائية، وهو غياب ثقافة الادخار، وعدم اهتمام

(1) توفيق دحماني، مرجع نفسه، ص 95.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 111.

(3) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 2000م، ص 177.

(4) صر هودة يوسف، مرجع سابق، ص 268.

(5) محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 272.

(6) خير الدين سعدي، مرجع نفسه، ص 287.

(7) صر هودة يوسف، مرجع نفسه، ص 268.

(8) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 112.

الناس بالتخزين قائلًا في هذا الصدد: «... الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات...»⁽¹⁾.

3. غلاء الأسعار

كانت الأسعار في الجزائر العثمانية متباينة، ومتقلبة من منطقة الى أخرى ومن فترة لفترة، ويرجع ذلك للظروف الطبيعية، والاجتماعية التي تفرض تقلب الأسعار، كما أن تفرع العملات التي عرفتها الجزائر في كل مرحلة هي من الأسباب التي تدفع بتغير الأسعار، وذلك لوفرة المنتجات بجميع أنواعها، أو لندرتها بالأسواق حسب العوامل السياسية، والاقتصادية المتحركة في الوضع وقتئذ.

نعود لنذكر أن من التأثيرات الاقتصادية لهذه الأزمات الغذائية، أن أضحي الصاع الواحد من القمح قيمته خمسة عشر ريالًا، بعدما كان سعره قبل المجاعة لا يتجاوز ريال ونصف ريال⁽²⁾، ومما مازاد الأمور سوءًا هو غلاء المعيشة، ومع قلة المنتج ارتفعت الأسعار فعجز الكثير من الناس على اقتناء ضروريات الحياة من غذاء، وهذا ما ذكره العياشي عند مروره بمدينة الأغواط وقراها المجاورة: "وجدنا الغلاء كثيرا عندهم مقدار مدين فاسيين بريال قمح"، ونفس الشيء قاله عن قرية الكراكة
ضواحي البيض:

« وجدناها في غاية ما يكون من الغلاء " لتزيد حدة المعاناة عند العياشي وركب حجه من الجوع، خاصة في الطريق الرابط بين الأغواط ونواحي الظهرا، وعلّة ذلك غلاء الأسعار بهذه المناطق: " كان أهل الركب قد جاعوا جوعا عظيما... بلغ الشعير قريبا من ريال للصاع، وبلغ الدقيق أكثر من ذلك، وبقيت لي هناك ناقة أحمل عليها كتب فبعتها بثلاث ريالات»⁽³⁾، ونفس الأمر تكرر في عهد أبي العباس الهلالي السجلماسي (1175هـ/1764م) في كلامه عن الأغواط، وبعض قراها يقول: « قرية كبيرة ذات نخل وشجر، ووجدناها غالية الأسعار»، وعن قرية تجموت شمال الأغواط يتذمر السجلماسي⁽⁴⁾ من غلاء أسعارها فسألناهم كم الشعير عندهم فأخبرونا بما دلّ على غلائه فلم نخرج عليهم، ونفس الحال عن قرية سيدي خالد" وجدنا الشعير عندهم كاد لا يرى فضلا عن ذكره"⁽⁵⁾، وفي هذه الحالة أن سعر القمح تضاعف ما يقارب

(1) عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة ط2004، ص370.

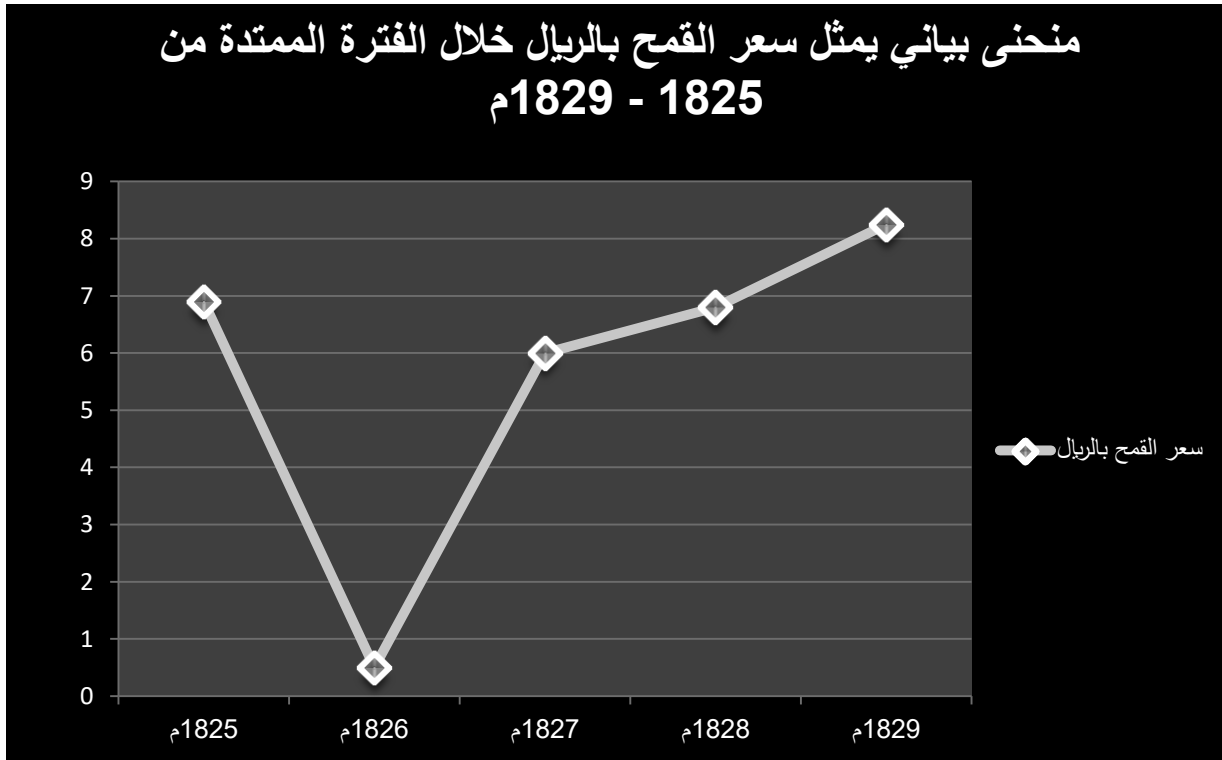
(2) محمد بن صالح العنتري، مجاعات قسنطينة...، مصدر سابق، ص34، 35.

(3) العياشي، مصدر سابق، ص546-548.

(4) السجلماسي: العلامة أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد من مواليد سجلماسة عام 1113هـ/1701م، وتوفي بالزاوية الزينية حيث دار بها زاوية سيدي علي بن بوزينة بوادي المالح بتافيلالت يوم الثلاثاء 21 من ربيع الأول عام 1175هـ/1761م. ينظر: فاطمة بلهوارى، وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي- المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 6، العدد7، جوان 2010، الجزائر، ص38.

(5) سعاد آل سيد الشيخ، مرجع سابق، ص103.

عشر مرّات، وكان الأمر يدوم مدة زمنية طويلة ترهق الناس تصل الى سنة أو سنتين⁽¹⁾، فقد حفظت لنا المصادر والوثائق إشارات إلى أثمان بعض المواد في بعض السنوات، ففي سنة 1790م بلغ السعر العمومي المحلي للحبوب إلى 7 ريالات لصاع القمح، و04 ريالات لصاع الشعير في بايلك الغرب⁽²⁾، أمّا مدينة الجزائر فكانت الأسعار تصل الى ما بين 8 الى 9 ريالات اسبانية⁽³⁾.
إليك منحنى بياني يوضّح أسعار القمح بين سنوات 1825-1829م بالريال⁽⁴⁾.



يتضح لنا من خلال المنحنى البياني الذي يمثل سعر القمح خلال الفترة الممتدة من 1825م إلى 1829م بتقلب وتذبذب أسعاره، نتيجة الظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية التي عرفتها البلاد، فالظروف الطبيعية تمثلت في الكوارث المناخية والأوبئة، التي كانت تجتاح الجزائر من حين لآخر، والتي فرضت وضعا اجتماعيا بائسا داخل المجتمع، إضافة الى السياسة الاقتصادية في تلك الفترة، بحيث شهدت الجزائر في هذه الفترة احتكار اليهود على رأسهم بكري وبوشناق لتجارة القمح، وتصديره الى الدول الأوروبية في الوقت الذي كانت تتعرض فيه الجزائر لأزمات طبيعية وصحية.

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 287.

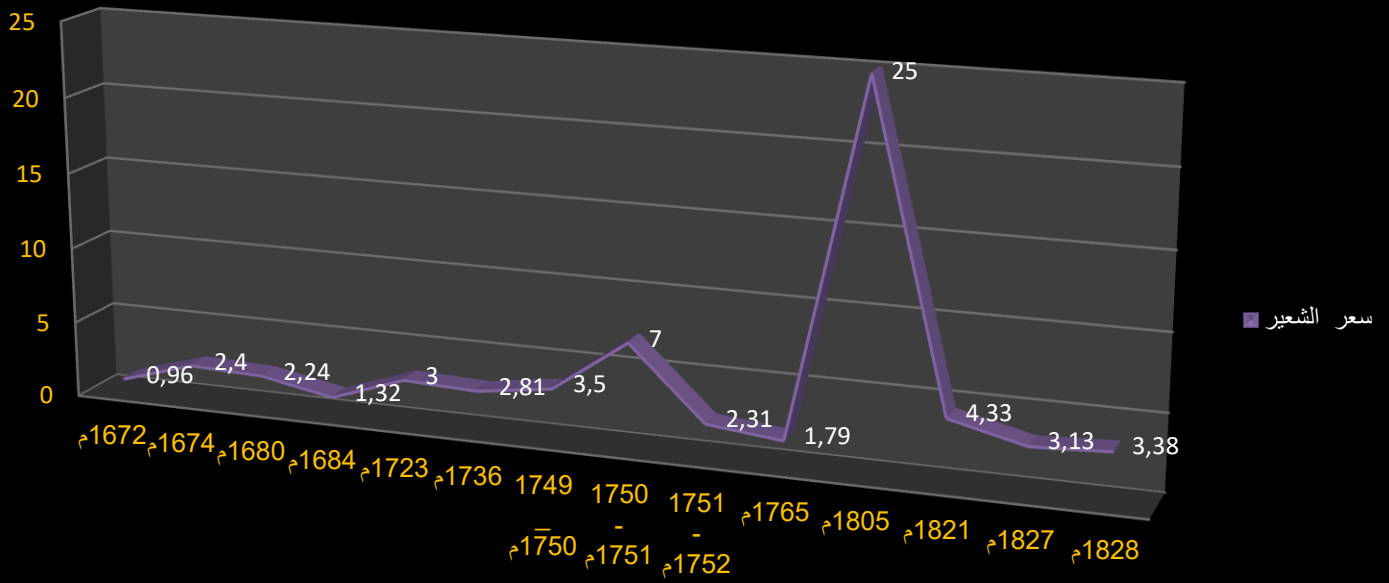
(2) توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر...، مرجع سابق، ص 121.

(3) كاميليا دغموش، نفس المرجع، ص 132.

(4) - ملاحظة: أنجز هذا المنحنى من طرف الباحثة بالاعتماد على معطيات المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، المرجع السابق، ص 132.

أمّا بالنسبة لأسعار الشعير فقد وضحتها المنور مروش توضيحا دقيقا، وشاملا خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن السابع عشر الى غاية سنة 1828م⁽¹⁾:

منحنى بياني يمثل سعر الشعير بالريال خلال فترات متباينة ممتدة من 1672-1828م



يتضح لنا من خلال استقراء المنحنى البياني الذي يمثل سعر الشعير، أنّ ثمنه كان متذبذبا ومنخفضا مقارنة بسعر القمح، فمن الفترة الممتدة من 1672م الى 1749م لم يصل سعره 4 ريالات بحيث تراوح ثمنه ما بين 0.96 الى 3.5 ريال، وهذا راجع لتراجع بعض الكوارث والأوبئة خلال هذه الفترة، إلا أن سعره وصل ل 7 ريالات في الفترة ما بين 1750 – 1751م، ليتراجع بعده الى 1.79 ريال سنة 1765م، ليبلغ أوجه سنة 1805م، وهي الفترة التي تعرضت البلاد لمجاعات مهلكة ولسنوات متلاحقة، ففي سنة 1800م حدثت مجاعة بالبلاد اختفت فيها الأقوات من الأسواق، أعقبتها بعد ذلك مجاعة سنة 1805م، لتليها بعد ذلك موجة من القحط سنة 1806، 1807م، ليخلف مجاعة 1808م.

(1) ملاحظة: المنحنى البياني من انجاز الباحثة معتمدة على ما جاء من معطيات في كتاب المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، مرجع سابق، ص 141.

كما يرجع المؤرخون غلاء الأسعار في فترات معينة الى أزمات أخرى أصابت البلاد خلال العهد العثماني، كالثورات التي انتفضت ضد السلطة كثورة ابن الأحرش والدرقاوة و غيرها؛ نتج عنها غلاء في القمح و الشعير، فوصل سعره سنة 1219هـ/ 1804-1805م بخمسة عشر بجة و هي خمسة دورو للصاع الجزائري، ليصل الى 25 ريال في أوج الأزمة الاقتصادية، وهذا ما استقرأناه في كتاب العنتري أثناء حديثه عن المجاعة التي حلت بأهل قسنطينة خلال سنتي 1804م -1805م الذي دام عليها الحال كذلك لمدة ثلاث سنوات متوالية و الجائحة التي أصابت الزرع بأكمله، مما أدى الى نقص فادح في القوت و عرفت المدن في الجنوب أيضا إرتفاع في سعر القمح¹.
بداية من سنة 1821م الى غاية 1828م عاد سعر الشعير الى سعر الطبيعي وانخفض ثمنه مقارنة بالسنوات السابقة ليتراوح ما بين 4.33 الى 3.38 ريال.

4. ثورة بن الأحرش⁽²⁾ 1219هـ_1804م

1.4. أسبابها

يمكن حصر الأسباب التي أدت إلى قيام ابن الأحرش بالثورة ضد السلطة العثمانية في بايلك الشرق إلى ما يلي:
السياسة المجحفة التي انتهجها بعض الحكام حيث تميزوا بالاستبداد، والقتل والتدمير، وتبذير الأموال، وإشباع الرغبات، والاهتمام بالمصالح الخاصة، وإهمال شؤون الرعايا وعن هذا يقول العنتري: «...الأتراك في بدء أمرهم عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحدا وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس، ويسفكون دماءهم ويأخذون أموالهم بغير حق ويعدون ولا يفون، ويؤمنون ويغدرون لم يزل ظلمهم يزداد حتى تمّ وتجاوزوا الحد...»⁽³⁾.

الأزمة الحادة التي مرّ بها الاقتصاد الجزائري، حيث تضاعف تأثيرها بتوالي سنوات القحط الذي عمّ مختلف جهات البلاد، بسبب الكوارث الطبيعية، والتي أثرت بشكل حاد على الأوضاع المالية، وكذا على القدرة الشرائية للسكان⁽⁴⁾، حيث وصف يوسف الزباني الوضع « بغلاء الأسعار وكثرة الفساد وفناء الأعمار»⁽⁵⁾، إضافة إلى سوء الأحوال الصحية، والاقتصادية عامل آخر الذي أضر كثيرا بوضع البلاد، يتمثل

¹ - العنتري، مصدر سابق، ص 33.

(2) وصفه BURBRGGER أنه رجل في مقتبل العمر، طويل القامة، أشقر اللحية، يتميز بفصاحة اللسان وبسعة أفقه وشجاعته، وعليه فإن مسار ابن الأحرش تميّز على مسرح الأحداث كرجل دين وشريف. للمزيد ينظر: إبراهيم عيو، الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالجزائر ثورة ابن الأحرش أنموذجاً-المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج01، ع01، الجزائر، 2015م، ص301.

(3) محمد بن الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة، واستيلائهم على أوطانها(تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتقديم: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص130.

(4) زينب جعني، ثورة ابن الأحرش ...، مرجع سابق، ص131.

(5) محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2013م، ص292.

في انعدام الاستقرار، والأمن من جهات كثيرة من الجزائر؛ فعلى المستوى الداخلي أصبح جهاز الحكم غير مستقر نظرا لتعرض كثير من الدايّات، والبايات إلى الاغتيال والعزل، والتغريم، والمصادرة⁽¹⁾، ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1798م- 1830م اغتيل ست دايّات من مجموع ثمانية، كما أنّ كثيرا من الموظفين السّامين لا قوا نفس المصير كخزناجي الدّاي مصطفى (1805م)، ومساعدى الداي أحمد (1808م)، والدّاي علي الغسال (1809م)، وأيضا الخزناجي محمد الدّاي اغتيل في السجن سنة (1815م)، وكذلك الآغا يحي⁽²⁾ بسبب التهميش الاقتصادي الذي ينجلي في منح امتيازات، وتسهيلات تجارية للأجانب الأوربيين واليهود⁽³⁾.

إنّ النظام الضريبي في الجزائر العثمانية لم يكن عادلا، ولا يراعي القائمون عليه طبيعة الانتاج، ولا وضعية الفلاحين وحالتهم⁽⁴⁾، ما أدّى الى انتشار السخط بين الناس لعجزهم عن دفع الضرائب فلجأوا الى الثورات⁽⁵⁾؛ ففي نفس السياق قد أشار المؤرخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني حول طبيعة الثورات قائلا: «... ومع هذا فإنّ الثورات بغض النظر عن بواعثها الدّينية، كانت في واقع الأمر بمثابة ردّ فعل على التكاليف المالية التي أرهقت كاهل الأهالي من ضرائب وعوائد ورسوم، لاسيما بعد تضاعل دور رجال الدّين في التوفيق بين الاستجابة لمتطلبات المالية للجهاز التركي الحاكم، وبين مجموعات السّكان المحليين المتأثرين بنفوذهم الرّوحي»⁽⁶⁾.

- ضعف شخصية باي قسنطينة عثمان الدّاي حكم من 1803 الى 1804م⁽⁷⁾، إذ يذكر المزارى في طلوع سعد السعود أنه: «...كان غارقا في اللّهُو وعدم الاكتراث، واللامبالاة بشؤون الرعية»⁽⁸⁾.

(1) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، مرجع سابق، ص 55.

(2) نفسه، ص 56.

(3) حنفي هلايلي، الثورات الشعبية...، مرجع سابق، ص 196.

(4) ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج04، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص، 33.

(5) عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ط01، 1989م، ص 584.

(6) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، مرجع نفسه، ص 57.

(7) زينب جعني، نفسه، ص 132.

(8) نفسه، ص 300.

2.4. نتائجها

غزا الشريف ابن الأحرش قسنطينة سنة 1219هـ/1804م، وهو يزعم بأنه من شرفاء ملوك فاس، دخل وسط القبائل، ووعدهم بأخذ قسنطينة ليجتمع عليه جند عظيم من فرق القبائل الساكنين ما بين جيجل، وسكيكدة⁽¹⁾، تسببت ثورة ابن الأحرش في إضعاف نفوذ البايلك بالأرياف، وعزل المدن عنه⁽²⁾، بحيث تحولت المدن الجزائرية إلى بيئات منكمشة على نفسها متخوفة من سكان الريف القريبين منها، كما غدا الريف الجزائري مجالا مغلق على نفسه تكاد تنقطع صلته مع سكان المدن، وأصبح غير مستعد للتعامل مع السلطة المركزية، بعد أن تحول أغلب سكانه المؤطرين شيوخ الزوايا إلى موقف عدائي مع إدارة البايلك، والمتعاملين معها مما سمحت هذه الظروف للغزو الفرنسي الجزائري سنة 1830م⁽³⁾.

كما خلفت هذه الثورة خسائر مادية وبشرية فادحة في الأموال، والأرواح والأسلحة، وموت الباي عثمان سنة 1804 م، وأتلفت خزائنه، وكل ما احتوت عليه محلته من أرزاق، وأموال، وذخائر⁽⁴⁾، واضطراب الأحوال الاقتصادية حيث أهمل الجانب الفلاحي، وتخلت الناس عن الحراثة من كثرة الهول، والاضطرابات، وانعدام الأمن⁽⁵⁾.

يقول العنتري عن مدى الأضرار التي تسببت فيها ثورة ابن الأحرش ما يلي: «...أتلفت فيها خزائن عثمان، وانعدمت الحراثة وافتقدت الحبوب، وقل ما يأتي إلى الأسواق وحصلت للناس شدة ومجاعة أشرف فيها الضعفاء على الهلاك، خصوصا بعض الجهات القبلية فإنهم تشتتوا بسبب الهول في وطنهم⁽⁶⁾»، وهي لا تختلف كثيرا عن ثورة الدرقاوة التي انتفضت ضد سياسة الحكام العثمانيين الظالمة في الجزائر حسب منظورهم، فنقل الزياتي عن ابن شريف قوله: «... يا سيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك، يظلمون الناس...، نسأل منكم أن يكون هلاكهم على يدك ليستريح منهم العباد وتظهر منهم البلاد، فقال له شيخه: عليك بجهادهم وقتالهم وإن الله ينصرك عليهم...»⁽⁷⁾.

يؤكد الشريف الزهار الهزائم التي ألحقت بالثائر ابن الشريف، والخسائر البشرية التي ألحقت به «مات من العرب عدد لا يحصى...»⁽⁸⁾، أمّا مسلم بن عبد القادر فوصف

(1) أحمد بن مبارك العطار، تاريخ بلد قسنطينة...، مصدر سابق، ص ص 111، 112.

(2) ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، البصائر، الجزائر، ط02، 2009م، ص - ص 286-290.

(3) زينب جعني، المرجع السابق، ص 136.

(4) العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص 33.

(5) نفسه، ص 33.

(6) ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، مرجع سابق، ص 39.

(7) الزياتي، مصدر سابق، ص 208.

(8) الزهار، مصدر سابق، ص 87.

فوصف هذه المعركة وما نتج عنها بقوله: "فأمسى الباي ومخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي وأتباعه في رغد"⁽¹⁾، إلا أن هذه الثورة تسببت اضطرابات في الأحوال الاقتصادية فأهملت الفلاحة، وتوقف النشاط الزراعي طوال فترة الثورة، وهذا ما أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب، وتعطلت الصناعة، وركدت التجارة الداخلية لانعدام الأمن، وفقدان

الاستقرار، وكثرة اللصوص، وقطاع الطرق، وهذا ما انعكس سلبا على المجتمع الجزائري⁽²⁾، وقد وصف لنا العنتري الوضع حين قال: «فإن أهل الأعراس قاموا على على بعضهم بعضا بالنهب، والفساد، ومن أجل ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في تلك السنة أيضا في جهات كثيرة، وفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول وعزّ إخراجها، وقلّ من يأتي بها للأسواق مخافة الطرقات وقتنذ⁽³⁾».

إنّ هذه الثورة كانت سببا في انهيار دولة الأتراك بالجزائر، حيث أنّها فقدت ثقة معظم السكان الذين ينطبق عليهم ما قاله ابن عميرة المخزومي⁽⁴⁾ في رسالته لابن الأباذ: «ففي كل جانب عويل، وزفرة، وبكل صدر غليل وحسرة"⁽⁵⁾.

كما عبرت الأشعار الشعبية التي كان يتناقلها الناس بصدق، وعمق عن الحالة المعيشية المتردية التي أعقبت ثورة ابن الأحرش، كما جاء في البيتين التاليين⁽⁶⁾:

تحزمت رجالي للفتن التلّ يخلى وتزول منه الذخائر
وتصير النخلة، برخلة ولاشك تخلى الجزائر.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر الشعبي الرحموني الذي عاصر أحداث ثورة ابن الأحرش⁽⁷⁾:

الأسعار راه غلات أمطار الصيف ادفاقوا

الحرث راه صعب نبتة اليبس والحجر يكثرأوا.

قد خصّص العنتري كتابه مجاعات قسنطينة في هذه الفترة تحديدا أي فترة القحط، والمجاعة سنة (1804م)، بحيث أفادنا بالعديد من المعطيات، والإحصائيات حول هذه الأزمة، وما نجم عنها من ارتفاع محسوس لعدد الضحايا، وأسعار المواد

(1) مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 73.

(2) كاميليا دغموش، مرجع سابق، ص 332.

(3) العنتري، مصدر سابق، ص 33.

(4) أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، الكاتب الأندلسي الشهير في رسالته كتبها لمواطنه الحافظ ابن الأباذ يصف فيها حالة (بلنسية) وظروف احتلالها من العدو في أوائل القرن السابع: ينظر محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 13.

(5) الزياتي، مصدر سابق، ص 13، 14.

(6) ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، مرجع سابق، ص 294.

(7) الصالح العنتري، مصدر سابق، ص 294.

الاستهلاكية مع انخفاض في الانتاج الزراعي، والصناعي، فقال العنتري: «... في سنة (1219هـ / 1804-1805م)، وقعت مجاعة شديدة، وقحط، وهول، وأضر بأهل بلد قسنطينة، ووطنها ودام الحال كذلك عليهم مدة ثلاث سنوات متوالية أصابت الزرع بأكمله، وأعدم حصاده في جهات كثيرة»، وجراء هذه الأزمة انتشرت الفتن، والصراعات الداخلية التي نتج عنها وفاة عثمان باي، كما يصفها العنتري بقوله: «... وفيها مات عثمان باي سنة (1219هـ / 1804م)، وتلفت خزائنه وكل ما احتوت عليه محلته من أرزاق وأملاك ومال ونحو ذلك»؛ وهذه الواقعة مشهورة باسم وادي الزهور، وتعدّ من بين الأسباب التي نشأت عنها المجاعة، وقلة الحبوب من كثرة الهول، وانتشار الفساد، وتشتت الرعية متأثرين بوفاة الباي⁽¹⁾، أدى كل ذلك الى اضطراب كبير عاد بالسلب على الناس عامة، والحرفيين، والصنّاع خاصة، حيث انعدمت الحراثة في تلك السنة في جهات كثيرة من المدينة، والحاصل أن ارتفعت أسعار الحبوب الى لا نهاية، ودام القحط والغلاء في الحبوب كذلك مدة سنة كاملة أي سنة (1219هـ / 1804م)، ثم بعد ذلك نزل سعره شيئاً فشيئاً غير أن حال الوطن لم يعتدل بعدها، ولم يرجع الى أصله إلا سنة (1223هـ / 1808م)⁽²⁾.

يشير الصالح العنتري الى أنّ هذه الثورات أدّت الى البلاء: «فحصلت للناس شدة ومجاعة، وأشرف الضعفاء على الهلاك ... وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم»⁽³⁾.

فكان لانتشار القحط والفتن والحروب، وانعدام الأمن الذي لم يشجع على الحراثة، ولا على الاهتمام بالأرض، ولا بالصناعات السببين الرئيسيين للأزمة، كما لخصها العنتري بقوله: «بأن سبب القحط شيئين اثنين أحدهما نزول الجائحة في السنة الأولى، وبقيت مستمرة في السنين بعدها، والثاني هو أعظمها ترادف الفتن والأهوال التي لا تطمئن نفوس الناس للحراثة معها...»، وهنا يقصد فتنة ابن الأحرش، وموت عثمان باي كما ذكرنا آنفاً⁽⁴⁾.

كما جمع لنا الزبيري أبياتاً من الشعر الشعبي، تخلد هذه الواقعة إذ يذكر أحدهم الأبيات التالية⁽⁵⁾:

فرطاسة يومها ترى الجنود به	ما بين قتلى وأسرى غير ناجينا
فالباي جاء بجيش لانفاذ له	به يريد لقاء العدو غير باغينا
فلم يحقق له مسعى ولا أمل	بل باء ضده صفر الكف باكينا

(1) العنتري، مصدر السابق، ص 33.
(2) خولة نواري، الحرف والصناعات ومنتجاتها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة فنية تحليلية- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2018-2019م، ص 90.
(3) العنتري، مصدر نفسه، ص 33.
(4) محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 55.
(5) الزبيري، مصدر سابق، ص 211.

فاليوم ابن الشريف عز فيه على باي لأعاجم لولا الدين لا ديننا.
كما يرى المؤرخ سعيدوني في الثورة التي قادها ابن الأحرش: «... تعتبر بحق ثورة شعبية، وانتفاضة فلاحية على المظالم، والقهر اللذين كانت تعاني منه الأرياف الجزائرية أواخر العهد العثماني، وذلك من جراء السياسة المالية الثقيلة للبايك والتصرفات الجائرة لبعض الحكام، ومستنهضا للقبائل الجبلية بشمال قسنطينة على الخروج من حالة الخمول، والجمود التي كانت عليها⁽¹⁾»، نتيجة سياسة التهميش التي اعتمد عليها الحكام العثمانيين تجاه الجزائريين، ونقصد هنا التهميش السياسي والاقتصادي بالإضافة إلى المخالفات التي ترتكب ضد البدو، والقبائل ممّا دفع بهؤلاء البؤساء بإشعال الثورات، وقلب قادة الدولة حسب هواهم⁽²⁾، ونتيجة لسياسة الأتراك العثمانيين في أواخر العهد العثماني بالجزائر، أصبح المجتمع الجزائري ينظر الى الحكام الأتراك العثمانيين نظرة الكره، والعداء، ولهذا بعد سقوط الإيالة في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م نظم مسلم بن عبد القادر أبياتا شعرية، قالها تشفيا في السلطة العثمانية رغم كونه كان كاتباً مقرباً من الباي حسن بوهران، وذلك استياء وتذمرا من انحراف سياستهم في أواخر عهدهم، إذ يقول فيها⁽³⁾:

أدبهم ربهم لما طغوا

عرّفهم بغدرهم لما بغوا

لما نسوا ما ذكروا به ختم

على قلوبهم الله فانتقم

وعتوا عتوا على الخلق وجاروا

فكانوا أكثر العباد وباروا

فرفع الكلّ الأكفّ ودعوا

بما به أجاب الله ورجوا

أمهلهم لم يبلغ الوقت الأجل

أبدلهم بغيرهم تمّ العمل

3.4. التمردات والانتفاضات الأخرى: وفيما يلي جدول لأهم التمردات التي قادها سكان الأرياف الجزائرية ضدّ السياسة الجبائية موزعة حسب مناطق الاندلاع⁽⁴⁾.

(1) سعيدوني، ورفقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 308.

(2) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 149.

(3) مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 34.

(4) محمد وقاد، مرجع سابق، ص 110 بالاعتماد على المجلة الافريقية (R.A) الأعداد التالية:

_ FERAUDEL.Ch., « Révolution de Chirif-Ben-El- Ahrach » in R.A.,N.57.

_ Dournon A., « Kitab Tarikh Qosantina, Attaque de Chirif- Ben- El- Ahrach » in R.A.,N.57,1913.p277.

الإطار المكاني	الإطار الزمني	التمرد أو العصيان
الصحراء الشرقية	1788م	انتفاضة بن قانه و بو عكاز وبن جلاب
الهضاب العليا	1803 _ 1805م	تمرد الحنانشة
الهضاب العليا	1811 _ 1812م	تمرد أولاد عبد النور
الهضاب العليا	1813م	تمرد مجانة
أوراس النمامشة	1813م	تمرد الأوراس والنمامشة
الأوراس	1813م	عصيان سيدي يحي بن سليمان وابنه عبد الله أحمد
الأوراس	1813م	تمرد أولاد سلطان ببلزما
الأوراس	1813م	انتفاضة أولاد سعيد وأولاد موسى والأعشاش
الأوراس	1803 _ 1817 _ 1833م	تمرد النمامشة والحراكتة
نواحي الزيبان	1803 _ 1817 _ 1833م	تمرد الزواودة
من تقرت الى واد سوف	1803 _ 1817 _ 1833م	تمرد زعيم أسرة بو عكاز بن سعيد

يتضح لنا من خلال الجدول أنّ هناك العديد من التمردات التي قادها سكان الأرياف في مناطق مختلفة من الجزائر، من أوراسها وهضابها و صحرائها ردًا على السياسة المنتهجة للسلطة العثمانية في استخلاص الضرائب والجبايات، والتي لم تراع فيهم الظروف المعيشية البائسة التي كان يعيشها أغلب سكان الأرياف، ولا سيما في فترات الكوارث الطبيعية التي كانت تحل بالبلاد، كالجفاف والمجاعة والأوبئة، هذا ما هزّ ثقتهم بالحكام العثمانيين، فكان التمرد كرد فعل على تهميشهم والظلم الذي تعرضوا له.

5. آثار الوضع الصحي على الأنشطة الاقتصادية

يعدّ العنصر البشري المحرك الأساسي للحياة الاقتصادية في حين تعدّ الأوبئة، والمجاعات بشكل عام أحد معوقات النشاط البشري، فقد كان للطاعون الذي تردد على الجزائر خلال القرن الثامن عشر أثره المدمر على السكان، ونشاطهم الاقتصادي⁽¹⁾، فأثر الوباء يكون على اليد العاملة في الحرف، وعلى الأنشطة المرتبطة بها، وفي مقدمتها التجارة، ففي سنة 1720م اكتسح وباء الطاعون مدينة مرسيليا

(1) أمين محمد، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة أنفو، فاس، (د ط)، 2011م، ص 61.

محدثا خسائر بشرية قدرت بالآلاف، الأمر الذي أدى الى قطع العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا⁽¹⁾.

كما أدى وباء عام 1750م والمجاعة المرعبة التي أدت الى ركود الحركة التجارية بين الجزائر وباقي موانئ البحر المتوسط التي كانت مغلقة أمام السفن التجارية، الأمر الذي أدى الى عجز تجاري هام كان له صدى سلبي على اقتصاد البلاد، وهذا ما نجم عنه تخوفات الادارة المركزية من شيوخ الوباء بالعاصمة في الأوساط التجارية بالموانئ المتوسطية الأكثر تعاملًا مع الجزائر، ولعلّ أصدق تعبير على ذلك ما أورده القنصل لومير في إحدى رسائله الموجهة إلى نواب الغرفة التجارية بمرسيليا بتاريخ 30 أبريل 1753م، فقد أخبرهم بأنّ الداي رغم استمرار الطاعون يرغب في الابقاء على المبادلات التجارية بين الجزائر وأوروبا، وأنّه اتقاء لشيوع الخبر وخوفا من أن يؤثر ذلك على مصالحه التجارية الخاصة، هدّد بالقتل كل من أخبر الأوربيين بتطور الوباء، وعدد ضحاياه، فكثيرا ما كان بلوغ الخبر عن ظهور الوباء بالجزائر سببا في اتخاذ اجراءات رسمية بالموانئ الأوربية، لأجل إيقاف أي تعامل مع البلاد⁽²⁾، إلا أنّ النشاط التجاري بإيالة الجزائر تأثر سلبا بالوضع الصحي، وأوبئة الطاعون خاصة وباء عام 1755م، الذي عرقل كل النشاطات التجارية في بايلك قسنطينة و إيالة تونس التي فرضت حجرا صحيا على كل البضائع الآتية من الشرق الجزائري⁽³⁾، هذا ما تؤكدّه إحدى الوثائق أنّ بعض القناصل، ووكلاء تونس بالخارج قاموا بمراسلة البايات بالشرق الجزائري حول ضرورة التحفظ من الأوبئة، والأمراض المعدية وتعليق النشاط التجاري، اذ كان يعدّ سبب في تفشي الأوبئة بين الإيالات المغاربية⁽⁴⁾.

كما أثر الطاعون الذي ضرب الجزائر سنة 1792م، على تجارة القوافل التي كانت بين الجزائر والمغرب، وهو ما أدى إلى اجتماع بين بلدان شمال إفريقيا حول مقاومة الأوبئة بالمناطق الحدودية⁽⁵⁾، حيث أقام سيدي محمد بن عبد الله نطاقا عسكريا في الحدود الشرقية لوقاية مملكته من الوباء، كما بدأت الهيئة القنصلية المقيمة بطنجة في اتخاذ اجراءات صحية وقائية على الواجهة البحرية في سنة 1794م التي تعدّ من أعنف السنوات؛ وهي نفس السنة التي صدرت فيها الوكالة الافريقية 500 بقرة اشترتها من

(1) فلة القشاعي، الوضع الصحي بإيالة الجزائر...، مرجع سابق، ص 503.

(2) يوسف صرهودة، مرجع سابق، ص 656.

(3) فلة القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر...، مرجع سابق، ص 301.

(4) FA 1881 _ H_ 0068_ 0813.

(5) FPC_ A_ 0212 _ 0023 _ 0002.

إصطبلات الباي، وخرجت من موانئ الشرق 130.000 قنطارا من الحبوب باتجاه مرسيليا⁽¹⁾.

مما تجدر الإشارة إليه هو حرص قناصل الدول الأجنبية، على تحذير رعاياهم من تجنب السواحل الجزائرية التي لا تطبق نظام الكرنتينة، حسب ما ورد في إحدى الرسائل الإسبانية سنة 1786م، التي تشير إلى انتشار وباء الطاعون بها، ونصح التجار والبحارة الإسبان بتجنب الذهاب الى الجزائر⁽²⁾.

وهذا ضمن مجموعة من المراسلات، والتقارير والجداول التي تتعلق بالعلاقات الإسبانية الجزائرية، والإسبانية التونسية، كما تتضمن عدد المراكب التجارية الإسبانية، والتي وصلت للموانئ التونسية بغرض التبادل التجاري سنة 1785م، وهي نفس السنة التي حلّ الطاعون فيها بإيالة تونس حسب ما تدليه بعض الوثائق التاريخية⁽³⁾.

تلتها بعدها مراسلات ونصوص ترتيبية غير مؤرخة من دول عديدة كلها متعلقة بالأوضاع الصحية التي آلت إليها الجزائر⁽⁴⁾، إلا أنّ الأمر لم يتوقف هنا بل أصبحت المراسلات الصادرة، أو الواردة من قبل المجلس الصحي الأوربي الأعلى إلى الدول الأوربية بضرورة تشديد الرقابة على كل السفن التجارية الجزائرية، وإخضاعها لنظام الكرنتينة⁽⁵⁾، وكانّ الجزائر أصبحت بؤرة لتصدير الأوبئة والأمراض المعدية والقاتلة لهذه الدول بدل من ممارستها لنشاطها التجاري.

المبحث الثاني: جهود السلطة في مواجهة النكبات الطبيعية

1. في مواجهة المجاعات

لا يعني ممّا تمّ سرده أنفا من خلال الإجراءات التي كانت تقوم بها الدولة، أو السلطة الحاكمة في الجزائر العثمانية تجاه الرعية على غرار فرض الضرائب والتي أدت الى تدميرهم، أنها كانت مهملّة تماما الى درجة أنّها لم تقم بشيء يحسب لها وتحمد عليه، من أجل التقليل من حجم الأثر الكبير الذي كانت تخلفه الأزمات الصحية والغذائية، نجد أنّ السلطة قامت بمجموعة من الأعمال الايجابية التي تحسب لها، ويتجلّى ذلك سعيها الحثيث للتخفيف من شدّة أزمات الجوع، بعد أن قامت بإعفاء القبائل التي يلحق بمحاصيلها ضرر ناتج عن غزو الجراد، ونتيجة الجفاف مع دفع ما هو واجب عليهم من ضريبة إلى السلطة الحاكمة⁽⁶⁾، كما قام عدد من البايات بخطوات من أجل مساعدة الناس على تجاوز أزمة نقص التموين، أو انتشار الأمراض؛ فنجد

(1) يوسف صر هودة، مرجع سابق، ص 656.

(2) جمال الدين عمرواي، وباء الطاعون في الجزائر...، مرجع سابق، ص 234.

(3) - ESTADO5001BISEXP.13. 001.p3.

(4) - FA 1881 _ H_ 0068 _ 0810.

(5) FA 1881 _ H_ 0066 _ 0798.

(6) محمد الصالح العنتري، مجاعات قسنطينة...، مصدر سابق، ص 42.

مثلا الباي "محمد الكبير" من أجل تخفيف وطأة المجاعة التي أصابت البلاد في سنة (1785م) يقوم بشراء القمح من بعض الدول الأوروبية كإسبانيا، وبيعه للأهالي بنفس السعر، أو كان يقوم بتوزيعه على الفقراء مجانا إضافة الى تأجيل الضرائب المفروضة على القبائل كالعشور وغيرها الى أزمنة أخرى، وقد ثبت فعلا أنّ كثيرا ما كان يفتح مطبخ القصر من أجل إطعام الفقراء، والمحتاجين بل ويقوم بتعيين من شأنه المساعدة على حفظ، وتوزيع الغذاء على الناس مثلما يورده صاحب مخطوط "نبذة يسيرة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران" فيقول: «... غير أنّه في ابتداء ولايته من القحط الشديد في إقليم الجزائر خاصة بعمالته هذا، ولما كان ادخر حبوبا كثيرة أخرجها الى الأسواق عندما غلّت الأسعار فأنحطت وقتئذ، ولولا ذلك لهلك الكثير، ومما كان بعد من فضله فتح مطعمه لضغفاء أم العساكر، وكان يكسي العراة، ويخلصهم من مصيبة البرد الشديد...» وقد ساعد هذا الأمر فعلا في التقليل من شدة المجاعة، إلا أنّه لم يقض بشكل مباشر عليها، إذ لم تكن في تلك الكميات كافية للقضاء على تبعات ما اشتهر عليه ب(عام الشرّ) حينها⁽¹⁾.

تشير إحدى الوثائق التي بحوزتنا على سعي بعض البايات لتقديم يد العون للأهالي ونصّها كالآتي: «... ونعلمك به خيرا إن شاء الله على أمر الصدقة لازلت أتصدق وحتى إلى حصاد الزرع اليوم مدة عام وثلاثة أشهر إننا نتصدق على الفقراء والمساكين نحو تسعة وعشرون ألف فرنك وعدد الفقراء والمساكين نحو إحدى عشر ومائة منهم ذكور وإناث...»⁽²⁾.

كما أشار التلمساني بجهود الباي محمد الكبير من خلال سعيه للاعتناء بالفقراء، والمساكين والقضاء على المجاعة باختزان الحبوب وقت حصادها، وتفريقها على المحتاجين عند الحاجة⁽³⁾، فكان له دور كبير في سنين القحط، والمسغبة من الإحسان ما لا يشقّ أحد فيه غباره، ولا يصل آثاره، ولولا هلك الأجناس، وبلغ السعر مبلغا لم يسمع به أحد من الناس، فإنّه أعان الخلائق بالسلف العام والتصدق والإطعام، إضافة إلى ذلك أنّه كان يسأل عن سعر القمح في السوق فيبيع زرعه بأبخص منه خوفا من زيادة السعر، فإذا انخفض سعر السوق إلى سعره نزل هو بسعره⁽⁴⁾.

كما دعمت السلطة الحاكمة حال القبائل وأوضاعهم خلال النكبات، والأزمات الغذائية، فأعرضت عن أخذ الضريبة المفروضة على القبائل في السنوات العجاف، وهو ما نجده في تصرف محمد باي الكبير سنة 1199هـ/ 1785م، ونجد

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 266.

(2) السلسلة التاريخية (قبل 1881م)، الصندوق 211، الملف 215، الملف الفرعي 0004، رقم الوثيقة 3.

(3) أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، تقديم: محمد بن عبد الكريم، ارتياد الأفاق، الجزائر، 1968م، ص 25.

(4) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، الثغر الجماني...، مصدر سابق، ص 144.

التساهل في التعامل مع القبائل التي تعرف مجاعة، أو جفاف، أو زحف جراد أوقات الأزمات تعرف تأجيل، أو انتظار تحصيل الضرائب الى أزمنة أخرى بتأخيرها، منتظرة تحسن الوضع مثلما كان يعتمد في جلّ مناطق الدولة العثمانية في أوقات القحط والوباء والغلاء⁽¹⁾، وهو الأمر الذي قام به "عبد الله باي" حاكم قسنطينة بعد القحط والفتن التي عرفت قسنطينة سنوات (1803م) (1804م) (1805م)، إذ يروى عن "عبد الله باي" قسنطينة أنه قام في المجاعة التي ألمت بقسنطينة سنة (1218هـ/ 1803م) بحث أهل البادية على مساعدة سگان المدينة بإدخال منتوجاتهم من القمح الى السوق، وبعث برسائل الى وجهاء القبائل يحثهم فيها على السعي في هذا المعروف، كما حفزهم على دفع ما لديهم من فائض للسوق حتى يرفعوا ما حلّ بإخوانهم من ضرر سببه القحط، وسأل أرباب الخزائن، والمزارعين أن يمدوا السوق بما يزيد عن حاجاتهم الخاصة، بل وقام بإرسال من ينظم سوق الحبوب، ويكفل لكل شخص أن يأخذ ما يستد به رmqه هو أهل بيته دونما إسراف، ويدفع للمزارع حقّه دونما بخس؛ فكان لهذا التخطيط من الباي "عبد الله" ودعواته الأثر الطيب على السوق، إذ بدأ استجلاب القمح من أماكن عدّة، ونهض أهل المناطق المحاذية مثل أهل ريغة، وأهل فرجيوّة، وتجنّدوا لامدادها بما تحتاجه من مؤونة حتى ارتفع البلاء، وعمّ الرخاء⁽²⁾.

أيضا من أجل التصدي لهذه الكارثة قام عمر باشا خلال ولايته عام (1230هـ/ 1814م) بتوزيع القمح على الخبازين لتوفير هذه المادة كإجراء على الغلاء الذي أحدثه اجتياح الجراد، وأمر بتخفيض الأسعار كأيام الرخاء خاصة بعد الاقتتال الذي حدث بين الناس على الخير الى غاية حصاد الزرع الجديد الذي أدى الى تراجع الأسعار⁽³⁾.

لمّا تعرض بايلك قسنطينة لمجاعة أخرى في عام 1236هـ/ 1820م، ولم يكن بإمكان تزويد الأسواق بالحبوب، أمر الباي شواشه بالخروج إلى الأرياف لجمع الحبوب المخزنة في مطامير البايك والخواص، حتى ولو اقتضى الأمر استعمال القوة، إلا أنّ الكمية التي توصلوا الى جمعها كانت غير كافية، وقد أدّى الأمر بالأهالي لشدة المجاعة، إلى التسابق نحو الأسواق للحصول على الكميّة القليلة، التي كانت تصل على فترات متباعدة، وكانت عملية توزيع الحبوب غالبا ما تنتهي بمشادات دموية، تعجز الإدارة على ردها، وقد سجّل في تلك الفترة ارتفاع محسوس في عدد الوفيات نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية⁽⁴⁾.

للحرص على ضمان القوت أيضا في ظل الأزمة الغذائية عمل الحكام على توفير القوت للمحتاجين من الساكنة بتزويدهم بالقمح كمادة أساسية، أو العمل على جعل

(1) خير الدين سعدي، مرجع نفسه، ص 266.

(2) العنثري، المصدر السابق، ص 41.

(3) أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 117.

(4) أرزقي شويتم، مرجع سابق، ص 303.

أسعار الخبز ثابتة، وموحدة بين جماعة الكواشين كالاتفاق الذي تمّ بين الكواشة الجيجليين، وكواشة بني ميزاب مثل ما أوردته لنا المصادر؛ كأن تباع ثلاث خبزات بسعر درهم واحد⁽¹⁾.

(1) عبد الله الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر...، مصدر سابق، ص ص 61-62.

1.1. منع تصدير الحبوب

تخضع تجارة القمح لعوامل عدّة كالقحط والوباء الذي ينعكس سلبيًا على الإنتاج لهذا تقرر السلطة إن كانت سترخص للبايات ببيع القمح أم لا، فالداي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)، الذي منع تصدير القمح باتجاه أوروبا سنة 1779م، فقد أثرت تجارة القمح على الجانب الغذائي لسكان بايلك الشرق، لأن كمية الحبوب المطروحة في الأسواق قليلة خاصة في فترة الوباء الممتدة من 1779م إلى 1786م، مما أثر على معيشة الناس وحتى الطبقة الثرية التي تنتسب إلى العنصر التركي، وهو ما دفع بواحد منها أن يتصل بصالح باي ويطلب منهم تزويدهم بما يحتاجون من الحبوب فأجابته: "لابد أن يصبر هو وأولاده حتى يشبع النصارى، وأولادهم" وصل قول الباي إلى الداوي بالجزائر، لأن هذا التركي انتقل إلى الجزائر، وقدم شكوته للباشا وأخبره بما قال له الباي⁽¹⁾، وهذا ما جعل الداوي يسأل صالح باي عن بيع القمح إلى التجار الأجانب، وذكره أنه منع ذلك فأعطاه رسائل الخزانجي، التي تدل على أنه كان يتدخل لدى باي قسنطينة لمساعدة بعض الوسطاء الأجانب، دون علم الداوي محمد بن عثمان باشا الذي منع تصدير القمح باتجاه أوروبا سنة 1779م، إلا أن عملية التصدير استمرت، وهذا ما دفعه إلى مساءلة صالح باي قسنطينة عن أمر وسق⁽²⁾ الزرع، والبقر لأرض النصارى من مرسى عنابة، فأجابته الباي أن الوسق قد وقع بالفعل بعد أن وصلت رسائل الخزانجي، يأمرني فيه بأن نترك الوسق حراً لمن بيده كتاب منه⁽³⁾ فكل من يأتيني بكتاب منه نسمح له بوسق العدد المذكور في الكتاب، وهذه هي كتب الخزانجي، فغضب وأمر الباي لا يسمح لأحد من اليوم بالوسق إلا بكتاب منه⁽⁴⁾، فأمر محمد باشا بإعدامه سنة 1786م⁽⁵⁾.

غير أن هذه السياسة لا يلجأ لها كل الدايات، فالأغلبية لا يوقفون عملية التصدير بل تستمر من أجل توفير أموال لدفع رواتب الجند، وقد سجلت الفواتير الموجودة في الغرفة التجارية صادرات الأيالة من مادة القمح في سنوات الوباء، الذي ضرب في العشرية الأخيرة من القرن الثامن عشر ابتداءً من 1791م، وذلك من خلال ما يتضح في الجدول الآتي.

(1) مجهول (د.ت)، تاريخ بايات قسنطينة_المرحلة الأخيرة، تحقيق حساني مختار، مطبعة دحلب، الجزائر، (د.ط)، ص 11.

(2) من وسق أي الحمل وهي مكيلة معلومة ويقصد بها هنا يكيل ويرسل، انظر يوسف صرهودة، مرجع سابق، ص 659.

(3) يقول صاحب كتاب تاريخ بايات قسنطينة: "بأنه تبين بأن الخزانجي قام بسرقة خاتمه هو ومملوكه الذي كان يتوجه معه إلى الحمام فنزعه منه بعد أن نزع الباشا ثيابه وختم به الرسالة في الحين ثم أعاده إلى مكانه، كما أعاد الرسالة إلى الخزانجي الذي أرسلها بدوره لصالح باي: ينظر إلى مجهول: تاريخ بايات قسنطينة...، نفسه، ص 12.

(4) أحمد شريف الزهار، مصدر سابق، ص 76.

(5) يوسف صرهودة، مرجع سابق، ص 652.

جدول يمثل كميات القمح المصدرة الى مرسليليا من عنابة سنة 1792م⁽¹⁾.

التاريخ	الكمية بالقفيز	القيمة	ملاحظة
10 ماي	300	8400	قيمة القفيز 28 بياستر
	220	/	الشراء من السكان
31 ماي	400	5600	قيمة القفيز 14 بياستر حق الباي 400 بياستر
جوان	340	9520	قيمة القفيز 28 بياستر
25 جويلية	45	1260	قيمة القفيز 28 بياستر
11 أوت	148	2072	الشراء من الباي
	84	1176	الشراء من القبائل المجاورة للحصن
01 سبتمبر	500	14000	قمح الباي قيمة القفيز 28 بياستر
12 سبتمبر	366	10220	//

نستقرأ من خلال الجدول الذي يمثل كميات القمح المصدرة من مدينة عنابة الى مرسليليا، بداية من 10 ماي إلى 12 سبتمبر من سنة 1792م، ترتفع فيه قيمة القفيز بارتفاع الكمية المطلوبة، والعكس صحيح، فيما توضح أن سعر القمح بقي نفسه (28 بياستر)، ماعدا أواخر شهر ماي انخفض سعره الى 14 بياستر، بحيث أن الكمية

(1) يوسف صر هودة، مرجع سابق، ص 652.

المصدرة من عنابة لمرسيليا كانت أكبر من باقي الحمولات السابقة لها من نفس الشهر، إلا أنّ سعرها كان أقل من المبلغ الأول الذي دفعته في بداية شهر ماي. كما أمر حسن باي لأهل سكيكدة بعد بيع القمح سنة 1752م، وكان نصّ الرسالة موجّه الى قبطان الباستيون يقول فيها: «... إنّ أهل سكيكدة أرسلوا إليك لترسل لهم صنادل لأجل كيل القمح وقولهم علي مقتض كلامك... والدّي يبيعه هناك في سكيكدة فلا يلوم إلا نفسه تبقي أنت تنبه بحيث الدّي يقدم الى سكيكدة بقصد كيل القمح نأخذه ولا يكزن في بالك إلا هذا وعليه العمل (كذا)»⁽¹⁾.

2. في مواجهة الجراد

لعلّ أهم ما يستهل الحديث به هو ما قامت به السلطة الحاكمة في بعض الأحيان، وبشكل رسمي عن طريق سنّ مجموعة من التشريعات، والقوانين الوقتية، أو الجزئية غرضها المساعدة على تجاوز الأزمات الراهنة، والتي يذكر من بينها ما قام به " الداي عمر " في التاسع من شهر جويلية من سنة (1227هـ / 1815م)، بفرضه قانون يجبر الجميع سواء كانوا عربا، أو يهودا بأن يقوموا بالقضاء الفوري على أي تجمعات يرونها لليرقات، وأن لا يعطوا لها أي فرصة للتحويل الى الجراد⁽²⁾، وذلك باتباع عدّة طرق لمواجهته فالبعض منهم اعتمد على تحضير فخ له بواسطة قطعة قماش يطلق عليها محليا بالملحفة، أو عن طريق حفرة عميقة للإيقاع بالجراد خاصة النوع الزاحف⁽³⁾، ومن جهة أخرى شكل استخدام الدخان ضد أسراب الجراد لتهجيره، والحفاظ على المحاصيل والزرع، أو حراثة الأرض من أجل التخلص من بيض الجراد لمنع تكاثره، وتحولها الى يرقات كمرحلة من مراحل نمو الجراد، وهي أحد الأساليب المتعارف عليها للقضاء عليه⁽⁴⁾.

3. في مواجهة الزلازل والهزات الأرضية

1.3. الترسيص الجيد للجران

بعدما أحصت الدراسات الحديثة تعرض العديد من المدن الجزائرية، في مختلف الفترات التاريخية منها العهد العثماني، حسب ما أوردته العديد من المصادر لهزّات أرضية، خاصة في القسم الشمالي للجزائر، باعتباره غير مستقرّة جيولوجيا مقارنة بالقسم الجنوبي لها، فقد شهدت مدينة الجزائر لوحدها أكثر من 36 زلزالا ممّا أكّد لحكام هذه المدينة إقامة تقنيات وقائية لتجنب أخطار هذه الظاهرة خاصة في القصبة، وكان أكثر هذه الزلازل ضررا زلزال 03 فيفري 1716م، الدّي حتم على الداي إعادة

(1) يوسف صر هودة، مرجع سابق، ص 653.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 267.

(3) Dr Agnely: le criquet pèlerin, ses invasions en Algérie de 1866. Alger 1866. P 12.

(4) رمزي عبد الرحيم الدسوقي، الجراد، مجلة العلوم التقنية، العدد 32، مارس 1995م، الرياض، ص 48.

بناء المنازل بهندسة، وتقنية أفضل لتقاوم الصدمات المستقبلية⁽¹⁾، طبقا لذلك فرض الداي بعد زلزال 1716م تقنيات مقاومة للزلازل، وهذا لحماية نفسه والمدينة من الزلازل مستقبلا للاجراءات الوقائية، والمتمثلة في الترسيص الجيد للجدران لتكون أكثر صلابة وحصانة، كما تم الاهتمام بنظام المقوسة إذ أشارت الدراسات المعمارية الحديثة، إلى وجود نوعين من أنظمة الأقواس في القصبة؛ قوس الزهرة وقوس حدوة الحصان المدبب⁽²⁾.

قلعة الداوي بمدينة الجزائر



(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 296.
(2) أمينة عبد الصمد، مرجع سابق، ص 269.



الممسوحة ضوئياً بـ CamScanner

في المقابل خففت هندسة النمط المخروطي للعمران من حدة الزلازل أمام هذا المخطط العمراني المتداخل، أضف الى ذلك طبيعة العمران المفتوح داخليا ساعد في الهروب من الأخطار المتكررة للزلازل، فقد خفف من حدة مفعولها الطراز المخروطي في البناء، وأن حركة العمران المتداخل كانت قد تسهلت أكثر بواسطة الشرفات في أعلى كل منزل⁽¹⁾.

فبنيت المنازل بمدينة الجزائر وفق تخطيط موحد ثابت فكانت، ولعل أكثر ما كان يستعمل من مواد البناء في مدينة الجزائر هو الطابي Tappy، وهو نوع من الاسمنت يصنع من رماد الأخشاب، وبقايا النجارة والرمل وتمزج بالزيت، ثم تضرب في القوالب أو المزارع الخشبية لثلاثة أيام متتالية، تصبح بعدها صلبة كالمرمر بالرغم من صلاحيتها السهلة في الاستعمال، وكان يستعمل خليط من الحجارة الصغيرة والطين الكلسي، وبهذا الاعتبار فقد أظهر الجزائريون أنفسهم بنائين مضاهين للرومان⁽²⁾.

2.3. التمتين باستخدام الأروقة

يتم بناء نمط وضعية الاستعداد على شكل أعمدة الحزم (حزمة)، فهي مرنة وتمتن الأقواس المتصلة بواجهة الجدران من أجل ضمان استقرارها⁽³⁾، بذلك كانت تبدو

(1) وليام سبنسر، مصدر سابق، ص ص 59-60.

(2) نفسه ص ص 59، 60.

(3) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 298.

واجهات بناياتهم وأقواسهم، وأرصفتهم تبدو كمجمعات قوية كأنها قد بنيت في الحين رغم قدم وجودها⁽¹⁾ (مثلما يبرزه الشكل الموالي)⁽²⁾.



3.3. تصميم البيوت

إنّ التخوف من الزلازل وبعض الرغبة في المظهر الخارجي قد أديا الى تحديدات في خصوص علو المباني وزخرفتها بمدينة الجزائر، فمعظم المنازل كانت تتكون من طابقين أو ثلاثة⁽³⁾، تشكل طبقات من الطوب وجذوع الخشب والتركيب من المواد المختلفة (البناء الطوبي)، ممّا يزيد من مرونتها بفضل الخشب تسمح بحركة عن طريق اللف عند الزلزال، وهذا النموذج يسمح بامتصاص قوة المرفاع أثناء الهزات، كما تظهر الجدران القليل من الشقوق ممّا يسبب في عدم انهيارها باعتبار أنّ عناصر البناء تلعب دورا هاما في استجابة المباني للزلازل، كما أنّه يوجد اختلاف في المواد، وهذا ما يمنع تشوه كبير في الجدران ممّا يجعلها تستجيب بشكل ايجابي لهزات الزلازل، هذا ما يؤكد أنّ هذه الهزّات تمّ تصميمها لتكون قادرة على مقاومة حمولة الزلازل⁽⁴⁾.

أمّا بالنسبة لطريقة ربط الجدران ببعضها البعض عن طريق العبور البديل لسجلات الخشب، وفي هذه الحالة قد وصف كاريت ذلك بقوله: «لقد لاحظت في هدم البيوت المغربية القديمة اجراء وقائي ممتاز مأخوذ من طرف البنائين لتعزيز الزوايا، وهو ما يتكون في وضع أفقي كل 50 سم في الارتفاع وما يقارب مترين في

(1) وليام سبنسر، مصدر نفسه، ص 61.

(2) amina abd essamed foufa and D.Benouar.op.cit.p 269.

(3) وليام سبنسر، مصدر سابق، ص 61.

(4) أمينة عبد الصمد، مرجع سابق، ص 270.

طول القطع الخشبية، هذه الأجزاء المدمجة في البناء كانت ممتدة لفترات طويلة في نظام البناء»، إن نظام الربط هذا عند الزوايا في غياب أي عنصر عمودي يشكل نظاما تقليديا في تعزيز، وتقوية الزوايا لمنع الجدران من التشقق⁽¹⁾.



4.3. النتوء الحجرية

تشكل النتوء الحجرية الخارجية المدعمة بزوايا قوس من الجدران الحاملة التي تمنع، أو تخفض من شدة الزلازل عند حدوثها وبالتالي عدم الانهيار، كما يؤدي النتوء البسيط الى حركة متذبذبة عند حدوث هذا النمط الوقائي الذي فرضه الداي على السكان، التآرجح تسبب تخفيف حركة النتوء، وامتصاص الهزات عبر مراحل خلال فترة إعادة البناء سنة 1716م، وهذه الاجراءات الوقائية ساهمت في الحفاظ على الهندسة المعمارية خلال الفترة العثمانية التي بقيت آثاره الى غاية اليوم⁽²⁾.
فبعد الزلزال الذي أصاب القليعة سنة 1217هـ/ 1802 زار مصطفى باشا المكان بعينه: " وأمر بإخراج من كان تحت الردم، وأمر بإعادة بناء جامع سيدي

(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 300.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 300.

مبارك، وقال لأهل البلد أنني أبني لأهل البلد ديارهم بعد انتهاء بناء المسجد والزاوية⁽¹⁾.

فالأمر الذي لا بد من الإشارة إليه هو ما خلفته الزلازل من آثار خوف، ورعب في نفوس الجزائريين، وحالة الهلع التي كانت تصيبهم بعد كل هزة، والتي حطمت فيها كل المنازل تقريبا، وألحقت بالحصون والقلاع والكنائس أضرار بالغة⁽²⁾، وسقطت بها الدور والأبراج على أمم النصارى؛ يقصد الأسبان الذين كانوا لا يزالون يحتلون مدينة وهران فأهلكوا بذلك، الى أن أخذ النصارى بيوتا من اللوح، وقيل بأن تلك الزلزلة هي سبب فتحها⁽³⁾، هذه الزلازل دفعت بالعديد الى التفكير عن كيفية إعادة البناء والتعمير بطريقة جديدة تقلل من الخطر والدمار بعد الزلازل، لهذا وكما سبقنا الإشارة إليه تمّ إعادة البناء وفق هندسات حديثة ومقاومة، لأنّ في الغالب وفي ظل الأزمات المتكررة كثيرا ما كان يدفع بالسكان الى نصب الخيام في البوادي، تجنباً لأي هزات مفاجئة وفي هذا الصدد يشير الزهار قائلاً: «... لقد شكلت الزلازل أحد الكوارث الطبيعية التي هددت حياة الساكنة في شكل ضربات فجائية متكررة، مخلفة وراءها العديد من الضحايا ممّا يدفع بهم الى إقامة خيم وأكواخ وترقيع منازلهم»⁽⁴⁾، فزرعت الزلازل الرعب وأصبح السكن تحت الخيام، وحطمت سواقي المدن فزاد السكن العطش وهلك منهم الكثير⁽⁵⁾.

4. في مواجهة الأوبئة

1.4 الحجر الصحي

يعتبر الحجر الصحي⁽⁶⁾ نظام تمّ تطبيقه منذ القدم، بحيث كان يتم اتخاذ التدابير اللازمة من أجل عزل الأشخاص المصابين بأمراض معدية، ففي العهد القديم وجدت إشارات دالة، فعندما كانت تظهر الأوبئة بين الجيوش بعد أدائهم الحروب الطويلة، كانت توجه لهم الأوامر بالإقامة في مكان بعيد سبعة أيام كاملة قبل رجوعهم الفعلي الى معسكراتهم، بحيث كانوا يمررون أجسامهم، وألبستهم، وباقي أدوات نظافتهم من على النار بهدف تعقيمها، وفي اليوم السابع يقومون بغسل ألبستهم، ومن بعد الغسيل تعطى لهم الأوامر بالدخول الى معسكراتهم⁽⁷⁾، ويجري الحجر الصحي أو الكرنطينا عادة عند انتشار مرض معدى، فيطلب من الأشخاص المعرضين للإصابة بالعدوى بالبقاء في

(1) الزهار (أحمد الشريف)، مصدر سابق، ص 83.

(2) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 524.

(3) سعاد آل سيد الشيخ، مرجع سابق، ص ص 102-103.

(4) الزهار، مصدر سابق 155.

(5) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 33.

(6) مصطلح الكرنطينا، أو الحجر الصحي يقصد به عزل الناس عن المناطق الموبوءة بالطاعون، ويطلق عليه أيضا (نظام الأربعينية). للمزيد ينظر الى: صرهودة يوسف، مرجع سابق، ص.

(7) صلاح خيراني، الحجر الصحي- الكرنطينا- في مواجهة الأمراض والأوبئة بالدولة العثمانية (1831-

1923م)، مجلة آفاق فكرية، مج09، العدد02، الجزائر، 2021م، ص ص 64-65.

المنزل، وفي الدولة العثمانية عادة ما كان يطبق على المسافرين في الموانئ لمنع انتشار المرض للآخرين، وكمحاوله للسيطرة على الحالات المرضية، فتاريخيا استعملت هذه الطريقة في نطاق واسع في ايطاليا في القرن الرابع عشر عن طريق عزل السفن القادمة من المناطق المصابة بالطاعون لمدة أربعين يوما قبل انزال ركابها، ومن هنا اشتقت كلمة "Qarantine"، بالإنجليزية وبالإيطالية "quaranta" وتعني 40، وعموما تعتبر هذه المدة جد كافية لتحضين معظم الميكروبات ممّا يسمح باكتشاف أعراض المرض عند الأشخاص المصابين⁽¹⁾، ولا يتم فيها مخالطة أحد حتى يتأكد الأطباء من سلامة الوافدين خوفا من العدوى⁽²⁾، وقد أطلق عليه أيضا مصطلح الحمية⁽³⁾؛ وكان حمدان خوجة قد أشار اليه قائلا: "هي الاحتماء والاحتراز وجعلوا ذلك المحل في مداخل الداخلين اليهم فيمكث الداخلون بتلك الأماكن، مهما توهم الفرنج أنهم أتوا من بلاد بها وباء، الى أن يتحققوا من انقطاع أثرها عنهم"⁽⁴⁾، ويفهم من قوله أنّ هذا النظام الحمائي قائم في الأساس على منع احتكار الوافد، أو الداخل على الماكث، وبالتالي هذا النظام الوقائي لم يكن فقط معرّفا على السواحل، وإنما حتى في المناطق الداخلية خاصة المحطات الواقعة على طرق التجارة البرية إذ شملت هذه الإجراءات المسالك البرية، وهو ما حصل لركب العياشي خلال مروره بالأغواط عام 1663م، بعد عودته من الحجّ قائلا: «ونزلنا الأغواط... وكان الركب أعرابا فقالوا لأهل البلدان: في الركب وباء فلم يتركوا أحد يدخل إليهم... وقد كان التعامل بحذر شديد مخافة العدوى مع الركب الذي يحمل الوباء، أو يشتبه فيه ذلك، وكانوا يدلون الزرع من فوق السور، ويأخذون الريال ويغسلونه، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية أمين، وكان هذا الاجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط، كما تمّ فرض الكرنتينة إلى التجار الآتين من الغرب عام 1755م، عندما كان الطاعون متفشيا بالجزائر⁽⁵⁾».

أيضا من الإجراءات الوقائية المتبعة هي عزل المرضى فقد تعامل سيدنا محمد ﷺ مع المرض بحكمة وحذر، فمنع من الاختلاط، والاقتراب مع الشخص المريض، حفاظا على الصحة العمومية، وصيانة النفس البشرية، فكانت الخطوة الأولى للوقاية من المرض هي عزل المرضى، وعن الأماكن التي تقع فيها التجمعات، وقرار العزل الذي عمل به النبي ﷺ منذ القدم اقتدى به الأئمة، والعلماء من بعده، والذي يتطابق مع

(1) صلاح خيراني، المرجع السابق، ص 64.

(2) حمدان خوجة، اتحاف المنصفين ...، مصدر سابق، ص 138.

(3) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 276.

(4) حمدان خوجة، اتحاف المنصفين ...، مصدر نفسه، ص 70.

(5) رشيد حفيان، مرجع نفسه، ص ص 276-277.

تعريف منظمة الصحة العالمية للعزل غير أنها زادت على عزل الأشخاص عزل البضائع والسلع والأمتعة⁽¹⁾.

2.4 العزل (Isolation)

تتمثل هذه الطريقة في فصل المرضى المصابين بأمراض معدية عن الأشخاص غير المصابين لحمايتهم من المرض، ويكون العزل عادة في البيوت، أو في المستشفيات، وهذه الطريقة غير بعيدة عن تعاليم ديننا الحنيف الداعية لعزل المرضى المصابين

معد، وعدم السماح لهم بالاختلاط⁽²⁾.

سعت السلطة الحاكمة في الجزائر ببعض التدابير كتشديد الحجر الصحي، وتوثيق الدخول والخروج من المدن بتصاريح، وفرض رقابة صارمة على التنظيف وغيرها⁽³⁾، فحسب بعض الدراسات، والتي أشار إليها بعض المؤرخين أن مصدر مختلف الأوبئة التي ضربت إيالة الجزائر خلال القرن 18م، جاءت من بلاد المشرق بسبب الحركة الديمغرافية الكبيرة كانت تتم بين بلاد المغرب، وبلاد المشرق، وهو ما اعتبر بعدئذ بمثابة أهم العوامل في انتقال عدوى، وخطر مختلف الأوبئة الى إيالة الجزائر خاصة عن طريق الملاحة البحرية المتوسطية، ومما يلاحظ في الحالة الصحية سواء في المدن أو الأرياف الجزائرية خلال القرن 18 أنها كانت سيئة، وصعبة جدا، وكانت أغلبها في إطار، وقالب "آفات اجتماعية" مصاحبة لحياة الفرد في الجزائر العثمانية⁽⁴⁾.

يرجح بعض المؤرخين أيضا أن من أسباب انتقال العدوى، وحركيتها في بلدان المغرب الحدودية، أو بلدان جنوب أوروبا، وحتى بلاد المشرق، هو الصلات والانفتاح الجغرافي لإيالة الجزائر سواء كان ذلك تجاريا، أو عسكريا، وغيرها من العلاقات، وبأن مختلف الأمراض الفتاكة كالطاعون، والكوليرا، والجدي، والسل كانت تنتقل من مواطنها الأصلية خلال توافد التجار، والحجاج، والطلبة من المشرق إلى الموانئ الجزائرية⁽⁵⁾.

يقرّ لنا أحد المعاصرين لانتشار الأوبئة خلال القرن 18م في إيالة الجزائر، ألا وهو نقيب أشرف الجزائر (الشريف الزهار) من خلال مذكراته أنه في سنة 1201هـ

(1) نجمة موالكية، مرجع سابق، ص ص 124 - 125.

(2) محمد لونيس، أهمية الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي في الوقاية من الأمراض المعدية، مجلة التمكين الاجتماعي، مج 02، العدد 02، الجزائر، جوان 2020م، ص 83.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص ص 243 - 244.

(4) سمية مشوشة، الاسطوغرافيا التاريخية تؤرخ للحالات الوبائية ببلاد المغرب خلال القرن 18م- الرحلات أنموذجا، مؤتمر دولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 93.

(5) ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 88.

جاء الوباء... قيل أنه أتى من بحر الترك في مركب رجل يدعى ابن سماية، وطال الوباء بالجزائر الى سنة 1211هـ⁽¹⁾، بالإضافة إلى المعاملات والمبادلات التجارية، مع بعض الدول الأوربية التي كانت تصدر لها الجزائر، وتستورد بعض السلع والمنتجات، التي قد تكون في بعض الأحيان حاملة، وناقلة للأمراض على غرار الأصواف، والجلود، والأغطية، والأقمشة⁽²⁾.

جدول يبين أهم الأوبئة التي ظهرت في ايةال الجزائر من 1702 – 1816م⁽³⁾.

سنة الوباء	طريقة انتقال الوباء	أهم نتائجه
1702م	/	تسبب في مجاعة مرعبة نتجت عن قلة الانتاج الفلاحي
1720 وباء الطاعون	سفينة انجليزية رست بميناء الجزائر	نتج عنه قلة الانتاج وتخوف الشركات الفرنسية من وقف عمليات التصدير.
1740-1741م	قوافل تجارية قادمة من المغرب	انتقال العدوى عن طريق البر
1752-1753م	أتى مع السفن القادمة من الدولة العثمانية	قرر باي بايلك الشرق منع القبائل من بيع القمح للباستيون
1787م- الوباء الكبير 1797م	/	منع تصدير القمح بقرار من الداى
1816 الى 1822م وباء السبع سنوات	/	ظهر بمدينة عنابة بدخول احدى السفن قدمت من الاسكندرية وبمدينة الجزائر

يوضح لنا الجدول انتشار الأوبئة خلال القرن 18 والثالث الأول من القرن التاسع عشر، وتعدد طرق انتشاره أوساط المجتمع الجزائري، منها ما انتقل عن طريق القوافل التجارية، منها ما أتى مع سفن قادمة من اسطنبول أو ركب الحج، والذي كان

(1) الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 51.

(2) رضوان شافو وعمر لمقدم، نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج01، ع01، الجزائر، جوان 2017م، ص 75.

(3) يوسفى صر هودة، مرجع سابق، ص 649.

له نتائج وخيمة، فتسبب وباء 1702م بمجاعة مرعبة التي نتجت عن قلّة الانتاج الفلاحي، ما أدّى الى موت الكثير من الناس بسبب الوباء والجوع، كما كانت هناك قرارات تحسب لصالح حكام الجزائر، كمنعهم تصدير القمح والحبوب في ظل تعرض الجزائر لهذه الأوبئة والمجاعات الفتاكة، كالقرار الذي اتخذّه الداوي سنة 1787م. كما نشير في الجدول التالي الذي يوضح لنا نشاط التجارة الخارجية مع أوروبا من خلال التواجد المكثف للسفن الجزائرية بأوروبا ما بين 1801-1816م⁽¹⁾.

برشلونة	83 سفينة
مرسيليا	67 سفينة
ليفورنه	05 سفن
مالطة	22 سفينة
المجموع	177 سفينة

نلاحظ من خلال الجدول الذي يوضح الحركة التجارية بين الجزائر، والعديد من مدن الدول الأوروبية على غرار برشلونة (إسبانيا)، مرسيليا (فرنسا)، ليفورنه ومالطه (إيطاليا) خلال الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وهو ما يعكس عمق العلاقات التجارية، أمّا تزايد النشاط التجاري وتراجعته نحو الموانئ الأوروبية فيرجع لطبيعة العلاقات السياسية أولاً، كما أنها مرهونة بالوضع الصحي داخل الجزائر، أي في ظل انتشار الأوبئة في الأقاليم يتراجع نشاطها التجاري مع الدول الأوروبية.

كما نقف أيضاً على بعض المساعي التي حاول تطبيقها عدد من دايات، وبايات الجزائر، كما هو الحال بالنسبة لداوي الجزائر "محمد بن عثمان خوجة" خلال سنة 1781م، إذ رفض السماح لأحد السفن الفرنسية القادمة من مرسيليا، والمحملة بالبضائع المختلفة الرسو في ميناء مدينة الجزائر لاشتباه إصابة طاقمها بالطاعون، لكن هذا لم يكن ناجحاً إذ قام مجموعة من الأشخاص بمساعدة هذه السفينة على النزول في مدينة عنابة، وتسرب أيضاً هذا الوباء حينها عن طريق البرّ الشرقي للإيالة⁽²⁾.

الأمر عينه نجده عند "صالح باي" حاكم قسنطينة الذي يقوم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وبالضبط في سنة 1787م، بفرضه طوقاً على المناطق المحاذية لتونس، وهذا لمنع دخول الوباء الذي كان منتشرًا بها، وفرض حزام صحي حول عنابة، ومنطقتها لمنع انتقال العدوى الى مدينة قسنطينة⁽³⁾، كما أصدر أوامره للقبائل القريبة من تلك المضارب بأن تلتزم الامتناع عن التعامل مع القبائل التونسية الى أن

(1) ناصر الدين سعيدوني، أوراق في تاريخ...، مرجع سابق، ص 161.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 249.

(3) ناصر الدين سعيدوني، والبوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، مرجع سابق، ص 88.

يظهر خلو القبائل من الطاعون، وهو بذلك يحاول لا محالة السيطرة على حركة التنقل الدائم المساعد على تفشي الأوبئة⁽¹⁾، فمن خلال إحدى الرسائل المخطوطة غير المؤرخة ورد فيها: « الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع أموره إليه المعظم الأرفع الهمام الأنفع الصدر الوجيه الأمنع مولانا السيد صالح باي أعزه الله تعالى أمين الي خديمنا قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن كتابكم ورد علينا، وعلما مافيه من أنكم تريدون الغلق من الوباء لكونكم سمعتم به في عنابة ماذكرتم لنا علمناه تعلم ، وأننا لم نسمع بذلك، ولا عندنا منه شيء، وأنتم حيث أردتم الغلق فأغلقوا، وكتب عن المسمى أعلاه دام عزه وعلاه أمين»⁽²⁾، والواضح أنّ ما ورد في هذه الوثيقة يؤكد احترام هذا البايع لتطبيق هذا النظام الوقائي ضمانا لسلامة رعاياه، وقبل هذا وبالضبط في سنة 1785م سارع فرسان الحامية العثمانية المرابطة بمدينة عنابة أيضا الى إقامة حزام صحي حول هذه الأخيرة، بغية الحيلولة دون تسرب عدوى الطاعون الى سكان هذه المدينة من القبائل المصابة بهذا المرض الفتاك في نواحي القالة، وسهل عنابة، والملاحظ أن هذه الاجراءات قد كانت صارمة بهدف منع أو التقليل من حدوث خسائر كبيرة⁽³⁾.

وكإجراء وقائي قام باي بايلك الغرب محمد الكبير فاتح وهران هو الآخر الذي حرص على تطبيق إجراءات العزل ففي فترة حكمه تفشى الطاعون في بايلكه، حينها عزل نفسه، وحاشيته عن الناس مدة طويلة في بادية ببلاد أولاد سليمان، ونصب هناك خيمة حمراء كبيرة من الوبر حتى سميت تلك السنة بعام الخيمة الحمراء⁽⁴⁾، وفي السياق نفسه أشار مسلم بن عبد القادر في أنيس الغريب والمسافر قائلا: «... وحدث في أيامه الطاعون الذي لم يحدث في هذا الاقليم قبل ذلك قط، مات به الجلّ من الناس، وخرج البايع بأهله ومخزنه، فارا منه وظعنوا ظعون الأعراب البادية زمانا طويلا...»⁽⁵⁾

هذا وقد سار على خطاه ابنه البايع عثمان حاكم وهران⁽⁶⁾، الذي تخوّف عام 1794م من انتشار الوباء بناحية وهران، والتجأ الى سهول مليئة ليقيم بها ثلاثة أشهر بعيدا عن أي اتصال بالسكان⁽⁷⁾، وكما سبق وذكرنا أن ردود أفعال بعض البايات المسيرين ذوي الكفاءة والمقدرة، وحسن التصرف الذين عرفوا بالعمل على تحسين

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 249.

(2) حبيبة عليش، الحجر الصحي في الجزائر إبان الفترة العثمانية (926- 1246هـ/ 1519- 1830م)، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 04، العدد 01، الجزائر، شهر جوان 2022م، ص 137.

(3) سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 463.

(4) المزاري، طلوع عد السعود...، مصدر سابق، ص 297.

(5) ابن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر...، مصدر سابق، ص 64.

(6) سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي...، مرجع سابق، ص 103.

(7) سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص 88.

الحالة الصحية للسكان، وذلك باتخاذ بعض المصحات و الملاجئ، وفرض نظام الحجر الصحي على القادمين الى الايالة، وكما تجدر الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه الباي محمد الكبير على غرار بعض البايات، والذي تميّز بمعارفه الطبية الواسعة حيث كان يصنع بعض الأدوية، فكان طبيب الفقراء بحيث كان يوزع الأدوية مجاناً، كما شجع الشيخ عبد اللطيف على تأليف كتاب حول الطب النبوي عنوانه: "المنهل الرّوي والمنهج السّاوي في الطب النبوي"، كما طلب من كاتبه ابن سحنون تأليف قاموس طبي⁽¹⁾.

كما أشار صاحب لسان المقال الى تدابير الحجر الصحي التي اتخذها الدّاي بوضوح في قوله: « وفي ثالث رجب الموافق لآخر يوم من يوليو قدم علينا مركب من الاسكندرية بالحجاج وفيه الوباء، فمنعهم الباشا من الدخول حمية من أن يقوم ممرض على مصح الى الثامن عشر، الموافق للخامس عشر أوغست، أذن لهم بالدخول بعد تحقق من سلامتهم من المرض المذكور» وكان هذا سنة 1156هـ/ 1743م⁽²⁾، وفي عهد الداوي ابراهيم باشا تمّ إصدار قرارا رسميا بمنع دخول الحجاج بعد شكه في حملهم للوباء، وقاية من أن يدخل حاملوا المرض على أهل البلد السالمين من الوباء، وينقلوا عدواهم بينهم، وهذا هو هدف نظام الكرنطينة، وللإشارة أيضا أنّ هذا الحجر الذي طبقه الدّاي لم يدم أربعين يوما بعدد أيام الكرنطينة؛ بل دام حوالي خمسة عشر يوما فقط، لكن حسب المقولة يتبين أنّه لم يسمح للحجاج بالولوج الى المدينة إلاّ بعد تأكده من عدم حملهم للوباء، فمن خلال هذا نلاحظ أنّ الدّاي كان يؤمن بضرورة العزل، والحجر الصحي لضمان عدم انتقال العدوى المرضية⁽³⁾، كما جاء في بعض التقارير، والمقالات الصحفية التي تحدثت عن الأوبئة، فأدّت في الكثير من الأحيان الى الإلغاء المؤقت لموسم الحجّ، كما أشارت تقارير أخرى حول ترحيل الحجّاج التونسيين والجزائريين، الذين لا يحملون جوازات سفر، أو وثائق تثبت سلامتهم من الأمراض، وحققهم في الحج⁽⁴⁾، كما أصبح نظام الحجز إجراء ضروريا، فلم يعد يسمح بنزول الحجاج من السفن عند انتشار عدوى الوباء، حتى يتأكد من سلامة الحجاج من الطاعون⁽⁵⁾.

في هذا الصدد، ونتيجة لهذا الوضع اضطر مستخدمي الشركة الافريقية أن يطلبوا من باي قسنطينة، سالف الذكر في رسالة عاجلة بتاريخ الرابع والعشرين من

(1) كامليا دغموش، مرجع سابق، ص ص 170، 271.

(2) ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، مصدر سابق، ص ص 114 - 121.

(3) حبيبة عليش، مرجع سابق، ص 136.

(4) - FPC _ A _ 0276 bis – 0001 – 0001.

(5) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 79.

جوان

1822م، السماح لهم بغلق المركز التجاري التابع لهم بالمدينة نفسها، فسارع هذا الباي الى تلبية طلبهم في يوم الرابع جويلية من نفس السنة⁽¹⁾.

نشير أيضا أنه في عهد الداي حسين آخر دايات الجزائر الذي كان أكثر حرصا، وتطبيقا لاجراءات الحجر الصحي، ففي سنة 1823م وصلت سفينة مالطية الى ميناء مدينة الجزائر، ليخرج لها قائد المرسى مع قنصل ومترجم ذلك البلد في زورق، فإذا وصلوا لتلك السفينة، فعلى قبطانها التحدث معهم من ناصية المركب ليخبرهم إذا كانت السفينة تطبق الكرنتينة أم لا، ففي حال كانت تطبقها فإنهم يحترمون ذلك، ولا يصعدون على متنها، أما إذا كانت السفينة لا تطبق الكرنتينة فإنهم يصعدون عليها ليكملوا إجراءات إرساء السفينة في الميناء⁽²⁾.

ما لا يغفل عنه أنه في السنوات الذي زالت فيها الأوبئة، والأمراض سعت فيهما سلطتي الإيالتين الجزائرية، والتونسية من خلال مراسلات تتعلق بتنظيم موسم الحج، والتعاون الجزائري التونسي لنقل الحجيج، وإنشاء قاعة خاصة، ومشاركة للمرضى في حال أصيب أحد الحجّاج بذلك، وتقديم العلاج اللازم لهم⁽³⁾.

فمن خلال هذا يتبين بوضوح أن بعض الدايات، والبايات كانوا صارمين في تطبيق نظام الكرنتينة بالإيالة، خوفا من انتشار الأمراض، وتفشي الأوبئة عن طريق العدوى، وما يؤكد هذه الحقيقة هو ما ورد في تقرير سري أعدّه وزير الحربية الفرنسي عام 1830م، الذي أشار فيه أنّ الحكام الجزائريين قد طبقوا العزلة عند حدوث وباء معين، وهنا يجدر التأكيد على أنّ ما جاء في هذا التقرير كان في غاية الوضوح⁽⁴⁾.

(1) سعيدوني، ورفقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 462.

(2) الزهار، مذكرات الشريف الزهار...، مصدر سابق، ص 152.

(3) - FPC _ A 8 0276 BIS _ 0003 _ 0025.

(4) مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2012م، ص 57.

3.4 الحجر على منطقة الوباء

يؤدي هروب الناس من الوباء الى انتقاله من منطقة الى أخرى، فيجتاح المرض البلدان والقارات، ولا تستطيع الدول التحكم في المرض إلا بمنع الناس من السفر، والحجر عليهم بالقوة، وبالرجوع الى السنة النبوية الشريفة نجدها قد سبقت العلم الى هذه الخطوة؛ حيث منع النبي ﷺ من القدوم على الوباء، ومنع من الفرار منه⁽¹⁾، والأحاديث النبوية الآتية توضح ذلك قول الرسول ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»، ويتضح لنا من خلال السنة النبوية أنّ التشريع الاسلامي قد سبق التشريعات الأخرى في محاربة الأوبئة، فالقوانين الصحية الدولية لم تتحدث عن العزل، والحجر الصحي إلا بعد قرون من المعاناة الانسانية⁽²⁾، إلا أنّ المعلومات التي تتضمنها المصادر، والمراجع المتعلقة بموقف البايات من أوبئة الطاعون التي أصابت الجزائر، توحى بأنه كان هناك بعض التقصير من طرف بعض البايات الذين لم يكونوا مباليين بالحالة الصحية للسكان، وكان ردّ الفعل هو الفرار والهروب شائعا لدى أغلبهم، ففي سنة 1794م على إثر الطاعون الذي ضرب مدينة وهران، فرّ الباي عثمان من المدينة، واتجه الى سهل ملاتة، إذ ترك الوباء أثرا مرعبا في ذاكرة سكان البايك، أما الباي وعائلته وحاشيته، فلم يعودوا للقصر إلا بعد ثلاثة أشهر؛ وفي هذا الخصوص يقول الباحث أبو القاسم سعد الله، بالنسبة لموقف البايات من الأوبئة والأمراض: «فإننا نجد تقصيرا كبيرا، ويعود ذلك الى عدم وجود سياسة واضحة لمواجهة مثل هذه الوضعات الصحية، وفي بعض الأحيان يفرّون من الوباء مع عائلاتهم الى مناطق معزولة عن السكان، ولا يعودون إلا بعد اختفائه⁽³⁾».

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ الفرار من مكان الوباء كان أمرا حتميا، لجأ إليه السكان أثناء فترات العدوى بصفة مؤقتة، إذ كان يستحيل عليهم مغادرة أملاكهم، وأراضيهم بصفة نهائية؛ ففي سنة 1817م إثر وباء الطاعون فرّ اليهود القاطنين بوهران، والتحقوا بالأماكن المجاورة⁽⁴⁾.

4.4 حجر السلع والبضائع

قد تزيد السلع والبضائع من الوضع سوءا، التي غالبا ما تنتقل العدوى عن طريقها، كما شكلت الجلود المصدرة من الجزائر الى ميناء فالنسيا الاسبانية عاملا لانتقال

العدوى، ممّا أدّى بهذه الأخيرة الى اتخاذ نظام حمائي (الكرنتينة) ضدّ التجار اليهود

(1) نجمة موالكية، مرجع سابق، ص ص 128.

(2) ktsi، ص 129.

(3) دغموش كاميليا وحمدادو بن عمر، مرجع سابق، ص 345.

(4) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني...، مرجع سابق، ص 269.

الوافدين من اية الجزائر، تجنباً لخطر العدوى التي قد تلحق من خلال السلع، والبضائع التي يحملونها اليها مثلما تبيته رسالة محافظ الصحة بمرسيليا عام 1792م⁽¹⁾، وانتشار الطاعون عن طريق الحدائين، أو عن طريق كومات الصوف الموجهة من عنابة الى فرنسا شهر ماي 1786م⁽²⁾، ما أدى إلى اتباع إيطاليا أيضا لنظام الكرنتينة مع ايلات الدولة العثمانية حسب ما تدليه احدى الوثائق ونصها كالآتي: «... أبطلت الكرنتينة على الواردين من مراسي جزيرة قبرص واكتفت بثلاثة أيام... ومراقبة بقية مراسي السلطنة العثمانية، وبعض البضائع من شأنها نقل المرض فإنها ممنوع دخولها بمملكة إيطاليا...»⁽³⁾.

5.4. تطهير قنوات المياه ودورها في الوقاية الصحية:

تعتبر عملية تطهير قنوات المياه من أهم الوسائل الوقائية ضد الأمراض، خاصة تلك التي تعرف بالأمراض المتنقلة عبر المياه، ويشير ناصر الدين سعيدوني أن الحكام العثمانيين في الجزائر يعود إليهم الفضل الكبير في تنظيم قنوات المياه، وتسخيرها في استغلال الزراعة، وتلبية حاجيات السكان، فحرص العديد من الدايات بالقيام بالأعمال الخيرية في مجال المنشآت العمرانية مثل الآبار والعيون، والسواقي، والأحواض والصحاريج، والقنوات المشكلة للشبكة المائية، باعتبارها كانت محلّ اهتمام، والتي أحدثوا لمراقبتها وصيانتها جهازا إداريا أكلوا الاشراف اليه إلى أمين الصندوق أو خوجة العيون، ووضعوا تحت تصرفه مجموعة من الموظفين من الكتّاب والشواش وهذا نظرا لأهميتها البالغة ودورها في الوقاية الصحية⁽⁴⁾، ومن أهم هذه القنوات والعيون تلاواملي (1550م)، الحامة (1611م)⁽⁵⁾، أمّا العيون عين الأزرق (1179هـ/ 1766م)، عين تيقصرايين (1212هـ/ 1799م)، عين سبع عيون (1223هـ/ 1824م) وغيرها⁽⁶⁾؛ كما عملت السلطة الحاكمة بالاهتمام بنظافة المدينة، والتي كان لها دورا هاما في الوقاية، وكانت هناك هيئة خاصة يشرف عليها قائد عمال النظافة مهمتهم جمع النفايات، وهذا ما أرخه أحد العلماء وهو "لاكوندامين" (عالم الرياضيات) يقول في الجزائر نظافة لا نجد فيها قممات، ولا أوساخ كالتّي نراها في تولون، إلاّ أنّه هناك بعض الشهادات عن مدينة الجزائر التي تقول أنه كان بها شوارع قذرة، وضيقة بعضها لا يتسع حتى لاثنين من المارة، وهذا للمرور بسهولة، وفي الشوارع الأكثر اتساعا كان

(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 280.

(2) فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني...، مرجع نفسه، ص 247.

(3) -ANT _ FA 1881 _ H _ 0068 _ doc 276.

(4) بوحجرة عثمان، مرجع سابق، ص ص 65.

(5) ناصر الدين سعيدوني، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، 1415هـ/ 1995م، ص 71.

(6) سعيدوني، من المظاهر الأثرية...، مرجع سابق، ص 71.

الرجل يزاحم الجمال، والحمير، وكثرة الفئران، وكانت رائحة الأوساخ، والنفايات منتشرة بكثرة⁽¹⁾.

6.4. البناء

هي عبارة عن مساكن محاطة بسور محكم لها بابا مغلق مفتاحه عند إمام الجامع⁽²⁾، فيها طباخون ومطبخ، ويقدمون الطعام، والفراش بأجرة معينة من غير الاختلاط بأحد، مع مراقبة شديدة للمسافرين، ويغلق عليهم الباب ليلا ولهم حمام فيه بيوت بمغاطس ساخنة لمن يريد ذلك بمقابل، دون الاختلاط بينهم ما عدا المتشاركين في عدد الأيام الموحدة بينهم، ولهم أبنية كثيرة كما لهم موضع في جهة المدينة يتقابل فيه أهل المدينة مع من لهم حاجة شريطة عدم التماس بينهما تجنباً للعدوى، فيتكلمون ما شاؤوا لكن تحت رقابة الحارس خوفاً من تبادل الأشياء بينهما⁽³⁾.

7.4. محاربة ظاهرة البغاء

لقد ضببت السلطات التركية مراكز البغاء، وأوكلت لها مشرفاً أو مزواراً، وهذا الاجراء كان له الأثر في عدم انتشار الأمراض المتنقلة، وإن كان "فونتير دي بارادي" (Venture de paradis) قد رأى أنّ هذا الاجراء الوقائي صائب، وظاهرة البغاء كان قد اتخذها بعض الحكام نزولاً لرغبات الانكشارية الذين كانوا يمنعون من الزواج، وتشجيع السلطة العثمانية على الحياة العزوبية في الأوساط العسكرية، الأمر الذي أدّى بالانكشاريين الى الانغماس في حياة المجون، الذين كانوا يتجهون الى الفنادق ويكثرون غرفاً لاستقبال هؤلاء النساء⁽⁴⁾، وقد أشار في هذا الصدد سيمون بفاير أنّ الدولة كانت تغري المجندين الجدد من الأتراك بالحضور الى الجزائر، حيث يباح لهم أن يتمتعوا بحياة داعرة لا رادع لها ولا واعز⁽⁵⁾، فانتشر البغاء الذي أخذ شكلاً رسمياً في

الجزائر، ولتنظيم ذلك العمل كلف موظف سامي خاص عرف بـ "المزوار" بتنظيم عمل البغايا، وهو يشبه مدير الشرطة القضائية له سلطة مطلقة على هذا النوع من النساء، حيث يقوم بتسجيل اسم الفتاة التي تتجه لهذا العمل في سجل خاص، وكان عدد البغايا حسب هايدو كبير بمدينة الجزائر، ويشير الباحث عثمان بوحجرة في هذا الصدد قائلاً:

(1) بوحجرة عثمان، مرجع نفسه، ص 66.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 281.

(3) حمدان خوجة، اتحاف المنصفين...، مصدر سابق، ص ص 139، 140.

(4) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 77.

(5) سيمون بفاير، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص، ص 92.

« فإن الأتراك بإجرائهم هذا، واتخاذهم البغاء حرفة رسمية منظمة استطاعوا أن يمنعوا انتشار الأمراض المتنقلة، وإن لم يكن ذلك هدفهم الرئيسي»⁽¹⁾.

إضافة الى أن تطبيق الحجر الصحي، وعدم السماح للأهالي بالتجمعات، والالتقاء والاختلاط، يقلل من حدة فتك وانتشار الأوبئة بالنسبة للإنسان، وهكذا تكون الانعكاسات والعواقب النفسية، والديمغرافية، والاقتصادية للأوبئة أقل حدة، ولعل هذه النقطة الأخيرة تبيّن مدى أهمية القيام باتباع الحجر الصحي، في التخفيف من التأثيرات السلبية

للأوبئة، وكذا محاربة نتائجها الوخيمة⁽²⁾، وهذا أمام عجز الإنسان على مرّ العصور في مواجهة الكثير من الأوبئة، خاصة إذا كانت جديدة أو مستجدة، ولتفادي مواجهة هذه الأخيرة دون خسائر كبيرة فالحجر الصحي كان ولا يزال هو الحلّ المثالي لمثل هذه المواقف، والجدير بالذكر أنّ مواجهة الأوبئة دون الحجر الصحي يكفّر ويرهق المنظومة الصحية للدولة، أو السلطة، حتى وإن أثبتت فعالية وسائل التطبيب عند السكان، خاصة وأنّ الفترة المدروسة عرفت بوسائل التطبيب التقليدية⁽³⁾.

لعلّ من النقاط الرئيسية التي تؤكد على مدى أهمية الحجر الصحي- الكرنطينة- هي أن عمل هذه الأخيرة يعتبر من الأساليب الوقائية الأولية التي تعمل على خفض معدل ظهور مرض معين وكذا استفحاله، ونظرا لما تكلفه الإصابة بالأوبئة من خسائر بشرية، واقتصادية تغدو من أهمية الوقاية من الأوبئة بالحجر الصحي واضحة في ظل عدم وجود علاج مؤكد⁽⁴⁾.

أمّا نظرة بعض السكان اتجاه الأمراض والأوبئة تميزت بالاستسلام وقبول القدر، حيث فسروا كل الجوائح التي تسلطت عليهم بإرادة الله مهما كانت، سواء بيئية أو حرائق أو مجاعة أو فيضانات ما جعلهم يرددون أبيات شعرية⁽⁵⁾.

الحبوبة جات في البلاد

يا ربي احفظ قبيلتي	وصل الطاعون للبلاد
يا ربي احفظ دوايري	وصل الطاعون لقبيلتي
يا ربي احفظ خيمتي	وصل الطاعون لدوايري
يا ربي احفظ راسي	وصل الطاعون لخيمتي

إلا أنّ هذا الإستهتار واللامبالاة لا ينطبق على عامة الناس أثناء وقوع الوباء، إذ يتحدّث الأب "بواير" عن قيام أحد السكان باستفساره عن الطرق الأمثل لتجنب

(1) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 78.

(2) حبيبة عليش، مرجع سابق، ص ص 132-133.

(3) أرزقي شويتم، مرجع سابق، ص ص 402-406.

(4) حبيبة عليش، مرجع نفسه، ص 133.

(5) جمال الدين عمراوي، مرجع سابق، ص ص 235، 236.

الوباء، فلمّا شرح له ذلك نقل لنا الأب أنه وجد هذا الشخص يقوم فعليا بكل ما من شأنه تجنبه، وأهله خطر الإصابة بالوباء، فيقوم فعلا بعدد من الاحتياطات؛ إلا أنّ الأب "بواير" رأى أنّها قد لا تكون كافية، إذ معظم السكان لا يلتزمون بهذه الاحتياطات (1). غير أنّ ما يهمنّا في هذا الكلام هو أنّه وجد فعلا من كان يستفسر، ويسأل عن الاحتياطات الواجب اتباعها في حالة الإصابة أو ظهور الوباء، وهو ما يعني ضمناً أنّ الموقف من الوباء، والتعامل معه ضمن الفئة الواحدة كان يختلف، وبالتالي فلا يمكن أن نصدر حكماً مطلقاً يدخل في ضمنه جميع أفراد الفئة الواحدة من نفس المجتمع. أمّا تصرف فئة النصارى، واليهود عند وقوع الأزمات الصحية، والغذائية فقد كانوا أشدّ حيطة، إذ نرى العديد من الآباء أو الرحالة يشيرون الى محاولة عدم الاحتكاك مع المرضى، أو مع العامة تجنباً لمسببات انتقال المرض إليهم، كما نجدهم يقومون بإلغاء بعض الاحتفالات الدينية التي كانت ترعاها الكنيسة خوفاً من تفشي الوباء، وقد تمّ فعلاً إلغاء العديد من الاحتفالات، والمناسبات الدينية في مدينة الجزائر سنة 1741م خوفاً من الوباء (2).

الأمر نفسه نقف عليه فيما يورده الأب "أرنولت باسو" إذ يشير الى التعليمات التي ألزم بها المسيحيون ممّن تشبه بإصابته بالطاعون، أو الجدري، أو شيء من هذا القبيل؛ فتحدّث عن ضرورة أن يقوم المصاب بالمرض بالأمور السياسية للعبادة وحده وبعيدا عن الاحتكاك، فيضمن على الأقل عدم انتقال المرض في حالة ثبوته من المريض الى غيره، كما أنّه كان يحضر على المريض الدخول مباشرة للاعتراف بذنوبه الى خلوة الرهبان، إلاّ ومعه من يدق بجرس صغير للدلالة على أنّ الوافد للاعتراف هو شخص مريض؛ ويحمل الأخير معه إسفنجة تكون مبلولة بالخل من أجل التعقيم، على أن يبقى طيلة فترة الاعتراف بعيدا بمسافة عن الرّاهب تختلف هذه المسافة باختلاف مرحلة المرض، وظهور أعراضه على المصاب، بل تورد هذه المصادر أنّ المصاب كان مضطرا قبل دخوله الكنيسة إن سمح له بذلك أن يغسل وجهه وكفيه بالخل (3).

من أوجه الاحترازات التي كان يتخذها اليهود ما ذكرته "لوسي فلنسي"، أنّ اليهود كانوا بمجرد أن يلاحظوا أنّ الوباء انتشر في مدينة الجزائر يقوم المكلف بطائفة اليهود بالمدينة، وعلان حضر شراء الألبسة من الأهالي، خوفاً من انتقال الوباء عن طريق هذه الألبسة، كما يشير "فيشرا" في يومياته أنّهم إذ تبين لهم استمرار الطاعون لفترة طويلة ألزموا فتيانهم البالغين بالزواج خوفاً من انقطاع النسل، واعتقاداً منهم

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 271.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 271.

(3) نفسه، ص 272.

بجدوى هذا الأمر في التقليل من أثر الوباء⁽¹⁾، فكانت نظرة المجتمع آنذاك أنه السبيل الوحيد للحفاظ على النسل، ولو كان الأمر ضعيفا إذ يبدو في غاية الصعوبة، وأن استئصال هذه النكبات لا يكون إلا بالزواج لمواجهة فترات الأزمة⁽²⁾.
أيضا من الأمور الوقائية لليهود نجد أنهم كانوا يتجنبون الأماكن المكتظة، ولا يلتزمون بحضور الجنائز، وإن مات أحدهم غسلوه بالماء، وطيبوا جثته بالكافور والأعشاب⁽³⁾.

أما الطبقة العامة من الشعب فلم تكن كلها بنفس المستوى، ما لم يتح لها حماية نفسها من أعراض تفشي الأوبئة، وهو ما جعل العديد من الأوبئة تجد في سكان الأيالة الحاضنة الممتازة للأوبئة وانتشارها، وبالتالي فإن أصل هذه الأمور يكمن في البنية الذهنية داخل المجتمع في حد ذاته، فحتى لو افترضنا أن السلطة ظلت مقصورة في واجباتها الأساسية لمنع تفشي وانتقال الأوبئة، فإن المجتمع بدوره وذهنيته ساهم في بقاء الأوبئة وتفشيها؛ وبالتالي فكل من السلطة الحاكمة بتعنتها، والسكان بجهلهم للتدابير الأساسية ساهما في سوء الأوضاع خلال الأزمات الصحية، والأزمات الغذائية⁽⁴⁾.

5. السياسة المنتهجة للحكام العثمانيين في ظل تعرض الأيالة للأزمات الصحية

من باب التذكير فقط القول أن الفترة التي ندرسها، والتي تمتد على مسار مائة وثلاثين سنة، والتي حكم خلالها أكثر من واحد وعشرين دايا، وشهدت فيها الأيالة خلال هذه الفترة ما يقارب ستة وعشرين وباءا وأكثر من عشر مجاعات، وأن حصر كل تصرفات الدايات غير مستطاع حاليا، كون اختلاف ذهنياتهم، وشخصياتهم وحتى في طريقة معاملاتهم للسكان، وإدارتهم للحكم، فمنهم من سعى جاهدا لإدارة البلاد والنهوض

باقتصادها، وتقوية جيشها والاهتمام بمختلف الأمور، ومنهم من كان غارقا في اللهو والمجون، ولا يهتم من الحكم إلا السلطة، وتسيير مصالحه الشخصية على حساب تعاسة الساكنة وبؤسهم، لذا سنحاول أن نضرب أمثلة لتصرفاتهم في مواطن مختلفة، وفي فترات متباينة حتى تكون الصورة واضحة⁽⁵⁾.

تشير بعض المصادر على غرار ما أشار إليه "غيون"، أن من بين أحد الأسباب المباشرة في انتشار الطاعون هو تغافل بعض الدايات عن الإجراءات الوقائية، والاحترازية لمنع انتشار الوباء، ويعود ذلك سنة (1130هـ / 1718م)، الذي

(1) نفسه، ص 261.

(2) يوسف صرهودة، مرجع سابق، ص 653.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 262.

(4) نفسه، ص 263.

(5) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 273.

تمثل في عدم أخذ السلطة لزاماً المبادرة، وتوجب عليها عدم السماح لإحدى السفن القادمة من الاسكندرية، والتي تحوم الشكوك حولها كونها كانت تحمل الوباء بين ركبها، إلا أنه تمّ السماح لها بالرسو في ميناء المدينة بشكل عادي، وعدم الاهتمام باتجاه التدابير اللازمة، ولم يذكر أنه قد فرض على ركابها أي حجر صحي مع العلم بأن أحد ركاب السفينة سقط ضحية لإصابته بالطاعون⁽¹⁾، هذا الاستهتار من بعض الدايات دفع ببعض قادة الدول الأوروبية طلب شهادة صحية تثبت سلامة الوافد، تحمل اسم "**CLEAN BILL OF HEALTH**" صادرة من قسم موانئ دول شمال إفريقيا كتونس والجزائر، فالسفن التجارية التي ترسو بموانئها مجبرة على إثبات سلامة ركبها حفاظاً على السلامة العامة، ومنع انتشار الوباء داخل دولهم عن طريق إصدار قوانين كالعزل، والحجر الصحي⁽²⁾.

كما تنقل بعض المصادر المحلية والأجنبية أنّ السلطة الحاكمة خلال العهد العثماني، لم تقم بواجبها اتجاه السكان بالقدر الكافي اتجاّهم خلال المجاعات والأوبئة، وهو ما نقف عليه فعلاً في العديد من الأمثلة فمن ذلك مثلاً ما حدث سنة 1740م حين اشتبه البعض في وجود الطاعون على متن سفينة فرنسية واردة على ميناء الجزائر، وأنها تحمل الوباء فاتصل نائب القنصل بالداي لاتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة الوباء، ومنعه من الولوج للمدينة لكن الداي تصرف بنوع من التعالي عن الحقيقة وردّ على نائب القنصل: «... بأن سبب خوفه من هذا الوباء هو كونه مسيحي يخشى الموت؛ أمّا هو (الداي) فلا يخاف الطاعون، ولا يهاب الموت؛ وأنّه إن حاول الدخول سيصدّي له بالمدافع كما سيصدّي للأعداء وإلا فهو قدر محتوم...»، بل وأمر من إنزال البضائع، والسلع وتوزيعها على أصحابها، والسماح للركاب بالنزول على متن تلك السفينة⁽³⁾.

الأمر الذي لا بدّ من الإشارة إليه أنّ تصرف الداي تجاه هذا الوضع لا يكتسبه التعالي والتكبر فقط، ولا حتى الغرور كونه باستطاعته مجابهة الطاعون، وإنّما أول ما يخطر ببال الباحث، والقارئ حول تصرف الداي هو الغباء بعينه، لأن ليس كل ما يعتبر خطر على صحة الإنسان يمكن محاربتة، ومواجهته بالمدافع، وإنّما يقتضي الأمر حكمة وفطنة، و سياسة عاقلة بعيدة عن كل غرور قد يؤدي فيما بعد إلى نتائج لا يحمد عقباها، في حين تشير بعض الدراسات أنّ تصرف السلطة تجاه هذا الوباء بهذه الطريقة رغبة منها في إبقاء أمر انتشار الوباء بالإيالة سرا، وبعيدا عن مسامع الدول الأوروبية، خوفا منها عن مصالحها التجارية.

(1) خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة...، مرجع سابق، ص 244.

(2) - ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 23.

(3) خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة...، مرجع سابق، ص 244.

نفس الأمر نقف عليه مرّة أخرى إذ أذن لسفينة أخرى بالرسو في ميناء مدينة الجزائر في (29 جويلية /17 رمضان) من سنة (1238هـ/1822م)، والتي كانت محملة بمائتي شخص من بينهم ابن الداي ما جعل توقيفها في الحجر الصحي أمر غير مطروح للنقاش بتاتا، والغريب في الأمر أنّ الجميع في إدارة ميناء المدينة كانوا على علم بأنّ أربعين شخصا على الأقل لقوا حتفهم نتيجة الوباء، وبقيّ حوالي خمسة وعشرون شخصا مصابا بنفس الوباء ينتظرون أجلهم، لكن ككل مرة لم تعمل السلطة على القيام بما يحميها من انتشار الوباء مرّة أخرى⁽¹⁾.

(1) خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة...، مرجع سابق، ص، ص 245.

الفصل الثالث

التأثيرات الاجتماعية للكوارث الطبيعية على المجتمع الجزائري 1700م إلى 1830م

المبحث الأول: تأثير الكوارث الطبيعية على سلوكيات المجتمع الجزائري.

1. سلوكيات ذات بعد انساني.
2. موقف الفقهاء والمتصوفة في احتواء المجتمع في ظل الكوارث والأزمات.
3. سلوكيات لا تمتد للإنسانية بصلة.
4. ثقافة الادخار في زمن الكوارث والجوائح عند المجتمع الجزائري.

المبحث الثاني: آثار الكوارث الطبيعية على الممارسات الدينية والهندسة المعمارية.

1. الجانب الديني والمؤسسات الثقافية.
2. العمران.
3. التركيبة الاجتماعية.
4. الوضع الصحي.

المبحث الثالث: طرق التداوي في المجتمع الجزائري.

1. الطب الشعبي.
2. الهياكل الصحية.
3. انعكاس الحالة الصحية على الأنشطة الاقتصادية.

بعد عرضنا لكونولوجيا الكوارث الطبيعية بالجزائر العثمانية، وكذا العوامل الطبيعية والبشرية المساعدة في تردي الأوضاع الصحية؛ لابدّ من الإشارة أن ثمة أنماط سلوكية ونفسية جماعية ارتبطت بهذه الظروف الصعبة، حيث تجتاح المجتمعات موجات من الخوف الجماعي، كما تظهر تفسيرات غير منطقية مرتبطة بأسباب حدوث الكارثة والمعاناة الجماعية، ويتسبب ذلك في وجود تناقضات قيمية وسلوكيات مختلفة، لا يستطيع الإنسان التحكم فيها وفي ردود أفعاله، والنفوس البشرية متغيرة، ولذا تجده أحيانا يتصرف باتجاه معاكس لأخلاقه ومبادئه، وعاداته التي عاش بها سنوات فتظهر عليه سلوكيات الجشع، والطمع والأنانية، وفي أحيان أخرى يحاول الحفاظ على أخلاقياته ومبادئه، ولكن لن يستمر ذلك طويلا أمام مشاعر الخوف والرعب والقلق، وحالات الجزع التي تنتاب الأفراد والجماعات، التي تظل مسيطرة على النفوس عند حلول الكارثة، وهي مشاعر إنسانية طبيعية في مثل هذه الظروف.

المبحث الأول: تأثير الكوارث الطبيعية على السلوكيات في المجتمع الجزائري.

1. سلوكيات ذات بعد إنساني

أنتجت الأزمات والجوائح بآيالة الجزائر العثمانية في زمن الكوارث الطبيعية سلوكيات اجتماعية بين أفرادها، عبّرت بوضوح عن الترابط الاجتماعي فيما بينهم، فكانت عمليات التضامن زمن الجوائح، والكوارث من أبرز السمات التي طبعت هذا المجتمع على غرار المجتمعات الإسلامية الأخرى، الذي يحركه الوازع الديني، والأخلاقي أكثر من أي شيء آخر فتجسدت الروح الجماعية التي تحلت بها مختلف فئاته، في مواساة الضعفاء والوقوف الى جانبهم زمن هذه الأزمات، وهذا على مستوى مختلف الشرائح والفئات¹.

(1) عبد العال طيبي، أثر الأوبئة والكوارث في طبائع وسلوك الانسان في مغرب العصر الوسيط، المؤتمر الدولي بعنوان، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 155.

1.1. بث روح الأمان والسلام والتضامن

كان أغلب السكان في الجزائر العثمانية خلال الأزمات الطبيعية، والكوارث يتميزون بالتضامن الاجتماعي، وإغاثة المسكين والفقير، وكان في مقدمتهم المحسنين والفقهاء والمتصوفة، والعائلات الميسورة، وأهل الخير التي كانت لهم مطامير من القمح

والفحم، والزيت، ليفتحوها أمام الفقراء والمحتاجين، ويتصدقون بها في ظل الأزمات⁽¹⁾، كما منعوا التجار زمن المسغبة احتكار السلع، وقاموا بحثهم على إخراج الطعام المدخر وبيعه في الأسواق لحاجة الناس إليه بسعر معقول، كما أنهم شددوا العقاب على التجار إذا ما تبين امتناعهم عن إخراج سلعهم لبيعها، وشددوا النكير على ملتقي السلع في الفنادق، وألزمهم بإنزالها إلى الأسواق ليدركها الضعيف، فضلا على أنهم منعوا الناس من بيع القمح، والشعير زمن الشدائد للأعراب، حتى لا تقوى شوكتهم على المسلمين⁽²⁾.

2.1. الإنفاق على المدين

كان أصحاب الدين ينفقون على المدين له أحيانا خلال فترة الوباء، وغلاء أسعار الطعام، وخاصة مع كثرة شكاوي المديونين من الجوع، فقد صدر مرسوم سلطاني لأرباب الديون أن يقوموا بإطعام مديونيتهم حتى انتهاء الغلاء، وعن ذلك كتب أحد قضاة الحنفية على ورقة المعتقل المدين «... يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة»⁽³⁾، فمثلا في فترة القحط، والمسغبة التي حلت ببايلك الغرب عمل الباي محمد بن عثمان بحل أزمة المجاعة التي حلت بمدينة وهران التي كادت أن تهلك الأجناس، وبلغ السعر مبلغا لم يسمع به أحد من الناس، فإنه أعان الخلائق بالسلف العام، والتصدق، والاطعام التي شملت الغني والفقير، والقريب والبعيد، وأكبر من ذلك أنه كان يسأل عن سعر السوق فيبيع زرعه بأبخس منه خوفا من زيادة السعر⁽⁴⁾، والحق أنهم قاموا بإغاثة الفقراء، وكل من قدم من الناس المسيبين، وأتوا إلى البلد آواه أهله وأعانوه بما قدروا عليه من قوت وغيره⁽⁵⁾، لا سيما أن تراجع الانتاج خلال فترات الكارثة، كان يشجع على ارتفاع الأسعار بشكل كبير قد يزيد عن 50 % عن سعره الأصلي أو يتجاوز ذلك⁽⁶⁾.

(1) محمد عيساوي، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الاسلامي خلال القرنين (07/09) (13م/15م)، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 2، العدد 2، ص 239.

(2) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 147.

(3) سماح عبد المنعم السلاوي، مرجع سابق، ص 243.

(4) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، مصدر سابق، ص 144.

(5) صالح العنتري، مصدر سابق، ص 40.

(6) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 306.

3.1 البر والإحسان

يعتبر من أكثر السلوكيات الاجتماعية الغالبة على الساكنة في وقت الأزمات والجوائح، فقد ذكر ذلك العنثري في كتابه قائلا: «..ثم يرجع الخير الى أصحاب البرّ الذين سعوا في فعل الخير، وإعطاء المعروف مدّة نزول ذلك القحط والفتن، فإنّه يحكى على كثير من أعيان الناس بادية وحاضرة، أنهم بذلوا جهدهم في إعطاء الصدقات للضعفاء فمنهم من يطعم الطعام ويسقي، ومنهم من يحضر الحبوب بالرحبة في صورة البائع فتجتمع عليه الناس، ويكتال كل واحد نصيبا، وحين تنقضي تلك الحبوب، ويحوزها المكتالون لها ينادي ربّها بلسان فصيح، يا عباد الله كل من أخذ شيئا فهو له خالصا لا أخذ منه ثمنه، فيذهب في حال سبيله فيفرح الناس حينئذ ويشكرون فعله، ويتصرفون وتكرر ذلك الفعل الجميل من أصحاب الخير مرارا»⁽¹⁾.

كذلك من التصرفات أيضا أنّ بعض أرباب المال عندما اشتدت وطأة المجاعة على أهل قسنطينة، وعزّ عليهم شراء القمح لارتفاع سعره سنة (1218هـ- 1803م) كان يأتي رجل من الميسورين الى سوق الرحبة على هيئة البائع فيجتمع إليه القوم، ويكتال كل فرد ما يحتاج من كيل⁽²⁾، وكما هو الشأن مع عبد الله باي الذي صار يكتاب كبار الأعراش، ويحرضهم على جلب الزرع، وبيعه في الأسواق لتكتال منه الناس، والذي عنده الفاضل يسلفه للمحتاج من أهل عرشه، وكذلك كلّف أرباب المخزن الدائرين به والفلاحين من أهل بلد قسنطينة وأعيانها، بإخراج الزرع الفاضل منهم لرحبة البلد لا سيما من ناحية ريغة، وفرجوة، فأهل ذلك الوطن قد فعلوا جميلا واسعا على أهل البلد زمان الضيق، ومهما وضع الزرع بالرحبة يحضرون القبابجة بإذن من الحاكم، ويقفون على كيله، وبيعه، وتوزيعه بين فقراء البلد، وعلى أخذ الثمن منهم، ودفعه لصاحب الزرع، ولا يأخذ الانسان من الحبوب إلا قدر كفايته في تلك الأيام، وهكذا استمر العمل في تلك المدة، كما كلّف القبابجة أيضا بالوقوف على حفظ خبزها لئلا يقع النهب فيه هذا ما كان من أمر الباي زمان الشرّ والقحط⁽³⁾.

4.1 الالتجاء والتقرب الى الله

في تلك الفترة كانت الخبرة الطبية فيه عاجزة حيال الكوارث الطبيعية، ولم يكن الناس يملكون أساليب، وطرق للحماية منها، ولذا كانوا يفسرون ما يحدث من وجهة نظر دينية في المجتمع، الدين هو محور حياة الناس، ونظرا لسيادة الثقافة الدينية فكان الجميع يلتجؤون الى الله ليدفع عنهم هذه النعمة، ومن ثم يلتحفون برداء الدين، وتعاليمه، وأأسسه.

(1) العنثري، مصدر نفسه، ص 40.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 269.

(3) صالح العنثري، مصدر سابق، ص ص 41-42.

وتتسم سلوكيات الأفراد بالتدين، والالتزام، ويكثر تعبدتهم في المساجد، وتعلقهم بالصلاة⁽¹⁾، وترتفع الأصوات بالدعاء، والتضرع، والاستغاثة الى الله تعالى ليرتفع عنهم البلاء، والوباء، ويخرج الناس لصلاة الاستسقاء عدة مرات حتى تنتهي المجاعة، وقلة الأوقات، أو رغبة في انتهاء الوباء⁽²⁾.

2. موقف الفقهاء والمتصوفة في احتواء المجتمع في ظل الكوارث والأزمات
اهتمت فئة الصلحاء، والفقهاء بالمجتمع في أوقات الأزمات، فكان الداعي من الولاية الروحية في مثل هذه الأوقات ضرورة التسليم بقضاء الله وقدره أولاً، ثم احتواء شرائح المجتمع ثانياً، فخاطبت هذه الفئة الرعية بضرورة التقشف في الطعام وقت الأزمات، كما لعبت هذه الفئة دوراً هاماً في مساعدة الفقراء، والمحتاجين بتقديم نصيب من الطعام لهم⁽³⁾.

كان دور العلماء يظهر جلياً في المجتمع بصفة خاصة في أوقات الأزمات، سواء كانت طبيعية كالجفاف، والأمراض، والأوبئة، أو بشرية كتسلط السلطة، واللصوصية فإليهم يهرع العوام وهم ملجأهم الأخير⁽⁴⁾، بحيث تتدرج جهود الفقهاء زمن المجاعة ضمن مهامهم التنظيرية؛ سواء على مستوى التشريع الفقهي بتقديم بعض الرخص، أو على المستوى الفعلي للتخفيف من آثار هذه الأزمات على الناس، فقد أجاز الفقهاء بيع بعض الأراضي المحبسة على الفقراء، وصرف ثمنها عليهم زمن الشدة خوفاً عليهم من الهلاك جوعاً⁽⁵⁾.

إنّ الايمان الخالص بتغيير الأقدار، وتبدل الأحوال كان متعلقاً بذهنية المتصوف ورجل الدين، حيث أنّ التسليم بالأمر دون اللجوء إلى حلّ كان في نظر هذه الفئة غير موجود، إلاّ أن روحانيتهم تدفعهم بضرورة اللجوء الى صاحب الحلّ، وهو الله عزّوجل، بإقامة طقوس دينية كصلاة الاستسقاء لرفع الوباء والبلاء، والواقع أنّ سقوط المطر كان من شأنه أن يحسّن من الجوّ لتفادي تفاقم الأمراض وانتشارها⁽⁶⁾.

أيضاً من السلوكيات الاجتماعية التي صاحبت المجاعات، والأوبئة هي زيارة الأولياء، والتبرك بقبورهم، طمعا في الخلاص من هذه الظروف، فمواجهة الكوارث في الاعتقاد الصوفي سمة تجلّى بها أولياء الله دون غيرهم، فهم في نظر هذا المسلك

(1) سماح عبد المنعم السلاوي، مرجع سابق، ص 244.

(2) نفسه، ص 244.

(3) خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة وآثارهما على مجتمع المغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15)، المؤتمر الدولي بعنوان، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص24.

(4) نبيل شريخي، موقف مجتمع المغرب الأوسط من المجاعات والأوبئة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15) من خلال النصوص النوازلية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 01، جامعة سيدي بلعباس، أفريل، 2021م، ص 135.

(5) سمية مزدور، المرجع السابق، ص147.

(6) يوسف بن يحي التادلي، التشوف الرجال التصوف، تحقيق: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب (جامعة محمد الخامس)، الرباط، ط02، 1997م، ص 102.

يمثلون دور الوساطة بين الله وعباده، وكان دور الأولياء يظهر في المجتمع بصفة خاصة في أوقات الأزمات، سواء كانت طبيعية كالحقن والجفاف والمجاعات أو بشرية كتسلط السلطة والصوصية، فالإهم يهرع العوام وهم ملجأهم الأخير⁽¹⁾، وهو ما عبّرت عنه إحدى الخطابات الموجّهة إلى الناس بالقول: «...إذا غلت أسعاركم، وقّلت أمطاركم، وضعفت ثماركم، وعميت عن الرشد مسامعكم، وكثرت النميمة، والغيبة في خياركم، وجارت عليكم ملوككم، فالتجئوا إلى الله بالأولياء الذين خلف ظهوركم، يؤمنكم الله ممّا تخافون»⁽²⁾، فاعتقادهم آنذاك أنّ بركة الأولياء الصالحين هي التي تحمي مدينتهم وقاطنيتها⁽³⁾.

3. سلوكيات لا تمد للإنسانية بصلة

3.1 التسول والشحادة

من بين المظاهر التي انتشرت بكثرة هي ظاهرة الاستدانة، والتسول، والتي نكتفي بما جاء في بعض النوازل التي ذكرت هذه الظواهر التي انتشرت بسبب الحاجة، وقلة ما كان بأيدي الناس من مال يساعدهم في توفير الغذاء⁽⁴⁾، ولا سيما في حالة غياب الدولة ومؤسساتها، وعدم قدرتها على تخفيف حدّة الفقر، والأعباء على المساكين ممّا يجعلهم غير قادرين على كسب ما يكفي معيشتهم، ولا تستطيع عائلاتهم مساعدتهم فيلجؤون إلى التسول، والحصول على الصدقات، والهبات ومع مرور الوقت تصبح مهنة يحترفها البعض، وخاصة في أيام الأزمات فتصير أسلوب حياة تتبعه الفئات المعدومة لتبقى على قيد الحياة، ومن هنا بدأ أسلوب التسول رد فعل طبيعي للفقراء في وقت المجاعة، والأوبئة والتي كانت في الكثير من الأحيان سببا في ظهور هذه الظاهرة وعظم إلحاحهم في السؤال بحيث أنّه لا يكاد الشخص يمرّ في الطرقات إلّا وهم في أثره ويكررون له السؤال، ومع تكرار الأزمات الاقتصادية كثر الفقراء في الشوارع حتى صاروا يتجولون أفواجا⁽⁵⁾، نتيجة الظروف القاهرة التي أدّت إلى استفحالها، وانتشارها في المجتمع بعدما استنفذ الكثير منهم كل ممتلكاته سواء بالرهن أو البيع⁽⁶⁾.

3.2 اللصوصية

- (1) نبيل شريخي، مرجع سابق ص 135.
- (2) نلي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، دار الفارابي، بيروت، ط 02، 2006م، ص 305.
- (3) نفيسة دويذة، مرجع سابق، ص 22.
- (4) عبد العال طيبي، مرجع سابق، ص 155.
- (5) سماح عبد المنعم، مرجع سابق، ص 251.
- (6) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: أحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ج 05، بيروت، 1981م، ص 102.

لقد ارتبطت كلمة اللصوصية لغة بملازمة الانسان للشيء الذي يريد الاستيلاء عليه، وأخذة عنوة من صاحبه، وبطرق وأساليب مختلفة⁽¹⁾، وهناك عاملا لا يقل أهمية كان وراء انتشار ظاهرة الاعتداء على أملاك الناس، وأموالهم، خاصة في ظل الأزمات، والكوارث الطبيعية ألا وهو الفقر، هذه الظاهرة الاجتماعية التي تتمثل في عدم قدرة الفرد على توفير حاجياته المعيشية⁽²⁾، ما أنجر عنها من سلوكيات عدوانية تمثلت في السرقة، واعتراض القوافل التجارية⁽³⁾، فالجائعون تحولوا الى لصوص، وقطاع الطرق للنهب والسرقة⁽⁴⁾، ويؤكد العياشي ذلك أثناء عودته من رحلته الى البقاع المقدسة أثناء مروره بالجزائر بموضع سيدي خالد بالجنوب الجزائري قوله:

« ونزلنا ظهرا بالمكان المسمى بالدويسة، هناك تحقق الناس أمر العرب وأنهم معترضون للركب قاصدون أخذه معهم نحو ثلاثمائة فارس،... وأخبرنا أهل البلد أنهم في غاية الجوع»⁽⁵⁾، وهذه الظاهرة (اللصوصية) انتفى بسببها التعايش داخل المجتمع في مراحل حرجة، استهدفت فيها مصادر عيش الانسان سواء منها المنقولة أو الثابتة⁽⁶⁾، وذلك بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال حسب ما فطن إليه ابن خلدون⁽⁷⁾. وكمثال على ذلك قبيلة عشاش التي التي تقع في أقصى غرب البايك تعيث في الأرض فسادا بقطع الطريق، وهو ما استدعى تدخل الباي بإرسال حملة على القبيلة ففرقتها في أرجاء الأرض، وكان هذا هو الاجراء المتخذ ضد قبيلتي المهديّة وأولاد علي بن طلحة اللتين حاولتا انتهاج نفس الطريق⁽⁸⁾.

ومن الجزائر الى تونس لم تسلم القوافل أيضا من ذلك، بل تفاقمت أكثر كونها مناطق عبور خاصة لقوافل الحجيج، وقد مورست هذه الظاهرة خاصة في المناطق الصحراوية، إذ كانت تجارتها تعترضها هجمات اللصوص، وقطاع الطرق سواء كانوا من البدو الرحل، أو الطوارق الملتهمين⁽⁹⁾، أو مجموعة من القبائل التي تنزعم

(1) محمد بلحسان، ظاهرة اللصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/13-15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطبولي، معسكر، 2021-2022م، ص14.

(2) شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد بوخبزة، ط 01، ج 03، دار الغرب الاسلامي، لبنان 1994م، ص143.

(3) محمد بلحسان، مرجع سابق، ص 74.

(4) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 150.

(5) أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، مختصر الرحلة العياشية...، مصدر سابق، ص 283.

(6) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها...، مرجع سابق، ص 79.

(7) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص320.

(8) كاميليا دغموش، السلطة والمجتمع في باييك الغرب الجزائري (1792م-1830)، إشراف حمادو بن عمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران، 2019-2020م، ص 268.

(9) يحيى بوعزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، العدد 59، الجزائر، 1980م، ص132.

الصحاري كقبيلة ورغمة التي كانت تقوم بأعمال قطع الطريق على الأراضي التونسية⁽¹⁾.

وهذا ما استقرأنه ضمن إحدى الإشارات العرضية في ثانيا إحدى المراسلات الموجودة ضمن أرشيف دولة تونس، والتي كانت بين وكيل الدولة التونسية بعنابة إلى الوزير الأكبر يمدّه فيها ببعض الأخبار التي تتعلق أغلبها بأعمال الشغب والسرقة والقتل، لاسيما بين العروش على الحدود التونسية الجزائرية⁽²⁾.

من بينها أيضا مراسلة 1822م من حسين باشا إلى باي تونس يستفسر حول البارود الذي يخرج من طبرقة لقسنطينة، وكتب فيها أنه سيسعى جاهدا من قطع البارود من تلك الناحية⁽³⁾، وأنّ هذا الأمر الذي يحدث بمنطقة قسنطينة يعدّ استفزازا، ويخبره فيها أنّه وليّ أمر قسنطينة، وسائر أعمالها من قبل الدولة الفرنسية⁽⁴⁾، وتعددت المراسلات بين داي الجزائر، ومصطفى باشا أمير إفريقية بشأن مدينة قسنطينة والمناطق الحدودية لتونس، وحول الأوضاع هناك⁽⁵⁾.

للحدّ من ظاهرة اللصوصية أيضا سعت السلطة التونسية، والجزائرية من خلال إحدى التقارير المرفوعة من قبل باي قسنطينة حول تسليم المجرمين، وقطاع الطرق في سبيل الحدّ من هذه الظاهرة⁽⁶⁾، ولعلّ هذا الأمر هو ما نقف عليه من خلال عرضنا عرضنا للعديد من المراسلات التي أرسلها خير الدين باشا وزير الأمور الخارجية إلى يوسف باشا بتونس، يعلمه فيها أنّ مجموعة من قطاع الطرق (أولاد الحرام) كما أشار عليهم بهذا الاسم في المکتوب المرسل إليه، والمتضمن قائمة أسمائهم أنهم دخلوا منطقة سوق أهراس مع أبقار مسروقة، وقد ضجّ الناس من أعمالهم، وكلّ من يأتي من العمالة (التونسية) بسلعة يكتالونها، فيقومون بسرقتهم، ويعلمه فيها أنّه تمكّن من الإمساك بهم⁽⁷⁾، وقد تلقى خير الدين مكتوبا من يوسف باشا يشكره فيه على سعيه، وحكمته للحرص على أمن العماليتين، والرعايا التونسيين الذين يتاجرون في الإيالة الجزائرية⁽⁸⁾.

أمّا فيما يخصّ الرحلات الحجازية المغربية، قد وردت فيها نصوص تؤكد خطورة الطريق جراء انعدام الأمن، فقد امتاز الرحالون بمعرفة الطرق معرفة شاملة

(1) الأغواطي، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص102.

(2) FA 1881 – H- 0211 _ 0225.

(3) ANT _ FA 1881 _ H_ 0223_ 0348 bis 0012.

(4) السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي، الصندوق 223، الملف 384 مكرر، الملف الفرعي 14، وثيقة ووثيقة رقم 9.

(5) السلسلة التاريخية، الصندوق 223، الملف 384، الملف الفرعي 17، وثيقة رقم 12.

(6) FPC- A- 0277-0010.

(7) ANT – FA 1881- H – 0211 _ 0225 _ 0016.

(8) ANT_ FA 1881 _ H _ 211 _ 0225_ 0019.

بما تحتويه من مظاهر طبيعية، واجتماعية، فدوتوا مراحلها تدوينا يحتوي على جميع المعلومات المقيدة للمسافر فكانت بمثابة دليل، أو خريطة تصويرية من منطقة الانطلاق الى الوصول لبلاد الحرمين الشريفين، خاصة على الطريق البري⁽¹⁾، الذي ينطلق من مدينة فاس الى تلمسان ثم الجزائر ثم قسنطينة، وتونس الى أن تتصل بالطريق الساحلي، أو الطريق الجنوبي، أو ما يطلق عليه باسم طريق الواحات المغربية، الجزائرية، والتونسية مرورا بفكيك وتوات وورقلة والزّاب والجريد وقابس إلى طرابلس⁽²⁾.

يتضح لنا ممّا سبق أنّ ظاهرة اللصوصية انتشرت بأنواعها كالسلب، والنهب بين أفراد المجتمع سواء داخل النسيج الحضري، أو البادية، وخاصة أنّ المناطق البعيدة جغرافيا عن مركز السلطة، والتي كانت تحكم من طرف القبائل الخارجة عن سلطة الدولة خاصة في فترة الأزمات السياسية والاقتصادية، وأثناء حدوث الجوائح والكوارث الطبيعية⁽³⁾؛ ممّا أدّى بالسلطات الى التبليغ عنهم في مراسلاتهم إلى والي الجزائر، بل الى سجنهم، ونفيهم خارج البلد مثل ما أورده والي تلمسان في رسالته⁽⁴⁾. أمّا فيما يخص الاجراءات المتخذة للتصدي لمخاطر الطريق هو إسناد مهمة حراسة القوافل، وتأمينها الى القبائل ذات النفوذ، وأهمها القبائل قبيلة الشعانبة في الجنوب الجزائري، كما يقوم تجار القوافل بتزويد قوافلهم بالسلاح من أجل الدفاع عن أموالهم، والتصدي لهجمات اللصوص⁽⁵⁾.

لا مرأى في أنّ دائرة اللصوصية والحراية، قد استغللت باتساع دائرة الضيق، والشدة الناجمتين عن الكوارث الطبيعية (الفيضانات والسيول والزلازل وغيرها)، والتي هيأت جوا ملائما لظهور أعمال النهب، والسلب، ففي الوقت الذي كان همّ الناس عند وقوع هذه الكوارث هو السعي لإنقاذ أنفسهم، وذويهم من الهلاك، فغدا السطو على أموال

الناس، وأمتعتهم الخيار الأسهل لمقاومة تداعيات الأزمات الصعبة، والتي كانت تعمل فيها اللصوص على نهب، وسلب ممتلكات الأفراد⁽⁶⁾.

3.3. الاحتكار

شكلت الكوارث الطبيعية فضاءات موسمية لنشاط حركة التجار المحتكرين والمضاربيين، ممّا جعل الانسان في رهان غير عادي مع الغلاء المتوهج في الأسواق، وندرة الأقوات، فكلما عصفت الكوارث بمجاله، إلاّ وعكست المصادر

(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 148.

(2) محمد ماكمان، الرحلات المغربية ق 11-12-17-18م، مطبعة الأمنية، الرباط، ط01، 2014م، ص 146.

(3) محمد بلحسان، مرجع نفسه، ص 91.

(4) رشيد حفيان، مرجع نفسه، ص 150.

(5) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 151.

(6) يحي بوعزيز، طرق القوافل...، مرجع سابق، ص 133.

حالة الأسواق من خلال ترداد عبارات من فصيلة، و«..غَلَّت الأسعار، وقلَّت الميرة في الأسواق»⁽¹⁾، وتعدّ هذه الظروف أفضل المناسبات التي تحيّنّها التّجار لاحتكار المواد الاستهلاكية الضرورية، التي تزايد عليها الطلب في زمن المسغبة، وفي طليعتها أصناف الحبوب مستفيدين في علاقاتهم بالمستهلكين، والمنتجين من خلال عمليات البيع بالأجل، أو السلف الذي كان أكثر الأنواع انتشاراً، ربّما كان نقداً بنقداً أو نقداً بسلعة، والظاهر أنّ بيع السلف ساعد التّجار على استغلال الزرع والاحتكار لاسيما للطعام، فيستولون الزرع مستفيدين من اختلاف السعر في أوّل الموسم وآخره⁽²⁾.

4.3. ظاهرة السلف والدين

أفرزت الكوارث الطبيعية والجوائح التي عصفت بالجزائر خلال الفترة العثمانية واقعا اقتصاديا واجتماعيا مريراً، فتولدت عنها ظواهر انتشرت بكثرة نتيجة الجوع، والخوف من الهلاك؛ ومن بينها ظاهرة الدين والسلف، والتي طبعت رهن الممتلكات الحياة اليومية للإنسان نتيجة الفقر، والحاجة التي آل إليها المجتمع آنذاك، فسنين الجذب والقحط جعلت تعامل الناس بالدين، والسلف ضرورة لا مناص منها كحلّ جذري لأزمة الجوع⁽³⁾.

لقد جسدت لنا بعض النوازل مظاهر لجوء الناس إلى سلف الطعام في أوقات المسغبة، ويأتي في مقدّمة ذلك القمح والشعير، اعتبارها من "ضروريات القوت"⁽⁴⁾. قد ألجأت الضرورة الناس في وقت الشدّة إلى سلف بعض الأغذية الرديئة، أو البضاعة الفادحة على أن يردوها بعد أوقات المجاعة سليمة، فاحتاج الناس إلى البحث عن شرعية ذلك من خلال سؤالهم الفقهاء، ومثل ذلك ما سئل عنه الوغليسي: «هل يجوز سلف المبلول من الحنطة بعد يبسه أو لا يجوز؟ وإن ألجأت الضرورة إليه لأجل غلاء السعر، فأجاب أنّه يجوز ذلك لمن لا شرط له، ولا يجب عليه إلاّ مثل ما أخذ لأنّ الاشتراط في السلف ممتنع⁽⁵⁾».

كما أدّت بعض الكوارث الطبيعية بالسكان إلى الإقدام على بيع ممتلكاتهم منها العقارات، وهذا تحت تأثير الحاجة إلى النقود، وتلبية حاجياتهم المختلفة، وقد أشار صالح العنتري في مؤلفه مجاعات قسنطينة دور اليهود الذين استغلوا هذه الأزمات، واستولوا على أملاك المسلمين باستغلال نفوذهم، وعلاقاتهم القوية التي كانت تربطهم

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب - أخبار الأندلس، ج02، مكتبة صادر، بيروت، 2016م، ص166.

(2) عزّ الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ط 02، 1983م، ص ص 295، 296.

(3) ابراهيم بونشيش، ظاهرة الدين والسلف في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط أساليب التعامل والشكليات المطروحة ضمن حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت ط01، 2006م، ص ص 35، 36.

(4) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 210.

(5) نفسه، ص 211.

مع بعض الدايات، وذلك عن طريق عقود ربوية، كما استمر الحال على شاكلته حتى مع بدايات الاحتلال الفرنسي، فأعطى مثالا على ذلك بشراء اليهود لمنازل تساوي عشرة آلاف فرنك بمائة فرنك لا غير⁽¹⁾، نتيجة ما أصاب الناس من شدة، ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك، مما اضطر الكثير منهم الى الهجرة نحو المدن بسبب الهول الواقع في وطنهم، والمصائب التي حلت بهم، بالإضافة الى القحط والفتن⁽²⁾.

4. ثقافة الادخار في زمن الكوارث والجوائح عند المجتمع الجزائري

1.4. ثقافة التخزين والادخار

لا شك في أنّ أسلوب التخزين، والادخار المعتمد من قبل الرعية كان يهدف بشكل أو بآخر الى حفظ الفائض من الحبوب للمواسم القادمة، وخاصة فصل الشتاء أين يصعب توفير هذه المواد وربما تخزينها لوقت المجاعات⁽³⁾، وربّما الدافع وراء ذلك هو أنّ الناس قد أخذوا العبرة من مجاعات تعرضوا لها في حياتهم أو سمعوا بها أو قرأوا

عنها، ولذلك احترزوا منها، واستعدوا لها حتى أصبح الأمر ثقافة شعبية⁽⁴⁾، وربما كان احتكار الطعام، وتخزينه لسنوات هو الوسيلة الأنجع تحسبا لأي طارئ⁽⁵⁾، وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون قائلا: «...إلا أنّ الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات⁽⁶⁾، سواء كان هذا الاجراء من قبل السلطة لمواجهة خطر المجاعة»⁽⁷⁾، ومن بين العادات المتوازنة منذ القديم التي لجأ اليها سكان الجبال، والهضاب لتخزين القمح، والشعير المطمورة التي تحدث عنها حمدان بن عثمان خوجة بقوله: "توجد لديهم طريقة للاحتفاظ بالحبوب لسنوات متعددة دون أن يلحقها ضرر، وذلك بأن يضعوها في مطامير بعيدة عن الهواء والرطوبة، وإنك تجد عندهم وبدون مغالة قمحا مخزونا منذ أكثر من 15 سنة، ويدعى هذا النوع من القمح المطمور(المطمورة)⁽⁸⁾، أو منقورة في الصخور فلا تمسّها الرطوبة، وبالتالي تبقى لسنوات طويلة، ومنها مدينة مجانة المعروفة بصخرها المستعمل في صناعة

(1) صالح العنتري، مصدر سابق، ص 16.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 153.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 246.

(4) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان...، مرجع سابق، ص 159.

(5) الطاهر بخدة، مجاعات القرنين 4-5هـ/ 10-11م في الغرب الاسلامي بين آفات الطبيعة وعمل الانسان، المؤتمر الدولي بعنوان، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص174.

(6) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 238.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد العرب، مج02، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، ص 1618.

(8) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص ص 74، 75.

الرحى⁽¹⁾؛ (هي عبارة عن أداة مصنوعة من الحجر، وتستخدم في رحي القمح والشعير)، ومن أمثلة الاحتكار، والادخار الجماعي، تشارك أهل قسنطينة من عرب، وبربر في الحرث والادخار، أين تقيم الحنطة في مطامرها مائة سنة لا تفسد⁽²⁾، لكن ظلت ثقافة التخزين مقتصرة على العائلات الخاصة، والتي كانت تقوم في أوقات الرخاء، ووجود الوفرة في المواد الغذائية في مقدمتها الحبوب بتصديرها دون الأخذ بإمكانية حلول الجذب والجوع⁽³⁾.

2.4. الأغذية البديلة

ما إن انتهى الرخاء الاقتصادي، وحلت المجاعة محلّه، حتى وجد السكان أنفسهم في رحلة البحث عن بدائل للأغذية التي انقطعت على غرار الخبز، الذي يعتبر مادة أساسية في النظام الغذائي، وعليه توفرت بدائل خففت من معاناة الجوع⁽⁴⁾، دفعت بالكثير منهم الى التوجّه إلى البراري لإيجاد البدائل فكانت النباتات والحشائش، وأشجار البلوط المصدر الرئيسي للكثير منهم فتأقلموا مع الوضع، واقتاتوا بما تجود به الطبيعة مثل بلوط الغابات الذي كان يجمع، ويخلط بحشائش أخرى ويصنع من دقيقه الخبز، فاتخذوه غذاء لهم ولدوابهم⁽⁵⁾، كما كان لثمار الخروب، والنبق، ونبات الشيلم الذي يستغل في صناعة الخبز دور كبير في تنويع النظام الغذائي للفرد، إضافة الى نبات القبساطة التي يستخلص منها طحين يخبز منه أرغفة لسدّ الرمق، فكان معظم غذاء السكان في المجاعات مبنياً على اللقط⁽⁶⁾، وأيضا اعتمادهم على الصيد البحري الذي لطالما كان منفذ الفقراء والجياع، والمؤمن لغذائهم مجانا، لذلك فقد اجتهد الناس في أوقات المجاعات في صيد الأسماك، والحيوانات البرمائية، إذ كانت تعتبر غذاء جيّد سهل المنال مقارنة بالصيد البري، وقد كانت هذه الحيوانات المصطادة تجفف، وتملح بغية تخزينها، وتناولها في قادم الأيام خوفا من مجهول قادم الأيام من المجاعة⁽⁷⁾.

أيضا من السلوكيات التي انتشرت زمن المجاعات، هو استهلاك الغلّة قبل نضجها لعدّة اعتبارات منها ضمان المنتج من الضياع والسرقه، وكذلك مساييرة الأيام

(1) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط2010، ص 293.

(2) طاهر بخدة، مرجع سابق، ص 174.

(3) مليكة عرايبي، دور القوى الفاعلة في المجتمع الجزائري في مواجهة المجاعات خلال العهد العثماني، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 327.

(4) نور الدين بركات، المجاعات والأوبئة في تلمسان الزيبانية من خلال النوازل الفقهية، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 148.

(5) عبد العالي طيبي، مرجع سابق، ص 155.

(6) رشيد عباس، النظام الغذائي زمن المجاعات والأوبئة، مجلة البحوث والدراسات التاريخية، مج 4، ع 8، الجزائر، 2018م، ص 83.

(7) نور الدين بركات، مرجع سابق، ص 148.

العجاف التي كانت تفرض ذلك عن طريق الحاجة والفاقة⁽¹⁾، ولعلّ الغاية من استهلاك المحاصيل قبل نضجها) خاصة تلك التي تتأثر بأدنى تغير في حالة الطقس الذي ينذر بالجفاف) من قبل السكان تفاديا لأزمة الجوع من جهة، ومن جهة أخرى لضمان عدم ضياع

المنتوج، وهذا بعد أن استفادت هذه المحاصيل من فترة انتعاش، وغيث سمح لها بالوصول لدرجة النماء وإعطاء الثمار، فإنّ هذه الظاهرة تعبّر على سلوك غذائي جديد فرضته الظروف المناخية الصعبة⁽²⁾.

إنّ استهلاك الأطعمة قبل أوانها هو سلوك اهتدى اليه السكان لمواجهة فترات القحط والمجاعة وهو سلوك ناتج عن التخوف من شبح المجاعات⁽³⁾.

المبحث الثاني: اثار الكوارث الطبيعية على الممارسات الدينية الهندسة المعمارية

1. الجانب الديني والمؤسسات الثقافية

1.1. تعطيل الصلوات وإلغاء السفر إلى الحج

أدى تساقط الأمطار الغزيرة أحيانا الى تعطيل العبادات، والصلوات في المساجد، فظهر الوحل في كل مكان، ممّا عطّل المصلين وامتنع الناس عن الخروج⁽⁴⁾، كما أثر تفشي وباء الطاعون الذي توفي فيه عدد كبير من الخطباء والمؤذنين، وأدى وأدى الى غلق الكثير من المساجد والزوايا، وأيضا بعد أن كان الأذان يرفع في عشرات المساجد أصبح مقتصرا على مسجد واحد فقط⁽⁵⁾، إضافة إلى تفشي الأوبئة التي أدت إلى إلغاء موسم الحجّ للجزائريين أكثر من مرّة علما أنّ الجزائر كان يغادر منها سفينتين كلّ عام الى بيت الله الحرام⁽⁶⁾، وقد ورد في إحدى الوثائق التي بحوزتنا عن سبب إلغاء الحجّ بسبب وباء الطاعون وجاء نصّها كالآتي: « الحمد لله ...رئيس مجلس التحفظ العمومي إلى الأعضاء هو إطلاعهم على مكتوبين فرنسويين قد أبلغهم إليه جناب المولى الوزير الأكبر، وتلخيص أولهما الوارد من الجنرال شاتزي لوالي الجزائر يعلم به أنّه بمقتضى ما ورد له من أخبار المرض بإقليم الشام ظهر له أن ينهي أهل

(1) نفسه، ص 147.

(2) بوزياني زبيدة وآخرون، السلوك الانساني في زمن المجاعات والأوبئة، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 123.

(3) ابراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 33.

(4) نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي (648-1250/1517م)، إشراف شوكت رمضان حجة، رسالة ماجستير في التاريخ المملوكي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الخليل، فلسطين، 2012م، ص 154.

(5) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقربي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج04، دار الكتب العلمية للطبع والنشر، بيروت، ط01، 1418هـ-1997م، ص 88.

(6) Venture de paradis. *Alger Au XV III^{eme} Siecle*, 2^e Edition, Editions Bouslama-Tunis, op. cit. p 30.

الجزائر وأطرافها عن السفر إلى حج بيت الله الحرام لهذه السنة، ثم إنه يطلب من قنصل فرنسا بالحاضرة أن يصح... من ورد من الشام أو من الحج متوجها إلى الجزائر، وأما المكتوب الثاني فإنه من قنصل فرنسا المذكور ومقصوده توجيه الكتاب الأول إلى جناب الموصى إليه أعلاه»⁽¹⁾.

2.1 تعطيل الاحتفالات العامة والمناسبات الدينية

أثرت الكوارث الطبيعية في الجزائر في تعطيل بعض المظاهر الاجتماعية كالاحتفال بالأعراس، والمناسبات الدينية، واستبدلت مراسيم الاحتفال الى تشييع ضحايا الكوارث، ولا سيما في فترات الأوبئة⁽²⁾، ولم يسمع الغناء طيلة فترة تفشيه لانشغال الناس

بموتاهم، وعبر المقريري عن ذلك بقوله: «وأبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أحدا عمل فرحا في مدة الوباء، ولا سمع صوت غناء»⁽³⁾.

ومن المتعارف عليه هو اهتمام الأهالي بإحياء المناسبات الدينية، والاحتفاء بالأعياد، فكان معظم الناس يسهرون في المدن ليلة العيد في تجهيز ملابسهم الجديدة حتى الصباح، وكان الأتقياء منهم يسهرون في الاستماع للقرآن الكريم، والأذكار، ومع طلوع النهار يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد في المواكب، وهم يهللون ويكبرون، وبعد الصلاة يتبادلون التهنئة بالعيد، وأطباق الكعك الذي كان يجهز في الأيام الأخيرة من شهر رمضان، إلا أن تفشي الطواعين قد نزع البهجة، والسرور من صدور الناس في إقامة الاحتفالات بعيد الفطر في هذه الفترة، لانشغالهم بسقماتهم وموتاهم⁽⁴⁾.

2. العمران.

1.2 سقوط المنازل

من خلال الدراسات التي تطرقنا إليها في الفصل السابق نجد أن الزلازل هددت الساكنة في مقرّ سكناهم، فقد شهدت مدينة الجزائر لوحدها أكثر من 36 زلزالا، وكان أعنفها زلزال 30 فيفري 1716م على الساعة 09 و45، وكان زلزالا مدمرا بحيث أفادت المصادر أنّ حوالي 200 منزلا قد انهار وأنّ العديد منها تضرر وتشقق، ومن بينها المسجد

الكبير كما تشققت الأرض وظهرت فتحات كبيرة، وامتدت الموجات الزلزالية الى سكان البلدة الواقعة في سهل متيجة على بعد 40 كلم، وبجاية على بعد 200 كلم⁽⁵⁾، كما ترتب خراب عن زلزال القليعة، والبليدة، فلم يبق من مدينة البليدة إلا بعض المساكن القليلة، الأمر الذي دفع بالحكام الى التفكير في إعادة بنائها من جديد في مكان آخر، فالزلازل

(1) ANT _ FA 1881 _ H _ 0068 _ n° 223.

(2) نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، مرجع سابق، ص 135.

(3) المقريري، مصدر سابق، ص 88.

(4) نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، مرجع سابق، ص 137، 136.

(5) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 235.

أيضا كانت سبب في ظهور المجاعات⁽¹⁾، فهي تتسبب في خسائر ودمار كبير جراء تعطل الأعمال الفلاحية وهجرة السكان، فالزلازل كان لها تأثير كبير على المواسم الفلاحية، كما لوحظت تشوهات كبيرة وانجراف في التربة جنوب غرب العاصمة، واستمرت توابع الهزّات الأرضية كما أدت الى اندلاع الحرائق ممّا دفع بسكان المدينة لمغادرتها، واستقروا في الخيام بالأرياف مدّة 09 أشهر وهو ما يعادل فترة الهزّات الارتدادية، وتمّ الكشف على أنّ العديد من الطوابق والمنازل هدمت بعد الزلزال⁽²⁾، وقد أفادت المصادر: «... كان منزل قنصل فرنسا من أجمل المنازل في العاصمة، وكان يتكوّن من ثلاثة طوابق قبل الزلزال، ولكنّه بعد الزلزال أصبح يتكون من طابقين فقط»⁽³⁾، وهو ما حدث في زلزال وهران عام 1790م، حين تهاوت مساكن النصارى قبل فتحها فقد تهدّمت بالزلزلة بحيث لم يبق إلاّ أطلالها⁽⁴⁾، وممّا لا شك فيه أنّ هذه الزلازل أزهدت أعدادا هائلة من سكان المدينة، حيث وصف حمدان خوجة تلك الأحوال المتردية على البلاد بقوله:

«... فشوهت خلقة الجزائر عذراء مستحسنة فأفقرت معالم البلاد وتشوشت أحواله»⁽⁵⁾، وكادت هذه الأحداث أن تقضي على الحكم المركزي بالجزائر، كما نجد أنّ الزلازل أدّت الى انقطاع المياه وتهديم البنية التحتية⁽⁶⁾، إضافة الى ظهور الحرائق في بعض الأحياء، وانتشار أعمال النهب والسلب، كذلك ظهور آثار نفسية خطيرة لدى السكان خاصة الأطفال منهم⁽⁷⁾.

2.2 سقوط القلاع والأبراج

في عامي 1780م و 1783م اقترح كارلوس الثالث ملك إسبانيا على إنجلترا تبديل مدينة وهران بجبل طارق لكن زلزال 1790م، والحرائق التي تبعتها مخلفة 3000 ضحية، ودمر المدينة بأكملها، فاستحالت إعادة بنائها والدفاع عنها، فأصبحت مكلفة للغاية بالنسبة للعاهل الاسباني الملك كارلوس الرابع، والذي بدأ في مفاوضات مع داي الجزائر العاصمة لأكثر من عام من أجل تسليمها له⁽⁸⁾، وهو ما أشار اليه أحمد توفيق المدني حول زلزال وهران قائلا: «... وتدخل القدر مرة أخرى، كما تدخل قبل ذلك مرارا فوق أديم الأرض الجزائرية...، ذلك أنّه في الليلة ما بين 8 و 9 أكتوبر سنة 1790م على الساعة الواحدة صباحا، وقعت بمدينة وهران هزة أرضية عنيفة جدا، دامت ثلاث دقائق

(1) سعاد عقاد، مرجع سابق، ص 60.

(2) رشيد حفيان، المرجع نفسه، ص 235

(3) -Amina Abd Essamed foufa.op.cit.p 268.

(4) الراشدي، مصدر سابق، ص 478.

(5) محمد الزين، مرجع سابق، ص 131.

(6) عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للنشر، دس، ص 202.

(7) مجاهد بيمينة، مرجع سابق، ص 33.

(8) قارة مبروك بن صالح، مسار المدن والعمران بالجزائر، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية الاعلامية، الجزائر، الجزائر، ط1، 2017م، ص ص 75، 76.

حطمت كل منازل وهران تقريبا، والحقت بالحصون والقلاع والكنائس أضرارا بالغة»⁽¹⁾. كما نقل ابن سحنون مواصفاته عن زلزال وهران 1790م قائلا: «... وكان من حديث هذه الزلزلة أنه لما كان الوقت المذكور ارتجت الأرض بالناس ارتجاجا عظيما اهتزت به البيوت، واضطربت السقوف اضطرابا قويا، فانزعج الناس من مضاجعهم داهشين،... واشتغلوا بالتحدث عنها وكيفية شعورهم بها وما شاهدوا من هولها، سنة الله التي خلت من قبل في اكثار الناس التحدث عن كل حادث... فجاءه عقب ذهابه الخبر اليقين بسقوط أكثر دورها، وسلامة حصونها وسورها»⁽²⁾، في حين أكد الزياني في مؤلفه عن سقوطها بقوله: «... ثم حدثت الزلزلة العظيمة التي لم تحدث قبل ذلك؛ واشتدت بوهران أكثر من غيرها إلى أن سقط بها الدور والأبراج»⁽³⁾، بحيث كانت مدينة وهران تتوفر على عدد كبير من القلاع، والأبراج، والحصون القديمة أهمها: برج القصب، برج الأمحال، وبرج العيون وغيرها؛ لكن زلزال 1790م أتى على جزء كبير من عمران المدينة؛ منها قلعة القصب التي تقع على الضفة الغربية لواد الرحي (رأس العين)، على سفح جبل المائدة، وقد تعرضت إلى الهدم والتخريب بحدوث زلزال 1790م⁽⁴⁾، فبعد حصار طويل وزلزال جديد خلخل دفاع اسبانيا استلم الباي محمد بن عثمان، الملقب بمحمد الكبير السلطة في المدينة بموجب المعاهدة التي وقعت في 12 سبتمبر 1792م⁽⁵⁾، ليتخذها ليتخذها محمد الكبير مركزا له بعد فتح مدينة وهران سنة 1792م، أين تلقى التعبير عن الامتنان بسبب فتح قلعة وهران أواسط صفر سنة 1121هـ⁽⁶⁾.

3.2. تضرر الشبكة المائية في العهد العثماني

أكدت بعض الدراسات على أن الشبكة المائية في الجزائر خلال العهد العثماني قد اندثرت معالمها في بعض المدن منها مدينة الجزائر التي اشتهرت بكثرة ينابيعها وأوديتها وكثرة تساقطها كمدينة متوسطة نظرا لطبيعة التضاريس، والمناخ فيها⁽⁷⁾. فحسب المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن الشبكة المائية بفحص مدينة الجزائر في العهد العثماني خلال القرن (16- 19م) تقدم لنا نموذجا ملائما، ومثالا حيا لما يمكن أن تنتهي إليه الدراسات التاريخية ذات الطابع الأثري التي يلتقي فيها اهتمام المؤرخ باختصاص الأثري، وتستعمل فيها الوثائق التاريخية لإعطاء صورة دقيقة عن المعالم العمرانية المندثرة، هذا ونظرا لكون الشبكة المائية قد اندثرت معالمها وذهبت بقاياها

(1) أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، مرجع سابق، ص 523.

(2) الراشدي، مصدر سابق، ص 219.

(3) الزياني، مصدر سابق، ص 26-270.

(4) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 236.

(5) قارة مبارك بن صالح، مرجع سابق، ص 76.

(6) رشيد حفيان، مرجع نفسه، ص 236.

(7) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 244.

وزالت خططها، بعد أن اتسع عمران مدينة الجزائر وأصبحت بنايات تغطي أغلب المناطق⁽¹⁾.

وتتحكم في الشبكة المائية بفحص مدينة الجزائر طبيعة التضاريس، وكمية الأمطار السنوية⁽²⁾، لكن هذه الشبكة المائية بمختلف أنواعها كانت عرضة لمخاطر الكوارث الطبيعية، فقد أدى تكرر الهزات الأرضية التي تدمر البنية التحتية للمنشآت المائية، وتخلق مشاكل عديدة للفلاحة⁽³⁾، والسيول الجارفة، وانزلاق التربة في الفترة العثمانية الى تلفها مثل: ما حدث خلال زلزال 1716 و 1755م الذي دمر جزءا كبيرا، أو بعد الزلزال الذي جاء على المدينة سنوات 1758 و 1759م، حيث افتقرت المدينة لمنابع جديدة مما أدى بالذاتي بابا علي الى ضرب ضريبة جديدة، وقد خصص لهذه الأعمال العبيد للقيام بذلك⁽⁴⁾.

كما أدت سنوات الجفاف الى استكمال شبكة العيون بمجموعة كبيرة من الأحواض، والصهاريج من أجل الاحتفاظ بكميات كافية من المياه لاستخدامها أثناء فترات الجفاف، أو الحصار، أو الزلازل⁽⁵⁾، باعتباره عنصرا حيويا لا يمكن الاستغناء عنه لأنّ فقده يعني فقدان الحياة نفسها⁽⁶⁾.

3. التركيبة الاجتماعية

1.3 معضلة احصائيات عدد السكان

يشكل التطور الديمغرافي وتراجع له للمدن واحدة من الاهتمامات التي شغلت بال واهتمام الباحثين قديما وحديثا لما له من تأثير مباشر وملمس على واقع تلك الدول، في كل مجالاتها، فالجزائر بموقعها الاستراتيجي ومكانتها الخاصة شهدت تطورا ونموا ديمغرافيا خلال المرحلة العثمانية الأولى وكان له الأثر الواضح في مختلف النواحي، وقد تحكمت في هذا التطور مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية والسياسية، لكن هذا التطور لم يعرف استقرار بل عرف تراجعا خاصة مع نهاية القرن الثامن عشر، بدء من الربع الأخير من هذا القرن حتى عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830)⁽⁷⁾، (1830)⁽⁷⁾، بدأ سكان مدينة الجزائر من خلالها يتناقصون لاشتداد الأمراض وتكرر

(1) ناصر الدين سعيدوني، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، مج 06، ع 01، الجزائر، 1995م، ص 61.

(2) ناصر الدين سعيدوني، من المظاهر...، المرجع نفسه، ص 62.

(3) عبد الكريم حسانين، الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية المؤثرة في النشاط الزراعي خلال العصر العصور الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مج 11، العدد 03، ديسمبر 2020م، الجزائر، ص 305.

(4) رشيد حفيان، المرجع نفسه، ص 244.

(5) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 244.

(6) نادية مباركي، إطلالة تاريخية على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقها المائية خلال العهد العثماني- على ضوء مصادر غربية ووثائق محلية من الرصيد العثماني، مجلة دراسات تراثية، مج 07، ع 01، الجزائر، 2017، ص 136.

(7) نجوى طوبال، قراءة في التطور الديمغرافي لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 03، العدد 01، مارس 2021، ص ص 10-23.

المجاعات وحدثت
الزلازل، وانقطاع الهجرة الأندلسية حتى أصبحوا لا يتجاوزون (50.000) نسمة⁽¹⁾.
كما ترتب عن كثرة المجاعات، والكوارث الطبيعية قلة المحاصيل الفلاحية، وهذا ما أدى إلى تفهقر الوضع الاقتصادي الذي عانت منه الطبقات الاجتماعية المحرومة التي ازدادت فقرا وتعاسة، مما جعلها تتوقع على نفسها مثل: ما كان مع قرية "ألماية" قرب واد "الأشبور" قريبا من مدينة الأغواط⁽²⁾.
كما تعامل الحكام العثمانيون ديمغرافيا، واجتماعيا مع الجزائريين بدرجات متفاوتة، حيث قسّموا السكان إلى أصناف حسب أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية لا كونهم رعايا خاضعين، وإنما مجموعات سكانية متفاوتة في الواجبات والحقوق، إلى جانب هذا نجد أنّ الإحصاءات المقدّمة حول الوضع الديمغرافي للمجتمع الجزائري في هذه الفترة تكاد تتفق أنّ عدد السكان قد تقلّص بشكل يلفت الانتباه⁽³⁾، نتيجة حركات التمرد، والاحتكاك مع الخارج، وتراجع المستوى المعيشي، الذي أدى إلى العكوف عن الزواج أو تأخره⁽⁴⁾، ناهيك عن الحروب للدولة العثمانية، والحملات المتتالية التي شنّها الدول الأوروبية على الجزائر، بالإضافة إلى الصراعات، والاضطرابات الداخلية، وخاصة التي دارت بين الانكشاريين واليهود⁽⁵⁾، فبلغت نسبة التراجع إلى حدود الثلاثين ألف نسمة، ولعلّ مرد ذلك يكمن بالدرجة الأولى إلى انتشار الأمراض المعدية والأوبئة بين عموم الناس، وعلى رأسها مرض الطاعون، الذي شهدته الجزائر عموما، خلال القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر عدّة مرات أبرزها سنوات: (1717/1718 / 1723 / 1730 / 1733 / 1778 / 1799 / 1816 / 1822) وهي فترة طويلة تكشف عن فداحة الخسائر البشرية التي حصدتها الأوبئة، والتي لم يسلم منها حتى الداي علي خوجة الذي توفي بعد إصابته بالطاعون، وكلّها عوامل كانت متحكمة في التراجع الديمغرافي في هذه المرحلة من تاريخ مدينة الجزائر⁽⁶⁾.
تسببت هذه الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فاندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها، كما هو الحال مع قبائل الأمحال، الذين سمي طاعون 1786م "بحبوبة الأمحال" نسبة إليهم، بعدما أفناهم عن آخرهم⁽⁷⁾.

(1) زوليخة اسماعيلي، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار الدزاير إيفو، الجزائر ط01، 2013م، ص 316.

(2) سعاد آل الشيخ، الأوضاع الصحية وانعكاساتها على المجتمع الريفي اجتماعيا واقتصاديا بالجزائر العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، المجلد التاسع، العدد الأول، صفر 1443هـ/سبتمبر 2021م، ص 106.

(3) هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية (دراسة سوسيو-تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري)، مجلة أفاق للعلوم، العدد 07، مارس 2017م ص 300.

(4) نجوى طوبال، مرجع سابق، ص 28.

(5) هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، مرجع نفسه، ص 300.

(6) نجوى طوبال، مرجع السابق، ص 23.

(7) كاميليا دغموش وحمدادو بن عمر، الوضع الصحي والمعيشي لبايلك الغرب...، المرجع السابق، ص 344.

قدّم الباحث سعيدوني ترتيباً زمنياً لهذه الأوبئة، والأمراض التي عرفتها الجزائر طيلة ثلاثة قرون، فهو يرى أنّ الأوبئة كانت تتكرّر كل عشر سنوات، وأنّها في بعض الأحيان تستقر لبضع سنوات، كما حدث طيلة أعوام 1784_1798م، ولهذا فهو يرى أنّ القرن السابع عشر عرف 61 سنة خالية من الوباء، بينما تميزت 39 سنة منه بانتشار

الأوبئة، وأنّ القرن الثامن عشر عرف هو الآخر 79 سنة بدون أمراض، بينما 21 سنة منه شهدت تكرار هذه الأوبئة⁽¹⁾.

كان لهذه الأوبئة، والكوارث الأثر الواضح على نمو السكان ووضعهم الاجتماعي فتضاءل سكان المدن، وتناقص سكان الأرياف ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر تسببت في ضعف الأوجاق، وتناقص عدد البحارة، وقدرة الحرفيين والصنّاع، وافتقار الأرياف إلى اليد العاملة في الزراعة⁽²⁾.

إلا أنّ ما يلفت الانتباه من الناحية الاجتماعية، هو اختلاف الروايات المتعلقة بإحصاء سكان البلاد الجزائرية في أواخر الفترة العثمانية⁽³⁾، كونها كانت تقدر الضرائب على الأملاك بمختلف أنواعها وليس على الأفراد، ولهذا فإنّ أغلب الإحصاءات التي وردت في مختلف المصادر تعتبر جزئية، ولا تعكس بصدق العدد الإجمالي لسكان الجزائر⁽⁴⁾، فقد قدر عدد سكان مدينة الجزائر في القرن السابع عشر يقدر بحوالي 10,000 نسمة، وذلك اعتماداً على مصادر أوربية⁽⁵⁾، إلا أنّ بعض التقديرات تشير إلى أنّ مجموع السكان لا يتجاوز مليون نسمة⁽⁶⁾، وتشير بعض التقارير العسكرية التي تتحدّث عن قلّة الكثافة السكانية للجزائر بشكل مريب، بحيث تجزم بأنّ تعداد الساكنة من الأهالي في الجزائر قاطبة لا يتجاوز مليون وثمانمائة وسبعون ألف (1.870.000) نسمة⁽⁷⁾، فيما يقرّر ميشال بيروت (Michel perrot)

(1) هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، مرجع سابق، ص 299.

(2) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ _ العهد العثماني، مرجع سابق، 1984، ص 87.
(3) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م_1830)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 03، ص 39.

(4) هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، مرجع سابق، ص 297.

(5) عائشة غطّاس، من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق الوثائق المحليّة، مجلة إنسانيات، العدد 19_2003، ص 37.

(6) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م_1830)، المرجع السابق، ص 39.

(7) -boutin vincent _ yves: Dépôt de la guerre: Aperçu historique ,statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de la l'armée expéditionnaire d'Afrique, 3 editions, ch, picquet paris, 1830 p111.

(perrot) بأنّ عدد سكان إيالة الجزائر في أحسن الأحوال لم يتجاوز المليونين والنصف (2.500.000)⁽¹⁾.

ترى "لوسيت فالنسي"، وهي التي وضعت كتابها في فترة متأخرة عن من تقدّم ذكرهم أنّ عدد سكان الجزائر قبل 1830م لم يتجاوز على الأغلب (3.500.000) ساكن⁽²⁾.

أمّا بالنسبة للدراسات المحلية فيرى الباحث، والمؤرخ ناصر الدين سعيدوني بأنها أكثر الاحتمالات تواردا، فيعتبر أنّ عدد السكان يتراوح بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف، ويعيش غالبية هؤلاء السكان في الأرياف بينما المدن لا يؤلف سكانها سوى أقلية ضئيلة لا تتعدّى حسب المعلومات المتوفرة 5% من مجموع السكان، وهذه النسبة المتواضعة من سكان المدن تختلف كثافتها من جهة لأخرى، فهي في الناحية الغربية تبلغ 07% أو 08% وفي الناحية الوسطى تنخفض إلى 06%، بينما في الناحية الشرقية لا تتجاوز 03% من مجموع سكان الحواضر⁽³⁾.

في حين أنّ بعض المصادر المحلية التي اهتمت بإحصاء سكان الجزائر، وقدمت بعض الأرقام عنهم منها كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة إلى أنّ عدد سكان إيالة الجزائر أواخر القرن التاسع عشر إلى عشرة ملايين نسمة في قوله «... يسكن إيالة الجزائر عشرة ملايين نسمة وتتكون هذه الإيالة من مدن وقرى وموانئ وأرياف...»⁽⁴⁾، لكن الإحصائيات الفرنسية تنفي هذا الرقم نفيا قاطعا فحسب إحصاء 1856م بلغ عدد سكان الجزائر 2,3 مليون نسمة فقط، إنّ هذا الرقم أقل من الرقم الحقيقي خاصة إذا علمنا أنّ عمليات الغزو كانت سببا في مقتل عدد كبير من السكان خلال ربع قرن من العمليات العسكرية⁽⁵⁾.

(1) -Perrot Aristide Michel :*equisse topographique et historique du royaume et de la ville, accompagnée d'une carte générale du royaume et d'un plan du port et de ses environs*, E'diteur: l'advocat, paris, 1830 p16.

(2) خبير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 293.

(3) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر ...، مرجع سابق، ص 39.

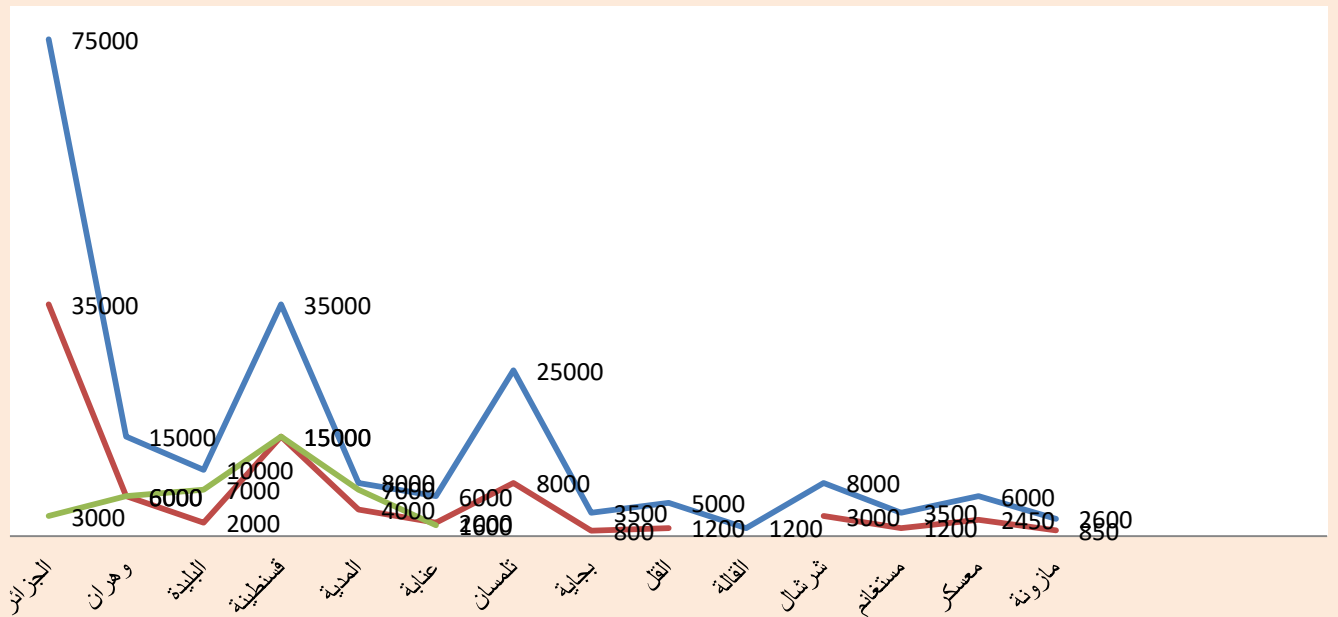
(4) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 50.

(5) هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، مرجع سابق، ص 300.

أما إذا أخذنا بالإحصائيات التي قدمها جوشرو (JUCHEREAU)، عن بداية القرن 12هـ / 18م ومطلع 13هـ / 19م، وتلك التي ذكرها روزيه (ROZET) قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر، فإننا نلاحظ جلياً ذلك التناقص الذي عرفه عدد سكان الجزائر، ونبين ذلك في المنحنى البياني الذي أمامنا (1).
نلاحظ من خلال المنحنى البياني الذي يمثل عدد السكان بداية القرن 18م إلى

منحنى بياني يمثل عدد السكان بداية القرن 18 إلى غاية 1830م

عدد السكان عام 1830 عند "جوشرو" — عدد السكان بداية من القرن 18م عند "جوشرو"
عدد السكان قبيل الاحتلال عند "روزيه"



غاية 1830م عند "جوشرو" و "روزيه"، فإنّ الأول قد أشار الى ارتفاع عدد سكان الجزائر خلال القرن 18م، بينما "روزيه" تقدم إحصائياته خلال القرن التاسع عشر، وبالضبط في الفترة قبيل الاحتلال، والتي عرفت في بداياتها انخفاضا في عددهم ثم ارتفاع في مرحلة من المراحل، لتعود وتراجع نسبتهم، بينما يشير "جوشرو" الى ارتفاعهم نوعا مع في الفترة قبيل الاحتلال، لتشهد بعد ذلك تراجع وتقلص مستمر يلفت

الانتباه، ويعود ذلك لأسباب نذكر منها:

- انتشار الأمراض المعدية، بحيث تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية.

(1) ملاحظة: أنجز هذا المنحنى من طرف الباحثة بالاعتماد على معطيات أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، مرجع سابق، ص ص 81، 82.

- تراجع المستوى المعيشي، ممّا أدّى الى عكوف الشباب عن الزواج.
- حركات التمرد وعمليات الغزو التي كانت سببا في مقتل عدد كبير من السكان، وكلها عوامل متحركة في التراجع الديمغرافي.
قد تصبح الآلية التدميرية للأزمة أكثر ضرارا إذ تزامنت الأزمنة الصحية مع الأزمة الغذائية، كما حدث في بايلك الغرب عموما سنة (1199هـ/1785م)، التي كان من نتائجها الأتية القضاء على عدد كبير من ساكنة المدينة⁽¹⁾، فقد بلغت نسبة السكان المتوفين 04،21% ما بين 1799م، و1803م، وتضاعف عددهم في العشرينات من القرن التاسع عشر، حيث قدرّت نسبتهم 09،12%، وذلك بسبب ظروف تاريخية⁽²⁾.
بالإضافة الى تزامن الوباء، والمجاعات مع كوارث طبيعية أخرى كان يؤدي دون أدنى شك إلى تبعات كبيرة على النمو الديمغرافي، كالتّي بدأت في الظهور حوالي سنة 1786م⁽³⁾، وكما يصادف أيضا وباء سنة 1817م الزلزال الذي ضرب مدينة الجزائر خلال تلك الفترة، فجعل الخسائر تتضاعف على مستوى عدد ساكنة المدينة بشكل جعل المدينة تبدو وكأنّها مدينة أشباح⁽⁴⁾.

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 297.

(2) حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 51.

(3) العربي ايشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 80_81.

(4) خير الدين سعدي، مرجع نفسه، ص 297.

2.3. الهجرة

إن ظاهرة الهجرة في المفاهيم الديمغرافية المعاصرة تندرج ضمن ما يسمّى " الحدث المتجدّد"، الذي يحصل أكثر من مرّة لفرد ينتمي إلى مجموعة من الأشخاص⁽¹⁾، غير أنّ الهجرة بسبب الجوع والوباء اعتبرت ظاهرة مخطّة بالعمران، فحركة السكان نحو المدن أوقات هذه الأزمات يحدث فراغا عمرانيا رهيبا في الأرياف، ويقابله اكتظاظ في المدن، ممّا ينتج انحسارا في التمدّن، وظهور التبدّي على أوسع نطاق⁽²⁾، ويشير الباحث خير الدين سعدي في هذا الصدد قائلا: «... أنّ حدوث الأوبئة مستندة على الجغرافيا بشكل كبير، إذ أنّ حدوث الأوبئة كان يؤدي إلى هجرات سكانية الى المدن، بحثا عمّا يمكنهم من سدّ رمقهم، وبالتالي ينعكس ذلك في إطار إختلالات سكانية عبر التاريخ البطيء كثيرا ما انتهت بمأساة جديدة للتوزيع السكاني»⁽³⁾.

3_2_1 الهجرة الداخلية:

شكلت الهجرة و الفرار إحدى السلوكيات التي ميّزت المجتمع الجزائري العثماني، التي انتشرت فترة الكوارث الطبيعية، وهي من بين ردود الأفعال الأولية الناتجة عن الآثار الاجتماعية لهذه الكوارث، فقد كان لإفراغ المناطق الموبوءة من ساكنتها خلال فترة الأوبئة، إمّا هروبا من الوباء أو بسبب الهلاك آثارا عميقة في تجديد الطاقات البشرية لبعض المدن، وإحداث تحولات في المكونات البشرية لمناطق أخرى، على أساس البعد الديمغرافي لظاهرة الهجرة باعتبارها سلوك بشري يمارسه الإنسان، وذلك بتغيير مكان الاستقرار الاعتيادي إلى مكان آخر⁽⁴⁾.

ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ المصادر لا تكشف في الكثير من الأحيان عن سلوكيات الهجرة الاضطرارية، الناتجة عن أثر التحولات الطبيعية بسبب اهتمام المؤرخين بالحدث السياسي، والانتصار العسكري، وبالتالي لا مناص من الانفتاح على المصادر (كتب النوازل والتصوف والأمثال والزجل..)، التي لا تؤلف أصلا لغرض التاريخ، وموضوعه، سعيا وراء تعقب سلوكيات تنقل الانسان، وفراره بمجال العدوتين زمن التحولات البيئية، والمتغيرات الطبيعية في الحقبة موضوع الدراسة⁽⁵⁾.

3_2_1/1 الهجرة نحو الأرياف:

لطالما كانت الأرياف ملاذا آمنا للفارين من بعض الكوارث الطبيعية، خاصة الزلازل لحجم الخسائر البشرية التي خلقتها في المدن، نظرا لخصوصيتها ككثرة العمران، وارتفاع نسبة السكان بها مثلما أحدثه زلزال 03 فيفري 1716م، ما أدى بهجرة السكان باتجاه المدن، وقد بلغ عدد ضحايا زلزال 1716م بمدينة الجزائر

(1) يوسف أنكاري ونور الدين المودان، مفاهيم ديمغرافية - الحدث الديمغرافي والظاهرة الديمغرافية- مجلة كنانيش، مج01، العدد 03، المغرب، 2001، ص105.

(2) سمية مزدور، مرجع سابق، ص237.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص223.

(4) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص134.

(5) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوكيات وذهنيات الانسان...، مرجع سابق، ص116.

20000 ضحية، وفي 1717م ضرب زلزال مدينة البليدة، ما أدى بسكانها للفرار باتجاه بساتينهم هربا من الهزات، وأدى ذلك لتشتيت وهلاك الكثير من الناس⁽¹⁾. كما شكلت ظاهرة إخلاء المناطق الموبوءة أو المعرضة لأي خطر كان كالزلازل والفيضانات، واللجوء إلى مناطق أخرى إحدى السمات البارزة لردود الفعل السكانية خلال فترات الكوارث والأوبئة الفتاكة، فقد كان الوباء عادة يدفع بالسكان إلى الفرار أو على الأقل ملازمة المنازل أو الخروج من المدن نحو الأرياف المجاورة، فقد كانت الأرياف ملاذا للفرارين لاعتبارات صحية منها صفاء الهواء، ونقاوته عكس المدن، تطرد البراغيث الناقل للعدوى⁽²⁾.

3_2_1 الهجرة نحو المدن:

تعددت دوافع الهجرة بالنسبة للمجتمع الجزائري باختلاف العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية والطبيعية التي زادت من حدة هذه الظاهرة، فإتباع بعض الحكام العثمانيين لسياسة القسوة، والعنف بدل سياسة اللين، والثورى، والمؤاخاة إذ استفردوا بالحكم كفة متميزة، واحتكروا السلطة في أيديهم، بالرغم من دخولهم للجزائر بطلب من سكانها، فالجوء إلى العنف والاضطهاد في بعض القضايا كان أحد الأسباب الرئيسية للهجرة مثل ما فعله بايات قسنطينة⁽³⁾، ونقف أيضا في بايلك الشرق الجزائري بعيدا عن الكوارث الطبيعية، وأثناء ثورة "ابن الأحرش" سنة 1218هـ/1802م، التي امتدت سنوات في الشرق الجزائري، فنجم عنها حدوث المجاعات بسبب قلة الحرت، وانعدام الحبوب لغياب الأمن، فكانت من ندرة ذلك أن دخلت أعراش بايلك قسنطينة في مواجهات بين بعضها البعض لأجل تأمين القوت، كما نزع الناس من دورهم «...وتشتتوا عن منازلهم بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشرّ، والمصائب التي حلت بهم من قبل يبس الزرع، وعدم الحرت..»⁽⁴⁾.

إضافة الى تدهور الأوضاع السياسية الذي أدى بدوره إلى تدني الوضع الاقتصادي، نتيجة هجرة السكان لأراضيهم وهروبهم من الأوبئة، وتوجههم إلى مناطق أخرى لم تصلها حتى ولو كانت بعيدة، وقد أدى تخلي الكثير من الأسر عن ممتلكاتها إلى الفقر، والحاجة لدى كثير من السكان، وبخلي الناس عن الأراضي الفلاحية تأثر

(1) نفسه، ص 136.

(2) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 323.

(3) رشيد حفيان، المرجع السابق، ص 134.

(4) محمد الصالح العنترى، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص 33.

النشاط الزراعي، وذلك بتراجع الانتاج واللجوء إلى الاستيراد، كما استغل العديد من الانتهازيين هذا الظرف لرفع الأسعار وممارسة الاحتكار⁽¹⁾.

2.2.3. الهجرة الخارجية:

مما ترتب أيضا على إحدى الأزمات الغذائية، التي ألمت بمدينة الجزائر سنة (1805م)، والتي أحدثت ثورة شعبية وجهت في الأساس ضد فئة اليهود، بحكم أنهم المتصرفون الحقيقيون في الشؤون التجارية للإيالة عموما، والتموين خصوصا، مستغلين في ذلك علاقاتهم القويّة بالسلطة الحاكمة⁽²⁾، وقد خلفت هذه الانتفاضة مقتل عدد من اليهود قدرته بعض الأبحاث بأكثر من خمسين شخصا⁽³⁾، وكان من نتائجها أيضا هجرة عدد من العائلات اليهودية، والتي قدرّت بأكثر من 200 عائلة منها من سلكت مسالك أفورنا، ومنها من اتجهت إلى تونس⁽⁴⁾.

هذا التلازم المتسلسل الذي يشدّ بعضه بعضا من غلاء ومجاعة، ووباء، هو تلازم تصاعدي كان يزيد من هواجس الخوف لدى الإنسان الذي سارع إلى الفرار، فصار بحكم العادة إذا اشتدّ الغلاء، ولاحت إرهابات المجاعة في الأفق توقع الناس اجتياح

الوباء، وهو ما أكدّه ابن هيدور وجعله مرتكزا دعم به مقالته الوبائية فقال: «إذ كان الغلاء وطال، واشتدّت أسبابه لزم عنه الوباء»⁽⁵⁾.

ونستشف من خلال هجرة السكان بسبب موجات القحط، والجفاف أنها تركت آثارا في تفكك، وفتور العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وينطبق عليهم قول ابن حبيب: «تشئت شمل القوم بعد الاجتماع وتفرقوا شذر مذر»⁽⁶⁾.

الهجرة إذن سواء أكانت داخلية أم خارجية، أم بين الأرياف، والمدن كحدث ديمغرافي كان ناتجا خصوصا عن أزمات الجوع، فهي إنّما تدل على حاجة السكان إلى تأمين غذائهم لتجاوز هذه الأزمة خارج مجال وقوعها⁽⁷⁾.

(1) محمد الصديق بولغيث وحمدادو بن عمر، المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي في بايلك الغرب الجزائري في أواخر القرن الثامن عشر، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11، العدد 01، مارس 2021م، ص 373.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 314.

(3) H- DE Grammont: *Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515 -1830)*, p361.

(4) حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة (1830-1518م)، ط 01، دار الهدى، 1428هـ-2007م، الجزائر، ص 60.

(5) عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص ص 117-118.

(6) نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، مرجع سابق، ص ص 137، 138.

(7) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 237.

3.3. الوفيات

إنّ الوفيات في حقل الديمغرافيا التاريخية تنضوي ضمن ما يسمى بالحدث غير المتجدد، الذي يحدث للفرد الذي ينتمي إلى مجموعة من الأشخاص مرّة واحدة فقط، فالوفيات كانت ولا زالت تعدّ الحدث المخل الناتج عن ظاهرة مخلة، كظاهرتي الجوع والوباء مثلا، لأنها تؤدي إلى حدوث اختلال في ظاهرة الخصوبة عند العزّاب، ويحول ذلك دون زواج بين صفوف هؤلاء، ومن ثم يتراجع عدد السكان فتحدث الكارثة الديمغرافية خصوصا في أوقات الكوارث كالمجاعات⁽¹⁾.

إنّ تأثير الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية على التعداد السكاني كان له الأثر البارز في فقدان نصف سكان الجزائر ككل، التي أودت بدورها بعدد كبير من كل الفئات، وأيضا إلى نفوق عدد هائل من الحيوانات، وهلاك الزرع الذي أثر بشكل سلبي على الساكنة آنذاك، وهذا ما تؤكد رسالة من القنصل الفرنسي إلى مرسوله في عنابة في 23 جانفي 1793م قائلا: «إنّ الطاعون أصاب البساكرة العاملين بمدينة الجزائر، وانتقل بعدها للأرياف حتى وصل مدينة البليدة، ثم امتد إلى جهات أخرى ومن بينها قسنطينة، ولم ينقطع هذا الوباء بل استمر في التصاعد إلى أن بلغ أوجه سنة 1794م، بحيث أرغم السكان للهروب نحو الأرياف، وكان سبب انتشار هذا الوباء بمدينة الجزائر ووصلها عن طريق بحارة القسطنطينية⁽²⁾».

قدّر عدد ضحايا الطاعون بين سنتي 1792م-1793م ب 12 ألف ضحية⁽³⁾، وقد أكد المكناسي على خطورته وانتشاره بمدينة الجزائر وأعمالها أي بالنسبة للمناطق والمدن المحيطة بها، وقد مات بسببه خلقا كثيرا⁽⁴⁾.

أيضا حسب ما جاء في رسالة من وكيل الشركة الإفريقية مؤرخة بتاريخ 25 ماي 1786م يتحدث فيها الوكيل السيد هيوس (Hugues)، عن سقوط نصف سكان مدينة القالة ضحايا لهذا الوباء جعل النصف الآخر من السكان يسعى للانتقال من المدينة إلى غيرها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الأثر المدمر لهذا الوباء، وتأثيراته على الديمغرافيا العامة للمدينة⁽⁵⁾.

كما يعتبر وباء 1202هـ / 1787م من أخطر وأعنف الأوبئة التي عرفتها الجزائر نظرا لما خلفه من ضحايا وقد قيل أنّه فتك في تلك السنة بثلاث سكان مدينة الجزائر، فكان عدد ضحاياه من المسلمين يتراوح ما بين مائتي ومائتي وأربعين ضحية يوميا لمدة أربعة أشهر، وتبين الدائرة البيانية العدد الاجمالي لضحايا الوباء خلال عامي 1202هـ / 1787م.

(1) سمية مزور، مرجع سابق، ص 238.

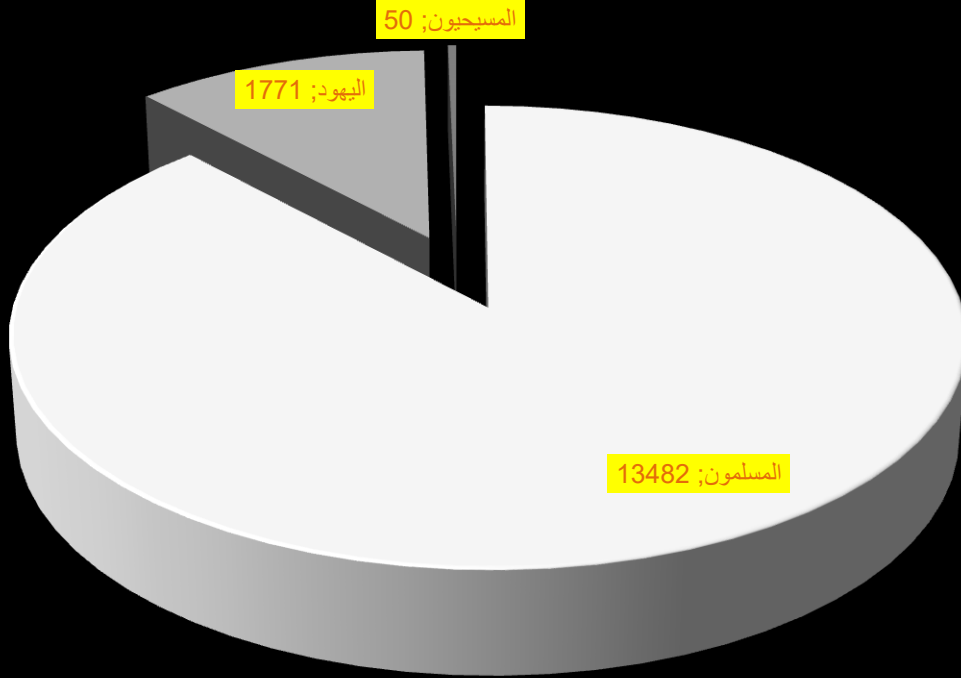
(2) سعاد آل الشيخ، مرجع سابق، ص 95.

(3) أرزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني...، مرجع سابق، ص 84.

(4) سعاد آل الشيخ، مرجع سابق، ص 95.

(5) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 296.

ضحايا وباء الطاعون لسنة 1787م



(1)

ما يمكن ملاحظته من خلال استقراء الدائرة البيانية، التي تبين عدد ضحايا وباء الطاعون بالجزائر خلال سنة 1787م ما يلي:

- أن العدد الكبير من الضحايا، والفئة الأكثر تأثرا بالأوبئة وانعكاساتها هم المسلمين ثم تليها فئة اليهود، وفي المرتبة الأخيرة النصارى أو المسيحيين، ويرجع ذلك أولا إلى الكثافة السكانية المختلفة بين الفئات هذا من جهة، ومن جهة ثانية توجد عوامل أخرى من بينها: أن فئة النصارى، واليهود قاموا بمجموعة من الإجراءات الوقائية، والاحترافية التي تجنبهم وتمنع إصابتهم بالوباء، وكانوا ملتزمين بإجراءات الحجر الصحي، ولا يخرجون أيام انتشار الأوبئة مخافة على أن يمسه ما من شأنه أن يعرضهم للوباء، هذه الإجراءات الوقائية كان لها انعكاس ايجابي في التقليل من عدد الموتى، مقارنة بفئة المسلمين التي لم تول اهتماما كبيرا بإجراءات الوقاية من الأمراض وهذا ما استقرأناه في كتاب حمدان بن عثمان خوجة " إتحاف المنصفين

(1) ملاحظة: العمل من انجاز الباحثة معتمدة على معلومات مأخوذة من مقال يوسف صرهودة، سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في ايلة الجزائر خلال القرن 18-19م، المرجع السابق، ص 648.

والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء"، إذ اعتبر عدم الاهتمام بالاحتراز من الأوبئة من أكبر الأخطاء التي تشبّث بها المسلمون في مختلف الأرجاء سواء في الجزائر وغيرها؛ واستغرب لتعصب المسلمين بغير وجه حق لعدم تتبع سبل الغربيين في حفظ النفس من الوباء، وهو ما وصفه حمدان بن عثمان خوجة بالانحطاط الفكري الذي جعلهم يرفضون الأخذ بأسباب الوقاية من الطاعون، وهو نفس الأمر الذي استقرأته في مخطوط محمد بيرم المعنون " بحسن النبأ في جواز التحفظ من الوباء"، هو تعصب المسلمين التونسيين بتطبيق الحجر الصحي أثناء انتشار وباء الطاعون سنة 1784م، الذين تأثر الكثير منهم برأي المناعي الذي ادعى أنّ الكرنينية عمل من خصائص الكفار، ومن تشبّه بفعلهم يصبح كافرا مثلهم، وهذا القول بالتكفير والتحريم أيضا من الأسباب لجعل بيرم يؤلف رسالته مدافعا عن رأي القائلين بجواز التحفظ و اعتماد الكرنينية.

إلا أنّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا التعتت، والتعصب للاقتداء بإجراءات الاحتراز لم يقتصر على السكان فقط، بحيث أجمع أغلب الباحثين، والمؤرخين على ضعف المنظومة الصحيّة في الجزائر خلال الحكم العثماني مقارنة بتلك الموجودة في أوروبا، فمواجهة الأوبئة في الإيالة لم تتضح معالمها في جلّ المصادر التاريخية خصوصا ما تعلّق بنظام الكرنينية.

حسب أحمد الشريف الزهار أنّه في سنة 1238هـ انقطع هذا الوباء من الجزائر، وكان قد حلّ بها في رجب سنة 1232هـ، وبقي سبع سنين إلى آخر سنة 1239هـ⁽¹⁾، في حين قدّم الباحث سعيدوني ترتيبا زمنيا لهذه الأوبئة، والأمراض التي عرفتها الجزائر طيلة ثلاثة قرون فهو يرى أنّ الأوبئة كانت تتكرّر كل عشرة أو خمسة عشر سنة، وأنها في بعض الأحيان تستقر لبضع سنوات كما حدث ذلك طيلة أعوام 1784- 1798، ولهذا فهو يرى القرن السابع عشر عرف 61 سنة خالية من الوباء، بينما تميّزت 39 سنة منه بانتشار الأوبئة، وأنّ القرن الثامن عشر هو الآخر 79 سنة بدون أمراض بينما 21 سنة منه شهدت تكرار هذه الأوبئة⁽²⁾.

ويذكر الزياتي عن وباء سنة 1789م أثناء مروره بمدينة تلمسان مشيرا فيه إلى أنّ وباء كبير حلّ بها، وأنّه خرج فارا منها، كما أشار إلى كثرة الضحايا بقوله: «فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم»، وهذا يدل على أنّ الوباء خلف عددا كبيرا من الضحايا⁽³⁾.

(1) أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 151.

(2) هشام بويكر وبلقاسم عياشي، جوانب من الحياة الديمغرافية و الاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مجلة آفاق للعلوم، ع07، مارس 2017م، الجزائر، ص 299.

(3) بولغيث محمد الصديق وحمدادو بن عمر، مرجع سابق، ص 370.

وهذا أثر بشكل كبير على الكثافة السكانية في مدينة الجزائر، وتليها فئة اليهود إذ لم يتجاوز متوسط النجاة خمس هذه الفئة الموجودة بالمدينة، فتحدّث على نجاة أقل من عشرة أشخاص من مجموع أربع وخمسين زواجا من هذا الوباء، وينقل في موضع آخر رقم كبير لعدد الضحايا من الأطفال الذين قضى عليهم هذا الوباء في شهر واحد، وقد قدر بأربعمائة طفل في شهر واحد⁽¹⁾.

وما زاد الوضع سوءا هو تزامن الوباء مع الزلزال الذي ضرب مدينة وهران عام 1790م، انهارت على إثره المدينة وضواحيها، واستمرت عبر هزّات متكرّرة غاية 22 نوفمبر، وقد قدر عدد ضحايا هذا الزلزال بحوالي 3000 ضحية، لتشهد بعدها مدينة وهران سنة 1792م مجاعة كبيرة وصل الأمر بالناس من خلالها إلى أكل لحوم

البشر، والخنازير وشرب الدم، لتشهد بعد ذلك طاعون خلال 1794 م جعل المدينة خاوية على عروشها، وأطلق عليه اسم "طاعون عثمان"، وعام "حبوبة عثمان"⁽²⁾.

أمّا في سنة 1817م قام الطاعون ثلاث سنوات، وعمّ جميع أنحاء البلاد، وحسب شهادة القنصل البريطاني وليام شو، فإنّ جماعات من الأهالي كانوا يموتون في الشوارع وفي السنة الموالية قضى وباء 1818م على ما يزيد عن أربع عشر ألف نسمة، وتضررت به أغلب الجهات الجبلية، ومنطقة القبائل، وزادت حدّته ما بين 1817-1822م، ويعدّ هذا الطاعون أكبر معضلة عرفت بها البلاد خلال العهد العثماني،

فقد عمّ جميع أرجاء الإيالة، ووصل إلى مشارف الصحراء خلفا وراءه كارثة إنسانية⁽³⁾، إذ نجد أنّه أتى على خمس مدينة "بوسعادة" كما تحدث "غيون" عن سقوط ما يقارب 60 ضحية من بين 500 ساكن أي أكثر من 10% من سكان المدينة، وأكثر من ربع سكان إحدى قرى مدينة "جيجل" إذ قضى على 60 فردا من بين 20 فردا كان يقطنه⁽⁴⁾، أمّا في مدينة عنابة تسبب في إخلاء ثلثي سكان المدينة⁽⁵⁾.

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص ص 296-297.

(2) بولغيث محمد الصديق وحمدادو بن عمر، مرجع سابق، ص 370.

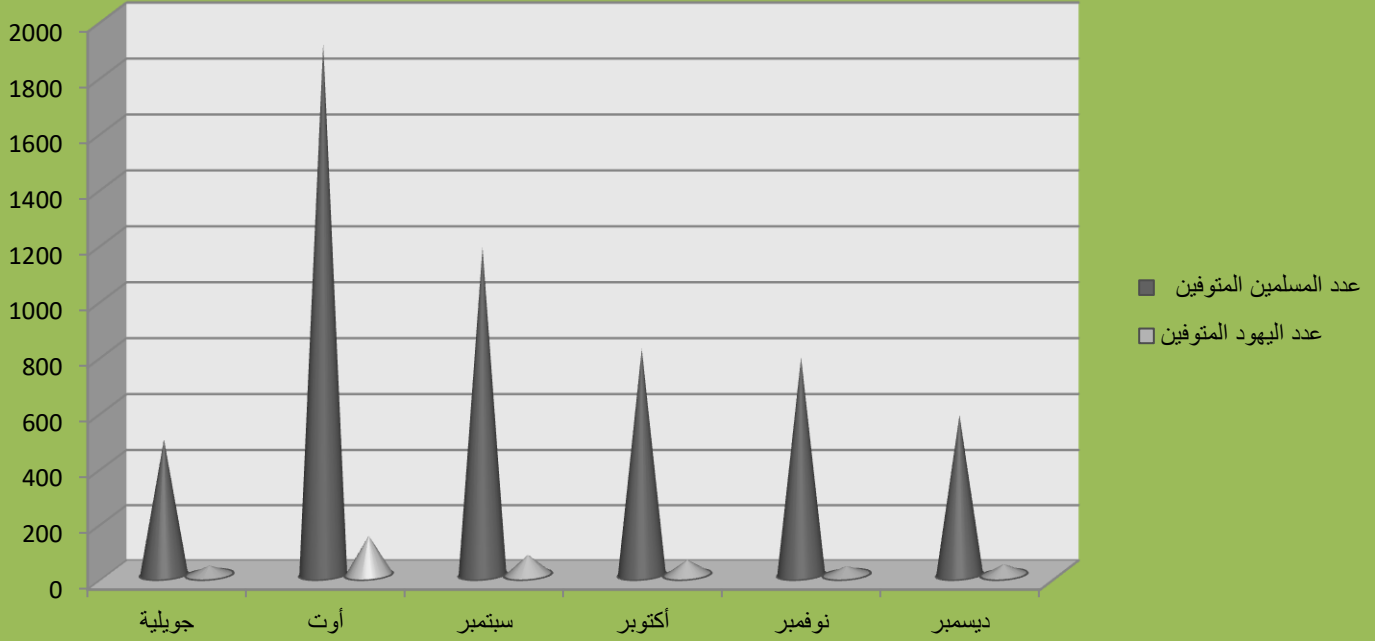
(3) سعاد آل الشيخ، المرجع السابق، ص 95.

(4) خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص 301.

(5) عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص 47.

(انظر الى الأعمدة البيانية البيانية في الأسفل) التي تمثل عدد الوفيات بمدينة عنابة لسنة 1816م⁽¹⁾.

أعمدة بيانية توضح عدد الوفيات لفئة المسلمين و اليهود في مدينة عنابة خلال وباء 1816م



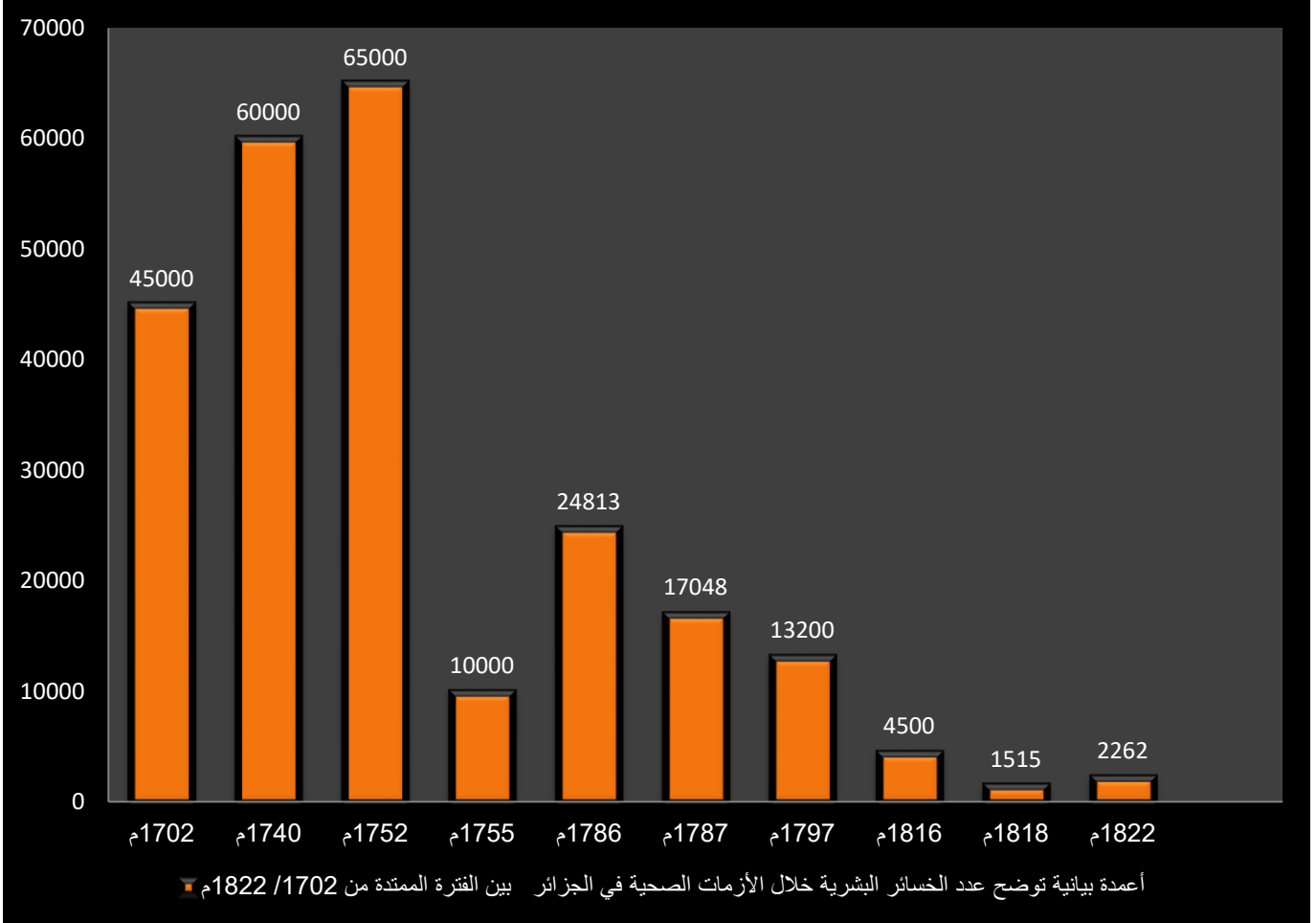
نلاحظ من خلال الأعمدة البيانية التي توضح عدد الوفيات لفئة المسلمين، واليهود في مدينة عنابة خلال وباء 1816م أنّ عدد المسلمين المتوفين أكبر بكثير من عدد اليهود ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

أولا الفرق الشاسع بين عدد سكان الجزائر واليهود، لهذا نجد أن نسبة الوفيات لدى الجزائريين أكبر بكثير من الفئة الثانية، وأيضا كما أشرنا سابقا أن اليهود كانوا أكثر احترازا وتجنبا للأماكن المكتظة وغيابهم عن الجنائز، وعدم استخدامهم للثياب والسلع المستعملة في زمن الوباء، كإجراء وقائي لأنفسهم، في حين نرى أن الجزائريون لم يأخذوا الأمر بمحمل الجدّ، وعدم تتبعهم لسبل الوقاية، وإيمانهم بفكرة أنّ ما يصيبهم هو قضاء الله وقدره دون الأخذ بالأسباب.

ثانيا ضعف المنظومة الصحية في الجزائر لتلك الفترة، فعالية السكان كانت تعتمد على طريقة العلاج بالأعشاب، التي لم تكن تنفع في علاج كل الأوبئة على غرار الطاعون.

(1) ملاحظة: العمل من انجاز الباحثة نقلا عن معلومات وردت في كتاب مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: يوسف حصرية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م، ص 59.

إن أتينا إلى دراسة الأوبئة التكرارية المتزامنة مع كوارث أخرى طبيعية مثل: الزلازل، والجفاف، أو بشرية كالحروب، والاقتيال لحصلنا نتائج أكبر من هذه بكثير. على سبيل المثال لا الحصر اضطر سكان جيجل الى مغادرة المدينة أمام اشتداد المرض⁽¹⁾، أما قسنطينة فقد تسبب في هلاك نسبة كبيرة من سكان المدن والأرياف⁽²⁾، في حين سقط بمدينة بسكرة ما بين (400-450) ضحية بين عدد سكان



لا يتجاوز (3000) ساكن أي تقريبا (15%) من مجمل سكان المدينة، وفي مدينة طولغا القريبة منها سقط 150 من مجموع (700) أي 21,42% وهي أرقام كبيرة لا محالة، وخاصة نحن نتحدث عن عينات عشوائية لأوبئة متباعدة وغير تكرارية، وفي الأسفل أعمدة بيانية توضح جزءا من الخسائر البشرية التي كانت خلال الأزمات الصحية التي شهدتها الأيالة خلال القرنين الثامن عشر والثالث الأول من القرن التاسع عشر⁽³⁾.

(1) عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 76، الجزائر، 1983م، ص 126.

(2) فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص 100

(3) ملاحظة: الأعمدة البيانية من انجاز الباحثة معتمدة على معلومات مأخوذة من مرجع خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص 304.

نلاحظ من خلال الأعمدة البيانية التي توضح عدد الخسائر البشرية خلال الأزمات الصحيّة في الجزائر بين الفترة الممتدة من 1702م إلى 1822م، أنها كانت تشهد ارتفاع في فترة من الفترات سيما إن تزامنت بعض الكوارث الطبيعية مع بعضها البعض، فتؤدي الى ارتفاع في نسبة الوفيات، خاصة سنة 1702، 1740م، 1752م، فعلى سبيل المثال لا الحصر نلاحظ أن سنة 1752م وصل فيها عدد الضحايا الى 65000 بحيث شهدت هذه السنة قدوم الوباء مع سفن قادمة من الدول العثمانية، وتشير بعض الأبحاث أيضا أن الوباء قدم أيضا مع جموع الحجاج من مكة المكرمة، إضافة الى المجاعة التي عاشها الجزائريون من نفس السنة، لتشهد بعد ذلك فيضانات ما أدى الى ارتفاع عدد الضحايا لينخفض عدد الضحايا في السنوات الموضحة في الأعمدة البيانية لتكون سنة 1815م أقل عددا مقارنة بالسنوات الأخرى.

4. الوضع الصحي

1.4. صورة عن الأحوال والمرافق الصحية خلال الفترة الممتدة من 1700م

إلى 1830م

رغم تضارب الآراء حول اهتمام السلطة العثمانية بالجانب الصحي من عدمه، إلا أنه في الحقيقة لم يحظ بالعناية الكبيرة في الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ رغم حاجة الانسان للتداوي، وأيضا موقف الحكام في الجزائر العثمانية التي تتراوح ما بين الإهمال واللامبالاة، لعدم وجود سياسة صحية واضحة إزاء الأوبئة والأمراض المهلكة فيرى الكثير من المؤرخين أنّ الحكام العثمانيين لم يهتموا بميدان الصحة كثيرا، ولم يتخذوا الاجراءات اللازمة، والوقائية المعروفة بالحجر الصحي، والتي كُنّا قد تطرقنا اليها في الفصل السابق، بالتالي نخلص ان عدم اعتماد نظام الحجر الصحي كقاعدة ثابتة بل توقف الأمر على مدى وعي الحكام فمنهم من دعا الى الاحتراز⁽¹⁾ معتمدين على قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾⁽²⁾ في حين تشير الباحثة سعاد عقاد أنّ البعض الآخر كان يدعو للتوكل على الله ، وعدم الاحتراز⁽³⁾ معتمدين على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾⁽⁴⁾.

إنّ تدهور الأوضاع الصحية للمجتمع الجزائري أحدث ثقافة طبية متباينة عند السكان، حيث كانت النظرة الصحية والمرض تختلف باختلاف الثقافات وقتئذ، فالصحة والمرض ظواهر ثقافية مثل باقي الظواهر البيولوجية من حيث ثقافة التفسير، والاعتقاد الخاصة بها؛ فالثقافة هي التي تحدد للمريض تقييمه وتصوره لحالته المرضية، وردود أفعاله تجاه المرض، فهو إما يذهب الى الطبيب أو يذهب الى المعالج المحلي أو

الساحر، أو يتجاهل تماما أعراض مرضه، فتقييم المريض وسلوكه تجاه مرضه أمر يختلف باختلاف الخلفية الثقافية والاجتماعية⁽⁵⁾، أو ربما فكرة الإيمان بالقضاء، والقدر كانت منتشرة بين الناس، وإيمان فئة قليلة بضرورة العلاج، والتداوي من أجل الحفاظ على صحة الانسان عملا بقول رسول الله ﷺ: "العلم علما علم الأديان وعلم الأبدان".

2.4 نظرة الأجانب الأوربيين الى صورة الطب في الجزائر العثمانية من خلال

المصادر الأجنبية

في الحقيقة لا يمكننا أن ننكر أنّ الاهتمام بالعلوم الطبية في المجتمع الجزائري كان متحفظا، وبحسب المصادر الغربية، وأبرزها مذكرات الأسرى، والرحالة الأجانب كان منعدما، وذكرت أغلبها أنّ الجزائر في الفترة العثمانية لا تعرف الطب الحديث،

(1) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، مرجع سابق، ص 65.

(2) الآية 195 سورة البقرة.

(3) عقاد سعاد، مرجع سابق، ص 56

(4) الآية 50 سورة التوبة.

(5) عبد القادر قندوز، الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني، المجلة الخلدونية، المجلد 07، العدد 04، الجزائر، 2014م، ص ص 277، 278.

ولا تحتوي على أطباء ماهرين⁽¹⁾، ويقول في هذا الصدد الطبيب والعالم النباتي أندري بايصونال (Jean- André Peyssonnel)، خلال رحلته الى ايةالة تونس، والجزائر سنة 1724 و1725م عن دهشته حول المعرفة الطبية للأطباء المحليين، وعبر عنها بالمعرفة البدائية، حيث قال: «... أن جهلهم كبير لدرجة أنهم لا يعرفون ولا يعالجون أي

مرض»⁽²⁾، ربما لاعتمادهم على التقليد وإتباع طرق من سبقوهم، وإن كانت معظمها خرافية، وبعيدة عن الدين، والسنة وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون في مقدمته: «وللبادية من أهل العمران طب يبنون في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، ويتداولونه متوارثا مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض؛ إلا أنه ليس على قانون طبيعي، ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عاديا للعرب»⁽³⁾.

قد أشار الى ذلك أيضا لوجي دوتاسي (Laugier De Tassy) في أواخر القرن السابع عشر، وأوائل القرن الثامن أنه لا يوجد طبيب واحد في مدينة الجزائر ولا في كافة الايالة، وهو نفس ما ذهب اليه الطبيب الانجليزي شاو (Shaw) الذي زار الجزائر في مطلع القرن الثامن عشر، وذكر ذكر أنها كانت تفتقر الى الأطباء، ورفض البعض التداوي، وطلب المساعدة الطبية وانتظار الشفاء أو التداوي بالأعشاب⁽⁴⁾، وأكد على تدهور وضعية الطب بالجزائر، كما في بقية الولايات العثمانية، وخلص الى القول:

« بأنّ الطب لم يكن يسير وفق قوانين معيَّنة أو مدارس، بل كان يعتمد على ما ألفه العرف»⁽⁵⁾، فالكثير منهم كانوا يؤمنون بالتداوي بالشرب من بئر معينة، أو بتعليق تميمة، أو بزيارة وليّ، ولا سيما النسوة كانت تؤمن ببعض الأسباب غير الطبيّة للبرء من العقر على سبيل المثال⁽⁶⁾، كما أنّ غالب النساء لم يكن يتلقين الاهتمام والراحة الكافية اللازمة أثناء الولادة كونهن ملزمات بالطبخ، والتربية إضافة الى أعمال أخرى فهن المعيل الأساسي للبيت، هذا الأمر قد أدى بهلاك العديد منهن، وهنّ في مرحلة النفاس كما ورد في سجل الوفيات العقد الثالث ص 52: «الحمد لله أمام المأذون له

(1) زينب اخلف، الطب الشعبي في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط "إعلام أهل القرية بالأدوية الصحيحة"، مجلة رفوف، مج 10، العدد 2، جويلية 2022م، الجزائر، ص 40.

(2) Peyssonnel , J.A, Voyages dans les Regences de Tunis et d'Alger (vol-01), (p.D.Malle,tard) Paris.1838,p 223.

(3) عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 491.

(4) زينب اخلف، المرجع السابق، ص 41.

(5) فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 235.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 02، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 1985م، ص 429.

فيما يسطر علينا عينا بالمحكمة المالكية بقسنطينة المرعية حضر عمر بن سي حمد الساكن بدار القتي يوم الأحد عشر من شهر التاريخ وقت الضحى وذكر أنّ مباركة المريضة بسبب النفاس هلكت بسبب ذلك وقت فجر ليلة يوم التاريخ وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما الحاج مسعود الحوكي الذي عمره خمسون عاما الساكن بدار الحاج يوسف بذكره وثانيهما عمر بن سليمان الحوكي حرفة الذي عمره خمسون عام الساكن بدار حسين... بذكره شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقع ذلك يوم الأحد من شوال»⁽¹⁾.

لعلّ ما يؤكد على ما جاؤوا به أنّ الإيالة كانت تفتقر لأطباء محليين أكفاء يزاولون مهنة الطب بعيدا عن الخرافات والشعوذة، لهذا لا بدّ من الخوض في تلك العلاقة بين الأطباء الأوربيين، ورجال الدولة المهمين في الجزائر، إذ نجد أنّ العديد من الحكام كانوا يستعينون بالأطباء الأوربيين، أو الأسرى الأجانب في الأمور الطبية، فيستوقفنا في العديد من المرات استعانة الحكام لما يقوله الأطباء الغربيون، فيما يكاد يغيب تماما ذكر الطبيب المحلي، فنقف مثلا في إحدى الوثائق المرسلّة من باي بايلك الشرق "صالح باي" على إشارة هامة تدل على غياب أي طبيب يثق فيه في تلك المرحلة، وهو ما حمله على الطلب في إرسال الطبيب الذي كان ضمن عمال الشركة الإفريقية، وأكدّ على ضرورة أن يجلب الطبيب معه أدويته التي تعينه على العلاج، ونفس الأمر نقف عليه عندما أرسل الحاج "حسين بن عبد الله" خوجة الخيل الى وكيل "الباسطيون" بالقالة، يطلب منه فيها أن يرسل له من عنده طبيبا يعالجه من وجع كبير يجده في رأسه⁽²⁾.

وفي حقيقة الأمر إنّ أقوال هؤلاء الرحالة، أو الاطباء الأوربيين لا تتعارض مع ما ذهب اليه الدكتور ناصر الدين سعيدوني في قوله: « أنّ مهنة الطب تكاد تقتصر في العهد العثماني في الموانئ البحرية، ومنها ميناء مدينة الجزائر على بعض الأطباء الأوربيين الذين اعتادوا معالجة بعض الشخصيات، واكتسبوا من جراء ذلك احتراماً وتقديراً لمعارفهم الطبية»⁽³⁾.

إضافة الى ما سلف ذكره من قلة الأطباء المحليين في الجزائر العثمانية، نقف على معضلة أخرى ألا وهي غياب الصيدليات، وعدم توفر الأدوية، فالأدوية التي كانت تحضر في الجزائر ظلّت منحصرة في بعض السوائل، والعقاقير التي ليس لها الأثر الكبير في العلاج من الأوبئة أو التقليل في أثر انتقالها، وهو ما يجعل إيالة

(1) العقد الثالث، سجل الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة، ص 52.

(2) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 103.

(3) فوزية لزغم، مرجع سابق، ص 236.

الجزائر تعاني كثيرا من ندرة الأمصال الفعلية لمواجهة الأمراض المختلفة في الكثير من الأحيان⁽¹⁾.

وهو ما حمل الطبيب أف شونبيرغ على القول في وصفه لإحدى صيدليات مدينة الجزائر: «... بأنها لا تحتوي إلا على زجاجات فارغة...»، ويتحدث عن صيدلية أخرى فيقول: «... لكن صيدليته كانت فضلا عن ذلك صغيرة فكانت عبارة عن غرفة واطئة ومظلمة»، ويتحدث عن صيدلي آخر وما يحوزه من آلات جراحية في صيدلته قائلا: «..وأراني كل الآلات، والأجهزة الجراحية، وكان له في غطاء كلاب؛ لتثبيت الأجراء أثناء العمليات، وملقط، وبعض المسامير، وكان في حقيقته مقص، وملقط منوع وآخر ملون، كلها من صنع الأوربيين، ولكنها كانت قديمة، ومن نوع متوسط»⁽²⁾ ومستخلصات العقاقير غالبا ما تحفظ لمدة طويلة في زجاجات بجوار الماء البارد، كما أن معظم الأدوية، وآلات الجراحة ما تستجلب من أوربا⁽³⁾.

المبحث الثالث: طرق التداوي في المجتمع الجزائري

1. الطب الشعبي

1.1 التداوي بالأعشاب

تلعب النباتات دورا هاما في الغذاء، والدواء على حد سواء، وإن العلوم الحديثة

من

كيمياء، وصيدلة استطاعت التعرف على مختلف المواد الفعالة في كل نبتة؛ وهذا ما أتاح الفرصة لدراسة مختلف الخصائص الكيميائية والحيوية، والجدير بالذكر أن معظم النباتات تحتوي على أكثر من مادة فعالة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه يوجد بالجزائر ثروة نباتية كبيرة تقدر ب 3500 نوع منها نباتات تتواجد بالمناطق الحارة، ومنها ما يتواجد بالمناطق المعتدلة⁽⁴⁾.

لمعالجة الكثير من الأمراض لجأ السكان والممارسون الى استخدام مختلف الأعشاب، والنباتات الطبية التي كانت تزخر بها البلاد الجزائرية أثناء العهد العثماني حيث كانت هذه الأخيرة تقطف، وتباع في الأسواق والدكاكين، الأمر الذي جعل اليهود يهتمون بتجارة العقاقير وكذلك بني ميزاب⁽⁵⁾.

كما اشتهر سكان مناطق الشرق الجزائري باستخدام الأعشاب للتداوي، وقد كانت لهم تجارب ناجحة في هذا المجال، إلا عند ظهور الأوبئة الفتاكة كالطاعون والتيفوس

(1) سيمون بفاير، مصدر سابق، ص 26.

(2) أف شونبيرغ، مصدر سابق، ص ص 66-68.

(3) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 105.

(4) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص ص 67، 68.

(5) فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص 196.

والكوليرا، فإنهم يعجزون عن علاجها⁽¹⁾، ومن ضمن الأدوية العشبية الشائعة عندهم المرهم الذي يصنعونه من عصارة شجر صنوبر والقطران والبصل وزيت الزيتون والرماد والعرعار والزعتر والعسل والكمون وعروق الطيب وغيرها⁽²⁾، فقد وضعوا بعض الوصفات للتغلب على الأمراض الشائعة فكانوا يتغلبون على الحمى بنبات الشندقورة، والرضوض بالكي، والتورم والالتهاب بأوراق بعض النباتات، وكانت الحنّاء وسيلة لعلاج بعض الحروق البسيطة، أمّا لدغة العقرب فيداوونها بوضع البصل، والثوم على مكان اللدغة، ويعالجون داء الحصبة بتعريض المريض للحرارة، ويطعمونه

عسليا⁽³⁾، والجروح بصب الزبدة الساخنة، أمّا الاسهال فكان للطبيب حرية الاختيار في العلاج إمّا بالأرز، أو البازلاء، أو جذور الخروب، وفيما يخص عرق النسا استعملت طرق علاجية مختلفة بوضع الحجارة الساخنة على المنطقة المؤلمة، أو الفك بالزيت الساخن، أو حمامات الرمال الساخنة، وحمامات البخار مع التدليك⁽⁴⁾.

وبالاطلاع على إحدى المخطوطات المعنونة " بنفائس الدرر الحسان فيما يزيل المرض ويحفظ صحة الإنسان"، والذي تطرق إلى العديد من النباتات والأعشاب المستعمل في تونس، ونظرا للقرب الجغرافي بين الإيالتين فلا شك أنّ استعمالها في الجزائر كان متداول لدى البعض منهم؛ ولاسيما في الشرق الجزائري⁽⁵⁾.

اسم النبتة	استعمالها
زرقب	ويعرف في تونس بالفرنجل، ويقال أنّ عصارة زهرته تنجح في إزالة السموم.
زعفران	يحل الدم المتعفن تحت الجلد ويزيل حمرة العين.
شقايق النعمان	ويعرف أيضا بالخشخاش، يسكر الوجع من وقته ومن أي موضعكان ومسحوقه يقطع الرعاف.
ضيمراز	هو نوع من أنواع البقول الغير مأكولة عادة وهو حار، وهو ينفع للبرودة.
دهن الكبريت	من أحسن الأدوية التي تنفع في الجروح.

(1) يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ضمن كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1999)، ص 341.

(2) عثمان بوحجرة، مرجع نفسه، ص 68.

(3) ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 02، مرجع سابق، ص 417.

(4) مصطفى خياطي، الطب والأطباء، مرجع سابق، ص 75-76.

(5) أحمد الدهماني، نفائس الدرر الحسان فيما يزيل المرض ويحفظ صحة الإنسان، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، ع 16444، ص 30-52.

الخرذل	يسكن وجع الأسنان، ويحل ثقل اللسان، ويعين المعدة على الهضم
الحلبة	تنجح في إخراج الدم المتخلف من النجاس، وخلطها مع العسل والماء، ووضعها على النار يحل الالتهابات، ويدمل الجروح ويلين لها الأعضاء المتشنجة.
الحلتيت	يستأصل الرطوبات العضلية، ويفتح السدد خصوصا سدد الكبد والطحال، وخلطه بعسل النحل يدر البول والطمث.
حريد	يقوي الأعصاب ويفتح السدد، وينجح في إصلاح الرحم، كما يساعد على الحمل.
الليزم	طعمه مر يقطع النزلات والرمد، ويزيل السعال و ضيق التنفس و يقوي المعدة، وينفع للكبد والطحال.
درونج	يساعد المرأة على المخاض، ويسهل الولادة .
دارصين	وهو حار، ويابس يمنع الخفقان، والوحشة و الوسواس.
اليرفان	يذهب الوسواس .
شبت	حار يابس خلطه مع العسل ينجح في عسر البول، وينجح في أمراض المعدة و كذلك ينفع للبواسير.
صبة	تنفع للشقيقة، وأنواع الصرع، ويمنع تصاعد الأبخرة للدماغ وينفيها إن اجتمعت.
القرنفل	يقوي الدماغ والحواس الباطنة، ويقوي المعدة والكبد.
نبته الياسمين	ينفع لأمراض العصب البارد، ويسكن الصرع البارد.
نبته الكنكة	تنفع للحمى المعروفة عند العامة بالسخونة، وتقوي المعدة وقتل الديدان.

2.1. الكسور والجروح

كانت تستخدم ثلاث طرق لمعالجتها، وهي الجبر بضمادة خاصة، أو أن تقطع الرجل أو تكوى بالحديد الساخن، وقد وصف الطبيب شونبيرغ إحدى هذه الطرق بقوله:

« يصب الجبس أولاً تحت الرجل الى أن يرتفع بعد ملء الأماكن غير المستوية، ويلامس الجانب الأسفل من الرجل، ويصبح بمثابة سند لها، وتوضع في الوقت نفسه قصبات تبتعد عن بعضها البعض بعدا متناسبا بحيث تستطيع بواسطة الجبس أن تحول مجرى أي سائل يمكن أن يجتمع في غلاف الجرح أو غيره، وبعد فترة قصيرة تغطي الرجل كلها بالجبس فيتكون بعد ذلك غلاف، أو غشاء جبس يتيح لها أن تكون في وضع طبيعي قدر الإمكان، دون الإخلال بوضع الرجل، وذلك ليكون في مقدورهم

إخراج النصف الباقي من الغلاف، وتجديده، وفحص أجزاء الأرضية الجبسية تسمح لهم بذلك أيضا⁽¹⁾.

أما علاج الجروح الناجمة عن الأسلحة النارية، والبيضاء فكانوا يضعون الزبدة الطرية على الجرح بعد تسخينها، كما كانوا يستعملون أوراق الصنوبر بعد تحميصها ربع ساعة في الرماد لمعالجة الأورام، والالتهابات، والقرحة، والنقرس، أم نبتة الماغرامان فكانت تستعمل لمعالجة الجروح، وللتخفيف من آلام الحوض فكانت توضع منها كمية بعد تسخينها على مستوى حوض المريض، وتحزم بحزام من الصوف، أو القماش، وهناك مجموعة أخرى من النباتات الطبية يحضرون منها مشروبا ساخنا يتناوله المريض⁽²⁾.

3.1. الحجامة والرقية

الحجامة هي أحداث جروح بشفرة معقمة في منطقة الكاهل (أعلى مقدم الظهر) بعد أن يبحث المعالج احتقان دموي في هذه المنطقة بواسطة أكواب هوائية، وقد عرف العرب منذ القديم الحجامة، وجاء الإسلام فوصى رسول الله ﷺ فأصبحت بين السنن المباركة، حيث اختلفت الآراء الطبية حول الحجامة، وقد كانت بعض التحفظات حولها، والأسباب التي أدت إلى اعتراف الكثير من الجهات الطبية بهذا العلم، وهو اختلاطه، وارتباطه الوثيق بالعادات، والتقاليد الشعبية الموروثة، والتي دخلها في بعض الأماكن من مجتمعنا الكثر من الدجل والشعوذة⁽³⁾، حيث اختلفت الآراء الطبية حول الحجامة⁽⁴⁾.

عن العلاج بالحجامة ذكر القسيس لابي بوراي (L'Abbé Poiret) أن طريقة العلاج عند سكان الريف في شرق الجزائر يكونها تقليدية جدا، وبعيدة عن كونها صحيحة، ومنها الحجامة التي يعتقد بفاعليتها كثيرا سكان المنطقة في القالة، كما كانوا يؤمنون بالخرافات، والتمائم التي يعطيها لهم المرابطون لعلاج مرضاهم⁽⁵⁾. في حين انتهج الكثير من السكان أسلوب العلاج بالرقية، بصفتها علاجاً شرعياً يقوم أساساً على الدعاء، وآيات وسور من القرآن الكريم، وتستخدم الرقية كعلاج للحالات المرضية المزمنة، والميؤوس من علاجها، والعاهات المستديمة، وعلاج الصرع والجن والعين⁽⁶⁾.

4.1. العلاج بالحمامات المعدنية

(1) أف شونبيرغ، مصدر سابق، ص 04.

(2) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص ص 69-70.

(3) العربي حران وخيرة عويسي، مقاربة نظرية حول الطب الشعبي في الجزائر بين احتواء النموذج الثقافي ونمط الحياة الاجتماعية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 12، العدد 01، الجزائر، 2020م، ص 300.

(4)، نفسه، ص ص 300، 301.

(5) فوزية لزغم، مرجع سابق، ص 235.

(6) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 174.

تعتبر الحمامات المعدنية وسيلة علاجية لمختلف الأمراض، لغناها بالكبريت ونجاعتها⁽¹⁾، فقد كانت وسيلة لعلاج الأمراض المعدية كالجرب، والحصبة، والدمل المعدي، وعلاج آلام الروماتيزم والمفاصل⁽²⁾، فقد كان الاقبال عليها كثيرا من طرف السكان⁽³⁾، إذ يعترف معظم الكتاب المسيحيين باهتمام المسلمين بقضية النظافة⁽⁴⁾. إلى جانب الحمامات المعدنية كان سكان الجزائر يقصدون حمامات المدن للاستحمام، وكان الذهاب إليها شرطا إلزاميا، ومن بين الحمامات نذكر: حمام كتشاوة، حمام الصغير حمام الأرسى وغيرها⁽⁵⁾، كما كانوا يتبركون بمياه العيون لما تكتسبه من فعالية في علاج شتى الأمراض⁽⁶⁾.

2. الهياكل الصحية

1.2. المستشفيات الأوربية

1.1.2. المستشفى الإسباني

أسسه الأب سيباستيان ديبيور (Sebastain Duport) سنة 1551م، كان ذلك عندما جاء للتفاوض حول اقتداء بعض الأسرى المسيحيين⁽⁷⁾، وكان هذا المستشفى أول مستشفى مسيحي بالجزائر⁽⁸⁾، ويقع في شارع باب عزون ويضم 50 سريرا، فكل الأسرى كان مرحب بهم في هذا المستشفى بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية⁽⁹⁾، كما كان مفتوحا أيضا لرجال التجارة البحرية المسيحيين، وحتى لبعض المسلمين في

الجزائر، فالجزائريون والأتراك كانوا غالبا ما يأتون إلى هذا المستشفى، فقد كان أمرا عجيبا بالنسبة إليهم أن يروا الأرقاء المسيحيين لهم مثل هذه المؤسسة في مدينة الجزائر، ولم يكن لديهم مؤسسة مماثلة لمرضاهم⁽¹⁰⁾.

(1) جمال الدين سعيدان، مرجع سابق، ص 61.

(2) -D. Shaw : Voyage dans La Regence D 'Alger Le Docteur Shaw. Traduit de L ' anglais par J. Mac Carthy. 2^{ème} Edition. Editions Bouslama , Tunis,p 82.

(3) وليام شالر، مذكرات وليام شالر...، مصدر سابق، ص 99.

(4) جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، 1986م، ص 152.

(5) مصطفى خياطي، الطب والأطباء...، مرجع سابق، ص 54.

(6) فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 208.

(7) مصطفى خياطي، مرجع نفسه، ص 84.

(8) حفيظة خشمون، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، إشراف كمال فيلاي، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007م، ص 77.

(9) ودان بوغفالة، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، إشراف بلقاسم قرياش، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2016م، ص 267-268.

(10) حفيظة خشمون، مرجع نفسه، ص 77-78.

2.1.2 مستشفيات الأسرى

هي عبارة عن مبنى كبير يقع بجوار سجن جاليرا، ويتصل به ممر وباب صغير، ومنه يأخذ المصابون في السجن الى المستشفى أثناء فترة الوباء في الليل، وكان جميع العبيد المسيحيين من مختلف المذاهب (البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك) يقبلون في المشفى بدون مراعاة لعقائدهم، والمال ضروري لتسيير المستشفى تقدّمه اسبانيا لصندوق طائفة الكهنوت التي تعمل لفدية الأسرى، ويشرف عليها قس، وبالرغم من أنّ هذه المستشفيات تقدّم الرعاية الصحية للأسرى إلا أنّ عدد كبير منهم راح ضحية الوباء يقول كانكارت أسير الداي: «... كان نظام مجاري المستشفى متصلا بنظام المجاري في السجن وربما كان هذا هو السبب في أنّ نسبة الوفيات كانت الأعلى في هذا السجن منها في السجون الأخرى أو في أي حي آخر من أحياء المدينة التي انتشر فيها الوباء»⁽¹⁾.

3.1.2 مستشفى لازريست: (La Zariste)

قام سان فانسوني بإعطاء مهمّة تهدف الى بناء أول محجر صحي⁽²⁾، بدعم من الملك الفرنسي الثالث عشر، حيث خصّص له إعانات مالية⁽³⁾، بالإضافة الى مارستانات رجال الدين المسيحيين التي كانت تنفق عليها الدول الأوروبية ومن أهمها: المارستان العام لرجال الدين الاسبان الذي أقيم لفائدة الأسرى المسيحيين، ومستشفى اللازاي

الفرنسي، حيث ظل المستشفى الوحيد المتواجد في الجزائر بعد سنة 1825م، ورغم أنّه أغلق سنة 1793م لكن تمّ إعادة فتحه بعد تدخل نابليون بونابرت بإصدار المرسوم المؤرخ في 31 جويلية 1806م الذي قدّم فيه إعانة سنوية لهذا المستشفى، والتي قدرّت ب 3000 فرنك، هذا ما سمح بإعادة فتحه سنة 1825م الى غاية إغلاقه نهائيا سنة 1827م⁽⁴⁾.

وقد حاول الباحث عثمان بوحجرة الالمام ببعض أسماء الأطباء الأوربيين من مختلف الجنسيات المتواجدين بالجزائر، خلال القرن الثامن عشر والثالث الاول من القرن التاسع عشر ميلادي⁽⁵⁾.

الاسم	السنة والمهنة
مونيه فرانسوا	جراح أقام بمدينة الجزائر من سنة 1717-

(1) يوسف صر هودة، مرجع سابق، ص 651.

(2) مصطفى خياطي، الطب والأطباء...، مرجع سابق، ص 88.

(3) ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 560.

(4) فاطمة الزهراء بونذبية وحياة بوراس، مرجع سابق، ص 05.

(5) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص- ص 31-33.

1725م	كريست شارل
جراح طولوني اشتغل بمدينة الجزائر بالمستشفى الاسباني من 1753-1755م وكان مستورد للكحول والأدوية في نفس الوقت من مرسيليا ، ثم تحول الى رجل أعمال متخليًا عن مهنة الطب	
1757-1765م	أليخاندر ووسان ميلان
1769م	مانويل أنطونيو سواريز
من أصول ايطالية حلّ بالجزائر سنة 1803م، ويعدّ أول من استخدم التلقيح ضدّ مرض الجدري مع الطبيب الفرنسي أودراس	مارتينانغو
ترجع أصوله الى شمال ايطاليا، وهناك تضارب في الآراء حوله هناك من يقول أنّه طرد من الجزائر بتاريخ 12/02/1817م، بينما هناك فريق آخر يقول أنه دخل في خدمة الداى .	أسانتي
طبيب وعالم النبات الألماني دخل الى الجزائر سنة 1732	هابنسترايت ⁽¹⁾

4.1.2. الأطباء الأسرى في الجزائر العثمانية

لقد كان الأطباء أكثر عرضة للأسر من طرف البحارة الجزائريين أثناء اعتراضهم، ومهاجمتهم للسفن الأوروبية، فكان يتم بيعهم أو اقتداؤهم بثمن معتبر، وذلك ما أكدّه هابنسترايت في قوله: « تشكل تجارة الأسرى المسيحيين أحد مصادر الدخل الرئيسية، فكل أسير له قيمة محددة حسب مكانته»⁽²⁾.
وفي الجدول الموالي سنحاول رصد بعض أسماء الأطباء الأسرى الأوروبيين المتواجدين بالجزائر⁽³⁾.

السنة	الأطباء الأسرى
-------	----------------

(1) هابنسترايت، مصدر سابق، ص 23.

(2) فوزية لزغم، مرجع سابق، ص 254.

(3) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص ص 34-35.

<p>طبيب هولندي كان في خدمة الباي حسين بوكمية، باي قسنطينة في 1125هـ / 1713م، وقد رافق الطبيب شاو في زيارتهما لقسنطينة.</p>	<p>صانسون</p>
<p>طبيب ايطالي كان في خدمة صالح باي، باي قسنطينة في 1185هـ / 1771م، اشتراه أحد الرياس بألف محبوبة⁽¹⁾ وهي تعادل 4000 فرنك سنة 1780م، وكانن هذا الأخير على متن مركب حربي ووقع أسير في شوال 1191هـ / 1777م ضمن أسر الحاج محمد الاسلامي رايس.</p>	<p>باسكال غاميزو (P Gamisot)</p>
<p>جراح اسباني اشتغل بمستشفى مدينة الجزائر في 1768م، وكان يرافقه ابنه ذو الاثنتي عشر سنة، كان يقوم بتشريح ضحايا الطاعون لاكتشاف المرض وأسبابه ومحاولة ايجاد علاج له.</p>	<p>سانشيز</p>
<p>ذكره جون وولف القنصل الأمريكي في الجزائر، يقول عنه أنه وجد بالجزائر أواخر القرن الثامن عشر ولم يمنعه أسره من التطبيب وتقديم العلاج، وهو الذي أورد بعض المعلومات حول المنشآت المائية في الجزائر وهو من الأسرى الذين زاولوا مهنتهم بالرغم من الأسر، وتمكنوا من جمع أموال طائلة مكنتهم من فداء أنفسهم، ويرجع الفضل في نيل حريته لعلاجه ابن تاجر يهودي غني الذي أعطاه أموالا كبيرة لقاء علاجه.</p>	<p>أندري هيل</p>
<p>أسير ألماني كان في خدمة الخزناجي (وزير المالية) الداي حسين كطباخ لمدة سنتين، وبعد إظهار مهاراته كطبيب جعله الوزير طبيبا خاصا له، له كتاب "مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر"</p>	<p>سيمون بفاير</p>

2.2 مراكز العلاج في المجتمع الجزائري (الفئات الهشة)

(1) عملة ذهبية كانت متداولة بالجزائر خلال العهد العثماني، قيمتها الأصلية تساوي ثلاثة بوجو وتثلث، في وقت لاحق. للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص 323.

أما أماكن العلاج الخاصة بالعامّة في الجزائر لم تكن بالكافية لمعالجة المصابين بالوباء، فتكاد تنحصر في الزوايا التي كانت تقوم بمهام المرافق الصحية، التي كانت تهتم بالمرضى والحجيج والفقراء والمسافرين⁽¹⁾، فقد برز الدور الإيجابي والإنساني للزوايا، التي تكفلت بالصحة العمومية حيث كانت مسؤولة عن مصاريف العلاج، والاسعاف معتمدة على مداخيل الأوقاف⁽²⁾، كما أنّها كانت تأوي العجزة والمرضى⁽³⁾، ففي مدينة الجزائر كان هناك حوالي 12 زاوية تضمن للسكان و العابرين العلاج والتطبيب⁽⁴⁾، وفي نفس الوقت كانت تحرس على تجديد أطباء يسهرون على علاجهم، زيادة على ذلك تحوي مكتبات بها كتب في الطب، وهي عبارة عن مجموعة صيغ تحوي العلاج للأمراض وأعراضها⁽⁵⁾، من أهمها كتاب عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري⁽⁶⁾، إلى جانب الزوايا كانت بعض المساجد تساهم أيضا في تقديم العلاج والاسعافات الطبية، وذلك بوجود ملاجئ ملحقة للمساجد تقوم باستضافة العجزة المتسولين والمجانين⁽⁷⁾.

فصفوة القول أن الزوايا لعبت دورا هاما في حياة المجتمع الجزائري، فهي المنقذ والملجأ للشعب الجزائري، والتي اعتمد عليها اعتمادا كلياً في مواجهة الأزمات الاجتماعية كالمجاعات والفقر، وكانت مأوى للأيتام، والأرامل والعائلات الفقيرة.

1.2.2. الصيدليات

تؤكد معظم الأبحاث والدراسات أنّ الصيدليات في الجزائر كانت قليلة جدا أو شبه منعدمة⁽⁸⁾، حيث يذكر الرحالة الألماني ماريصول (Marisol) أنّ الجزائر كانت تفتقد للصيدليات، وحسب ما أورده الألماني ريندر (Rehbinder) أنّ الصيدلية الوحيدة الموجودة كانت بمدينة الجزائر، التي تقع بالقرب من قصر الدّاي، ويشرف عليها باش جراح الذي يعتبر طبيب، وجراح، وصيدلي في آن واحد، وكانت لا تحتوي إلا على بعض الزجاجات والكؤوس المحتوية على العقاقير والحشائش⁽⁹⁾، بالإضافة

(1) عزيزة معطا الله وحياء بوشريشة، مرجع سابق، ص 81.

(2) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 73.

(3) ابو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص 169.

(4) مصطفى خياطي، الطب والأطباء...، مرجع سابق، ص 49.

(5) عثمان بوحجرة، المرجع نفسه، ص 72.

(6) ابن حمادوش: ولد بمدينة الجزائر سنة 1695م، تقلّد بعض الوظائف فهو طبيب وصيدلي وفلكي، كان مهتما بالفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ. للمزيد ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والمال، تق وتحت وتغ: ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط01، 1983م، ص 121.

(7) مصطفى خياطي، الطب والأطباء...، مرجع نفسه، ص ص 49-50.

(8) ابو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ...، مرجع سابق، ص 556.

(9) الغالي الغربي، العدوان الفرنسي على الجزائر- الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص 42.

الى بعض الدكاكين التي كانت تباع أنواعا مختلفة من الأدوية المستخرجة في معظمها من النباتات⁽¹⁾.

إذا تتبعنا سياسة السلطة العثمانية في الجزائر نجد اهتماماتهم بالجانب الصحي كان غائبا، فإنشاء المصحات، والمستشفيات لم يكن من أولوياتهم اهتماماتهم، في المقابل لم يمانعوا من إنشاء مستشفيات أجنبية فوق تراب إيالة الجزائر خاصة المتعلقة بالأسرى، ولعلّ اهتماماتهم بصحة أسراهم راجع إلى تركيز حكام الجزائر على الجانب الاقتصادي، نظرا للدور المنوط الذي يلعبه الأسير في اقتصاد الإيالة سواء من خلال النشاطات المختلفة التي يقوم بها، والتي تحصل السلطة من ورائه على عائدات لخزينة الدولة، أو عن طريق المداخل التي تجنى وراء افتداء الأسرى الذي يهتم به مجموعة من المنظمات العالمية خاصة الإسبانية كمنظمة الثالوث المقدس

(Les Trinitaires)، ومجموعة المرسيدير (Mercedaire)، وجماعة آباء الرحمة (الفرنسيكان)⁽²⁾.

من أشهر الأطباء المحليين في الجزائر العثمانية نذكر منهم:

<p>طبيب ورحالة جزائري تحصل على اجازات في الطب في المغرب خلال القرن الثامن عشر ومارس مهنة الطب بتجاربه في الأعشاب حيث سجّل ذلك في كتابه "كشف الرموز" الذي يرجّح عنه أنّه الكتاب الرابع من مؤلفه المسمى "الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب"، ولقد فصلّ ابن حمادوش في مؤلفه كشف الرموز القول في أنواع النباتات والعقاقير وكمياتها وطرق استعمالها، بعد تأليفه عام 1745م، على شكل قاموس طبي مفهرس وفق الحروف الأبجدية⁽³⁾.</p>	<p>عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري</p>
<p>هو من أبرز من ألف في الطب بعد ابن حمادوش، له عدّة مؤلفات منها ما يسمى "أعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة" الذي ألفه سنة 1116هـ/ وتناول فيه مختلف الأمراض والأدوية المناسبة له كأمرض العين والأذن</p>	<p>أحمد بن قاسم البوني⁽⁴⁾</p>

(1) عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 75.

(2) عزيزة معطا الله وحياة بوشريشة، مرجع سابق، ص 80.

(3) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 313.

(4) ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02...، مرجع سابق، ص ص 421-422.

والأنف والأسنان والسعال والسل وغيرها، فوصف بذلك الداء والدواء معامع العلم أنه جمع بين العلم والخرافة أحيانا حتى صنف عمله لدى البعض في خانة التصوف، وله تأليف آخر بعنوان: "مبين المسارب في الأكل والطب في المشارب".	
ألف كتاب أسماه " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون" خاصة بعد الآثار التي تركها الطاعون في الجزائر من وفيات وجوائح خاصة في الحواضر الكبرى مثل قسنطينة والجزائر وتلمسان.	أبو راس الناصري ⁽¹⁾
ألف في الوباء الذي أصاب مدينة الجزائر سنة 1200هـ أسماه " الدر المصون في تدبير وباء الطاعون" وقد جمع فيه ولخص أقوال الحكماء السابقين على الطاعون.	محمد بن رجب الجزائري ⁽²⁾
صاحب كتاب " أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"	أبي حامد العربي بن عبد القادر المشرفي ⁽³⁾

2.2.2 المصنفات الطبية الجزائرية خلال العهد العثماني

تميز الانتاج العلمي لعلماء الجزائر في العلوم العقلية، وخاصة في مجال الطب عامة أي المعالجة من الأمراض بالقلّة إذ لم نقل الندرة، إلا أننا نجد بعض المصنفات في الأمراض والأعشاب الطبية كما شمل الأمر أيضا الطب النفسي أو الروحاني. جدول يمثل أهم علماء الجزائر الذين أرخوا مصنفات في الطب⁽⁴⁾.

المصنفات	علماء أرخوا في المجال الطبي
يرى تلاميذه ومعاصروه أنّه كان يجمع بين العلوم النقلية، والعقلية؛ لاسيما الطب والتشريح، والهندسة والفلاحة	سعيد المقري

(1) سليم بلوج، الأوبئة والمجاعات الفتاكة في الجزائر خلال الفترة العثمانية 17 و19م، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج2، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2021م، ص 107.
(2) نفسه، ص 424.
(3) حمدادو بن عمر، ظاهرة الأوبئة والأمراض بالجزائر من خلال كتاب " أقوال المطاعين في الطعن والطواعين لأبي حامد العربي المشرفي"، عصور جديدة، العدد 37، ص ص233-234.
(4) وافية نفطي، مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة آفاق فكرية، مج 05، العدد 10، ماي 2019، الجزائر، ص ص 26-27.

والتنجيم.	
عاش منتصف القرن الحادي عشر، جمع أيضا بين العلم والتصوف، ونظم بحرا في الموازين، والمكاييل الطبية والشرعية، نقل عنه محمد السنوسي في شرحه لحديث المعدة.	محمد بن سليمان
كتب في التصوف ورسالة في الطب النبوي، وسمها " المنّ والسلوى في تحقيق معنى حديث لا عدوى"؛ رسالة صغيرة تقع في ثلاثة عشر ورقة حل فيها الحديث المذكور، وانتصر فيها للطب النبوي أهداها للسلطان العثماني أحمد سنة 1149هـ / 1736م.	محمد بن أحمد الشريف
خلط بين الطب المعروف و الطب الروحاني، ومن أعماله " إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة: الذي ألفه سنة 1704م، وقد حصل أبو القاسم سعد الله على جزء منه فقط من أوله هو نهاية الحديث عن أمراض العين، ويأتي بعد ذلك الحديث عن أمراض الأذن.	أحمد بن قاسم البوني
من العلماء الذين برعوا ومزجوا في معارفهم النقلية والعلوم العقلية، له تأليف في الفلك يحمل عنوان " أتمد البصائر في معرفة حكمة المظاهر"، ويعتبر ابن عزوز المراكشي من الذين أتقنوا الطب و ألفوا فيه من خلال مصنفه " ذهاب الكسوف، ونفي الظلمات في علم الطب والطبائع"، ينقسم الكتاب الى سبعين بابا منها أبواب في	عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني

<p>الطبيعة وعناصرها، وفي علم الحكمة، في علم التوليد، وفصل في العلاج لكل مرض، وخصص باب للطب التجريبي وبابا للطب النفسي الروحاني.</p>	
<p>ألف كتابا في الأدوية ومنافعها سماه " المنافع البينة وما يصلح بالأربعة أزمنة" وقد بنى عمله على قول رسول الله ﷺ: " العلم علمان علم الأديان و علم الأبدان " وقسمه إلى ثمانية أبواب.</p>	<p>محمد بن علي بن باديس الصنهاجي</p>
<p>كشف الرموز في شرح العقاقير والرموز</p>	<p>عبد الرزاق بن حمادوش</p>

3. انعكاس الحالة الصحية على الأنشطة الاقتصادية

1.3. على المبادلات التجارية

يعدّ العنصر البشري المحرك الأساسي للحياة الاقتصادية، في حين تعدّ الأوبئة والمجاعات بشكل عام أحد معوقات النشاط البشري، فقد كان للطاعون الذي تردد على الجزائر خلال القرن الثامن عشر أثره المدمر على السكان، ونشاطهم الاقتصادي، فأثر الوباء يكون على اليد العاملة في الحرف، وعلى الأنشطة المرتبطة بها وفي مقدمتها التجارة ففي سنة 1702م اكتسح وباء الطاعون مدينة مرسيليا محدثا خسائر بشرية قدرت بالآلاف الأمر الذي أدى الى قطع العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا⁽¹⁾؛ كما أدى وباء عام 1750م، والمجاعة المرعبة التي نتجت عنه ركود الحركة التجارية بين الجزائر، وباقي موانئ البحر المتوسط التي كانت مغلقة أمام السفن

الجزائرية، الأمر الذي أدى الى عجز تجاري هام كان له صدى سلبي على اقتصاد البلاد⁽²⁾.

مثلما نقف في نطاق آخر على مطالبة القنصليات الأوربية في مدينة الجزائر من حكامها إلزام سفن الايالة بالابتعاد عن السفن الأوربية، طالما بقيت الجزائر تعاني من الوباء لخوف القناصل من انتقال الوباء لبلدانهم، وهو ما حدث فعلا سنة (1233هـ/ 1818م) في فترة حكم الداوي حسين⁽³⁾، الأمر الذي كان له انعكاس فعلي على الحركة

(1) يوسف صرهودة، مرجع سابق، ص ص 655-656.

(2) فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص 300.

(3) - J-L.G.Guyon: op. Cit.p 383.

التجارية، وتبادل السلع في المسار البحري الرابط بين الإيالة، والموانئ الفرنسية خاصة والأوربية عامة، وهو ما تؤكد إحدى المراسلات السابقة لهذا التاريخ، والتي كانت في ربيع (1756م) بحيث أشارت الى أنه يوجد بعض الاشكالات في التبادلات التجارية مع الإيالة بسبب الطاعون المنتشر بها في العديد من المدن؛ لذا رأت المراسلة أنه من الأفضل التريث قليلا في التبادلات التجارية⁽¹⁾.

فإن تحقق ذلك صرفنا البيان الى القول بأن العلاقات التجارية كانت تعرف الكثير من محطّات التوقف الاجبارية في حالة كان الطاعون، أو الوباء منتشرا في الإيالة بكثرة.

كما أثر الطاعون الذي ضرب الجزائر سنة 1792م على تجارة القوافل التي كانت بين الجزائر والمغرب، حيث أقام سيدي محمد بن عبد الله نطاقا عسكريا في الحدود الشرقية لوقاية مملكته من الوباء، كما بدأت الهيئة القنصلية المقيمة بطنجة في اتخاذ اجراءات صحيّة وقائية على الواجهة البحرية، والتي قد تمكنت سنة 1793م من انتزاع موافقة المولى سليمان على فرض حجر صحي ضد الجزائر⁽²⁾، وتعدّ سنة 1794م أعنف السنوات، وهي نفس السنة التي صدرت فيها الوكالة الافريقية 500 بقرة اشترتها من اصطبالات الباي، وخرج من موانئ الشرق 130.000 قنطارا من الحبوب باتجاه مرسيليا⁽³⁾، ومن صور التأثير السلبي لهذه الطواعين، والكوارث أيضا على أهل البلاد من الناحية الاقتصادية استفادت غيرهم من هذا المصاب بعد أن استفادت الشركة الافريقية في عنابة من تزايد كميات الصوف المصدرة الى أوروبا من موانئ عنابة بسبب قلّة اليد العاملة التي أتى عليها طاعون (1785م)، وعجز الحرفيين عن استغلال الكميات الكبيرة لهذه المادة⁽⁴⁾، ونفس صيغ الانعكاس السلبي على الجزائر والإيجابي على الدول الأوربية نقف عليها في نتائج الطاعون الذي ضرب الجزائر بعد سنتين (1201هـ / 1787م) الذي أدى الى نقص اليد العاملة وتدني الكثافة السكانية مما انعكس على سوق طلب القمح، أي انخفاض الطلب على القمح خلال صيف هذه السنة ما استفادت منه الشركة الإفريقية بعنابة بعد أن استغلّت الموقف، وزادت من كمية صادراتها من القمح الجزائري باتجاه فرنسا الى ما يقارب (25.000طنا) بعدما كانت في حدود ما بين (10- 12 ألف طنا)⁽⁵⁾.

2.3. على القطاع الصناعي والحرفي

(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 281.

(2) محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة...، مرجع سابق، ص 87.

(3) يوسف صرهودة، مرجع سابق، ص 656.

(4) لوسات فلنزي، مصدر سابق، ص 21.

(5) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 282.

عرف المجال الصناعي والحرفي في أواخر العهد العثماني ركوداً، وتراجعا ملحوظا فقد تمّ تدمير الصناعة التقليدية⁽¹⁾، بسبب غزو المنتجات الأوربية والتونسية فأصبحت تنافس مثلثتها المحلية، خاصة وأنّ البايات قد اهتموا بالسلع القادمة من الخارج التي يتم استيرادها وهذا الذي ساهم بالقضاء على الصناعة المحلية وضعفها⁽²⁾. إلى جانب ذلك كانت الثورات والحروب الداخليّة والأزمة الماليّة، والفتن والمجاعات دورا فعّالا في انحطاط، وتدهور الأحوال الاقتصاديّة في ظلّ الحكم العثمانيّ بسنوات قبل دخول الحملة الفرنسيّة، ثم إنّ الحرفيين كانوا يتعاملون مع المؤسسة العسكريّة، فكانوا يزودونها بمنتجاتهم كالملابس والسروج والأواني الفخاريّة والأحذية والأدوات الحديديّة والخبز وغيرها وربما تقلص عدد الجنود في أواخر القرن (12هـ/18م)، ومطلع القرن 19م قد أدّى الى انعكاس سلبي على صناعتهم وانخفاض مبيعاتهم الى جانب عوامل أخرى⁽³⁾.

إنّ تعرض الجزائر الى العديد من الكوارث الطبيعيّة ومن بينها المجاعات والقحط، والتي أحدثت بدورها خسائر بشريّة وماديّة كبيرة، قد خصّص العنثري في كتابه "مجاعات قسنطينة" في هذه الفترة وتحديدًا سنة 1804م، بحيث أفادنا بالعديد من المعطيات، والاحصائيات حول هذه الأزمة، وما نجم عنها من ارتفاع محسوس لعدد الضحايا، وأسعار المواد الاستهلاكية مع انخفاض في الانتاج الزراعي والصناعي⁽⁴⁾، فالأوبئة، والكوارث التي تعرضت لها ايالة الجزائر قد تسببت في خسائر ماديّة معتبرة أدّت الى نقص في الإنتاج، واضطرابات في مختلف المجالات الحرفيّة، والصناعيّة، وأنواع النشاطات الأخرى⁽⁵⁾، كما لا بدّ من الإشارة الى ارتفاع أسعار المواد الخام نتيجة التدهور الذي أصاب القطاعات الأخرى (الزراعة وأيضًا الثروة الحيوانيّة) فكان له انعكاسا مباشرا على القطاع الصناعي، والحرفي، ممّا جعل الصنّاع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الأولية، والضرورية فاضطروا الى دفع مبالغ ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق، وقد أدّى ذلك الى ارتفاع أسعار المصنوعات بسبب قلّة الإنتاج، وارتفاع أسعار خاماتها⁽⁶⁾، هذا بالإضافة إلى الضرائب الباهضة التي كان يدفعها الصنّاع والحرفيين على مصنوعاتهم⁽⁷⁾.

3.3. على القطاع الزراعي

- (1) حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 158.
- (2) عبد اللطيف بن أشنهو، تكوين التخلف في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 244.
- (3) خولة نواري، الحرف والصناعات...، مرجع سابق، ص 92.
- (4) العنثري، مجاعات قسنطينة...، مصدر سابق، ص 34.
- (5) خولة نواري، مرجع نفسه، ص 91.
- (6) سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص 37.
- (7) ارزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني...، مرجع سابق، ص 63.

أدت الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البلاد في الفترة الأخيرة من العهد العثماني إلى تدهور القطاع الزراعي، وقد تمثلت هذه الكوارث في سلسلة الزلازل التي تسببت في خسائر مادية، وبشرية نذكر منها زلزال 1716، 1717م، 1755 م⁽¹⁾، وزلزال مدينة وهران 1790م، وزلزال مدينة عنابة 1815م، وزلزال مدينة الجزائر 1818م، وزلزال البليدة ومنتجة 1825م، إضافة الى ذلك مرت البلاد بفترات من الجفاف، متبوعا بزحف الجراد 1815⁽²⁾، مخلفة أثارا سلبية على الانتاج الفلاحي، كما عرفت سلسلة من الأوبئة في مقدّماتها الطاعون، وضرباته المتكررة ففي سنة 1702م، تسبب هذا الوباء في إهمال الزراعة، وترك مساحات واسعة، واتبعتها مجاعة مرعبة، وعرفت فيها الأوضاع الزراعية للإيالة تدهور بفعل توالي وتواتر الكوارث الطبيعية المدمرة⁽³⁾، وقد أدى هذا الوضع إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية في الأسواق، إذ بيع الصاع الواحد من القمح بثمانية وعشرين فرنكا⁽⁴⁾.

4.3. انعكاس الكوارث الطبيعية على الثروة الحيوانية

أثرت الكوارث الطبيعية على القطاع الفلاحي بشكل كبير جدا، بفعل الاضطرابات المناخية الفجائية أو الدورية، والتي لا دخل للإنسان فيها ولا قدرة له على ردّها، ومن بينها الجفاف، والقحط الذي يجعل النبات والحيوان أو أي كائن بحاجة ماسة

للماء⁽⁵⁾، إلا أنّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ النشاط الفلاحي لم يكن مقصورا على الزراعة فقط، بل يشمل تربية الحيوانات كالأبقار والأغنام والماعز والخيول والنحل، والتي كانت تصدر إلى العديد من الدول، وعلى سبيل الذكر ما ورد في **الدفتري رقم 139** من موجز الدفاتر الإدارية، والجبائية، والتي تعكس محصول الحاج مسعود بن زكري، وعلي فريكح (مبعوثي الجزائر) من بيع البقر، والغنم، والإبل في إيالة تونس⁽⁶⁾؛ وقد ورد اسمه أيضا، ومجمل حساباته في من دفتري جبايات يحمل رقم آخر⁽⁷⁾.

وذكر كل العملات المتعامل بها آنذاك بين مختلف الدول⁽⁸⁾، كما وصل عدد الأغنام في الجزائر أحيانا الى سبعة أو ثمانية ملايين رأسا، ممّا يدلّ على أنّ البلاد كانت تنتج كميات كبيرة من اللحوم، والأصواف، والجلود، كما أنّ الأرقام المذكورة تعطينا صورة واضحة عن أهمية الانتاج الحيواني، إذ كانت الجزائر تصدر سنويا من

(1) رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 160.

(2) العنتري، مصدر سابق، ص 28.

(3) رشيد حفيان، مرجع نفسه، ص 161.

(4) حمدان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 28.

(5) نوال بلمداني، الكوارث الطبيعية وتأثيراتها في الحيوانات خلال القرنين (4-5 / 9-10م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد 04، 2013، الجزائر، ص 527.

(6) الدفتري رقم 139 من تقديم الأستاذ عبد الجليل التميمي، من موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي.

(7) الدفتري رقم 2984، الدفاتر الإدارية والجبائية، الأرشيف الوطني التونسي، ص 81.

(8) الدفتري رقم 2307، الدفاتر الإدارية والجبائية، الأرشيف الوطني التونسي.

ميناء مدينة الجزائر الى أوربا حوالي 20 الى 25 ألف قطعة جلدية، و 7 الى 8 آلاف قنطار من الصوف الآتية كلها تقريبا من التيطري، أما ميناء عنابة فكان يصدر من 10 الى 12 ألف قنطارا من الصوف ، وكان هذا في سنة 1788م، بينما ورد في تقرير "بوتان" Boutin الفرنسي عام 1808م أنّ الشركة الملكية الافريقية اشترت من ميناء عنابة 16 ألف قنطار من الصوف⁽¹⁾، إلا أنّ تعرض الإيالة لموجات متكررة من الأوبئة، والعديد من الكوارث الطبيعية كالزلازل، والفيضانات، وغيرها أثر بشكل سلبي في هذه الثروة، وأدّى الى نفوقها وهلاكها؛ فالى جانب الخسائر البشرية لم تسلم الحيوانات من الأوبئة، والكوارث فتعرضت هي الأخرى للموت لقول أحد المداوين الجزائريين آنذاك:

« تموت الحيوانات بالطاعون مثل ما يموت الرجال إذ هلك 14 حصانا في إسطنبول قصر الداي، كما لا شك في أنّ الجفاف الذي مسّ المحاصيل الزراعية انعكس سلبا على قطعات الماشية وغيرها من الحيوانات ، فقد فقد الفلاح غذائه وغذاء حيواناته⁽²⁾» سواء الأليفة منها القطط والخيول والبغال والأبقار والخرفان والدواجن، فقد أدّت جائحة 1822م الى عواقب وخيمة على الثروة الحيوانية أدت الى هلاك عدد كبير من القطعان⁽³⁾، فطالما أدّى تسبب الأوبئة في موت الماشية والدواب، وكانت الأضرار والخسائر عظيمة أدّت بدورها الى تراجع الفلاحة⁽⁴⁾.

صفوة القول إنّ تذبذب الأمطار وعدم تساقطها يؤدي الى سيادة الجفاف وظهور مجاعات وأوبئة تؤدي بحياة الانسان والحيوان معا، الأمر الذي يتسبب في عدم الاستقرار والتنقل الدائم بحثا عن ظروف معيشية أفضل، توفر الضروري من الماء والكأ، ناهيك عن الصراعات القبلية بسبب المناطق الرعوية ومنابع المياه، وهي ظاهرة معروفة خاصة لدى البدو الرحل، الذين يجوبون الفيافي ويتنقلون عبر الصحاري بحثا عن مكان مناسب لأنعامهم ومواشيهم⁽⁵⁾.

(1) ارزقي شويتام، مرجع سابق، ص 59.

(2) رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية...، مرجع سابق، ص 163.

(3) رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية...، مرجع سابق، ص 163.

(4) عبد الكريم حساين، مرجع سابق، ص 304.

(5) نوال بلمداني، الكوارث الطبيعية وتأثيراتها في الحيوانات...، مرجع سابق، ص 529.

الفصل الرابع

الكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 إلى 1899م.

المبحث الأول: العوامل المناخية والطبيعية المؤثرة على الصحة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830 إلى 1899م).

1. لمحة عامة عن المناخ العام للجزائر خلال القرن 19.
2. العوامل المناخية والطبيعية المؤثرة على الوضع الاجتماعي.
3. الأوبئة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية من (1830-1899م).

المبحث الثاني: السياسة الفرنسية تجاه الأهالي في ظل الظروف والكوارث ودورها في تردي الأوضاع.

1. العوامل البشرية المساعدة في تأزم الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائر.
2. السياسة الفرنسية في مجال الأرض بعد السنوات الأولى من الاحتلال.
3. تأثير نظام الضرائب والغرامات على الأهالي المسلمين.

"شونبيرغ" على أنّ مناخ الجزائر على العموم صحي جدا،⁽¹⁾ وهذا ما ذكرته العديد من التقارير العسكرية، والطبية الفرنسية والأجنبية حول مناخ الجزائر في كتاباتها لأهميته الكبيرة في تنفيذ المشاريع الاستعمارية الاستيطانية، من حيث التأقلم مع الجو الجديد، والحدّ من تفشي الأمراض المرتبطة بالحرارة والرطوبة، خاصة بين صفوف العساكر والمهاجرين، فالتغيرات المناخية لها أثرها في صحة الإنسان، في اختياره لأساليب عيشه وحياته الصحية؛ فمثلا اختلاف الحرارة والرطوبة يؤدي إلى الحمى بمختلف أشكالها، ومن بين التقارير ما ذكره الجاسوس بوتان الذي أكد أنّ مناخ الجزائر صحي للغاية،⁽²⁾ وهذا باستثناء مناطق معينة، وكذا فترات محددة متعلقة بالأساس بالتقلبات الجوية والمناخية، فيتضح لنا تميّزه بخصائص أخرى تتمثل في قلة تساقط الأمطار في بعض مناطق الجزائر، وسوء توزيعها، إذ غالبا ما تنعدم في فصل الخريف فيتعدّر بذلك الحرث والزرع،⁽³⁾ فبذلك يعدّ المناخ عاملا رئيسيا، ومحوريا في التغيرات والتطورات التي يعرفها التاريخ، غير أنّ كثيرا ما يتغاضى عنه التعاطي التاريخي مع الأحداث⁽⁴⁾، فالمناخ يعدّ من أهم عناصر البيئة الطبيعية، حيث تنشط عوامل نقل الأمراض خلال الحرارة المرتفعة مع وجود المياه المناسبة، وقد حدّد "Gourou" عام 1961م أنّ المناخ الرطب يعد سبب أساسي في ضعف صحة السكان، حيث أكد أنّ الحرارة المرتفعة، والرطوبة العالية، ومساحات المياه المتعددة كلّها عناصر ضرورية مسببة للأمراض⁽⁵⁾.

قدمت أغلب الدراسات في هذا المجال انطبعا عاما بأنّ المناخ في الجزائر عموما، وفي المنطقة الشمالية خصوصا يقع ضمن إطار المنطقة المعتدلة، وتتراوح درجة الحرارة المتوسطة ما بين (20-25°)⁽⁶⁾، كما تقف التقارير الفرنسية التي كانت تعدّ حول مناخ مدينة الجزائر في السنوات الأولى من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، أنّ متوسط درجة الحرارة أثناء فصل الشتاء كان في حدود (16°)، بينما لا يتجاوز متوسط ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف (26°)، ولا يقلّ عن (2-°) فصل الشتاء⁽⁷⁾، وهو تقريبا ما ينقله المراقب العام للحكومة الفرنسية في الجزائر في كتابه حول الأوضاع العامة للجزائر (زراعيًا، اقتصاديًا وتجاريًا)⁽⁸⁾.

(1) سارة خباشة وفاروق زروق، المناخ الطبيعي للجزائر وأثره في انتشار الأوبئة والأمراض خلال القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، إصدارات لمركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية السياسية والاقتصادية، برلين- ألمانيا، 2021م، ص 87.

(2) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 15.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، مرجع سابق، ص 57.

(4) فتيحة مسعودي وحمدون بن عتو والعيد فارس، المجاعات بين الآفات السماوية والعوامل البشرية في الجزائر- من مطلع القرن الثامن عشر إلى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية الجزائرية، مج06، العدد 01، الجزائر، 2022م، ص 630.

(5) محمد مسعد إمام، الأيكولوجيا والأمراض بالمجتمعات الحدودية الإفريقية، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية - برلين- ألمانيا، ص 103.

(6) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 66.

(7) أف شونبيرغ، مصدر سابق، ص 12.

(8) Clade Guy: L'Algérie (agriculture, Industrie, Commerce), Librairie Chéneaux Franville, Alger, 1876. P 08.

أمّا في السنوات الممتدة من 1880 - 1889م فتم تسجيل المتوسط الحراري لمدينة الجزائر من 1880-1889م من خلال المعدلات التالية:
- الربيع من 22 مارس الى 24 جوان (أي 92 يوما و 21 ساعة)، المتوسط الحراري 19.78° م
- الصيف من 21 جوان إلى 23 سبتمبر (أي 93 يوما و 14 ساعة)، المتوسط الحراري 43,25° م.
- الخريف من 23 سبتمبر الى 22 ديسمبر (أي 89 يوما و 17 ساعة)، المتوسط الحراري 17,67° م.
- الشتاء من 22 ديسمبر الى 22 مارس (أي 89 يوما و 7 ساعات)، المتوسط الحراري 13,84° م⁽¹⁾.

أمّا الجهات الجنوبية فهي شديدة الحرارة لأنّ الصحراء تدفع حرارة الصيف، ولا تخزنها وإذا جاء البرد لم يجد ما يقاومه فيشتدّ أيضا، ومن حيث المطر وعدمه، فإنّ الجزائر ليس لها في الحقيقة إلا فصلين، فصل الأمطار و فصل الصيف، والأول يبتدئ من منتصف الخريف إلى مضي شهرين من الربيع، وأكثر ما يكون المطر في الشهر الأخير من الخريف، و شهور الشتاء الثلاثة، و الثاني يبتدئ من أواخر الربيع إلى منتصف الخريف، وفي بعض الأحيان تشتدّ الحرارة، وتقلق البشر خصوصا إذا هبت رياح السموم⁽²⁾، وهي رياح تجتاح البلاد آخر فصل الخريف، والشتاء وتتسبب في إتلاف المحاصيل⁽³⁾.

إن تقلبات المناخ هذه تؤثر بشكل كبير في حدة انتشار الأوبئة، والكوارث الطبيعية وقد أشار إليها " المقريري"، حيث وضّح أنّ البرودة، والحرارة أساسيان في وقوع هذه الظواهر الطبيعية، فالأجواء الساخنة وكثيرة الرطوبة تحدث فيها الأوبئة، والحميات ونزلات السعال، وعلل ذلك بما يسميه "اضطراب الهواء"؛ ويقصد به ارتفاع رطوبة الهواء⁽⁴⁾، ولطالما يقع ذلك في فصل الربيع، حيث الأمراض الوافدة وهذا ما ذهبت إليه إليه الدراسات الحديثة حيث توصلت عالمة الأوبئة "دانييل بوتكي"⁽⁵⁾، أنّ علاقة المناخ والأوبئة طويلة الأمد⁽⁶⁾.

2. العوامل المناخية والطبيعة المؤثرة على الوضع الاجتماعي

- (1) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 17.
- (2) فتيحة مسعودي وحمدون بن عتو والعيد فارس، مرجع سابق، ص 631.
- (3) سميرة نميش، الجوائح والأوبئة بالدولة الزيانية- قراءة في الأسباب والنتائج - المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية- برلين- ألمانيا، 2021م، ص ص 186-187.
- (4) أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1997م، ص86.
- (5) دانييل بوتكي: هي عالمة الأوبئة البيطرية والعاملة في خدمة الحقائق الوطنية، ومنسقة مبادرة الصحة لتحسين صحة الناس والحيوانات وسلامة البيئة. للمزيد ينظر إلى: بشرى بن دراجي، العلاقة بين المناخ والأوبئة وآثارها على الحياة في مصر المملوكية، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية - برلين- ألمانيا، 2021م، ص200.
- (6) بشرى دراجي، مرجع سابق، ص 200.

1.2. الجفاف:

يعتبر الجفاف من أهم مظاهر المناخ الجزائري، وذلك لإثته يدوم في المنطقة ما بين 7 إلى 20 سنة بعد 3 أو 5 سنوات من التساقط، ومن بين أهم فترات الجفاف التي عرفتها المنطقة في الفترة من 1838م إلى 1895م، إذ كانت أقل السنوات مطرا، فلم تسجل سنة 1868م في مدينة الجزائر سوى 431 ملم من الأمطار، والتي كانت لها نتائج وخيمة على البلاد، وذلك بظهور المجاعة وما نتج عنها من أوبئة وأمراض، إلى جانب الفترة الشاملة لسنوات (1844-1848-1868م)، اين كان معدّل التساقط 7.766ملم⁽¹⁾، فخلال الفترة الممتدة من (1866 – 1868م) تعرضت الجزائر إلى عدة أزمات حيث ظهر فيها الجفاف وشحت السماء، وجفت خلالها مياه الينابيع في فصل الصيف تاركة وراءها أزمة زراعية؛ وقد تناولتها العديد من المصادر الأجنبية على غرار ما ذكره الطبيب الألماني أف شونبيرف حيث بلغت ذروتها في عام 1866م، بعدما بدأت قبل ذلك بخمس سنوات، اي انطلاقا من صيف عام 1861م، عندما ضرب الجفاف القاتل الجزائر مسببا شللا شبه تام، وكانت فيه المحاصيل كارثية⁽²⁾، وقد أشار الباحث الجليلي صاري إلى هذه النقطة قائلا: «... قد تعرضت الجزائر خلال عقد الستينات

(1860- 1870م)، لموجة جفاف واسعة وقع فيها الجفاف الأول منها بداية السنة الفلاحية من 1860- 1861م وامتدت أثاره في بعض النواحي مثل سطيف وتنس ومعسكر، ووقع الجفاف الثاني منها في السنتين الفلاحيتين ما بين 1865- 1867م، حيث شمل مساحات أكبر ومناطق أوسع؛ مما جعل تأثيره أشدّ»⁽³⁾، هذا التغافل عن جفاف سنتي 1838 و1895م، والذي ساهم بشكل كبير في تدهور الأوضاع الاقتصادية والزراعية، وكانت له أثارا سلبية على الحالة الصحية للبلاد⁽⁴⁾.

أدى هذا المناخ المتذبذب من حيث كمية التساقط والتوزيع، وذلك بفعل ما تنأوب على المنطقة من سنين التساقط وسنين الجفاف، ما نتج عنه تعقيدات على المستوى الصحي، وأدّت إلى جلب أنظار الباحثين، والأطباء فأجريت عدّة دراسات من بينها تلك التي توصلت إلى تقسيم فترة التساقط في الجزائر إلى ثلاث فترات متباينة هي:

1/ الفترة الممتدة من سبتمبر 1850 إلى أوت 1870.

2/ الفترة الممتدة من سبتمبر 1870 إلى أوت 1900

3/ ومن سبتمبر 1900 إلى غاية أوت 1930 ونتج عنها:

تحولت المساحات المائية الناجمة عن تساقط الأمطار خلال السنوات الممطرة إلى مناطق موبوءة بمجرد ظهور أشعة الشمس الأولى، ولاسيما إذا استمرت لسنوات طويلة، بتأثير عامل الأكسجين حيث تتحول المواد العضوية في الأرض لتصبح سامة

(1) صليحة علامة، الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830- 1930م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000- 2001م، ص23.

(2) فؤاد كيداني، المجاعة وانتشار الأمراض- معالم المأساة الإنسانية بالجزائر 1866- 1868م من خلال الكتابات الأجنبية، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية – برلين- ألمانيا، ص – ص 242- 246.

(3) الجليلي صاري، الكارثة الديمغرافية...، مرجع سابق، ص 203.

(4) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 53.

الفصل الرابع: الكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 إلى 1899م.

مسببة الأمراض، فكلما كانت الرطوبة ولو قليلة، واقتزنت بالحرارة أدى إلى ظهور حمى المستنقعات،⁽¹⁾ وكما أشرنا إليها سابقا فإن الأجواء الساخنة وكثيرة الرطوبة معرضة أكثر للأوبئة،⁽²⁾ كما أنّ السنوات الكثيرة المطر تكون دائما متبوعة بسنة أو سنتين، أو ثلاث سنوات متتالية من النقص.⁽³⁾

وتمثل سنتي 1866-1867م مرحلة الجفاف، وتساقط الأمطار الشديدة في الخريف، فعلى سبيل المثال منطقة الأصنام فكانت تتغير ما بين 20 إلى 55%، وهي قيمة تعبر على حدة الجفاف الذي اجتاحت المنطقة، لكن في النواحي ذات الرطوبة العالية فمجموع 500 مليمترا من الأمطار المتساقطة يؤثر كثيرا على الغطاء النباتي، وجريان المياه في الوديان، ولا تنجو في هذه الحالة إلا بعض النواحي من الجفاف كدلس، وجبال القبائل والجبال التي يفوق علّوها 1000م، ومناطق قالمة وسور.⁽⁴⁾

جدول يوضح بيانات تساقط الأمطار في بعض المحطات⁽⁵⁾.

المحطات	المعدل السنوي	1863م	1864م	1865م	1866م	1867م	1869م
ميناء الجزائر	647 مم	529	858	556	364	815	671
البلدية	954			461	438		
القلية	706			478	311	544	
شرشال	633			405		647	
تنس	545			357		436	
بجاية	972			504	494		
القالمة	910		1104	596	620	1156	
عنابة	689			511	409	1069	
الأصنام	400			400	180		
المدية	800			556	563	653	
تيزي وزو	893			603	430	777	

(1) نفسه، ص ص 22-24.

(2) بشرى بن دراجي، مرجع سابق، ص 200.

(3) جيلالي صاري، مرجع سابق، ص 203.

(4) نفسه، ص، 218.

(5) نفسه، ص 206.

الفصل الرابع: الكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 إلى 1899م.

	1256	506	763			1035	لربعا ان اراثن
	744	409	511			521	سور الغزلان
538	619	230	296	870	514	511	معسكر
437	519	235	368	477	427	496	سطيف
611	1012	498	483	748	671	511	قسنطينة
	945	502	533			677	قالمة
	535		607			405	وهران
		181	222			187	الأغواط
	289					326	البيضاء

نلاحظ من خلال الجدول الذي يوضح كمية التساقط في بعض المناطق الجزائرية الشمالية منها، والجنوبية على غرار الأغواط والبيضاء ما بين سنوات 1863 إلى 1869م، تذبذبا فالمعدل السنوي لتساقط الأمطار، بحيث يتضح أن سنة 1866م تشهد انخفاض في تساقط الأمطار مقارنة بباقي السنوات، فشهدت هذه السنة جفافا وقحطا فكان له الأثر في ظهور مجاعة 1866-1867م.

أمّا فيما يخص آثار الجفاف على الوضع الصحي والمعيشي للمقاطعة:

- نقص الانتاج الزراعي وقلة المحاصيل الغذائية، ونقص رؤوس الماشية وندرة مياه الشرب والسقي؛ هذا كله يؤدي إلى إصابة الإنسان بالأمراض، وسوء التغذية، كما أنّ الجو شديد الحرارة يجفف الرئة، ويضايق الأشخاص والحيوانات والنباتات⁽¹⁾.

ومن أهم النتائج والآثار السلبية الناتجة عن الجفاف، نجد المجاعة التي سوف نخصص لها بعض الحديث لأنها تعدّ من العوامل المؤثرة في الوضع الصحي.

(1) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 41.

2.2 المجاعات

عرفت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية عدّة مجاعات حادة، تركت آثارها السيئة في كل مكان حيث خلفت من ورائها نشر الأوبئة الفتاكة، وضياع الثروات المدخرة، وبيع العقارات والأراضي تحت ضغوط الجوع، ومن بين هاته المجاعات نجد:

1.2.2.1. مجاعة 1838م

شملت الجهة الشرقية للوطن، إذ يذكر أنّه خلال هذه السنة أجذب الناس بقسنطينة، ونواحيها، وأصيبوا بقحط شديد انعدمت معه الأقوات⁽¹⁾، حيث شهدت المدينة قحطاً شديداً ألحق بسكان بايلك الشرق، و بناحية الجنوب الشرقي وكان ذلك سنة

1838م، بحيث أصابت الجائحة الزرع، كما أدّت إلى ارتفاع أسعار الحبوب بحيث بلغ الكيلو الواحد من القمح 100 فرنك في المدينة وما بين 80-90 فرنك في المناطق الريفية، وبلغ الكيلو الواحد من الشعير إلى 40 فرنك، ما دفع بالناس إلى رهن ممتلكاتهم لشراء القوت، واغتنم اليهود المقيمين في الجزائر آنذاك الفرصة واشتروا العديد من المنازل بأسعار منخفضة⁽²⁾، إلا أنّ بعض الدراسات تشير إلى هناك مجاعة قد سبقتها، والتي كانت في السنوات الأولى من الاستعمار الفرنسي والتي تعود لسنة 1830م، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الجزائر عرضة بصفة دورية للأوبئة والأمراض، خصوصاً بعد القحط والحروب⁽³⁾، حيث تخلى فيها الفلاحون عن الحرث لما غمرهم من قطن، وأهوال باعتماد بعض الأعراش على بعض، نتيجة البلبلة التي تركها احتلال الفرنسيين

قسنطينة، وقد نتج عن ذلك ارتفاع أسعار الحبوب من قمح وشعير، وغلاء أسعار اللحم والسمن والتمر وأدّت هذه الأزمة إلى ضياع أملاك الناس، وعقاراتهم تحت تأثير الحاجة إلى المال بما كانوا يقدمون عليه من إبرام عقود ربوية تحت أسماء مختلفة، وقد لاحظ العنثري أنّ اليهود المقيمين في الجزائر آنذاك قد استولوا أثناء هذه الأزمة على كثير من أملاك المسلمين بفضل عقودهم الربوية، فكان اليهودي يشتري الدار التي تساوي 10 آلاف فرنك بمائة فرنك لا غير، وأمّا غير الملاك من أصحاب الحرف، والصنائع فقد ضجّوا من القحط، وتحملوا صدماته صابرين⁽⁴⁾.

2.2.2.2. مجاعة 1847م

دامت هذه المجاعة ثلاث سنوات متتالية، وكان سببها الجراد الذي غزا مدينة قسنطينة، ممّا أدّى إلى ارتفاع أسعار الحبوب فتراوح سعر الكيلو الواحد من القمح بين 60-70 فرنك، وسعر الكيلو من الشعير 5-30 فرنك⁽⁵⁾، واستمرت هذه المجاعة إلى غاية سنة 1850م حيث بقي الجزائريون يعانون من خلالها البؤس والفقر، والحرمان إضافة إلى إصدار الاستعمار الفرنسي مرسوماً يقضي بتصدير المنتجات الفلاحية من

(1) صالح العنثري، مصدر سابق، ص 15.

(2) مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات...، مرجع سابق، ص 218.

(3) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 161.

(4) صالح العنثري، مصدر سابق، ص 16.

(5) مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات، مرجع سابق، ص 219.

الجزائر إلى فرنسا، في وقت كان الأهالي يموتون جوعا نتيجة تزايد المعمرين،⁽¹⁾ وقد أشار العنتري الى ذلك قائلا: «... أن علتّه هو هموم الجراد على الوطن، وما أحدثه من إتلاف وإفساد للزروع والنباتات»⁽²⁾.

3.2.2 مجاعة 1867-1868م

شهدت السنوات الممتدة من 1866-1868م نكبات طبيعية ممثلة في هجوم الجراد، وقد أشار المزارى بن عودة إلى اجتياحه الجزائر عام 1864م، بالإضافة إلى جفاف 1865م، قائلا: «... حتى انعدمت مياه الشرب وعمّ الغلاء والغبن، وبلغت الأزمة ذروتها سنتي 1867-1868م»⁽³⁾.

تضافرت هذه النكبات كوباء الكوليرا، والتيفيس التي اجتاحت المنطقة مؤدية إلى ظهور أزمة اقتصادية أخذت صورة مجاعة عامة بالجزائر كانت قاسية على الجزائريين، إلا أنّ أقواها كانت مجاعة سنوات 1867-1868م، حيث عرفت هذه الفترة بـ "عام المجاعة العظيمة" أو "المجاعة السوداء"، حيث عاشت خلالها الجزائر تجربة قاسية جدا، وكانت آلة الموت تحصد المئات من الأرواح يوميا، وقضى الجوع على عائلات بأكملها⁽⁴⁾، وقد قيل عنها: «.. ماهي إلا مجاعة سوداء لم نر في الزمان السالف أقبح وأفضح منها وليس الخبر كالعيان...»⁽⁵⁾.

إن انعكاس مجمل الأزمات على السكان، والتي شملت أغلب سنوات القرن التاسع عشر زادت من بؤسهم وقهرهم، إلا أنّ حدة الوضع الذي اتضحت معالمه خلال أزمة 1867_1868م، والتي استهلها الجفاف الكبير الذي عرفته الجزائر، وصارت من خلاله القبائل العربية في ضيق شديد نتيجة قلة وندرة المحصول، وماتت أعدادا كبيرة من الماشية، ونفوقها لما فقدت العشب والكلأ، فارتفعت الأسعار في السوق، التي تزامنت مع العديد من الجوائح كزلزال 1867م، وقدم وباء الكوليرا الذي وفد من الخارج ليزيد الوضع تازما وخطورة⁽⁶⁾، فكانت أكبر دليل على حالة البؤس التي عاناها عاناها الشعب الجزائري⁽⁷⁾.

يعتبر العنتري من أهم المؤرخين الذين أرخوا لأهم الأزمات التي ضربت البلاد في تلك الفترة، حيث أشار إلى أزمة 1866-1868م قائلا: «... ولشدة هولها وتأثر الناس كثيرا بويلاتهم، وصفها الكاتب بعبارة "المجاعة السوداء"، وفيها صار جلّ المتضررين يقدمون على اقتيات ما تعافه النفس البشرية، ويحرّمه الشرع كأكل القطط والدم والميتة، وغير ذلك من المحرمات المستفدرة»، مشيرا إلى أنّ هذه الأزمة الشديدة قلبت أوضاع الملكية؛ فالغني من أهلها أفقرته، والضعفاء قد أهلكتهم في

(1) صالح فرкос، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، ط01، بصائر للنشر والتوزيع، 2013م، ص 216.

(2) العنتري، مصدر نفسه، ص 16.

(3) المزارى بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا، ج01، تح: يحي بوعزيز، ط01، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990، ص - ص 261-263.

(4) محمد بوراس، مرجع سابق، ص 156.

(5) خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، مطبعة دحلب، دت، ص ص 105، 106.

(6) سارة خباشة وفاروق زروق، مرجع سابق، ص 91.

(7) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 211.

حينهم، ودمرتهم تدميرا، وذلك هو البلاء العظيم، وكفى على ذلك تلك المجاعة السوداء⁽¹⁾.

3.2.2/أ أسباب مجاعة 1867م حسب الدراسات المحلية والأجنبية

يرجع المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله أسباب هذه المجاعة إلى جملة من العوامل، لخصّها في نمط الزراعة التقليدي، والسياسة الاستعمارية الفرنسية التي حطمت الجزائريين، لافتقادهم لرؤوس الأموال التي يمكن أن تعوض الخسائر، وتكون بديلا مع غياب ثقافة الادخار النقدي، زيادة على انعكاسات ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م، التي اضطرتهم إلى التخلي عن مقدراتهم من مواشي وحبوب، وقد زاد على كل ذلك ما لحق القبائل من إغارة على ممتلكاتها⁽²⁾.

كما كتب أحمد ولد قادي الذي يعدّ أحد كبار أعيان وهران، في وصفه آفة المجاعة التي حدثت سنة 1867م بقوله: « مسغبة مدهشة لم يشاهد مثلها في البلاد وآل الأمر إلى أكل الناس بعضهم بعضا، وحلّ برعيتي ما حلّ من الضرر الفادح»، ويرجع أسباب المجاعة إلى عدّة أسباب منها قائلا: «.. نعم كان في السالف كثير من الفلاحين يكون عندهم الفاضل، فيحفظونه في المطامير ويخرجونه وقت المسغبة ليدفعوا المضرة، ولما حلّ بهم غلّو السعر في كراء الأرض الدومينية، وغيرها من الزيادة في المغرم، وصارت الحاجة تدعوهم إلى قرض الدراهم بالفائدة المضرة كستين في المائة، كما تدعوهم الحاجة إلى بيع الزرع، والصوف قبل أوانه بأقلّ من نصف القيمة، فصار الزرع الذي يحصدونه في الصيف يخرج كله من أيديهم في الشأن المذكور، ولم يبق في أيديهم فاضل يدخرونه لزرع عن قدر كفايتهم...»⁽³⁾.

يشير العنّري أيضا لهذه المجاعة الكبرى، التي وقعت خلال سنوات 1866، 1867، 1868م، مشيرا إلى أنّ السنة الوسطى كانت أشدّ ضررا بالناس، وأشدّ بأسا وكان سببها القحط وبيس الزرع، وتزامن ذلك مع نزول الجراد فارتفعت الأسعار، ولجأ الناس إلى أكل الحشيش وغيره...، وقد وصفت هذه المجاعة بالسوداء لكونها كانت مظلمة، وليس فيها رحمة للخلق، وقد بدأت المأساة بفساد الزرع فأعدم حصاده بُرا وشعيرا، وأهلك المواشي بعد أن قلّ العلف فأهلكتها "الرهمة"؛ وهو مرض يصيب البقر والثيران، وانتهت الكارثة بانتشار الوباء وموت كثير من الخلق⁽⁴⁾.

كما نشرت الرسالة باسم "FARE" المؤرخة بتاريخ 12 أفريل 1868م، مشهدا مرعبا لما خلفته المجاعة، مستهجنة أساليب السلطة الفرنسية في معالجتها،⁽⁵⁾ وأشارت وأشارت التقارير الشهرية لسنة 1868م إلى حقائق مفعجة بسبب المجاعة، والتي تصفها

(1) العنّري، مصدر سابق، ص ص 17-18.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج01، دار البصائر، الجزائر، 1992م، ص 149.

(3) فارس كعوان، أزمة التغذية وتغذية الأزمة في الجزائر سنتي 1867-1868م في ضوء بعض الوثائق والمصادر المحلية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج03، ع 01، الجزائر، جوان، 2019م، ص 146.

(4) العنّري، مصدر سابق، ص 58.

(5) كمال بن صحراوي، مجاعة 1868م بالجزائر من خلال نصوص محلية وأخرى فرنسية، عصور جديدة، مج07، ع 26، الجزائر، 2016-2017، ص ص 281، 282.

الكبرى، ولهذا خصصت الحكومة الفرنسية مبلغا قدره أربعمئة ألف فرنك في جانفي 1868م، ثم مبلغا قيمته مليونين من الفرنكات في مارس من نفس السنة، لكن هذه المبالغ لم تكن تكفي لإيصال الحبوب الى السكان في وقتها المناسب⁽¹⁾.

كما جاء كتاب أسقف الشبلي **L'abbé Burzet** في 114 صفحة وقد نشر عام 1869م، على خلفية المجاعة الرهيبة التي سجّل بخصوصها بعض المعطيات بناء على بعض الشهادات الحية قدّمها شهود عيان، مشيرا الى أنها هددت القبائل العربية وأرعبتها مبرزا فيها الى مساهمة الجراد في حدوثها 1866م، وأيضا الجفاف بعدما شحت بعض العيون والينابيع، مؤكدا بقوله: «لم يحن شهر أوت 1867م حتى كان الناس قد أفرغوا مطاميرهم، كما أشار إلى لجوء الكثير منهم إلى القمامة يجمعون العظام وبعض الأطعمة»⁽²⁾.

ذكرت أيضا جريدة المبشر⁽³⁾ على أنّ السبب الأساسي في حدوث مجاعة 1866-1868م، يتمثل في اجتياح الجراد لجلّ المناطق الجزائرية، وذلك ابتداء من 1864م ليصل هذا الاجتياح الى قمته مع بداية 1866، حتى أطلق على هذا العام اسم (عام الجراد)، والملاحظ أنّ المبشر كانت طول فترة هذه المجاعة تركز على القضية فقد كتبت يوم 22 ماي 1866م، تقول أنّ بسبب اجتياح الجراد لكامل القطر الجزائري الذي أنهى وأهلك المزروعات، فركزت الجريدة على ربط أسباب المجاعة بعوامل طبيعية، أو غيرها من العوامل التي تعتبر خارجة على نطاق الإنسان، فقد أدّت هذه الأزمة إلى تحطيم الإنتاج الفلاحي والزراعي⁽⁴⁾.

أشار الباحث ابراهيم لونيبي في مقاله حول جريدة المبشر قائلا: «...إلا أن المفهوم من كلام المبشر بصفة عامة أنّها تحاول إبعاد المسؤولية عن الحكومة العامة والدفاع عن الادارة الاستعمارية»، كما قامت هذه الجريدة بالحرص على أن تتابع مختلف الإجراءات التي كانت تتخذها السلطات الحاكمة لمواجهة هذه المجاعة عن كثب، فكانت تعلن عن المبالغ المالية التي تمّ جمعها على شكل تبرعات، وذكرت أنّه تمّ جمع 898761 فرنك من طرف وزارة الحربية داخل فرنسا وخارجها، كما تمّ جمع 177000 فرنك داخل الجزائر، كما ذكرت تخصيص مبلغ 400000 فرنك في جانفي

1868م، ونوّه هاهنا الى أنّ المبشر لم تكن تذكر كيفية صرف هذه الأموال، ولا المقاييس المحددة لتوزيعها⁽⁵⁾، هذا ما دفع بالقول أنّ هذه الاعانات كانت غير منتظمة، بحيث اعتبرت العديد من المصادر أنّ هذه المساعدة كانت نوعا من أنواع

(1) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 212.

(2) كمال بن صحرأوي، مجاعة 1868...، مرجع نفسه، ص ص 283، 284.

(3) المبشر: ي جريدة أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر باللغتين العربية والفرنسية وكانت الناطق الرسمي باسم الادارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر صدر عددها الأول بتاريخ 15 سبتمبر 1847م واستمرت في الصدور الى غاية 1929م. نقلا عن: ابراهيم لونيبي، مجاعة 1866-1868م في الجزائر من خلال جريدة المبشر الاستعمارية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج08، العدد01، الجزائر، جوان 2022م، ص 36.

(4) كمال بن صحرأوي، المرجع السابق، ص 27.

(5) ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص ص 33، 34.

تلميع صورتها أمام الرأي العام، وقد كانت نداءات النواب الفرنسيين ورجال المال، تصب في جعل الجزائر عاملا يزيد الاقتصاد الفرنسي نموا وليس العكس⁽¹⁾. كما حلت بمنطقة القبائل مجاعة أخرى سنة 1871 على إثر نهب المحاصيل، وتدمير الأشجار المثمرة، ونقص المواد الغذائية في المناطق الجبلية حيث سجلت هذه السنة أعلى نسبة وفيات⁽²⁾، لتليها مجاعات 1876-1877م بعدها والتي كان لها الأثر في تناقص عدد السكان بشكل كبير، كما اقتضت مجاعة 1884 و1888م على منطقة الشرق الجزائري التي مسّت بالدرجة الأولى الأطفال دون الأربعة عشر سنة بالإضافة إلى النساء، ممّا يؤكد تأثر الفئة عمرية معيّنة بهذه الجوائح، حيث تمثل هذه الأصناف من نساء، وأطفال الأكثر نزيفا في المجتمع الجزائري⁽³⁾.

3.2. الجراد

بقي تهديد الجراد للجزائر ثابتا حتى منتصف القرن العشرين، مثلما تشير الى ذلك الشهادات التاريخية العديدة، فقد اجتاحت الجزائر منذ القديم إلى غاية الفترة المعاصرة عدّة أنواع من الجراد اختلفت تسميته حسب نوعه، ووفق مناطق انتشاره، وينقسم الى نوعين: الجراد المحلي: الذي كان يسود كل من البويرة ومستغانم وباتنة والشلف وبجاية، سطيف وتيزي وزو.

الجراد المغربي: الذي كان منتشرا في المناطق الداخلية، من تلمسان غربا الى أم البواقي شرقا مرورا بمنطقة المدية فالوسط، وحسب الدراسات العلمية فإنّ سرب الجراد كان يلتهم 100.000 طن من النباتات الخضراء في اليوم، ما يكفي لغذاء مليون شخص لمدة سنة كاملة، ومن أبرز السنوات التي زحف فيها الجراد سنة 1845 واستمر 1847م⁽⁴⁾، ما أدى الى ضياع محاصيلهم⁽⁵⁾، كما اجتاحت الجراد مرّة أخرى في بلاد القبائل في (1851، 1852، 1854، 1856، 1857، 1860)، وعبر الهضاب العليا (1859، 1860م)، وفي الجنوب (1853، 1854، 1860، 1861)، إلا أنّ حصيلة هجوم الجراد لسنة 1866-1867م كان محط أنظار وكثرت حوله الأحاديث، فقد أتلّف العديد من البساتين و القمح عن آخره⁽⁶⁾، فخلال هذه السنة الممتدة من 1866-1867م، الذي تزامن فيها اكتساح أفواج الجراد مع الجفاف، وظهور الأوبئة في البلاد، والتهمت من خلالها الحقول الزراعية، وكتب الشيخ محمد القاضي الصدوقي المسيسني (1825-1887م) في رسالته المخطوطة عن الأوبئة والجوائح بزواوة يقول فيها:

(1) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 211.

(2) الطاهر أوصديق، ثورة 1871، تر: مسعود جباح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م، ص 13.

(3) عبد القادر قندوز، مرجع نفسه، ص ص 215، 216.

(4) يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 10

(5) جيلالي صاري، نفسه، ص- ص 229.

(6) نفسه، ص - ص 225-227.

«... وفي أول عام 1283هـ/ 1866م ظهر الجراد في بعض الجهات فقط ، واجتمع الناس على قتله بأمر من الحكام والقياد...، فمنذ ذلك الوقت رفع المطر، ويبست الأرض وصار الناس يدعون الله ويتضرعون إليه لإنزال الغيث»⁽¹⁾.

تجدد خطر الجراد كل عام تقريبا بالجهة الغربية، فقد ورد بإحدى الرسائل المؤرخة في 13 أبريل 1867م التي تشير إلى ذلك بقولها : «إننا في غزوة كبيرة لكن ليس ضدي هذه المرّة، و إنما ضد الجراد»⁽²⁾، كما زحف الجراد سنة 1874م، وشمل كل مقاطعة الجزائر خاصة المناطق التليّة، ومع بداية الفترة الممتدة من 1875-1886م زحف الجراد من الجنوب نحو الشمال، وتوقف عند منطقة الهضاب، ثم انتقل إلى مقاطعة الجزائر سنة 1884م ليصل سنة 1885م حيث غطى كل من ثنية الحد وتيارت وبوسعادة وبوغار والشلالة، وواصل زحفه بالمقاطعة خلال سنوات 1887، 1888، 1889، 1890، وعمّ الساحل والتلّ والهضاب⁽³⁾، وهي الفترة التي اعتبرت الأخطر في التاريخ لاجتياحه البلدان في شمال افريقيا، وغرب أوربا، والمشرق العربي⁽⁴⁾.

زحف الجراد إلى كل مناطق الساحل من بجاية للقالّة، والهضاب العليا، ثم سور الغزلان، والأخضرية ثم إلى متيجة خلال الفترة الممتدة من 1891- 1893م، ليتنقل بعدها الى بوسعادة والمسيلة والحلفة والبرواقية وتابلاط والشلف وتيبازة وغيرها من المناطق التي الحق بها الجراد خسائر كبيرة جدا⁽⁵⁾، ومن زاوية أخرى يقول الأب بورزي Burzet⁽⁶⁾: «إنّ العرب لم يقاوموا الجراد وعندما سألناهم عن سبب ذلك قالوا بأنّ الله الذي بعثه هو الذي سيطرده»⁽⁷⁾، والملاحظ من قول القسيس أنّه حاول إبعاد المسؤولية عن السلطة الاستعمارية فيما حدث، وهي التي لم تكلف نفسها للقيام بأي اجراء لمواجهة أو حتى التعويض للمتضررين من اجتياحه، كما حاول الأب بورزي اتهام الجزائريين بالتواكل، ليؤكد بعد ذلك أنهم يتميزون بالتخلف الذهني والفكري.

4.2. الزلازل

تعرضت الجزائر خلال الفترة المعاصرة الى مجموعة من الهزات الأرضية العنيفة، التي تركت هلعًا وقلقًا أوساط السكان، منها زلزال مدينة الجزائر خلال سنوات 1830، 1839م، ثم زلزال البليدة 1840، ومدينة شرشال 1846م – 1847، إلا أنّ أخطرها كان في سنة 1853م، والذي مسّ تقريبا كل المناطق خاصة مدينة

(1) فارس كعوان، مرجع سابق، ص 144.

(2) محمد بوراس، مرجع سابق، ص 157.

(3) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 35.

(4) أ. برنيان وأ. نوشي، وإ. لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رايح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، ص 337.

(5) صليحة علامة، المرجع فسه، ص 36.

(6) الذي كان قسيسا في مدينة الشبلي بمنطقة متيجة. ينظر: ابراهيم لونيبي، مجاعة 1866 – 1868م، مرجع سابق، ص 28.

(7) Histoire de désaster de l'Algérie contemporaine.(paris 1964). , Burzet, L'Abbé- P 435.

الفصل الرابع: الكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 إلى 1899م.

المدينة، والأصنام، ومليانة، وبوغار⁽¹⁾، إلا أن لا بدّ من الإشارة إلى بعض التقارير الفرنسية، التي تذكر بأنّ الزلازل في الجزائر لا تشكل خطورة كبيرة فهي أقلّ حدة من بعض المناطق في أوروبا⁽²⁾.

المنطقة	السنة
مدينة الجزائر	1830م
مدينة الجزائر(علي الساعة الثانية وخمس دقائق والذي دام 3 ثواني)	14 أبريل 1839م
البلدية	1840م
تسجيل عدّة هزات أرضية خاصة في مدينة شرشال	من 03 نوفمبر الى 08 ديسمبر 1846م إلى 1847م
وهران ومعسكر	نوفمبر 1851م
المدينة، الجزائر، الأصنام، بوغار	1853م
البلدية، الشفة، موزاية، العفرون	1856م
مقاطعة الجزائر، وحمير العين.	1867م
القلية	1887م
قوراية	1891م

يعتبر زلزال سنة 1853م من أكثر الزلازل شدة على السكان، وما تجدر الإشارة إليه أنّ عدد الزلازل التي هزت الجزائر أثناء فترة الاحتلال أقلّ من الهزات التي مسّت الجزائر خلال العهد العثماني، ولاسيما الفترة التي نحن بصدد دراستها، وهي الفترة المعاصرة والتي تقدر بسبعين سنة فقط مقارنة بالفترة التي خصصناها للفترة العثمانية والتي تقدر بمائة وثلاثين سنة).

وبالرجوع إلى ما ذكرته الباحثة صليحة علامة عن الآثار السلبية، والواضحة على الناحية الديمغرافية والصحية نذكر ما يلي:

- تناقص عدد السكان بسبب الوفيات التي خلفتها الزلازل، إضافة إلى الإعاقات البشرية، والعدد الهائل من الجرحى مثل ما حدث مع زلزال 1867م.

(1) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة والمعاصرة)، ج02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 130.

(2) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص ص 22، 23.

- تضرر الاقتصاد بحدوث اضطراب في النشاط الزراعي، وخسائر في الحيوانات، وانقطاع مياه العيون والينابيع، وإتلاف الأدوات الزراعية.
- تحطم المنازل وتخريب المدن وبقاء السكان دون مأوى تحت الحرارة الشديدة، أو البرودة القاسية مما انعكس عليهم صحياً، والدليل على ذلك ما حدث في زلزال 02 جانفي 1867م في منطقة العفرون، حيث تحطمت 99% من المنازل، وبقي الناس دون مأوى خلال فصل الشتاء.

- خطورة الوضع الصحي من خلال كثرة الجثث المتناثرة هنا وهناك والجرحى والدم بحيث يسبب تعفنا يؤدي إلى انتشار عدّة أوبئة؛ مثلما حدث مع زلزال البليدة، وقرى متيجة مع مطلع 1867م، والذي بدوره أدّى إلى انتشار الكوليرا والتيفوس⁽¹⁾.

3. الأوبئة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1899م)

عرفت الجزائر خلال المرحلة الأولى من الاحتلال الفرنسي تفاقم ظاهرة الأمراض، والأوبئة مما انعكس سلباً على الظروف المعيشية العامة للجزائريين، وزاد من توسعه عاملي قلة النظافة، وسوء التغذية الذين ساعدا على انتشار الأمراض والأوبئة، كما ازدادت خطورة الأوضاع بفعل توافد عدد كبير من الأجانب على الجزائر عبر الموانئ التي كانت تعتبر بؤرة وباء، ومن العوامل المساعدة على انتقال العدوى إلى المناطق المجاورة من الموانئ ومن هذه الأوبئة نجد:

1.3 الطاعون في الجزائر

ظهر أول مرة في المرحلة الاستعمارية سنة 1835م في منطقة قسنطينة، والذي خلف أكثر من 1500 ضحية في ظرف قياسي مدته ثلاث أيام⁽²⁾، وعاود الظهور في منطقة مليانة في شتاء 1852-1853م بحيث حصد عشرات الضحايا⁽³⁾، بعدها لم تسجل المستعمرة بعد ذلك أي حالة، حتى سنة 1899م أين سجل في منطقة سكيكدة إصابات بالطاعون الدبلي، وهو أشد أنواع الطاعون فتكا بالإنسان، ويرجع سبب تسجيل حالات طاعون إلى سفينة قادمة من مرسيليا، والتي سبق وان أبحرت قبل شهور منطلقاً من الهند محملة بأكياس مرجح أن تكون ملوثة بالبكتيريا، ومنذ سنة أصبح كل سنة تسجل حالة أو اثنتين من الطاعون⁽⁴⁾.

والملاحظ عن هذا الوباء أنه أصاب منطقة الساحل فقط ما يؤكد دخوله عن طريق البحر والموانئ، حيث استمر فتكه للسكان نظراً للحركة المتواصلة للتنقلات عبر الموانئ الجزائرية⁽⁵⁾.

2.3 الكوليرا

يعتبر وباء الكوليرا من أخطر الأوبئة التي عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر، فبعد انتشار مرض الطاعون الذي حصد الآلاف من سكان الجزائر ظهر وباء الكوليرا ليحل محله، ويشكل بذلك أزمة صحية خطيرة جديدة أثرت في المجتمع

(1) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص46.

(2) أحمد أمين سالك وخالد رقيق، وباء الطاعون في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، المؤتمر الدولي العلمي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص149.

(3) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص152.

(4) أحمد أمين سالك وخالد رقيق، المرجع نفسه، ص149.

(5) صليحة علامة، القطاع الصحي...، مرجع سابق، ص - ص 161-164.

الجزائري خلال تلك الفترة، ومن أعراضه الإسهال الشديد، تشنجات وانقباض في الصوت، شحوب البشرة، انتفاخ الرئة، انقطاع البول وكل هذا يؤدي إلى مضاعفات خطيرة

الرئة، وتقيحات مختلفة، واصفرار الجلد؛ فتشخيص مرض الكوليرا كان صعبا بالنسبة للمصابين حيث تشبه أعراضه الحمى المترددة.⁽¹⁾

ابتداء من عام 1832م، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، لم يبرح وباء الكوليرا الجزائر إذ عرفت 09 موجات كبرى للكوليرا، ويعود تاريخ أول ظهور لهذا الوباء بالجزائر إلى شهر جويلية 1832م، حيث سجلت مدينة الجزائر 232 حالة⁽²⁾، وبداية من 05 جانفي 1834م ظهرت الأعراض الأولى للكوليرا بمدينة وهران متسببة في سقوط عدد كبير من الضحايا، وسرعان ما انتشر من وهران لمستغانم، والمرسى الكبير ثم معسكر مخلفا أكثر من 1457 ضحية في ظرف وجيز قدر بعشرين يوما، وما يدلنا على سرعة انتشار وباء الكوليرا في كل مناطق الجزائر أثناء السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر، هو امتداد العدوى من قبائل أولاد سي محمد، وهي إحدى فصائل قبيلة أولاد نايل، التي عانت من وباء الكوليرا سنة 1834م متكبدة أضرار كبيرة، إلى غاية ناحية شرشال عام 1839م متسببا في هلاك ثلث السكان، في الوقت نفسه كان فيه شرق البلاد يتعرض هو الآخر لوباء الكوليرا، إذ اجتاحت ناحية قسنطينة وضواحيها في شهر أكتوبر من عام 1837م مخلفا 1500 ضحية⁽³⁾، واستمرت الكوليرا في حصد الأرواح أيضا خلال سنوات 1843، 1844، 1845م بعدما انتشرت بالمناطق الساحلية والداخلية في الجزائر⁽⁴⁾، وظهر من جديد سنة 1849م بشكل خطير جدا حيث انتقلت العدوى إلى كل من الدويرة، شرشال، بوفاريك، مليانة، تنس، القليعة، سور الغزلان، متيجة، والمدية⁽⁵⁾.

(1) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 65.

(2) توفيق برنو، وباء الكوليرا في الجزائر من خلال تقرير الطبيب الفرنسي بارتراوند سنة 1852م، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة عبر العصور، ج02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 24.

(3) عز الدين زايدي، مرجع سابق، ص ص 169، 170.

(4) محمد بستتي وأمينة مسعودي، مرجع سابق، ص ص 66، 67.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج07، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 227.

جدول يوضح إحصائيات حول وباء الكوليرا (1):

المدن التي انتشر بها وباء الكوليرا	السنوات التي ظهر خلالها وباء الكوليرا
وهران، تلمسان، مستغانم، معسكر، المرسي، المدية ومليانة	1834م
الجزائر، البليدة، مليانة، قسنطينة وعنابة	1835م
الأصنام، شرشال، تنس، مستغانم، سطيف، باتنة، بسكرة، وبوسعادة	1837م
سيدي بلعباس، عين تموشنت، أرزيو، معسكر، مستغانم	1850-1851م
الجزائر، العاصمة، سطيف، قالمة، بسكرة، منطقة جرجرة.	
الجزائر العاصمة، قسنطينة وسطيف	1854-1855م
الجزائر العاصمة، وهران والأصنام	1859-1860م
العاصمة، تيزي وزو، بسكرة، بني بني، وتنس	1865-1867م

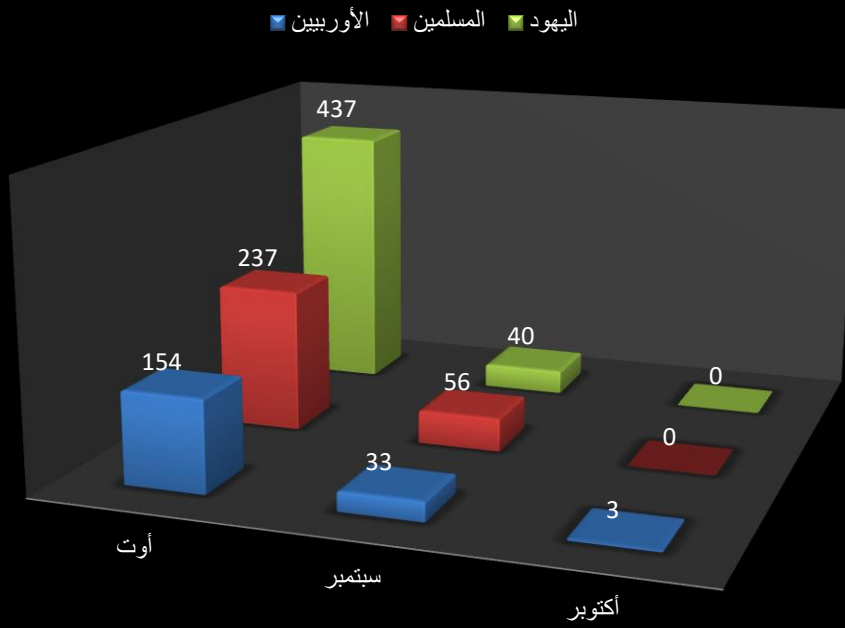
ما يمكن استخلاصه من خلال دراستنا وأبحاثنا هو صعوبة في رصد تواريخ دقيقة، وبشكل كرونولوجي التي تعكس موجات الكوليرا التي عصفت بالجزائر خلال سنوات طويلة، بحيث نلاحظ هناك تضاربا في الآراء والتواريخ، فبعض الأبحاث قسمتها إلى تسع موجات، منذ 1832م إلى غاية 1865م، وكان مصدرها من الخارج وخاصة فرنسا⁽²⁾.

وتشير الباحثة يمينة مجاهد الى عدد ضحايا وباء الكوليرا في مدينة الجزائر سنة 1835م.

(1) -Khiati Mostefa, **Histoire de la médecine en Algérie de l'antiquité à nos jours**, éditions ANEP, Alger, 2000, pp 251- 252.

(2) توفيق برنو، مرجع سابق، ص24.

أعمدة بيانية توضح عدد ضحايا الكوليرا من مختلف الفئات بالجزائر خلال سنة 1835م



(1)

نلاحظ من خلال الأعمدة البيانية التي توضح ضحايا الكوليرا من مختلف الفئات بالجزائر خلال سنة 1835م، أنّ هذه المرة كان لليهود حصة الأسد فيها، ففي شهر أوت وصل عددهم الى 437 ضحية، لينخفض عددهم في شهر سبتمبر الى 40 ضحية، في حين لم تكن هناك وفيات في شهر أكتوبر ليصل العدد الاجمالي الى (477 يهودي). تأتي في المرتبة الثانية فئة المسلمين بحيث وصل عدد الضحايا في أوت الى 237 ضحية، لينخفض عددهم في شهر سبتمبر الى 56 ضحية، أما في شهر أكتوبر لم تسجل أي وفيات ليصل العدد الاجمالي من ضحايا المسلمين الى (293)، وتأتي في المرحلة الأخيرة فئة الأوروبيين بحيث وصل عددهم في شهر أوت الى 154، لينخفض في سبتمبر الى 33 ضحية، أما شهر أكتوبر فقد سجل 3 ضحايا ليصل عددهم الاجمالي الى (190 ضحية)، وذلك كونهم أكثر الفئات حرصا واحتراما من الأوبئة مقارنة بالفئات

الآخري، أما الحديث عن ارتفاعها في شهر أوت ذلك بسبب ارتفاع درجة الحرارة، التي تساعد على انتشارها بسرعة، وهذا ما أكدته بعض الدراسات أنّ الأوبئة قد تكون خطيرة في الصيف، ويزول خطرهما في الشتاء والخريف مثلها مثل الكورونا التي عاشها العالم في الفترة الأخيرة.

3.3 الجذري

عاد وباء الجذري للظهور في الجزائر خلال العهد الاستعماري، ما بين سنوات 1831م و1833 و1837م، لينتشر بسرعة كبيرة في أوساط الجزائريين من قبيلة إلى

(1) ملاحظة: العمل من انجاز الباحثة معتمدة على معلومات وردت في مرجع يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 52.

أخرى، ومن دوار لآخر⁽¹⁾، وظهر أيضا في عام 1838م بمدينة جيجل ثم انتشر عبر المناطق الساحلية الشمالية للجزائر، وفي عام 1840م ظهر بشكل حاد في قسنطينة بحيث بلغ عدد المصابين به 2000 شخصا، وفي نفس الفترة عرفت مدينة البليدة هذا الوباء، فكتب الدكتور فيينو (Finot) عنه: «... لم يعد غريبا أن تصادف بشوارع البليدة، وطرقها رجالا وأطفالا مستقلقين في الوحل شبه عراة، وقد غطت التقرحات أجسادهم»⁽²⁾، أما ظهوره سنة 1843 أحدث هولا وسط الأطفال حيث سجلت الاحصائيات وفاة أكثر من 500 طفلا في منطقة المدينة وحدها⁽³⁾.

وحسب ما تدلي به سجلات الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م " العقد الثاني ص 29 مكرر"، وكان يكتب في هذا السجل على هذا النحو الذي وجدناه في النموذج الأول الذي أمامنا: «الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا، بالمحكمة الملكية بقسنطينة المرعية خضر سي حمد بن احمد الشريف العطار حرفة الساكن لدار بن دربال، المواجهة لدار عبد الجليل يوم الخميس التاسع من شهر التاريخ وذكر ان محمد بن مبارك النايلي المريض بالبرد عمره احد عشر شهرا، هلك بالمرض المذكور في الساعة التاسعة من اليوم المذكور، وأتى على ذكر بشاهدين أولهما سي احمد بن ... الكواش حرفة الذي عمره خمسون عاما الساكن لدار بن... في ... بذكره، وثانيهما ابن زغمار الذي عمره خمسون عام الساكن بدار بن باديس بذكره شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقت ذلك يوم الخميس من رمضان»⁽⁴⁾.

- أما في العقد الثالث من سجل الوفيات ص 29 مكرر: «الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا، بالمحكمة الملكية بقسنطينة المرعية خضر بو عنان الحوكي حرفة، الساكن لدار ابن البرغوث ذكر أن ولده البركة الذي عمره عام ونصف المريض بالبرد هلك وقت عشاء ... وأتى على ذكره بشاهدين...»⁽⁵⁾.

- العقد الثالث من سجل الوفيات ص 29: «الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا بالمحكمة الملكية بقسنطينة المرعية حضر الموجه مصطفى بهلوان الساكن بدار قزانجي بالرقاقين يوم الخميس التاسع من شهر التاريخ... ذكر أن أباه مصطفى المريض بالسالمة الذي عمره ستون عاما علم بالمرض المذكور وقت عشاء ليلة يوم التاريخ وأتى على ما ذكره بشاهدين...»⁽⁶⁾.

- العقد الأول من سجل الوفيات ص 73: «الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا بالمحكمة الملكية بقسنطينة المرعية حضر إبراهيم العابرون السبايسي الساكن بدار مراد قرب كوشة الزيات يوم الإثنين من شهر التاريخ ذكر أن

(1) عز الدين زايدي، مرجع سابق، ص 173.

(3) Jean Joseph Marie TREMSAL, Un siècle de médecine coloniale française en Algérie 1830- 1929, Tunis, imp. Général.J.Barlier et C ie, 192, 8p07.

(4) العقد الثاني، سجل الوفيات سجلات الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة، ص 29 مكرر.

(5) العقد الثالث، سجل الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، ص 29 مكرر، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة.

(6) العقد الثالث، سجل الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة. ص 29.

ابنته المريضة بالجذري التي عمرها خمسة أشهر هلكت شطر ليلة يوم التاريخ وأتى على ما ذكره بشهادين....»⁽¹⁾.

- العقد الأول من سجل الوفيات ص 52: «الحمد لله أمام المأذون له فيما يسيطر علينا عينا عينا بالمحكمة الملكية بقسنطينة المرعية حضر مصطفى ابن الزموري الساكن بدار بن طرطوبية يوم الإثنين الثاني عشر من شهر التاريخ أن ولده عبد القادر المريض بالسعال الذي عمره اثني عشر يوم هلك شطر ليلة يوم التاريخ وأتى على ما ذكره بشاهدين...»⁽²⁾.

-العقد الثاني من سجل الوفيات ص 52: «الحمد لله أمام المأذون له فيما يسيطر علينا عينا عينا بالمحكمة الملكية بقسنطينة المرعية حضر العسكري الساكن بدار بن خباب بباب الجابية يوم الإثنين الثاني عشر من شهر التاريخ ذكر أن ابنته خديجة ألفت سقطا ميتا»⁽³⁾.

كما شهدت سنة 1847م انتشار وباء الجذري بمنطقة شرشال وتنس وثنية الحد، ثم انتقل الى سطيف من شهر جويلية من نفس السنة أي 1847م، لينتقل بعدها الى تلمسان، قسنطينة، باتنة، و القالة وشرشال، وفي سنة 1848م ظهر بمنطقة بسكرة، مليانة و المدينة وشرشال وسكيكدة، تيارت وقالمة ندرومة، فمعظم مدن البلاد عرفت هذا الوباء⁽⁴⁾، وخلال احدى الحملات التفتيشية لسنة 1849م لمدارس مدينة الجزائر، قام بها الطبيب أغنولي (Agnely) مدير التلقيحات عن وجود 452 حالة جذري وسط أطفال المدارس التي تم تفتيشها والبالغ عددهم 528 تلميذا⁽⁵⁾، كما عرفت عرفت عمالة الغرب سنة 1850 وبالتحديد منطقة تلمسان وندرومة وسيدي بلعباس ومستغانم انتشارا واسعا للوباء⁽⁶⁾، وكان يحصد الكثير من الأرواح من مختلف الأعمار الأعمار كما أثبتته التقارير الصحية لسنة 1851م، التي وصفت الوضع الصحي السائد بالجزائر آنذاك بالمتدهور جدا، وخلال سنة 1852م عاد الجذري للظهور مرّة اخرى بمدينة

عنابة، وضواحيها رغم الحملات التلقيحية الأولى، ومسّ الأرياف والمدن بصورة مخيفة لدرجة أنّه شبّه بزلزال عنيف⁽⁷⁾، بعدما غاب وباء الجذري عن المقاطعة لعدة سنوات عاد لينشر الرعب مرّة أخرى أوساط السكان، والذي تزامن مع العديد من الكوارث الطبيعية كالمجاعة والجراد والجفاف التي حلت بالجزائر خلال سنوات 1866-1867-1866م⁽⁸⁾.

(1) العقد الأول، سجلات الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة، ص73.

(2) العقد الأول، سجلات الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة، ص52.

(3) العقد الثاني، سجلات الوفيات بقسنطينة لسنة 1840م/ 1841م، منشورات الأرشيف الوطني بقسنطينة، ص52.

(4) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 60.

(5) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 75.

(6) يمينة مجاهد، مرجع نفسه، ص 60.

(7) نفسه، ص 61.

(8) العنثري، مصدر سابق، ص58.

جدول يبين إحصائيات لأهم المدن التي انتشر بها وباء الجدري في الفترة الاستعمارية⁽¹⁾.

المدن التي انتشر بها وباء الجدري	السنوات التي ظهر خلالها وباء الجدري
الجزائر العاصمة	1832م
جيجل، الجزائر العاصمة	1838-1839م
قسنطينة	1840م
ندرومة والمدينة	1846م
قسنطينة، سطيف، باتنة، القالة، قالمة، سكيكدة، بسكرة، شرشال، تنس، تلمسان، تيارت.	1847-1848م
تلمسان، سيدي بلعباس، مستغانم، ندرومة، البليدة، تنس.	1849، 1850، 1855م

عمّ وباء الجدري أرجاء العالم في عام 1869م ولم يستثن الجزائر، وبقي بالمقاطعة إلى غاية 1874م، إلا أنه لم يكن خطر عليها مثل الذي حدث في 1877م، والذي اضطرت فيه المدارس للفترة الممتدة ما بين 08 نوفمبر و19 جانفي 1878م باقتراح من الدكتور جيمي (Gemy)، الذي تناول هذا الأخير وباء الجدري بالتفصيل لتلك السنة في تقرير له، كتبه الى رئيس بلدية الجزائر بتاريخ 15 سبتمبر 1878م، حيث انتشر وسط الأطفال بطريقة رهيبية، لذلك كان من الطبيعي بالنسبة لهذا الطبيب أن يصدر أمرا بإغلاق المدارس، ممّا أثر سلبا على الناحية الثقافية للمقاطعة⁽²⁾.

أمام هذا الوضع المزري اضطرت الإدارة الفرنسية إلى تعليم بعض الأهالي مبادئ التمريض، ودعوتهم إلى التلقيح ضد هذا المرض، ولكي ترغم الأهالي على إقبالهم على التلقيح، لجأت إلى حيلة تتمثل في أنّ المدارس الفرنسية لا تقبل تسجيل أي طفل فيها إلا بعد تقديمه لوثيقة رسمية تؤكد إجراء عملية التلقيح ضد مرض الجدري⁽³⁾.

الجدول التالي يقدم لنا عدد الإصابات، والشفاء، والوفيات بين الذكور والإناث⁽⁴⁾.

(1) عز الدين زايدي، مرجع سابق، ص ص 174، 175.

(2) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 75.

(3) رابح لونيبي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، (د.ت)، ص 61.

(4) صليحة علامة، تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون، الجدري، التيفوس، الملاريا)، مجلة القرطاس، العدد الثاني، جانفي 2015م، الجزائر، ص 215.

عدد الوفيات		عدد الشفاء		عدد الإصابات	
إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور
6	11	130	130	136	141

نلاحظ من خلال الجدول الذي يقدم لنا عدد الاصابات والشفاء والوفيات بين الذكور والاناث، أنّ عدد الوفيات قليل مقارنة بعدد الاصابات، وأيضاً ارتفاع عدد الذين تماثلوا للشفاء وذلك راجع الى عملية التلقيح.

4.3 التيفوس

تسبب وباء التيفوس سنة 1843م في خسائر بشرية هامة خاصة في صفوف الأطفال، فعَمَّ الوباء معظم المدن الجزائرية خلال سنة 1846م، وانتشر في الأصنام سنة 1857م، وعين تموشنت 1862م، إلا أنّ بعض الدراسات تشير عكس ذلك ؛ بمعنى آخر أنّ أول اعلان عن وباء التيفوس بشكل واضح كان سنة 1861 في منطقة القبائل بتسجيل حوالي 330 حالة، وبمعدل وفيات وصلت نسبته الى 50%⁽¹⁾، وأنّ ما تداولته بعض الدراسات حول ظهوره في الفترة الأولى من الاحتلال، اي خلال 1843م غير صحيح نظراً لعدم وجود معلومات واضحة عن وباء التيفوس قبل ذلك، وأيضاً بسبب الخلط الناتج عن تشابه الأعراض بين وباء التيفوس ووباء الطاعون⁽²⁾.

إحصائيات حول وباء التيفوس الذي أصاب الجزائر خلال الفترة الأولى من التواجد الاستعماري من القرن التاسع عشر⁽³⁾.

السنوات التي ظهر خلالها وباء التيفوس	المدن التي انتشر بها وباء التيفوس
1842م	وهران، تلمسان
1861م	منطقة الصدوق ببلاد القبائل
1862م	مدينة بجاية وضواحيها
1863م	قسنطينة
1866م	ضواحي مدينة قسنطينة
1868م	الجزائر العاصمة، وهران
1894م	الجزائر العاصمة، قسنطينة، بجاية، باتنة

يتضح لنا من خلال الجدول أنّ وباء التيفوس حلّ بالمناطق الشمالية بشكل دوري، نظراً لما عاشه الشعب الجزائري من ظروف قاهرة تحت ظل سياسة استعمارية اقتصادية مجحفة، هذا المرض الناتج عن ظروف اجتماعية أكثر منها طبيعية، والتي تتمثل في البؤس والفقر الذي تخلّفه الحروب والآفات الطبيعية كالجفاف

(1) نفسه.

(2) L.Lamarque recherches historiques sur la medecine dans la régence d 'Alger imprimerie Baconnier 1951.p 101.

والفيضانات والأمطار طويلة المدى المتذبذبة إلى جانب زحف الجراد، والمجاعات وسوء التغذية وانعدام النظافة مع غياب الوقاية الصحية، لهذا اتفق المؤرخون في تسمية هذا الوباء باسم مرض الفقر والفقراء؛ وباء الفقر والمجاعة؛ وباء البلدان الفقيرة؛ وباء الطبقات الشعبية البائسة.

5.3 وباء التيفوئيد (Typhoïde)

يعرف وباء التيفوئيد على أنه حمى معدية، بسبب ميكروب يولد داخل أمعاء المريض، ويتكاثر عند قضاء الحاجة كما يوجد في البول أيضا، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم، وانخفاض معدل ضربات القلب، وظهور طفح جلدي وانتفاخ وتضخم في الطحال، لقد سجلت سنة 1848م حالة تيفوئيد، كما عرفت سنوات 1857م، 1858، 1859م عدة إصابات بعمالة الوسط بحيث أودت بحياة 175 شخصا، وتكرر الوباء مع حلول سنوات المجاعة، والكوارث الطبيعية (1864، 1868م، 1890، 1896م)، حيث بلغت عدد الإصابات 138 إصابة⁽¹⁾.

6.3 حمى المستنقعات

هو مرض معد متوطن يتأثر بالحرارة، والرطوبة وما تخلفه المستنقعات، له ارتباط وثيق بالتغيرات المناخية، فكلما كان العام ممطرا كان محمودا، حيث وجد الأطباء السكان بالجزائر في حالة صحية تبعث على الأسى⁽²⁾، وأفضل نموذج على ذلك في تاريخ عمالة الجزائر منطقة متيجة التي أطلق عليها آنذاك اسم "L' infecte Mitidja" هذه المنطقة التي أضرت بسكانها، بحيث اتفق الأطباء أن هواء متيجة مضر جدا بالصحة خلال فصل الصيف، وهذا بسبب المياه المتركمة فوق سطح السهل خلال فصل الشتاء، وتحمله الرياح إلى المناطق المجاورة⁽³⁾، وذكر عالم الزراعة الفرنسي دس فونتين **Des Fontaine** حول مدينة متيجة: «... مملوءة بهواء الأمراض المعدية وتتخللها من كل الجهات المياه الراكدة مشكلة مستنقعات غير صحية»⁽⁴⁾.

في هذا الصدد يشير حمدان خوجة حول مدينة متيجة: «... إنني أزور هذا السهل مرة في ربيع كل سنة لأنني أخشى الحمى في الفصول الأخرى، وحتى في هذه الفترة أخذ معي ماء الكولونيا وغيرها مما يقيني شر الهواء الفاسد، كما أتزود من ماء مدينة الجزائر لأشرب منه، إن هذا السهل يشبه الغدير في الشتاء، وفي الصيف والخريف تستوطنه الحمى باستمرار»⁽⁵⁾، حتى مدينة القبة فقد اضطرت الحكومة إلى تغيير معسكر كان متواجدا بها، بسبب الهواء المضر الذي يصلها من متيجة، وما يؤكد ذلك هو أحد أبناء المنطقة بقوله: « إن متيجة لا تعدو أن تكون أرض أوحال، ومستنقعات ومحطة ضرر وأذى، فقد استولت على هذا السهل الحمى، التي أصبحت تعيش مع سكانه الذين تعودوا على زيارتها المتتالية...»⁽⁶⁾.

(1) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 61، 62.

(2) صليحة علامة، الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر...، مرجع سابق، ص 101.

(3) صليحة علامة، تاريخ الأوبئة...، مرجع سابق، ص 216.

(4) وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، مصدر سابق، ص 115.

(5) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 49.

(6) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 87.

ففي سنوات (1831/1832/1834/1837/1838/1839/1840/1841/1859/1864/1900م)، وحتى خلال القرن الثالث الأول من القرن العشرين قد أحدثت هلعا وهولا كبيرين في الجزائر، وقد كان أكثر الناس إصابة هم المستوطنون، وجنود الاحتلال، والعمال الجزائريين الذين سخرّوا لعملية شق الطرقات⁽¹⁾.

المبحث الثاني: السياسة الفرنسية تجاه الأهالي في ظل الظروف والكوارث الطبيعية ودورها في تردي الأوضاع.

أمام تنامي الأمراض، والأوبئة التي اجتاحت الجزائر خلال الفترة المعاصرة، وفي ظل تأزم الأوضاع نتيجة زحف الفرنسيين على الجزائريين ما ساهم في انتشار الأوبئة، وتوسعها ناهيك عن الحملات العقابية التي قامت بها القوات الاستعمارية ممّا أدى إلى تدهور الأوضاع الصحية في الجزائر.

لقد أحدث الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م منذ أن وطأت أقدامه التراب الجزائري تغييرا جذريا على جميع الأنظمة الإدارية، من إبادة جماعية، والتنكيل بهم والتهجير ومصادرة الأراضي والأموال الوقفية، حيث طبقت عليها إجراءات قمعية منذ الوهلة الأولى، وهذا من خلال القرارات والمراسيم الضاربة عرض الحائط لبنود اتفاقية الاستسلام لنزع صفة المناعة، والحصانة على الأملاك وتطبيقها وفق مصالحها، وضمّ العديد منها إلى أملاك الدولة الفرنسية، وقد أدت سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية من مصادرة الأوقاف بمختلف أشكالها، وأنواعها إلى نتائج وخيمة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية من (هجرة وفقر وأمراض...) ممّا أدى إلى تأزم الأوضاع الداخلية في مختلف المجالات، ولا سيما الاقتصادية منها والصحية، والتي أثرت على البنية الديموغرافية للمجتمع.

(1) صليحة علامة، تاريخ الأوبئة...، مرجع سابق، ص 217.

1. العوامل البشرية المساعدة في تآزم الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائر.

1.1 الإجراءات العقابية

شكل الاستيلاء على الأراضي الفلاحية أول وأهم إجراء عقابي، يطبق ضد كل جزائري ينصب العداء لفرنسا، فجميع الذين التحقوا بالمقاومة وبأشروا نشاطات عدائية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، أو قاموا بعمليات نهب أو سطو ضدّهم، أو ضد القبائل المتعاملة معهم إلا واحتجزت فرنسا ممتلكاتهم، وطبقت عليهم قوانين الحرب، باعتبار أن الأرض هي التي صنعت جوهر الصراع خلال فترة الاحتلال الفرنسي، كما أنّ الصراع حول الأرض كان أحد أهم العوامل التي ساهمت في تكوين الشخصية الوطنية لأبناء الريف الجزائري (1).

بعد إتمام الفرنسيين لعملية حجز ممتلكات الباي، والأتراك الذين غادروا الجزائر، وكذا ممتلكات الأقباس بمقتضى القرارين الصادرين في 8 سبتمبر 1830م، و10 نوفمبر 1830 فإنّ الحاكم العام للجزائر أصدر قرارا في الفاتح من ديسمبر 1840م، والذي تضمنت مادته الثانية حجز أراضي، وممتلكات الجزائريين الذين ثبت تورطهم في أعمال عدائية ضد فرنسا وضد القبائل الخاضعة لها، وأيضا الذين ساندوا المقاومة بشكل مباشر أو غير مباشر (2).

2.1 تطبيق سياسة الأرض المحروقة

اتبعت سلطات الاحتلال الفرنسي سياسة الأرض المحروقة عن طريق حرق القرى، والمساكن ونهب المحاصيل، والممتلكات، وقد اتبع الجنرال بيجو "Bugeaud" هذه السياسة لإخضاع الشعب الجزائري، والقضاء على المقاومة الجزائرية عن طريق إتباع سياسة الأرض المحروقة، ويصرح قائلاً: «... إن عبور الجبال ومحاربة سكانها والقضاء عليهم أمر ضروري لذا يجب تدمير مصالحهم ففي كل قبيلة ضروري تحطيم القرى، وقطع الأشجار المثمرة، وحرق وقلع المحاصيل الزراعية، وإفراغ

المخازن، وتفتيش الأودية والصخور والكهوف من أجل اختطاف النساء والأطفال والشيوخ والمواشي...، أنها الطريقة الوحيدة لاستسلامهم لنا» (3).

3.1 سياسة التهجير

لقد شجعت فرنسا الهجرة الجزائرية نحو الخارج، والهجرة الأوربية نحو الجزائر وذلك بهدف تفكيك المجتمع الجزائري، ودعمت ذلك بسياسة النفي والتهجير، من خلال نقل العمال الجزائريين إلى فرنسا للزجّ بهم في حرب لا تعنيهم، ولسدّ الفراغ الذي خلفه التجنيد في مصانعها (4)، ويجدر هنا القول إلى أنّ سياسة التهجير انطلقت بشكل مكثف بعد اشتداد الضغط الاستعماري الفرنسي على الجزائريين، من خلال ممارسته مختلف

(1) عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م، ج01، ط01، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 436.

(2) نفسه، ص 436.

(3) عبد القادر سلاماني، سياسة الأرض المحروقة وأثرها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر 1830-1847م، مجلة دراسات، مج07، العدد03، الجزائر، 2018م، ص 123.

(4) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م، ص 237.

أنواع التعذيب، والقتل والتشريد، والتجويع بهدف إبعاد الوطنيين عن الساحة من جهة، والاستيلاء على أوسع مساحة من الأراضي للوافدين الجدد من الأوربيين من جهة أخرى⁽¹⁾.

تعددت مظاهر وحشية الجيش الفرنسي، فكلما قامت ثورة في مكان ما ظهرت معها وحشية القمع الاستعماري، ومضاعفة حجم الإبادة المرفقة بحرق المزروعات، والاستيلاء على الأراضي وتدمير البيوت، وتشريد السكان، وقد كان أكبر قمع وأشدّ قسوة هو ما حدث بعد ثورة 1871م، التي أفزعت فرنسا فكان ردّها قمعياً فشنت خلالها حملات اعتقالية واسعة وسط الثوار والسكان، مع صدور أحكام عديدة منها الإعدام والنفي⁽²⁾، وفي المقابل كانت تسعى السلطات الفرنسية تهتم، وبشكل رسمي بتعمير الجزائر خلال هذه الفترة لاعتبارات سياسية وداخلية، ليرتفع عدد الأوربيين بالجزائر بها ولاسيما بعدما صوّت البرلمان الفرنسي بتاريخ 21 جوان 1871م على قانون يقتضي بتخصيص 100 ألف هكتار من الأراضي فوراً بغرض تحويل جزء من سكان الألزاس واللورين، الذين رفضوا العيش تحت السلطة الألمانية إلى الجزائر، كما صادرت السلطات الاستعمارية 400 ألف هكتار من ممتلكات القبائل المشاركة في ثورة 1871م⁽³⁾.

تجدر الملاحظة هنا أنّ مجال استيلاء فرنسا على الأرض الجزائرية كان منذ السنوات الأولى من الاحتلال، وهي سياسة غرضها احتواء الأرض، والسيطرة على ممتلكات، ونهب المزارع، ثم الاستيطان المنظم بدعم استعماري⁽⁴⁾، سعت فرنسا من خلالها إلى تطبيق سياسة الاستيطان المدني بعدما قامت بتهجير الجزائريين، وأصحاب الأراضي، وتجريدتهم من ممتلكاتهم ومنحها للأوربيين من خلال تقديم جملة من الإغراءات كمنحهم الجنسية الفرنسية، والأراضي الخصبة مع ضمان المسكن، وتقديم كل المساعدات لهم، بحيث قامت الإدارة الاستعمارية خلال بداية الاحتلال بتوزيع 227 هكتاراً على 50 عائلة أقامت في دالي إبراهيم، و93 هكتاراً على عائلات أقامت بمنطقة القبة⁽⁵⁾، ويتضح لنا إرادة السلطات الفرنسية في تفجير الجزائريين، وإذلالهم وذلك بسلب منهم مورد رزقهم المتمثل في أرضهم الباقية⁽⁶⁾.

إنّ سياسة الاستيطان الأوربي في الجزائر لم تؤثر في الوضع الديموغرافي فقط، بل أثرت أيضاً في الوضع الصحي، ومن الأدلة التاريخية التي تثبت أثر الاستيطان والمستوطنين في الوضع الصحي في الجزائر، باعتبار أنّ المستوطنين أكثر عرضة للمرض، والوفاة بسبب الأمراض المعدية كحمى المستنقعات، ومرض الأمعاء

(1) سامية بن فاطمة، الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م- قراءة في الأسباب والدوافع، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 27، الجزائر، 2017م، ص 124.

(2) صليحة علامة، الأحوال الصحية...، المرجع الصحي، ص 77.

(3) العربي بلعزوز، السياسة الاستعمارية في الجزائر وأثرها على تطور الهجرة الأوربية بها (1830-1900م)، مجلة عصور جديدة، العدد 7-8، الجزائر، 2012، 2013م، صص 292-295.

(4) رحيم محياوي، الاستيطان والتوطين، (الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين)، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص 14.

(5) صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 8.

(6) مزيان وشن، سياسة الهجرة والتهجير أسلوب استعماري في الجزائر، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 3، العدد 06، الجزائر، 2012م، ص 141.

الغليظة وأمراض أخرى بسبب عدم تأقلمهم مع المحيط الجزائري، وكانوا ينقلون العدوى إلى الجزائريين، ولقد قدم أغلبهم إلى الجزائر خلال فصل الشتاء، مما زاد من عدد المصابين بالأمراض الصدرية في البلاد ومن عدد الوفيات، ومن جهة أخرى فقد أحدثت سياسة الاستيطان اكتظاظا سكانيا كبيرا أثر سلبا على الوضع الصحي، حيث اعتبرها بعض الأطباء من أهم أسباب انتشار الأمراض في الجزائر، منها مرض الملاريا، ووباء الكوليرا، وأمراضا أخرى جاؤوا بها من أوروبا لم تكن معروفة بالجزائر، وهذا بشهادة أطباء فرنسيين ومن بين تلك الأمراض وباء الكوليرا، وحمى التيفوئيد، والبرص الذي قدموا به من مختلف مناطق أوروبا وزادوا من حدته⁽¹⁾.

2. السياسة الفرنسية في مجال الأرض بعد السنوات الأولى من الاحتلال

تدخل السياسة الفرنسية في هذا المجال ضمن محاولات سلطات الاحتلال المتعددة الجوانب لتفكيك المجتمع الجزائري، وتدمير اقتصاده، ومن هنا كان اغتصاب الأراضي الجزائرية الذي اكتسب أشكالا مختلفة هدفا أساسيا شرعت فرنسا في تطبيقه منذ بداية الاحتلال، فقد صرح الجنرال بيجو (Bugeaud) يوم 18 أبريل 1841م قائلا:

«... إن الملكيات الخاصة، والحرف التي تعتبر ضرورية للتعمير... ستصادر بسرعة بموجب الصالح العام⁽²⁾»، وضمن ذلك استولت الإدارة الاستعمارية بعد شهرين من معاهدة 05 جويلية 1830م بموجب قرار 08 سبتمبر 1830 على أملاك الأوقاف، وبمقتضى القرار نفسه صادرت أملاك المهاجرين، وضممتها جميعا إلى الأملاك

الفرنسية، كما اتبعت الإدارة الاستعمارية أيضا سياسة حصر، وتحديد إقامة القبائل لانزاع ملكياتها، ثم وجدت في كل رفض، أو ثورة، أو مقاومة من جانب الأفراد، أو القبائل ذريعة لبيسط يدها على أراضي الأهالي من خلال مصادرة الأراضي التي ظلت طوال العهد الاستعماري وسيلة إخضاع فعالة في إطار وسائل، وأساليب الحرب الاقتصادية التي كانت واحدة من أبرز معالم السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر⁽³⁾، والغرض من ذلك هو توزيعها على القادمين من أوروبا، ثم تلا هذا القرار صدور مرسوم 7 ديسمبر 1830م من طرف الجنرال كلوزيل (Clauzel)، والذي نص على ضم أراضي الأوقاف إلى أملاك الدولة الفرنسية، ويخول للأوربيين الاستيلاء عليها، وامتلاك الأوقاف عملا بتوصية كل من فوجرو وفلاندا⁽⁴⁾، وقد نتج عن ذلك فقدان الجزائريين لأهم مورد رزق موجه للتعليم، وللفقراء في البلاد،

(1) صليحة علامة، المرجع السابق، ص ص 64، 65.

(2) kaddache Mahfoud, Sari Djilali, L'Algérie dans l'histoire (5) la résistance politique (1900 – 1954) bouleversement socio- économique. office des publications universitaires. Entreprise nationale de livre. Alger. 1985.p140.

(3) حمادي بن موسى، مشكلة ملكية الأرض في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1850-1900م)، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 06، العدد 01، الجزائر، 2022م، ص 903.

(4) ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية – الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص 251.

حيث كان ينفق منها على رجال العلم، والمدرسين وعلى رعاية وصيانة المرافق العامة للمجتمع⁽¹⁾.

وبعد قرار 1830م، أصدر مرسوم آخر الذي كان في أكتوبر سنة 1844م، والذي نصّت مادته الثالثة على رفع صفة المناعة عن الحبس "Non- inaliénable" واعتباره مندمجا في قانون المعاملات العقارية التي تهتم الأوربيين، ثم ظهر قرار 30 أكتوبر 1858م، والذي أخضع الوقف لأحكام المعاملات الخاصة بالملكية المطبقة على المسلمين، واليهود، وبذلك أدخلت الأملاك الموقوفة نهائيا في مجال التبادل العقاري حسب أحكام القانون الفرنسي⁽²⁾.

بعد مرسوم أكتوبر 1844م جاءت ثورة فيفري 1848م، والتي تزامنت مع الأزمة الزراعية الحادة في الجزائر، فقد كان المزارعون يشكون من ندرة القروض أكثر من سكان المدن لأن نسبة الربح التي طلبها المقرضون فاقت النسبة المطبقة في المدن، إذ كانت تتراوح ما بين 60% إلى 100%، وكانت الزراعة تبحث لها عن أحسن الطرق هذا المجال الذي تركز فيه الجهد خاصة على القمح، والتبغ وتربية الماشية مما أدى إلى تدهور مداخيل الأهالي⁽³⁾، ولمواجهة تلك المشاكل وخدمة لمصالحها والمتمثلة في دفع حركة الاستيطان الأوربي، قامت حكومة الجمهورية الثانية بإصدار مرسوم 19 سبتمبر 1848م، الذي خصص مبلغ 50 مليون فرنك لإنشاء مستعمرات زراعية⁽⁴⁾.

أمّا بالنسبة للتجارة فقط سيطر المستوطنون على مجمل نشاطاتها في الجزائر وذلك من خلال سيطرتهم على السوق الداخلية الجزائرية، وتصديرهم لرؤوس الأموال الفائضة عن التجارة، وأرباحها إلى فرنسا عن طريق إصدار القوانين التي وحدت الجزائر جمرkia عام 1851م، والتي كان الهدف منها عزل الجزائر تجاريا⁽⁵⁾.

1.2. مصادرة الأراضي بعد ثورة 1871م

بعد هذه الثورة مباشرة قررت السلطات الفرنسية مصادرة جميع أراضي الثوار الذين شاركوا مع المقراني، والحداد في ثورة 1871م، حيث صدر القانون العقاري القاضي بمصادرة 2.400.000 هكتارا من أجود الأراضي في الهضاب العليا بشرق الجزائر، وقد ضربت فرنسا بشدة، وبدون شفقة على أيدي الذين شاركوا في المقاومة، وأرغمتهم على دفع تعويضات الحرب، وقد طالت المصادرات أملاك كل من شكت في نواياه ضدها، والذين شاركوا في الثورة، حيث تمّت المصادرات بالشكل التالي:

- (1) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق...، مرجع سابق، ص22.
- (2) ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية...، مرجع نفسه، ص 285.
- (3) شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة- الغزو وبدايات الاستعمار (1827- 1871م)، تر: المعهد العربي العالي للترجمة، مج01، ط01، دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص ص 623، 624.
- (4) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، د.ط، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 120.
- (5) أسامة صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الفرنسية (1830- 1962م) ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج04، ع03، العراق، ص 226.

- مصادرة أملاك وأراضي جماعية لأكثر من 330 قبيلة ودوار، تشمل 5948 رئيس عائلة، كما عزلوا من وظائفهم بتهمة المشاركة في الثورة، وبلغ مجموع مساحة الأراضي المصادرة 611.130 هكتارا.

- مصادرة أملاك وأراضي بصورة فردية لعدد 3.601 رئيس عائلة، وبلغ مجموع مساحة الأراضي المصادرة 54.461 هكتارا⁽¹⁾.

تعتبر سياسة التجريد من الثروة الأرضية، والتي تعدّ المصدر الرئيسي للعيش كانت الدافع الكبير وراء الهجرة في بادئ الأمر، وقد وجد الانسان الجزائري نفسه أمام خيارين هما: العيش في بؤس وفقير مدقع، تحت ضغط الاحتلال والاستغلال، أو الهجرة للبحث عن مكان آمن ولقمة عيش متوفرة، الى جانب مصادرة الأراضي فرضت السلطات الفرنسية الاستعمارية ضرائب قد ارهقت كاهلهم، وأفقرتهم في حياتهم فقرا شديدا الى درجة موت البعض منهم جوعا⁽²⁾.

قد كان القضاء على ثورة المقراني، والشيخ الحداد ينبئ بتوسيع وتدعيم النظام الاستعماري، إذ تشجع المصادرات الجماعية متعددة الأشكال، للأراضي الأهلية للأوروبيين على توسيع قطعهم الأرضية التي حصلوا عليها في إطار الاستيطان الرسمي، والحقيقة أنّ القضاء على الثورة لم تكن إلا ذريعة للمصادرة، وإلا كيف نفسّر ما جاء في برقية الحاكم دي غيدون (De gueydon) الى قائد القطاع العسكري بقسنطينة إذ قال: «إنّ الهدف الذي أريد الوصول إليه محدد للغاية أريد أن تؤدّي المصادرة في عمالة قسنطينة الى الحصول على ثلاث مئة ألف (300.000) هكتار من أجود الأراضي من أجل الاستيطان دون أن يشمل ذلك الأراضي الناتجة عن مصادرة أملاك الأفراد»⁽³⁾، وكانت الفرصة مناسبة بعد ثورة 1871م فاتخذت إجراءات إدارية، وقانونية واسعة من أجل حرمان القبائل من قواها الحيّة ممثلة في الأرض عن طريق المصادرة، ففي 25 مارس 1871م صودرت أملاك المقراني، وفي 31 من الشهر نفسه صدر قرار عن اللجنة الاستشارية للجمهورية الفرنسية الذي وسّع شروط الأمر الصادر يوم 31 أكتوبر 1845م، المنظم لقانون مصادرة الأراضي، والذي نص على ما يأتي: «تتمّ مصادرة كل الأملاك مهما تكن طبيعتها، فردية كانت أو جماعية لقبائل أو لأفراد من الأهالي اقترفوا أعمالا عدوانية...»⁽⁴⁾.

إنّ مصادرة الأوقاف بمختلف أشكالها، وأنواعها أدّى إلى نتائج وخيمة على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية (الهجرة، الفقر، المجاعة، الأمراض، مصادرة الأراضي)، فقد أدّى هذا الإجراء إلى حدوث هجرة معاكسة؛ فبينما كان الأوروبيون يغدون إلى الجزائر أفواجا كان الجزائريون يهاجرون من مدنهم⁽⁵⁾.

(1) يحي بوعزيز، موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، الجزائر، ص 98.99.

(2) مزيان وشن، مرجع نفسه، ص 142، 144.

(3) حمادي بن موسى، مرجع سابق، ص 909.

(4) نفسه، ص، 910.

(5) جمال عطابي و ابراهيم لونيبي، موقف الجزائريين من السياسة الاستعمارية اتجاه مصادرة الأوقاف، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، مج11، العدد 02، الجزائر، 2021م، ص 597.

تعدّ مصادرة الإدارة الفرنسية للأوقاف الخيرية سببا رئيسيا في ذلك، ربما لو أنهم أبقوا عليها لما حدث ما حدث، فنحن نعلم أهمية الوقف بالنسبة للمجتمع الجزائري، فلو أنها لم تصادر أملاك المؤسسات الخيرية لما تركت الجثث منتشرة في الطرقات، ولما مات الشعب جوعا، زيادة على ذلك عائدات الأملاك الوقفية التي كانت تساعد الفلاحين حين يكون المحصول سيئا، وذلك بقرضهم على أن يعيدوه فقط إذا كان المحصول

جيدا⁽¹⁾، ولكن مع الأسف الشديد تلك المؤسسات تمت مصادرتها وشلت حركاتها، وبالتالي جعل الانسان الجزائري يفقد أرضه، ويتحول إلى عامل أجير لدى الأوربيين في أغلب الأحيان، أو خماسا يعمل في أرض غيره بحصوله على خمس الإنتاج، أو عاطلا أصلا عن العمل، هذا ما دفع بالكثير منهم لشدة الحاجة يبيعون محاصيلهم قبل حصادها، وأصوافهم قبل جزّها، ونجد لافيغري⁽²⁾ أحد أسقف مدينة الجزائر يصف الجزائر قائلا: «منذ أشهر عديدة فإنّ عدد كبير من العرب لا يعيشون إلاّ على عشب الحقول أو أوراق الأشجار، وخوفا من هولاء العرب كان المعمرين يحرسون ضياعهم والبنادق في الأيدي»⁽³⁾.

2.2 الضرائب

لقد أخضع الأهالي لنظام ضريبي قاس منذ بداية الاحتلال، حيث لم يكتف المحتل بسلب الأهالي لأراضيهم وتجريدّهم منها ونفيهم وقتلهم، بل سخرهم في خدمة الكولون، وفرض عليهم ضرائب باهضة بموجب الأمر الملكي بتاريخ 17 جانفي 1845م وذلك حسب المادة الثانية⁽⁴⁾، فلم يكن القمع العسكري ومصادرة الأراضي وسياسة التهجير الوسيلة الوحيدة في يد النظام الاستعماري الفرنسي لإخضاع الأهالي المسلمين

ومعاقبتهم، وإتّما كان فقط جزءا من ترسانة التدابير العقابية كالحرب الاقتصادية، التي كانت سمة السياسة الاستعمارية في مواجهة الأهالي منذ بداية الاحتلال، غير أنها ازدادت ضررا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتجلّت في مظاهر كثيرة منها الافراط في فرض الضرائب، والغرامات الفردية، والجماعية التي أثقلت كاهل الأهالي المسلمين، ودمرت قدراتهم الاقتصادية، ونتج عنها تدهور خطير في مستوى معيشتهم⁽⁵⁾؛ حيث فرضت عليهم نوعين من الضرائب وهي: الضرائب العربية، والضرائب العامة (الفرنسية)، ولذلك كانت نسبة مساهمة الجزائريين من مجموع قيمة الجباية

(1) مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر دراسة في الاستعمار والتغيير الاجتماعي السياسي، ترجمة: سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص 59.

(2) هو شارل مارسيل ألمان لافيغري ولد في 31 أكتوبر 1825_ 18 نوفمبر 1892م، هو كاردينال فرنسي، ويعتبر من المساندين للحركة التبشيرية بسوريا، كما اعتمد على السياسة التبشيرية في الجزائر للمزيد ينظر الى: حدة طيطوش، الكاردينال لافيغري وأبعاد مهمته التبشيرية الجزائر 1867 - 1880م، مجلة مدارات تاريخية، مج 01، ع 3ع، الجزائر، 2019م، ص - ص 521-525.

(3) جمال عطابي و ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص 598.

(4) صالح فركوس، شهادة ايداع مشروع بحث في إطار البرنامج الوطني للبحث- التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وأثارها على المجتمع الجزائري، قالمّة، 2010م، ص 287.

(5) بن موسى حمادي، الضرائب والغرامات في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1850-1900م)، مجلة الحقيقة، العدد 36، مج 15، الجزائر، ص 123.

الفصل الرابع: الكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 إلى 1899م.

عالية، ومع ذلك لم يتمتعوا بثمرات ما يدفعون، حيث كان المستوطنون يستحوذون على نصيب الأسد من الميزانية، ويلقون بالفتات إلى المسلمين، وهو ما أدى إلى تعاضم فقر المجتمع الجزائري⁽¹⁾.

جدول يوضح قيمة الغرامات التي سلطت على الأهالي في أنحاء من الشرق الجزائري عقب ثورة 1871م⁽²⁾:

المناطق	قيمة المفروضة	الغرامة	القيمة المسددة
تبسة	49226190 فرنك	44885451 فرنك	
جيجل	208220342 فرنك	15657877 فرنك	
القل	43667336 فرنك	17567340 فرنك	
باتنة	116043936 فرنك	92288093 فرنك	
القالا	13200 فرنك	13200 فرنك	
بجاية	436211335 فرنك	374325575 فرنك	
سوق أهراس	34775013 فرنك	24395751 فرنك	
برج بوعريج	475562430 فرنك	16438490 فرنك	

نلاحظ من خلال الجدول قيمة الغرامة المسددة من إجمالي قيمة الغرامة المفروضة على المناطق الشرقية، بعد مشاركتها ومساندتها لثورة 1871م، والغرض من هذه الضرائب هو محاولة لإفكار الشعب، وأيضا من أجل زرع الخوف في نفوس الجزائريين، والقبائل التي تنوي القيام بأي انتفاضة أو ثورة ضد السلطات الاستعمارية.

(1) رياض بودلاعة، السياسة المالية الفرنسية في الجزائر (1830-1962م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع02، مج07، الجزائر، 2021م، ص 70.

(2) بن موسى حمادي، مرجع سابق، ص ص 130، 131.

جدول يوضح مبالغ الغرامة الحربية التي دفعتها الأعراش المشاركة في انتفاضة الأوراس دائرة بسكرة العسكرية سنة 1879م.

أولاد قاسم	880	17.600	20 مرة الضريبة (صنف خاص)
أهل جار الله	465	9.300	نفس الشيء
تكوت	720	14.400	//
المرادسة	775	7.750	10 مرات الضريبة
أولاد سليمان بوحمزة	1280	12.800	نفس الشيء
أولاد عبد الرحمن	1515	10.605	//
أولاد سالم بن عباس	970	6.790	//
أولاد سعدية	340	2.380	//
بني ملكان	2400	16.800	//
لسراحنة واولاد سيدي محمد	3300	23.100	//
الشرفة	2160	8.640	4 مرات الضريبة
السعادنة	1425	2.850	مرتان مبلغ الضريبة
الزكارة	500	1.000	//
أولاد عبد الرزاق	740	1.480	//
		المجموع: 135.495	

جدول يوضح مجموع قيمة الغرامات الحربية المدفوعة من قبل الأعراش المشاركة في ثورة الأوراس، حالها حال باقي المناطق الشرقية التي فرضت عليها مجموعة من الضرائب بحجة المشاركة في الثورات التي قامت ضد المحتل الفرنسي، أو بذرائع مختلفة كتهمة حرق الغابات، أو التأخر في دفع الضرائب، أو عدم التبليغ عن جنائية، أو ممارسة حرفة الرعي داخل الغابات.

في حين استحدث قانون الأهالي الصادر في 20 جوان 1881م غرامات خاصة بالأهالي الذين يتهربون من دفع الضرائب في آجالها، وتساوي قيمتها أضعاف قيمة الضريبة المسددة في آجالها المحددة⁽¹⁾.

وقد أثبت هذا الاجراء القمعي فاعليته في إجبار الأهالي على الوفاء بالتزاماتهم الضريبية في آجالها، ويمكن أن يتضح واقع تطبيق الغرامات على الأهالي منذ صدور قانون الأندجينا (قانون الأهالي) من خلال الجدول التالي⁽²⁾ :

جدول يوضح قيمة الغرامات على الأهالي بعد صدور قانون الأهالي.

السنة	عدد العقوبات	المتوسط لألف ساكن	قيمة الغرامة
1882م	26081	14	208436 ف
1889م	23592	10.89	139765 ف
1890	12201	5.2	73462 ف
1890-1891م	18630	08	12383 ف
1894-1895م	23491	10.11	96631 ف
1895-1896م	20097	8.64	92669 ف
1898-1899م	23366	9.30	113790 ف
1899-1900م	23813	9.81	114525 ف

من خلال الجدول الذي يمثل عدد العقوبات، وقيمة الغرامات يتضح لنا أن هذه السياسة ماهي إلا جزءا من سياسة فرنسا التي انتهجتها مع بداية الاحتلال، التي كانت تهدف من خلالها الى إفقار العنصر الأهلي، وإخضاعه لها من خلال ائثال كاهله بالضرائب، كما أنّ هناك شهادة أخرى نشرت يوم 15 مارس 1868م في جريدة مونيتور (Moniteur)، والتي تؤكد ما آل اليه الوضع في الجزائر نتيجة القوانين الإدارية التعسفية سالفة الذكر.

3.2. النظام الجمركي

وظيفته تنفيذ القوانين الحكومية المتعلقة بمراقبة الصادرات، والواردات من البضائع، والمنتجات عن طريق البحر، والبر واستخلاص الأداء على ما يدفع منها أداء، وهي موضوعة تحت سلطة الوالي العام ويرأسها مدير الجمارك مستقر في مدينة الجزائر⁽³⁾.

لقد لعبت السياسة الجمركية التي طبقتها فرنسا في الجزائر دورا رئيسيا في ربط الاقتصاد الجزائري بفرنسا، وتوجيهه ليكون مكملا للاقتصاد الفرنسي، فقد قامت في بداية الاحتلال بغلق أبواب الأسواق التي كانت تتعامل معها الجزائر في العهد العثماني وبالخصوص تونس والمغرب، وحصرت التعامل التجاري في الأسواق الفرنسية

(1) محمد العربي ولد خليفة، المحنة الكبرى، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 74.

(2) نفسه، ص 203، 204.

(3) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، الجزائر، (دبت)، ص ص 260، 261.

فقط⁽¹⁾، ولتلبية رغبات المستوطنين وتطبيق سياسة الإدماج لصالحهم، أصدرت السلطات الاستعمارية في عهد الحاكم "راندون" قانون 11 جانفي 1851م الذي ألغى الحواجز الجمركية، وسمح للسلع الجزائرية بالدخول الى فرنسا دون رسوم جمركية مع فرض رسوم على كل السلع التي تدخل إلى الجزائر من الأسواق الخارجية، بمثل الرسوم التي تفرض عند دخولها إلى فرنسا، ثم صدر قانون 29 ديسمبر 1884م الذي نصّ على الوحدة الجمركية بين فرنسا والجزائر⁽²⁾.

(1) رياض بودلاعة، مرجع سابق، ص 61.

(2) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص ص 45، 46.

3. تأثير نظام الضرائب والغرامات على الأهالي المسلمين

اتفقت شهادات العديد من الأعيان الجزائريين، وتقارير لجان التحقيق البرلمانية الفرنسية التي وفدت الى الجزائر لتقصي الحقائق، والعديد من الصحف الفرنسية الصادرة بالجزائر على الآثار المدمرة التي نجمت عن مختلف أنواع الضرائب، والغرامات التي أخضعت لها سلطات الاحتلال الفرنسي المجتمع الجزائري، فقد أخضع الأهالي في البلديات المختلطة إلى قرابة خمسة عشر (15) ضريبة مختلفة، كانت تجمع بأساليب غير إنسانية، فكان دافع الضرائب يتعرض للإهانة والإذلال في مناسباتي جمع الضريبة التي تتم مرتين في السنة أي فصل الربيع، وبعد الحصاد خلال فصل الصيف⁽¹⁾، إضافة الى الضرائب العربية جلب الفرنسيون معهم ضرائب أخرى، وهذا دليل على إجحاف إدارة النظام الضريبي للاحتلال الفرنسي، وتشدها مع الجزائريين⁽²⁾، والتي انعكست سلبا على المجتمع حيث استمرت الضرائب، والغرامات الفردية والجماعية، التي أرهقت كاهل الفلاح الجزائري، وازداد وضعه بؤسا، ووصل في سنة 1893م إلى درجة الفقر، وقد عرضتهم أيضا غرامة الحرب إلى الإفلاس⁽³⁾. أدى الإفراط في فرض الضرائب على الجزائريين بطريقة عمياء، أحد مصادر الشكوى لدى الجزائريين لأنّ الضرائب على ما فيها من إجحاف، وتعسف لا يستفيدون منها، بل كانت تستعمل في مشاريع لا تخدم في الواقع سوى الكولون والإدارة الاستعمارية، فالمدارس كانت مهملة، والتعليم منقطعاً عنهم والجيش كان للدفاع عن الكولون، ومؤسسات الدولة⁽⁴⁾.

كما أدى تفاقم ظاهرة الفقر، وضغط الضرائب، والغرامات الى لجوء الأهالي الى البنوك، والمرابين مضطرين إلى ذلك، فتحصلوا على قروض بفوائد مرتفعة جدا، تتراوح ما بين 40% و50% من قيمة أصل الدين، وقد ترتفع نسبة الفائدة المدفوعة قبل تسديد أصل الدين خلال ستة أشهر، خاصة خلال فترات الجفاف، لما يضطر الفلاحون إلى الاقتراض للتزود بالحبوب من أجل تشغيل سلسلة الإنتاج، أو لتسوية التزاماتهم الضريبية اتجاه الادارة الاستعمارية، أو تسديد مختلف الغرامات الفردية، والجماعية التي كانوا يتعرضون لها بين الفينة والأخرى⁽⁵⁾.

بمعنى آخر أن من بين النتائج الجانبية لتطبيق قوانين نقل الملكية، وهو تعرض أملاك الأهالي لعمليات المقايضة، والسمسرة، والربا التي يقوم بها الأوربيون، ما دفع بالأهالي الى اقتراض النقود لدفع الضرائب، وتسببت هذه العمليات في إفلاس الكثير منهم، وجعلتهم يفقدون أراضيهم، ويخسرون ممتلكاتهم، وقد فاقت فوائد هذه القروض أحيانا الى 120% وكان التسديد يتم على أساس الدفع الأسبوعي⁽⁶⁾.

(1) موسى بن حمادي، مرجع سابق، ص 136.

(2) توفيق دحماني، نظرات على الضرائب في الجزائر " العهد العثماني- الأمير عبد القادر- الاحتلال الفرنسي حتى 1914م، مجلة مصادر، مج 10، ع02، الجزائر، 2008م، ص52.

(3) موسى بن حمادي، مرجع نفسه، ص 137.

(4) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، مرجع سابق، ص78

(5) رمضان بورغدة، مرجع سابق، ص 367.

(6) ناصر الدين سعيديوني، منطلقات وأفاق، مرجع سابق، ص - ص 38- 41.

في هذا السياق يقول الموثق الأهلي عبد الرحمن فارس⁽¹⁾: « كانت معظم العقود التي أحررها، وتخص بيع قطع صغيرة من الأراضي المشاعة، أو الأراضي المرهونة، هي في الحقيقة عمليات ربا مقنعة، كان يتعاطاها كل من الجزائريين والأوربيين، كما سمح لي تفحص بعض العقود بملاحظة بعض الممارسات التي يتعاطاها يهوديان لاكتساب الملكية، وتتمثل في قطعتين تقعان بضواحي عين بوسيف، وكان هذان اليهوديان يمنحان قروضا بفوائد تبلغ نسبتها 25 % لبعض الجزائريين طمعا في مصادرة أراضيهم عند حلول أجل الاستحقاق، فحين يعجز هؤلاء عن تسديد السلفيات كانوا يبيعون أراضيهم الزراعية الى الدائن، مع العلم أنّ هذه الأراضي الزراعية كانت من وجهة النظر القانونية أرضا مشاعة، ونتيجة لذلك كان الدائنون يرفعون لدى المحكمة المدنية بالبليدة دعوى ضد الشركاء في الملكية المشاعة فيتم بيعها عن طريق المزايمة بأثمان بخسة لهؤلاء الدائنين»⁽²⁾.

كما ذكرت إدارة شؤون الأهالي عام 1879م في الملاحظة التي سجلتها عن أوضاع الجزائريين، والتي جاء فيها: «إنّ جميع الطبقات الوسطى القبلية تنهار تحت وطأة الربا، فهم مدينون بمبالغ طائلة، وأنهم يندفعون نحو خرابهم»⁽³⁾.

أمّا الربا التي اضطر معظم السكان، والفلاحين للتعامل بها، ومصادرتهم لأراضيهم قدمت شكوى على شكل قصيدة تبيّن موقف السكان من "الربا"⁽⁴⁾:

يارب عجل به من يفك الرقاب **	يأت من وطن الشام غيثا به
يهدى عبد العزيز يأمره للركاب **	يعطيه جنود النصر ليه تحميه
في الدين حصلنا والكريم لنا كتاب **	رب نزل قضى أدل خلقه
أعينا ندفعوا نسادوا في الأبواب **	كثرت الجزى كل يوم تنبيهه
إذا جاك اللوسي تقول هذا عقاب **	يرفد ما بين يديك كل شيء ليه
كفـاش تضحك يا عدة **	والبـرم أوت أو راك
راه فـي هز وشد **	كي الموت أجله جاك
السيـز يديره في العود **	للشـر راه اهداك
واش يبرى ذا القـد **	من الدـين لا فـكـاك
كـراك حصل يا عد **	كي الطير في الاشراك
في اليد والرجـل الحد **	يا ويـن هو السلاك
إذا تغـرب لو جد **	ما تتلـفتش أو راك
نترافقـوه مرة واحد **	ونبعـدو الهـلاك
الهـلاك هو المارد **	والنـاس في التتراك

(1) عبد الرحمن فارس: ولد في 30 جانفي 1911م، بمدينة أقبو ببجاية، أنهى دراسته في الحقوق سنة 1931م بالجزائر، ليتم تعيينه في وظيفة موثق والتي تقلدها في كل من البرواقية، القليعة، والقل، كان عضوا في المجلس العام لمدينة الجزائر قبل أن يصبح نائبا في المجلس الجزائري بعد 1946م، اشتهر كواحد من أبرز المسلمين المطلعين على المسائل المالية، اعتقلته السلطات الفرنسية في 15 نوفمبر 1961م، وأطلق سراحه غداة وقف إطلاق النار، عين في المرحلة الانتقالية رئيسا للهيئة التنفيذية المؤقتة. منقول عن: عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 149.

(2) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 149.

(3) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 150.

(4) نفسه، ص 127.

مابقات الا الهرب ** هذا الوطن انعاف
حتى يجي مولا النوب ** سلطان من الأشرف
يفكتنا من ذا الغلب ** ويومن الى يخاف
اطويل ذا ابحر السرب ** في كل يوم زعف
ذا الحمل كجانا صعب ** وابحرف لينا حلف
ولا العربي الى رقب ** عمروا ولا يطاف
الذمي ايعيط له باب ** ويراوده باسعاف
والمارده هي السب ** للدين راه اضعاف

1.3. تأثيرها على الفئة الكولونيالية

أدت السياسة الاقتصادية والمالية الفرنسية في الجزائر الى توسيع الحركة الاستيطانية نتيجة الدعم المالي المقدم من طرف الحكومات الفرنسية في باريس⁽¹⁾ والحكومة العامة بالجزائر، والتي لعبت دورا هاما في توسع الحركة الاستيطانية بالجزائر ومع تطور زراعة المحاصيل التجارية، وعلى رأسها الكروم والحمضيات والتبغ، وهو ما زاد من ثراء المستوطنين الذين أصبحوا يتحكمون في زمام الأمور، وحققوا أرباحا طائلة بعد أن حولوا نمط الانتاج في الجزائر القائم على تلبية حاجيات السكان الى اقتصاد رأسمالي هدفه الأساسي هو تحقيق الأرباح الطائلة على حساب المجتمع الأهلي⁽²⁾.

لقد حرصت إدارة الاحتلال الفرنسي على توفير جميع ضروريات الحياة السهلة والمشجعة للأوروبيين على الاستقرار النهائي بالجزائر، ولهذا كانت دائما في مراقبة للحالة الاقتصادية لهم، وفي سبيل ذلك لجأت الى تزويدهم الى جانب الأراضي الزراعية بالمعدات اللازمة لضمان الاستمرار في استغلال الأرض خاصة بعد انتشار زراعة الكروم⁽³⁾.

(1) رياض بودلاعة، مرجع سابق، ص 67.

(2) نفسه، ص 67.

(3) عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض...، مرجع سابق، ص ص 243-247.

الفصل الخامس

انعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري

المبحث الأول: الانعكاسات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية على المجتمع الجزائري.

1. الانعكاسات السياسية -المقاومات الشعبية كرد فعل على السياسة الفرنسية (مقاومة سيدي الشيخ، مقاومة محمد التومي بوشوشة، مقاومة المقراني والحداد أنموذجاً).
2. الانعكاسات الاجتماعية (الهجرة، الآفات الاجتماعية، انتشار ظاهرة اللصوصية).
3. الانعكاسات الثقافية والدينية (تجهيل الأهالي، محاربة اللغة العربية).
4. الانعكاسات الاقتصادية.

المبحث الثاني: معالم الصحة في الجزائر خلال السبعين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي.

1. البدايات الأولى للمنظومة الصحية الاستعمارية.
2. هياكل أخرى في المشروع الصحي الاستعماري.
3. سياسة السلطات الاستعمارية وإجراءاتها الوقائية في مواجهة الأوبئة.
4. العلاج عند المجتمع الجزائري ووسائله.

شاركت القبائل الصحراوية في التصدي للغزو الفرنسي منذ 1830م الى جانب الأمير عبد القادر، والحاج أحمد باي وغيرهم من قادة المقاومات الشعبية، إلى أن جاءت سنة 1864م حيث تصدّرت هذه القبائل الكفاح ضدّ المستعمر، موحدة تحت لواء أولاد سيدي الشيخ، عازمة على منع توغل جيش المحتل الغازي الذي بلغ ثغور خيامهم بالإقليم الصحراوي الغربي⁽¹⁾.

كان للنفوذ والاحترام الذي كانت تتمتع به زاوية سيدي الشيخ وشيوخها في الصحراء الكبرى، وعلى مستوى كل الغرب الجزائري، دورا ايجابيا وحاسما في تجنيد عدد كبير من القبائل، التي لبّت نداء الجهاد الذي أعلن عنه شيخ القبيلة سي سليمان في 07 أفريل 1864م⁽²⁾، وعلى الرغم من الكارثة البشرية، والاقتصادية التي حلّت بالشعب الجزائري من جراء مجاعات سنوات 1865-1869م، التي راح ضحيتها عدد كبير من الجزائريين، وتسببت في تشريد، وتفجير الملايين من الرجال والنساء

والأطفال، إلا أنّ قبائل اولاد سيدي الشيخ حملت لواء الجهاد ولبت النداء للذود عن الوطن، هذا فقد كانت لسياسة فرنسا الهادفة إلى مصادرة أراضي القبائل، وتسليط العقوبات الجماعية عليهم، وفرض ضرائب باهظة على الجزائريين، نتائج اجتماعية وإنسانية مأساوية بلغت ذروتها في مجاعات الستينات من القرن التاسع عشر⁽³⁾.

هذا ويمكن القول أنّ ثورة أولاد سيدي الشيخ قد اندلعت كرد عنيف عن أساليب السياسة الاستعمارية بما فيها الضرائب المجحفة، والتي أثقلت كاهلهم، لتمتد شرارة المقاومة إلى سائر الصحراء، وتشمل أيضا مناطق من الشمال، والتي انطلقت من 1864 الى غاية 1884م، ولكن عدم التكافؤ في العدة والعدد، وأيضا في الإمكانيات العسكرية حال دون استمرارها، رغم أنّها حافظت على روح المقاومة الشعبية في الجزائر⁽⁴⁾.

2.1. ثورة محمد التومي بوشوشة

كانت عبارة عن نتيجة لثورة أولاد سيد الشيخ 1864م، حيث شارك فيها محمد بوشوشة، وامتدّت أحداثها من 1871م إلى غاية 1875م، فكانت أسبابها تشترك في نفس أسباب ثورة اولاد سيدي الشيخ من حيث الأسباب الغير مباشرة، ولا سيما بعد أحداث سوق أهراس، والأوراس، وانتفاضة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م، التي

(1) بوعلام بلفاسمي، خصائص ومميزات ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة عصور جديدة، مج01، ع01، الجزائر،

2002م، ص9.

(2) نفسه، ص9.

(3) وعلام بلفاسمي، مرجع سابق، ص ص09، 10.

(4) نفسه، ص 10.

لعبت دورا بارزا في دعم ثورة بوشوشة في الجنوب (المنيعة، تقرت، وادي سوف، ورقلة)⁽¹⁾.

لعب القائد بوشوشة دورا بارزا في تأسيس حركة الجهاد بمنطقة توات، وتميرها الى الطوارق في الجنوب، الذين قرروا حمل السلاح ضد الاستعمار الفرنسي، فقام بعدة هجومات؛ منها هجوم على مدينة المنيعه، واستولى على مدينة متليلي في ماي 1870م، بعد حصار دام عدة أيام، وفي أواخر سنة 1870م انتقل مركزه من عين صالح الى واحة الرويسات قرب ورقلة، ثم اتجه الى وادي سوف، وفي 05 مارس 1871م⁽²⁾، كما هاجم حامية بورقلة فهزمها واستولى عليها، وعين بن ناصر بن شهرة خليفة عليها وجعلها قاعدة له لدعم ثورته، وفي 13 ماي 1871م، وهاجم بوشوشة تقرت وهزم القبائل المتعاونة مع الفرنسيين، ليتسع نطاق ثورته من عين صالح جنوبا إلى أولاد جلال شمالا⁽³⁾.

في منتصف من شهر جانفي 1871م تم الاستيلاء على معظم المناطق التي كانت تحت سيطرة بوشوشة من طرف الفرنسيين، بما فيها مصادرة الثروة الحيوانية من أغنام وجمال وحتى الخيام والحبوب، ومنه اتجه بوشوشة نحو الجنوب (منطقة عين صالح) وخلال عامي 1872-1873م قام بعدة عمليات، واعتمد حرب العصابات ضد القوات الفرنسية في منطقة المنيعه، إلى أن وقع بيد الفرنسيين في مارس 1874م ليتم أسره، ونقل الى سجن قسنطينة حيث تم إعدامه في 29 جوان 1875م بمعسكر الزيتونة بقسنطينة⁽⁴⁾.

(1) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 276.
(2) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962م، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط01، 1997م، ص145.
(3) عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة حتى 1954م، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 578.
(4) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1980م، ص 190.

3.1. ثورة المقراني⁽¹⁾ والشيخ الحداد⁽²⁾ 1871م

تحتل مقاومة المقراني والشيخ الحداد مكانة بارزة ضمن سلسلة المقاومات الشعبية والحركات الثورية الجزائرية وماهي أيضا إلا بداية لثورات لاحقة⁽³⁾، ويؤكد معظم الباحثين أنّ هناك عدّة عوامل اجتمعت لاندلاع هذه الثورة، والتي نلخصها في النقاط التالية:

- الوضع الاقتصادي المتدهور الذي آلت اليه الجزائر في السنوات 1865-1870م، بفعل سنوات الجفاف المتعاقبة على البلاد، وهجمات الجراد التي أتت على الأخضر واليابس، ممّا أدّى الى انتشار الجوع والفقر والأمراض بين الجزائريين، ففي هذه السنوات انتشرت أخطر الأمراض، وأشدّها فتكا بالانسان كالكوليرا والتيفوئيد والتيفوس وغيرها من الأمراض ممّا أدّى الى هلاك عشرات الآلاف من الجزائريين، إضافة الى الزلزال الخطير الذي هز العديد من القرى الجزائرية كالبليدة ومتيجة مع مطلع 1867م⁽⁴⁾.

- حملات التهجير الواسعة التي شنتها السلطات الاستعمارية للأوربيين نحو الجزائر، وتمليك هؤلاء المهجرين الجدد أحسن الأراضي، وأجود الأملاك التي كانت ملكا للجزائريين بعد سلبها منهم عن طريق المصادرة، أو الشراء بأبخس الأثمان⁽⁵⁾.

- سياسة الحاكم العام المدني " راندون" ⁽⁶⁾ في الجزائر (1852- 1858م)، والقائمة على التوسع بالقوة نحو بلاد القبائل ومناطق بابور بصفة خاصة، حيث انتهج من سياسة الجنرال "بيجو"⁽⁷⁾ نهجا له، بإتباع أسلوب الأرض المحروقة التي تقوم على

(1) ينسب معظم المؤرخين أسرة المقراني الى السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ، ويذكرون أنّ أجدادهم من قبائل عياض...، ثم انتقلت الأسرة الى قلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة وهو من مواليد (1810م) عين الفرنسيون محمد المقراني باشاغا على مجانة إثر وفاة أبيه في سنة 1853م. للمزيد ينظر الى: يحي بوعزيز، ثورات 1871م...، مرجع سابق، ص ص 43- 58.

(2) ينتمي الى الطريقة الرحمانية التي أسسها محمد بن عبد الرحمن الذي عاش فيها بين سنتي 1715- 1725م، وتعتبر قرية بني منصور في جبال البيان موطننا أصليا لعائلة الحداد... بقرية صدوق على الضفة اليمنى لواد الصومام ولد محمد أمزيان الحداد الذي أشرف فيما بعد على الزاوية الرحمانية التي قصدتها الكثير من طلاب العلم والذين عرفوا بالاخوان الرحمانيين. انظر: يحي بوعزيز، ثورات 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)...، مرجع سابق، ص - ص 67- 80.

(3) عبد القادر صحراوي، مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين Louis Rinn في ضوء المجلة الأفريقية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11- 12، الجزائر، 2016م، ص 273

(4) حنيفي هلايلي، الظروف التاريخية الممهدة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الاستعمارية، مجلة الحوار المتوسطي، ع08، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص 14.

(5) يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر...، مرجع سابق، ص ص 236، 237.

(6) راندون: شغل منصب حاكم عام على الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 1851- 1858م، الذي تولى إخضاع إخضاع منطقة القبائل والقضاء على ثورة فاطمة نسومر بها، ثم عين وزيرا للحربية من طرف الامبراطور نابليون الثالث، واشتهر بسياسة المحتشدات التي دعا اليها وتمسك بها. انظر: مصطفى عبيد، دراسة في رسالة الامبراطور نابليون الثالث...، مرجع سابق، ص 257.

(7) بيجو: (1784- 1849م)، توماس روبري بيجو لقب بدوق اسلي، ينتمي لعائلة ميسورة الحال تمتهن حرفة الحدادة، جند في الجيش في جوان 1804م، ارتقى الى رتبة ملازم أول في خط المشاة سنة 1808م، عين ملازما عاما في 1836م، وحاكما لمقاطعة وهران، هذا الأخير الذي أرغم أن يعقد معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر سنة 1837م، تم استدعاؤه لمنحه رتبة ماريشال سنة 1840م، وتعيينه حاكما على الجزائر وقائدا أعلى لجيش افريقية.

على

التجوع، والحرق، والتخريب للممتلكات الزراعية، والفلاحية للجزائريين وتشجيع عمليات الهجرة للمستوطنين الأوربيين نحو الجزائر⁽¹⁾.

- الضرائب المجحفة التي كانت السلطات الاستعمارية تفرضها على الجزائريين، وذلك رغم الحاجة، والفقر الذي كان يعيشه السكان الجزائريون في هذه الفترة، من سنوات الجفاف والقحط الذي عاشته البلاد في هذه السنوات، حيث كان المقراني المكلف باستخلاص هذه الضرائب، مما جعله يقف على الظلم والجور الذي يمارسه المستعمر الفرنسي ضد بني جلدته، وقد بلغت الضرائب في هذه الفترات أرقاما كبيرة⁽²⁾.

نظرا لهذه السياسة الفرنسية المجحفة، والخبيثة التي لاقت معارضة شديدة لدى السكان المحليين وهو ما أدى بالمقراني الى عقد مجلس يوم 15 مارس 1871م في مجانة⁽³⁾، وفيه تقرّر اعلان وقرر الزحف على مدينة برج بوعريرج لقيادة المقاومة بنفسه، وما أن علمت السلطات الفرنسية بالجزائر العاصمة اندلاع ثورة المقراني بعد اليوم التالي، حتى كلفت الجنرال "سوسي" بمواجهته، وملاحقة المقراني في منطقة مجانة، فتوجّه ووصل الى مدينة البرج يوم 02 أبريل 1871م، وضمّ اليه الحامية الموجودة في المدينة، فأصبح لديه خمسة آلاف جندي، ثم توجه صباح يوم الثامن من الشهر إلى مجانة، وهو نفس اليوم الذي نجح فيه المقراني في ضم الشيخ الحداد وابنه إلى المقاومة، مما جعل المقاومة تتخذ شكلا آخر وطابعا جديدا⁽⁴⁾.

في 05 ماي 1871م خاض المقراني معركة مع قوات الاحتلال الفرنسي، وقد احتدمت المعركة طوال صبيحة ذلك اليوم، وكان جنود الزوّاف يترصدون المقراني ببنادقهم، وعندما قام لصلاة الظهر أصابوه برصاص قاتلة، فحمل الثوار جثته وعادوا به إلى قلعة بني عباس، ودفنوه بمسقط رأسه، وكنتموا خبر وفاته حتى لا يؤثر ذلك على معنويات الثوار⁽⁵⁾.

2. الانعكاسات الاجتماعية

1.2. الهجرة

للمزيد ينظر الى: بن عمارة زوينة وابراهيم لونييسي، الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين 1841-1847م، مجلة الإحياء، مج22، ع30، الجزائر، 2022م، ص 1034.

(1) حنيفي هلايلي، الظروف التاريخية...، مرجع سابق، ص 15.

(2) محمد محمدي، ثورة المقراني بمجانة في الشرق الجزائري سنة 1871م: ثورة للمال أم للمال، المجلة المغربية للمخطوطات، مج17، ع01، الجزائر، 2021م، ص320.

(3) مجانة: إحدى الحواضر التاريخية، تقع شمال ولاية برج بوعريرج على مسافة 1 كلم، وأصل الكلمة عربي بفتح الميم وسكون الجيم وقيل أن الكلمة من أصل أمازيغي ويعني المروج الخضراء. للمزيد ينظر الى: سمير بن سعدي، المختصر في تاريخ زمورة، مطبعة زعياش، بوزريعة، الجزائر، 2013م، ص 18.

(4) بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت ط03، ص 135.

(5) عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر (1830-1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 2014، ص ص 64، 65.

شكلت هجرة الوطن طابعا مأساويا في حياة الجزائريين عامة، تبعا للهجرات الجماعية وبأعداد هائلة منذ الاحتلال الفرنسي، فاتجهت نحو مواقع مختلفة مخلفة مأسى شتى على نفوس السكان، وحياتهم ونمطهم المعيشي، وكانت هذه الهجرة تختلف اختلافا كبيرا عن تلك الهجرات السابقة، إذ اقترن فيها هذه المرة طلب العلم بالفرار من الظلم وتجنب الوقوع تحت سيطرة الاستعمار⁽¹⁾.

تذكر الدراسات والأبحاث أنّ مدينة الجزائر وحدها قد تناقص عدد سكانها بأكثر من النصف سنة 1836م، وخلت مدن عنابة وهران و بجاية والمدينة وتلمسان ومستغانم من سكانها، فقد تفرق السكان في البداية خارج المدن انتظارا لما ستفسر عنه الحرب⁽²⁾، ويلاحظ أنه بقدر ما كانت تظهره فرنسا من تعسف، واضطهاد للشخصيات المحلية التي كانت تحت رجال القرى والريف على مقاومة جيش الاحتلال، والعمل على حرمان السكان الأصليين من التمتع بكامل الحريات المدنية، والسياسية كمواطنين، إضافة الى الملامح الاضطهادية للحكم الفرنسي التي مثل قانون الأهالي الذي كان

أسوأها⁽³⁾، دون التغافل على عوامل أخرى دفعت بالعديد من العائلات إلى الهجرة ومغادرة قراها ومدنها، فقد نتج عن الأزمات الاقتصادية الحادة التي عاشها الوطن ما بين سنتي 1867-1868م مجاعات رهيبية، بسبب الجفاف، وقلة المحاصيل الزراعية، كما اجتاحت الجراد مناطق هامة في الشرق الجزائري، وأتى على الأخضر واليابس، الشيء الذي دفع بالفلاحين الجزائريين إلى مغادرة أراضيهم التي أصبحت لا تفيدهم في شيء، سوى أنها تدفع بهم إلى الهلاك جوعا، فمنهم من تاه و هام داخل البلاد، إلى أن استقرّ هنا

وهناك، مستأجرا قوة عضلاته إلى غيره من الإقطاعيين الجزائريين، أو المستوطنين الأوربيين بثمن بخس، وإلا كان مآلهم التسكع والتشرد والتسول، فالظروف الاقتصادية الصعبة والفقر كلها عوامل ساهمت على الهجرة⁽⁴⁾.

وقد شهدت الجزائر في سنوات (1875/ 1888 / 1889م) هجرات إلى تونس والمشرق خاصة نحو سوريا، وبالنظر إلى هذه التواريخ نرى أنّها متصلة بأحداث جرت بالجزائر وكانت دافعة للناس على الهجرة⁽⁵⁾، من بينها اشتداد وطأة الاستعمار الفرنسي عليهم، وقنوطهم من حدوث معجزة تخلصهم من مخالب الاحتلال

(1) جمال مخلوفي، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954، تحت اشراف: شيخ بوشخي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران 01، 2018-2019م، ص 184.

(2) ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط4، الغرب الاسلامي، بيروت، 1996، ص 193.

(3) سامية بن فاطمة، الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، مجلة العلوم الاجتماعية، مج 11، ع 27، الجزائر، 2017م، ص ص 134، 135.

(4) عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م، ص ص 17، 18، 26.

(5) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص ص 181، 182.

الفرنسي، وهذا ما أكدّه الباحث عمار هلال في حديثه عن الأسباب الرئيسية التي دفعت بالجزائريين بمغادرة أراضيهم، وبيع أملاكهم وعلى رأسها تأثير قانون الأنديجينا عليهم تأثيرا كبيرا⁽¹⁾.

إنّ السياسة المتبعة من قبل السلطات الاستعمارية التي ارتكزت على مبدأ الاضطهاد، والسلب، وتجريد السكان الأصليين من ممتلكاتهم قد أثرت بشكل كبير على الوضع الاقتصادي، والذي بدوره يؤثر سلبا على باقي القطاعات، والمجالات لاسيما الحالة الاجتماعية للجزائريين، فالفرد الجزائري وجد نفسه محاصرا من كل الجهات، حيث صودرت أرضه، وانتهكت كرامته فأجبر على العمل بصفة "خماس" لدى الأوربيين في أرض كانت بالأمس ملكا له⁽²⁾، وهو ما دفع به إلى الهجرة نحو الإيالات العثمانية في دول المشرق خاصة سوريا، وإلى تونس في البلدان المغاربية بحكم قرب الإيالة الى الجزائر جغرافيا، وأيضا لاشتراكهما في الدين واللغة.

وقد تم رصد عملية إحصائيات خصّصت كل المقاطعات الجزائرية، التي أشرف عليها المسؤولون العسكريون الفرنسيون، ويظهر ذلك جليًا من خلال الرسالة التي بعث بها روسطان القنصل العام الفرنسي بتونس، إلى الحاكم العام في الجزائر بتاريخ 14 أوت 1876م، حيث تمّ إحصاء عدد الجزائريين الذين استقرّوا بصفة نهائية بالإيالة التونسية، والبالغ عددهم 16.600⁽³⁾.

2.2. انتشار الآفات الاجتماعية

لقد عانت الجزائر من مختلف الآفات الاجتماعية، التي نتجت حتما عن سياسة المحتل الفرنسي، الذي عمل على نشر كل ما يمكنه أن يضر بمقومات ومبادئ المجتمع الجزائري المسلم، فتفشيت ظاهرة السرقة، القتل، التسول وغيرها، حتى أصبحت تشكل خطرا كبيرا على واقع ومستقبل الجزائر، لذلك سعى المثقفون الجزائريون، وعلى رأسهم المصلحين إلى محاربة مثل هذه الانحرافات، والآفات والردّ على كل من سوّلت له نفسه ترويجها والمساس بما هو جزائري⁽⁴⁾، وحملوا على عاتقهم تطهير المجتمع، والدين ممّا شابه من البدع، والمنكرات، والانحرافات، وانتشرت الأباطيل التي كانت لا تعد ولا تحصى، وأصبح يشار إليها بالأنامل، غير أنّ ذلك الواقع ليس بالأمر الغريب إذا ما نظر الى السياسة الثقافية الفرنسية التي كانت تغذي كل ما يمكن أن يفسد المجتمع الجزائري⁽⁵⁾.

3.2. انتشار ظاهرة التسول

(1) عمار هلال، الهجرة...، مرجع نفسه، ص - ص 55، 86.

(2) سامية بن فاطمة، مرجع سابق، ص 134.

(3) عبد الكريم الماجري، مرجع سابق، ص - ص 126، 134.

(4) جمال مخلوفي، مرجع سابق، ص 181.

(5) نفسه، ص 181.

انتشرت ظاهرة التسول في الجزائر في الفترة الاستعمارية نتيجة سياسة التفتير التي استعملتها السلطات الفرنسية ضد السكان الأصليين، لهذا نجد أن معظم المتسولين ينتمون الى أصول اجتماعية فقيرة، إلا أن هذه الظاهرة تطورت وتزايدت مع التحولات الاقتصادية، والاجتماعية التي عرفتھا الجزائر خلال هذه الفترة (القحط والجفاف والمجاعات، الأمراض الفتاكة...)، وكانت هذه الكوارث، والجوائح في الغالب تؤدي الى غلاء الأسعار، فالمتسولون كانوا يزدادون أكثر في فترة الجوائح والأزمات؛ وبناء على ذلك فإن شريحة المتسولين لم تكن سوى إفراز لهذه المعطيات، وانعكاسا للتمايز الاجتماعي الذي تمخض عنه بروز تناقضات اجتماعية⁽¹⁾، رغم أن العديد من المؤسسات الخيرية جندت نفسها لتقديم الاعانات، فدوقة ماجنتا **La Duchesse de Magenta** أعطت المثل بتوزيعها شخصيا للغذاء على هؤلاء، وجاء في تقرير أسقف الجزائر أنهم يطعمون أكثر من 2000 شخص من أهالي المدينة، إلا أن تزايد عدد الفقراء المتسولين مع مرور الوقت أصبح يقلق الأوروبيون المتواجدين بالجزائر⁽²⁾.

هذا ولم تخف بعض الدراسات عن كيفية تعامل السلطة الفرنسية مع هؤلاء المتسولين، وعن طبيعة الأساليب الهمجية التي تعاملت بها مع المتضررين من المجاعة، وللدلالة على هذا أعطى الباحث يحي بوعزيز مثالا عن مدينة مستغانم التي طرد منها 1270 متسولا في ظرف 05 أيام، بين 30 سبتمبر و04 أكتوبر، ثم ينقل شهادة أحد الفرنسيين من وهران الذي كان قد شهد قافلة المتسولين، وهم يخرجون من المدينة وقد تجاوز عددهم 2500 حسب ما أخبره به أحد المسؤولين بصفة "رسمية"، وكان نصف هؤلاء من دائرة معسكر ونصفهم من مستغانم، واصفا إياهم أنهم كانوا شبه عراة لا يحملون من المؤونة شيئا، لقد مثلوا "البؤس" في أوضح صورة، بل مثلوا البلاهة الناتجة عن "الاجهاد الجسدي"... فلم ير الشاهد بسمة واحدة، ولو على شفتي طفل بل لم يسمع من هؤلاء كلمة إلا ما دلّ على الألم⁽³⁾.

من خلال بعض النصوص الواردة في بعض الوثائق الخاصة، تلك المتعلقة بفترة المجاعة الكبرى 1866-1868م، حيث يمكننا الوقوف على الأماكن التي يتجمع المتسولون البائسون، وفي مقدمتها المدن الكبرى والشوارع الرئيسية، والأسواق والمراكز الاستيطانية والحقول، وقد استغل الكولون هذه الأوضاع بتوظيف البعض منهم في مزارعهم، أو بعض الورشات، والمصانع لساعات طويلة تمتد من طلوع الشمس الى غروبها، ويتقاضون مقابل ذلك أجرا زهيدا لا يتوافق مع جهدهم

(1) محمد بوراس، مرجع سابق، ص 162.

(2) يحي بوعزيز، مجاعة 1868م بالجزائر...، مرجع سابق، ص 285.

(3) نفسه، ص 285.

المبدول⁽¹⁾، كما استغلت السلطات الفرنسية خلال العشرية الأولى للاحتلال الأوضاع الكارثية بالجزائر، ووضعت ملاجئ لإيواء الأطفال اليتامى والمتشردين، تحت تصرف الأخوات المسيحيات اللواتي عكفن على رعاية هؤلاء الأطفال الى غاية وصولهم سن الرابعة، حيث كان يتم توجيههم الى ملجأ مصطفى Orphelinat de Mustapha أين كان يتم التكفل بهم، ويمكن اعطاء صورة واضحة عن عدد هؤلاء الأطفال في الملاجئ الجزائرية، بصورة واضحة ضمن الجدول التالي⁽²⁾:

المقاطعة	الملجأ	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
الجزائر	ملجأ مصطفى	20	220	240
الجزائر	بن عكنون	65	/	65
الجزائر	بوفاريك	84	/	84
الجزائر	دالي ابراهيم	21	21	42
الجزائر / الأبيار	Bon Pasteur	/	29	29
وهران	مسرعين	108	/	108
وهران	مسرعين	/	113	113
قسنطينة	عنابة	/	94	94
قسنطينة	سوق أهراس	18	/	18

يوضح لنا الجدول أعلاه عدد من اليتامى من كلا الجنسين (ذكر وبنات)، الذين تواجدوا بملاجئ منتشرة بالجزائر في دالي ابراهيم وبن عكنون وبوفاريك ومسرعين وقسنطينة، بحيث بلغ العدد الاجمالي للبنات في هذه الملاجئ 477، أما العدد الاجمالي للذكور فبلغ 316، إلا أن الهدف الحقيقي من اقامة هذه الملاجئ ومساعدة اليتامى، يكمن في السعي لتلميع صورتها أمام الرأي العام، وأيضا لتمسيح هؤلاء الأطفال لخدمة مشروعها الاستعماري في الجزائر.

4.2. انتشار ظاهرة اللصوصية وقطاع الطرق

نتجت عن ازمات الجوع، الفقر، والحاجة الى انتشار ظاهرة اللصوصية، التي كانت بطبيعة الحال تحصيل حاصل للسياسة الاستعمارية الفرنسية الممنهجة في الجزائر⁽³⁾، وكانت وخيمة بشكل كبير على المجتمع الجزائري في جميع

(1) محمد بوراس، المجاعة السوداء بالغرب الجزائري (1866-1868م) - العوامل، الوقائع، الآثار، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي المعاصر، ج02، اصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية و السياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م، ص 162.

(2) عز الدين زايدي، الجزائريون والأوضاع الصحية الجديدة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد 07، العدد 01، جوان 2021م، ص 168.

(3) عز الدين زايدي، مرجع سابق، ص 166

المجالات، بالخصوص المجالين الاقتصادي، الاجتماعي؛ فاللصوصية من هذا النوع كانت في الجزائر منذ القدم، وحتى قبل الاحتلال الفرنسي، ولكنها استفحلت بشكل كبير في فترة الاستعمار، خاصة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، والذي كان يمثل ظهور وبروز انعكاسات عمليات سلب الأراضي على الشعب الجزائري، بالتحديد خلال سنوات القحط، والمسغبة التي امتدت من (1866-1869م)⁽¹⁾.

ذكر الأب بوزي بأنّ الجائعين تحولوا الى لصوص و قطاع طرق، يمارسون النهب، السلب، والسرقة، فتصايح الأوربيون وطلبوا من السلطات أن تطردهم بدعوى أنهم يهددون الأمن، والصحة العامة، والسرقة، والسطو على الممتلكات، وقطع الطرق، والفتك بالضحايا هي مظاهر كانت تتجلى في أعقاب كل مجاعة، وتتعايش جنبا لجنب مع الاضطرابات الاجتماعية الناجمة عن البؤس، فأقامت السلطات الاستعمارية مراكز عسكرية في كامل القرى من أجل حماية المحاصيل، وألزمت الشرطة بحبس

المتسولين، وجمعهم ثم ردهم الى الأماكن التي جاؤوا منها، أو وضعهم في الملاجئ التي خصصت لهم، أمّا الكولون فشددوا حماية مزارعهم، والبندقية في اليد⁽²⁾. إنّ تدهور الأوضاع الاقتصادية للأهالي أدّى الى انخفاض مستوى معيشتهم، لاسيما في المواسم التي يكون فيها المردود الزراعي سيء، وقد عاشت الجزائر أزمات حادة في الفترة الممتدة ما بين 1866-1870م، حيث تواصل الجفاف والقحط وزحف الجراد على البلاد⁽³⁾.

إنّ هذه الظروف وصلت بالفقراء أن أكلوا ما لا يحل أكله، كما أنهم عانوا من ارتفاع الأسعار، بما فيهم الأغنياء التي أفقرتهم المجاعة السوداء، وخلت ديارهم من المخزون، وأتلفت الحيوانات لفقدانهم العلف، وتشير بعض المصادر الفرنسية، والتي تعلق عن وضعية الأهالي «...ذالكم هو مصير هؤلاء السكان العرب المساكين، أنظروا الى هذه الوجوه التي تعذبها آلام الجوع الرهيبة، أنظروا الى هذه الأجساد حيث يرتسم بصفة مخيفة شكل الهيكل العظمي البشري وقدروا عذاب كل واحد من هؤلاء الجائعين الذين مرقّ الجوع أحشاءهم أثناء انتظارهم الطويل...»⁽⁴⁾.

كما أنّ ظاهرة اللصوصية انتشرت على الحدود الجزائرية التونسية، وبين أعراش الدولتين، فلم تقتصر السرقة على الجزائريين فيما بينهم فقط، فالكثير من الأحيان كانوا هم عرضة لها بعد نهب أراضيهم، وممتلكاتهم من طرف السلطات

(1) نفسه، 166.

(2) Abbé Burzet. Histoire des désastres de l' Algérie. 1866- 1867- 1868. Sauterelle. Tremblement de terre. Choléra.Famine.1869.p 82.

(3) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 150

(4) الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954م، ترجمة: عبد القادر بن حرات، م. و.ك، الجزائر، 1987م، ص 194.

الاستعمارية

والكولون، وأيضا تعرضهم لها من بعض الأنفار بأعراش تونس؛ وقد شملت عمليات السرقة الحيوانات كالإبل، الأغنام، الماعز، وحتى الطعام فقد كان السراق يقومون بسرقة محاصيل القمح والشعير المخزنة، التي تعكس حالة الفقر وقلة المحاصيل من جراء الجذب، والقحط التي تضررت منها القبائل الحدودية⁽¹⁾، وتشير إحدى المراسلات المتبادلة أيضا بين باشاوات الجزائر، وقسنطينة، وبايات تونس المتعلقة بتلك الإغارات بين العروش الواقعة على الحدود بين الإيالتين لسبب أو آخر⁽²⁾، قد سجلت لنا العديد من الوثائق الأرشيفية حول الإغارات على القوافل التجارية، من بينها وثيقة مؤرخة بتاريخ 27 جمادى الثانية 1279 هـ (1862 م) " جيوش من النمامشة قد أغارت على زمول من دريد في الحشانة، وأخذوا لهم نحو خمسين بعيرا موفورة بالقمح، والشعير، والفل، وقتلوا منهم رقابا، وهما المكرمان الشيخ أحمد بن ربي و صالح بن ابراهيم"⁽³⁾، كما تشير إحدى الوثائق التاريخية الأرشيفية المؤرخة ب 29 يوليو 1877م، وهو مكتوب أرسله حاكم عنابة لقتصل تونس نصّه: «... أن حاكم القالة أخبرني بأن أناسا في بني مازن من رعايا تونس سرقوا بغلة للمسمى عبد الله بن محمد من أولاد علي... وأيضا المسمى عبد الله ابن عمر من العرش المذكور كان قد اشترى بغلة من بني مازن وهربت له البغلة لربها، ثم إن البغلة التي هربت لعمار بن محمد المذكور أعلاه موجودة عند المسمى بودربالة ابن حسين الهارب عند بني مازن منذ سنين عديدة، وهذه السرقة وقعت في 22 يوليو... المرغوب منكم إذا كان الأمر غير صعب في اتخاذ الوسائل اللازمة في ترجيع البغال المذكورة لرعايانا...»⁽⁴⁾، كما وقفنا على إحدى المراسلات التي تم رفعها من وكيل الدولة التونسية أليغرو إلى الباي التونسي، بشأن عرش بني مازن الذين تكررت سرقاتهم على دواوير وعروش منطقة القالة، حيث ورد في شأن ذلك: «... أما بعد فإن في أوائل شهر التاريخ ثلاثة أنفار من المفسدين من عرش بني مازن سرقوا زوج ثيران من عمل القالة، وعند رجوعهم أصاب مرض قوي أحدهم ولم يتيسر له المسير مع رفقائه، وسقط بين الأعشاب بقرب المكان المسمى رمل السوق، وأخذ في الصباح حتى فزع حراس الحدادة، وسيبوا وجه بارود نحو المكان الواقع فيه ذلك فوجدوا النفر المذكور على آخر نسمة من حياته، ووجه البارود

(1) محمد حلوان، السلطة الاستعمارية في الجزائر ومسائل التخوم مع تونس (1830-1881)، إشراف: كريم ولد النبية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجبيلي يابس، 2019، 2020م، ص - ص 55، 251.

(2) - FA 1881- H- 0223- 0384- 0001.

(3) السلسلة التاريخية، الصندوق 212، الملف 247، الوثيقة 12، الأرشيف الوطني التونسي.

(4) السلسلة التاريخية، الصندوق 211، الملف 225.

المذكور لم يصبه ونقلوه لبرج القايد بالمكان فمات، و النفراڤ الأخران أرجعا زوج الثيران...»⁽¹⁾.

بقيت السلطات الفرنسية بالجزائر تعاني من حالة الخروقات والتسيب التي كانت تشهدا الحدود الشرقية التي شملت جميع الشريط الحدودي الممتد من القالة شمالا إلى تخوم الصحراء جنوبا، على غرار قبائل أولاد يحي بن طالب والنمامشة والحراكتة وأولاد سيدي عبيد القاطنين بالجزائر، وفي المقابل قبائل الإيالة التونسية على غرار قبائل الفراشيش والفرع الحمادي والهمامة وبلاد الجريد⁽²⁾.

5.2. تأزم الحالة النفسية إبان زمن الوباء والمجاعات

كان الظهور المفاجئ لكثرة الموت، وبروز الأعراض المرضية على المصابين، وارتفاع عدد الجنائز الخارجة يوميا وسط المدن والبوادي، يخلف حالة من الرعب والفرع وسط السكان، حيث يسود جو من انعدام الأمان، وتفقد الحياة إيقاعها اليومي المألوف، فيتطور الوضع العام مع تزايد حدة الوباء إلى إحداث خلخلة عميقة في النفوس، والإحساس بقرب الفناء، فبالإضافة إلى ما كتبه المشرفي حول هذا الجانب، تختزل النماذج الموالية للحالة النفسية، والعامّة المنتشرة بين أوساط السكان والأهالي⁽³⁾.

(1) السلسلة التاريخية، الصندوق 212، الملف 232، الوثيقة 79.
(2) عبد الكريم الماجري، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغربية الجواننة إلى تونس 1831-1937م، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط01، 2010، ص 127.
(3) العربي المشرفي، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19م، مصدر سابق، ص 138

6.2. أثر الأوبئة والأمراض على النمو الديمغرافي في الجزائر

جعل الاستعمار الفرنسي بالجزائر الأحوال الاجتماعية، والصحية للشعب الجزائري أسوأ بسياسته القمعية والاستنزافية، فبالإضافة للوفيات والاعاقات نتيجة العنف المباشر المتمثل في العمليات العسكرية، زيادة عن مصادرة الأراضي، والممتلكات وتنظيم الاقتصاد المحلي لتكون في خدمة المصالح الاستعمارية عواقب أليمة، حيث عانى الاقتصاد الريفي والفلاحي بعد تآزم الوضع الداخلي للبلاد وتدهورت الحالة الصحية للأهالي في الجزائر، حيث فتكت بهم أوبئة الجدري والكوليرا والتيفوس وأمراض الزهري، بالإضافة إلى المجاعة⁽¹⁾.

في أول إحصاء رسمي للجزائريين من طرف المصالح الإدارية الفرنسية سنة 1861م، كان عدد الجزائريين هو 2765139، وبعد خمس سنوات أي في سنة 1866م، أصبح عددهم 2652072، أي أنهم تناقصوا بأكثر من 113 ألف، وحسب نفس الإحصائيات فإن ثلاثة آلاف منهم هاجروا، وأكثر من 55 ألف منهم قضوا بسبب المجاعة والأمراض الوبائية، وفي مقدمتها الكوليرا⁽²⁾.

3. الانعكاسات الثقافية والدينية

استعملت فرنسا عدة وسائل للقضاء على اللغة العربية بين الفينة والفينة، لتكريس سياستها والتحرك تحت منوال ثقافتها، فكانت النعرة القبلية التي عمل الاستعمار على إحياء الجذور العرقية بالمنطقة، والدعوة لإحياء اللهجات القديمة، ومحاربة اللغة العربية مستغلا في ذلك الاختلاف العرقي لنشر التفرقة، وإشعال روح العنصرية فاختلفت الأمور وظهرت عائلات على حساب عائلات، وتم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان فعم الفقر والجهل، متبعين سلسلة من المخططات التي كان لها آثارا وخيمة وسلبية على المجتمع الجزائري⁽³⁾.

1.3. ثقافيا

1.1.3. تجهيل الأهالي

لم ينتهج الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة تعليمية، بل ومنذ دخوله اتبع سياسة تجهيل السكان الأصليين بهدم وغلق المدارس الأهلية، ومراقبة ما تبقى منها، إذ قامت بإحراق الأطفال الجزائريين بمؤسسات تعليم فرنسية، فمن الممكن أن يتوقع الإنسان بحق أن فرنسا بعد إن اضطهدت التعليم في الجزائر ستعوضه بالتعليم الفرنسي، غير أن ذلك لم يحدث، فالجزائري في العقل الفرنسي لم يكن له وجود، فهو

(1) محمد رامي سيدي، دور الاستعمار الفرنسي في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال القرن 19م، مجلة عصور جديدة، مج10، ع04، الجزائر، 2020م، ص 366.

(2) نفسه، ص 366.

(3) خيرة المهدي هجاله، سياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1962م، مجلة الإحياء، مج21، العدد 29، الجزائر، 2021، ص 760.

لم يكن لا جزائريا ولا فرنسيا، بل هو مجرد رعية محتل، وكذلك فإن معاملته كانت تتماشى مع هذه الفكرة، فالجزائري في نظر المستعمر ينتمي إلى جنس غير قابل للتصحيح، والتثقيف ولذا أهمل الفرنسيون تعليم الجزائريين⁽¹⁾، ناهيك عن عملية النفي والتهجير للعلماء، والقضاة التي قامت بها السلطات الفرنسية، ولعلّ خير دليل ما قام به الجنرال "بوجو" تجاه هذه الفئة (العلماء وغيرهم) من طينة العالم حسين بن عزوز 1841م، والمفتي مصطفى الكبابطي، الذي نفي إلى جزيرة سان مرغريت عام 1843، كما طرد حمودة الفكون وأخيه من قسنطينة إلى الإسكندرية سنة 1841م، وفي نفس الوقت انتهت حياة بوضربة في المغرب، وحياة حمدان بن عثمان خوجة في اسطنبول خلال الأربعينيات⁽²⁾.

(1) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 02، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 64.

(2) عبد الرحمن بلاغ، الوضع الثقافي في الجزائر خلال القرن 19م في سياق السياسة الاستعمارية، مجلة البدر، مج03، العدد 9، الجزائر، 2011م، ص 252.

2.1.3. محاربة اللغة العربية

سعت السلطات الفرنسية جاهدة بتعميم التعليم الفرنسي في الجزائر، وذلك لإنجاح مشروعها في هدم مقومات المجتمع الجزائري الأساسية، المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي، والقضاء على كل ما من شأنه أن يحافظ على هذه المقومات، وذلك من خلال دعم هجرهم للمؤسسات التعليمية الأهلية كالمساجد، والزوايا والتشجيع على الانخراط في المدارس الحكومية الفرنسية⁽¹⁾، وقد تأسست أول مدرسة فرنسية في أول جوان 1833م بالجزائر ومدرسة أخرى بعنابة⁽²⁾، وترى الأستاذة " أيفين تورين " أنّ أهداف الاستعمار تتمثل في تحويل المجتمع الجزائري تحويلًا كليًا يجعله يخدم مصالح المستعمر، ورأت أنّ التعليم هو أحسن وسيلة لإزالة " الأفكار المتخلفة " المتفشية بين السكان المحليين، بالقضاء على ثقافة الجزائريين، ولغتهم وشخصيتهم مما يمكن فرنسا المحتلة من السيطرة على الوضع⁽³⁾، وقد أشارت العديد من التقارير الفرنسية إلى اللغة العربية وثقافتها، التي كانت منتشرة في المدن الجزائرية، وأريافها بشكل واسع وعميق، وهذه الوضعية لم ترح إدارة الاحتلال التي اعتبرت أنّ وجود لغة وثقافة مغايرة لحضارتها وثقافتها، يشكل خطرا على وجودها في الجزائر، ويحول دون تحقيق الهدف الأول للاحتلال وهو الإدماج الكلي للجزائريين⁽⁴⁾.

لقد كان الاستعمار الفرنسي يدرك تمام الإدراك أنّ اللغة العربية هي اللغة الوطنية للمجتمع، وإنّها الوعاء الحضاري الذي لعب على امتداد قرون عديدة دوره في التماسك الاجتماعي، والقومي للمجتمع الجزائري، بالإضافة إلى أنّها لغة القرآن وبالتالي فهي لغة الإسلام، الدين الذي يدين به الجزائريون وعن ذلك يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس:

«... هي الرابط الذي يربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية ولغة الوطنية المغروسة...»⁽⁵⁾.

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن ذلك أيضا: «... اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ومن ثم فهي لغة المسلمين...، ولهذه اللغة على الأمة حقا أكيدان كلّ منهما يقتضي وجوب تعلمها والمحافظة عليها...»⁽⁶⁾.

2.3. الآثار الدينية

(1) سلوى لهلالي، السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه التعليم في الجزائر نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج04، العدد07، الجزائر، 2013م، ص 66.

(2) بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية...، مرجع سابق، ص 128.

(3) عبد الرحمن بلاغ، مرجع سابق، ص 252.

(4) بربر حمودي، الهوية الوطنية الجزائرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية في عهد نابليون الثالث 1852-

1870م، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج06، العدد01، الجزائر، 2021م، ص 61.

(5) جمال مخلوفي، مرجع سابق، ص 17.

(6) نفسه، ص 17.

انتهجت فرنسا في سياستها الدينية حربا صليبية، الهدف منها القضاء على مقومات المجتمع الجزائري خاصة الدينية منها، وقد مسّت الجوانب التالية: المساجد والجوامع والزوايا والأضرحة، الى جانب تحريف القضاء الإسلامي، والاستحواذ على الأوقاف الإسلامية ثم سياسة التنصير، لذا عملت منذ البداية بدأت بالتدخل المباشر في شؤون الدين ضاربة عرض الحائط ما جاء في معاهدة الاستسلام، الموقعة بتاريخ 05 جويلية 1830م بين الداي حسين، والقائد العام للجيش الكونت دي بورمون، التي جاء فيها:

«... ستبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، لا بدينهم ولا بأموالهم ولا تجارتهم ولا صناعتهم...»⁽¹⁾، ثم ظهر قرار 30 أكتوبر 1850م أدخلت بموجبه أملاك الأوقاف في مجال التبادل التجاري، وأخيرا قرار 1873م صودرت بموجبه نهائيا كل أملاك الأوقاف، فعلى سبيل المثال كانت مدينة الجزائر تضمّ وحدها 176 مسجداً، لينخفض هذا العدد الى خمسة مساجد فقط عام 1899م⁽²⁾.

لم تكف السلطات الاستعمارية بذلك بل قامت بهدم المساجد، وحولت ما تبقى منها إلى كنائس، مكاتب، إدارات، ثكنات عسكرية، مستودعات واسطبلات، وهذا ما حدث لجامع كتشاوة الذي أصبح كاتدرائية القديس فليب، ومسجد أحمد باي في قسنطينة، ومسجد سيدي الهواري في وهران الى مخزن للجيش الفرنسي، ومسجد عين البيضاء في معسكر إلى مخزن للحبوب⁽³⁾، واتجهوا الى تحجيم القضاء الإسلامي الذي يحتكم إليه الجزائريون لصالح التشريع الفرنسي.

من جانب آخر باشرت فرنسا الى إطلاق يد المبشرين لتمسيح الجزائريين، وقد تعززت هذه السياسة في فترة حكم نابليون الثالث⁽⁴⁾، في الربع الثالث من القرن التاسع عشر⁽⁵⁾، كما قاموا بتدشين أسقفية الجزائر في 08 أوت 1838م، وكان رئيسها الأسقف أنطون الذي اعتمد على سياسة الاغراء المادي، أما الكاردينال "لافيجري"⁽⁶⁾ أنشأ في

(1) عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص 69.

(2) محمد بن موسى، نماذج من القوانين الرّجعية الفرنسية المطبقة على الجزائريين على عهد الجمهورية الثالثة (1881-1912م)، إشراف مزيان سعدي رسالة ماجستير، في تاريخ الجزائر المعاصر، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2016-2017م، ص 25.

(3) صادق حطابي، جرائم الاستعمار الفرنسي ضد مقومات المجتمع الجزائري (السياسة الفرنسية ضد اللغة والدين والتعليم من 1870-1914م)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج10، ع02، الجزائر، 2022م، ص 73.

(4) هو لويس نابليون رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية، قبل أن ينقلب عليها ويعلن قيام الامبراطورية الفرنسية في نوفمبر 1852م وينصب نفسه امبراطورا على عرش فرنسا الى غاية سقوط امبراطوريته على يد بروسيا في 02 سبتمبر 1870م. للمزيد ينظر الى: مصطفى عبيد، دراسة في رسالة الامبراطور نابليون الثالث الى المارشال بيليسي بتاريخ 06 فيفري 1863م، مجلة المصادر، مج14، ع 01، الجزائر، 2012م، ص 256.

(5) ابرير حمودي، المرجع السابق، ص63.

(6) هو شارل مارسيل ألمان لافيجري ولد في 31 اكتوبر 1825م - 1892م، عمل على استدراج المسلمين نحو النصرانية ومن أبرز الشخصيات التي سعت على استئصال الاسلام من قلوب المسلمين الجزائريين، وهي السياسة التي انتهجتها الادارة الفرنسية. للمزيد ينظر الى: حكيم بن الشيخ، المشروع التنصيري للكاردينال لافيجري في

1869م جمعية الأباء البيض، وكان مركزها الحراش بهدف تنصير الجزائريين، وتمثلت وسائلهم في الخدمات الخيرية، والتعليم، وفتح الملاجئ لليتامى والمشردين⁽¹⁾، مستغلا فيها الظروف العامة للجزائريين في تلك الفترة والنكبات التي أصابت البلاد، ومنها الزلزال الذي ضرب مدينة البليدة وضواحيها، الذي تسبب في إسقاط ضحايا كثيرين، وفي هجوم الجراد والجفاف ووباء الكوليرا والتيفوس، التي تضافرت كلها وأدت الى ظهور أزمة اقتصادية، والتي اتخذت صورة مجاعة عامة بالجزائر سنة 1867 واستمرت إلى أواخر 1868م⁽²⁾، حيث أصبح الشعب الجزائري يعيش تحت وقع الفقر، الجوع والمرض(الثالوث الأسود)، فصارت الجمعيات الدينية المسيحية تتوحد إلى الجزائريين من خلال تقديم خدمات التمريض، المأكل والمشرب لهم، واللعب على وتر العاطفة، والسماحة واستهداف فئة الأيتام لذلك⁽³⁾.

جمع لافيغري أطفال المسلمين ضحايا المجاعة، والوباء باعتبارهم لقمة صائغة للتنصير ووضعهم في مراكز الأيتام، وكان عددها خمسة (في العاصمة وحدها)؛ ثلاثة للبنين واثنين للبنات، كسانت أوجين، والأبيار، وبن عكنون، وأرسل رسائل إلى أوربا لتقرأ في الكنائس، فجاءته المساعدات والمعونات المالية من كل حدب وصوب (فرنسا، بلجيكا، إسبانيا، بريطانيا وغيرها)⁽⁴⁾.

جدول يوضح المساعدات الضعيفة لیتامی المجاعة في الجزائر.⁽⁵⁾

1874م	1873م	1872م	1871م
90000	13115	169740	177000

1866-1867، إلا أن ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن فرنسا لم تفرع أجراس الكنائس في الدول الأوروبية، لطلب المساعدات والمعونات لهؤلاء اليتامى بدافع الإنسانية، وإنما توددها إليهم خدمة لمصالحها، فالأطفال الذين ترعاهم اليوم هم جنود لها في الغد، كما لا نغفل عن سياسة التبشير والتنصير التي مارستها على الأطفال، مستغلة الظروف المعيشية القاهرة، والبؤس والحرمان الذي عانى منه الشعب الجزائري.

4. الانعكاسات الاقتصادية

الجزائر من خلال كتاب: بول ريمبو، الوجوه البارزة لمنوية احتلال الجزائر من 1830-1930، مجلة دراسات وأبحاث، مج10، ع04، الجزائر، 2018م، ص114.

(1) صادق حطابي، مرجع سابق، ص73.

(2) حكيم بن الشيخ، مرجع سابق، ص116.

(3) نبيل زاوي وكريم ولد النبية، فشل الاستعمار في نشر التعليم التبشيري في الجزائر (1867-1904م)، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج14، ع01، الجزائر، 2022م، ص143.

(4) عبد القادر بوتشيشة، لافيغري والتنصير في الجزائر: ضخامة الامكانيات والجهود وضالة النتائج والمردود قرى العرب النصارى أنموذجا، مجلة آفاق علمية، مج11، ع02، الجزائر، 2019م، ص660.

(5) نبيل زاوي وكريم ولد النبية، مرجع سابق، ص154.

تسببت العمليات العسكرية التي قادتتها الجيوش الفرنسية في تسجيل تراجع ملحوظ في الإنتاج الزراعي و الفلاحي، الذي يمثل قوت السكان الأصليين، إضافة إلى مجموع النكبات، والكوارث الطبيعية التي عصفت بها كالمجاعة و تفشي الأوبئة، التي أضرت بالجزائريين بشكل كبير⁽¹⁾، فبدأ الوضع الاقتصادي في الجزائر ينهار بفعل التراجع الرهيب الذي عرفه الانتاج الفلاحي بسبب الجفاف، والأزمة الزراعية التي عرفتها

البلاد، والمجاعة الكبيرة التي انتشرت في شتاء 1867-1868م، التي أثرت على الجزائريين فكان ذلك بمثابة الكارثة الكبرى⁽²⁾، دون أن نتغافل عن السياسة الفرنسية تجاه السكان المحليين، ذلك بسبب نزع الملكية العقارية⁽³⁾، فكانت النتيجة من ذلك مصادرة الأراضي الأكثر خصوبة، واتساعا خاصة أراضي البايك، بالإضافة الى تأميم سلطات الاحتلال للغابات ومنحها للمستوطنين⁽⁴⁾.

كان للاستيلاء التدريجي على أراضي الفلاحين أثارا سلبية متعددة على الاقتصاد المعاشي لسكان الريف، لاسيما وأن كل المحاولات التي قامت بها السلطة الاستعمارية في تغييب زراعة الحبوب أنت أكلها⁽⁵⁾، نظرا لإستيلاء المعمرين على الأراضي وتجريد الجزائريين من ملكيتها، وتحديد مجال الرعي والغابات، إلى تركز الأراضي التي بقيت في حوزة الجزائريين في الجهات الفقيرة، والمرتفعات الجبلية المنعزلة أو النواحي الصحراوية النائية، وهذا ما نتج عنه تراجع الإنتاج الزراعي للجزائريين، وطبعه بطابع التأخر والتقهقر، فانخفضت نسبة إنتاج المحصول الرئيسي للجزائريين، وهو القمح من 80% من انتاج الحبوب سنة 1860م إلى 72% عام 1900م⁽⁶⁾، وعملت على تشجيع الزراعات التجارية، والزراعات الغربية الاستوائية⁽⁷⁾.

بعد مصادرة الأوربيين لأجود الأراضي الجزائرية، طوّروا قطاعا زراعيًا حديثا ساهم بحوالي ثلثي الناتج العام للبلاد، وأهملت المحاصيل المعاشية وفي مقدمتها الحبوب، واتّجه الى التوسع في زراعة وإنتاج المحاصيل التجارية التي تخدم الاقتصاد الفرنسي، والمصالح المادية للمستوطنين، أهمّها الأعناب لإنتاج الخمر والحوامض والتبغ، وكذلك استغلال الحلفاء والفلين⁽⁸⁾.

(1) حدة طيطوش، الكاردينال لافيغري...، مرجع سابق، ص 528.

(2) عز الدين زايدي، الجزائريون والأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص 177.

(3) شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج02، مرجع سابق، ص 321.

(4) عبد الرحمن تنداري، مرجع سابق، ص 42.

(5) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 148.

(6) ناصر الدين سعديوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، مرجع سابق، ص 41.

(7) عبد الحكيم رواحنة، مرجع نفسه، ص 148.

(8) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 253.

بسبب القوانين الجائرة الصادرة في حق أراضي السكان الأصليين، قلّت مساحات الرعي التي انجرّ عنها تناقص في الثروة الحيوانية⁽¹⁾، بحيث لم تنجو تربية الماشية من ذلك فصارت القطعان تخفّ تبعاً لنقصان أراضي الرعي، وذلك لأنّ المساحات الشاسعة حيث كانت ترعى القطعان الكبيرة صارت ملكاً للاستعمار، ولم تعد الخراف تظهر فيها إلاّ بعد الحصاد لترعى السنابل المتبقية على الأرض، وجاء قانون الغابات بمنع الرعي فيها، فاختنق من جراء ذلك سكان المرتفعات الذين يعيشون أساساً من تربية الماشية، ما أدّى إلى انحطاط الزراعة وتراجع تربية الماشية، كنتيجة للقطيعة الشاملة والمفاجئة في توازن المجتمع الأصلي، إلى نقض التغذية وظهور بطالة واسعة، ما سبب الهجرة من الريف⁽²⁾.

في عام 1865م كان عدد رؤوس الأغنام في الجزائر ثمانية ملايين رأساً، علماً أنّ هذا العدد إذا ما قورن بالسنوات السابقة، فإنه أقلّ بقليل منها، ولكن بحلول 1900م، وبعد استمرار ظاهرة نقصان الماشية وصل العدد إلى 6 ملايين وثلاث مائة ألف رأس فقط⁽³⁾، وانخفض عدد الأبقار من 1 مليون رأس عام 1887م إلى أقلّ من 800 ألف رأس سنة 1937م⁽⁴⁾، فهذا الهبوط الحاد في تربية الماشية كان في الغالب يرجع لأسباب عدّة من بينها مصادرة أراضي الرعي، ممّا اضطر بالأهالي للتخلي عن هذا الشكل من أشكال نشاطهم الفلاحي، فتوقفت هجرات قطعان الماشية الموسمية من الجنوب إلى الشمال⁽⁵⁾.

بالرجوع أيضاً إلى ما خلفته مجاعة 1868م، التي لم تسلم منها حتى الماشية حسب إفادة الجنرال (لاكريتال)، الذي قدّم الأرقام التالية:

- * الأبل 46195 رأس ما مثل نسبة 33.75 % من المجموع العام.
- * البقر 276970 رأس ما مثل نسبة 33.75 % من المجموع العام.
- * الأغنام 3561498 رأس ما مثل نسبة 49.23 % من المجموع العام.
- * الماعز 1021245 رأس ما مثل نسبة 36.81 %.
- * الخيول والحمير كانت النسبة 33.75 %⁽⁶⁾.

ناهيك عن ضرائب أخرى كضرائب العقوبات، التي كانت بداية من سنة 1875م، وهي عبارة عن أعمال سخرة مثل الحراسة الليلية، كحراسة الغابات ضدّ

(1) محمد بن موسى، مرجع سابق، ص 58
(2) عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكير الاقتصادي الاجتماعي 1830-1960م، ترجمة: جوزف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط01، 1983، ص 75.
(3) محمد بن موسى، مرجع سابق، ص 58.
(4) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وأفاق...، مرجع سابق، ص 41.
(5) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 148.
(6) الطيب مختاري، مواقف الجزائريين من السياسة الاستعمارية (العقارية) عقب مجاعة 1867م، مجلة الإنسان الإنسان والمجال، مج08، العدد01، الجزائر، 2022م، ص 125.

الحرائق، مقاومة الجراد، والزيادة في حجم الضرائب بالضعف، أو ثلاثة مرّات إذا ساهمت هذه الإجراءات في إختفاء عدد كبير من رؤوس الماشية، تفاديا لدفع الضرائب عنها ودفع ضريبة مقابل الرعي في الغابة⁽¹⁾، ممّا قلّص مواردهم، وضاعف شقاءهم وبؤسهم، فقد حرّرت مصالح الغابات 9595 محضر عقوبة ضدّ الجزائريين والتي تتضمن فيها الرّعي غير الشرعي ما بين 1883م- 1890م، كلّ هذا أجبر الفلاحين على بيع أراضيهم وممتلكاتهم مقابل تسديد ما عليهم من ضرائب⁽²⁾، فضلا عن حرمانه من كل وسائل الإنتاج والتطور والدعم، فقد تخلّت المؤسسات المالية، والإدارية عن واجباتها تجاه المزارع الجزائري، الذي ترك لوحده في ميدان العمل الزراعي، فكانت نسبة النمو الزراعي، والحيواني الجزائري ضئيلة لم تتجاوز 1.5 % سنويًا، في حين كانت نسبة نمو السكان قد تجاوزت 1.8 %، وبالتالي فقد عانى المجتمع الجزائري في بعض الأعوام من نقص المواد الغذائية⁽³⁾.

لم تكف الإدارة الفرنسية بذلك، بل عمدت أيضا إلى ربط اقتصاد الجزائر بالمصالح الفرنسية بإصدار عملة جزائرية تدور في فلك الفرنك الفرنسي، فوجهت البلاد نحو الزراعة وأبعدت عن الصناعة، فكانت الموارد الأولية تنقل الى فرنسا لتحويلها الى مواد معدنية ثم تعاد إلى الجزائر، وبذلك وجدت الجزائر نفسها في قائمة الدول المتخلفة اقتصاديا بعد استقلالها⁽⁴⁾.

أدّت سيطرة المستوطنين الأوربيين على البلاد، وخيراتها الى إضعاف أصحاب البلاد الشرعيين، وانتشار الفاقة المدقعة بينهم، أدّى ذلك إلى انهيار الحرف والصناعات المحليّة، وتحول أصحابها إلى عمال بسطاء، وعاطلين متزامنين خاصة بعد أن انتشرت الوسائل التقنية الحديثة، التي سارع المعمرون في استخدامها، فانتشرت البطالة بشكل خطير⁽⁵⁾.

(1) بشير بلاح، مرجع سابق، ص 275.

(2) محمد بن موسى، مرجع سابق، ص 59.

(3) أسامة مساعد صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية...، مرجع سابق، ص 225، 226.

(4) أحميدة عميراي، آثار السياسة الاستيطانية...، مرجع سابق، ص 49.

(5) عبد الحكيم رواحنة، مرجع سابق، ص 154.

المبحث الثاني: معالم الصحة في الجزائر خلال السبعين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي.

إنّ التطرق الى تاريخ الطب في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية يدفعنا إلى معالجة المنظومة الصحيّة الجزائرية، التي مرّت عبر حقبات تاريخية مختلفة، امتدت عبر سنوات طويلة يمكن حصرها في محطات ومراحل مختلفة، بحيث شهدت الفترة الأولى من الاحتلال تدهور الوضع الصحي للجزائريين جراء تردي مستواهم المعيشي، وأيضاً بسبب غياب أي مشروع إغاثي إنساني بالدرجة الأولى، قادر على وضع حد لمعاناة الشعب الجزائري؛ فظهرت أنواع من الأوبئة كرسّت هذا الإهمال في حق الجزائريين من ذلك، وأنّ الأمراض والأوبئة وما يترتّب عنها كانت تشكل باستمرار الكابوس الذي كان يقلق الإدارة الاستعمارية، الى جانب الكوارث الطبيعية الأخرى، ممّا يندّر بارتفاع عدد الضحايا، لا بأس أن نستذكر أهم الكوارث التي أزمّت في الوضع الصحي لمقاطعة الجزائر فيما بين 1830-1900م، والتي كُنّا قد تطرّقنا إليها في الفصل السابق بشكل أوضح⁽¹⁾، إضافة إلى عوامل أخرى منها:

أ. ماء الشرب

كان تزويد المدن الكبرى بالماء يتم من خلال قنوات لا ترقى للمعايير الصحيّة، التي أصبحت في بعض أجزائها مفتوحة أمام المارة يشربون منها، ويغسلون وفي هذا الصدد يقول أحد الكتّاب: «... أنّ القنوات الناقلة للمياه في البلدة سنة 1840م كانت في حالة يرثى لها، ممّا سبّب انتقال العدوى، والأمراض الى السكان إضافة الى الآبار المستعملة للشرب، والتي كانت مفتوحة على الهواء الطلق...»⁽²⁾، فيشرب منها الإنسان والحيوان، التي تتحول إلى مصدر وباء خلال فصل الصيف، وما أكّد ذلك هو عمليات التشريح التي أجريت على الجثث، والتي أثبتت وجود عدّة أنواع من الطفيليات فيها، فتنتقل بدورها إلى الإنسان عن طريق مياه الشرب فيتسبب في وفاة عدد كبير من سكان المنطقة⁽³⁾.

ب. نوعية الغذاء

لقد كتب بعض المؤرخين الفرنسيين أنّ الجزائريين مصابون بسوء التغذية، والسبب هو سوء اختيارهم لنوعية الأكل، مثل أكلهم البطيخ، والخبز المطبوخ دون خميرة، والسّمك المملح...، ممّا جعلهم عرضة لمختلف أنواع الأمراض، إلا أنّ هذا الرأي يبقى من غير دليل يثبته⁽⁴⁾، وقد أشار رؤساء الجرائد الكاثوليكية ببعض الدّول الأوربية بتاريخ 01 جانفي 1868م قائلاً فيها: «منذ عدّة شهور، عدد كبير من العرب لا يعيشون إلاّ من حشيش الحقول، وأوراق الأشجار التي يكشطونها مثل

(1) صليحة لعلامة، مرجع سابق، ص 363.

(2) جمال برجى، مرجع سابق، ص 127.

(3) صليحة لعلامة، مرجع سابق، ص 68.

(4) نفسه، ص 68.

الحيوانات»⁽¹⁾، ناهيك عن سياسة التجويع التي اتبعتها فرنسا مع الأهالي والقبائل، ويكشف "رودان" (Rodhain) الأمين العام للنجدة الكاثوليكية لجريدة "لاكروا" La "croix" «أنه يجب على السلطات أن تتدخل للحدّ من سوء التغذية التي يعاني منها مليون شخص، والذين أطلق عليهم اسم لاجئين»⁽²⁾.

ج. المسكن

تقول بعض الكتابات التاريخية أنّ السكن في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، كان له عدّة مواصفات تجعل منه سكنا غير صحي؛ ويساعد على تفشي الأمراض، وتوطنتها كقلّة النوافذ، وقلّة التهوية والضوء، وضيق الأزقة بالإضافة إلى تراكم الأوساخ، والقاذورات حول المساكن ممّا يسهل انتشار الأمراض⁽³⁾.

د. اللباس

يذكر الطبيب "بيبر" Papper أنّ لباس الجزائريين كان من الصوف أو القطن، لونه فاتح عريض يساعد على الحركة، وامتصاص العرق، وهذا يؤدي إلى عدّة أمراض جلدية كالجرب، والإصابة بأمراض أخرى، كما يؤدي إلى تبريد الجسم في الشتاء فتسبب الإصابة بأمراض الإسهال، واحتقان الكلى ويمكن حدوث الملاريا بعده، أمّا الطبيب برتلاند يقول أنّ الملابس الصوفية تؤدي إلى انتشار البرص⁽⁴⁾.

1. البدايات الأولى للمنظومة الصحية الاستعمارية.

أكد الاستعمار عبر قنواته الرسمية، وتقارير وملاحظات جنوده مفادها أنّ الجزائر سنة 1830م، كانت تفتقد إلى أبسط المقومات الصحيّة، بانتشار الأمراض، والأوساخ في الشوارع والأماكن العمومية، كما كانت المياه غير صالحة للشرب في أغلب

المناطق، ولم يكن هناك أي تنظيم صحي في البلاد، حيث انعدمت المنشآت الصحيّة كالمستشفيات، والمحاجر الصحيّة، والمصحات المتنقلة، والعمل على التخفيف من حدّة الأوبئة والأمراض خدمة لمشروعه الاستعماري، وحماية المستوطنين والعسكر، وخوفا من انتقال العدوى من السكان لهم لذلك قاموا بعدّة إجراءات⁽⁵⁾، وبطبيعة الحال أنّ هذه المستشفيات كانت مخصّصة أساسا للأوروبيين، في حين كان نصيب السكان

(1) العربي بلعزوز، تأثير الحملة التنصيرية على اليتامى الجزائريين خلال مجاعات 1867-1868م " منطقة

الشلف أنموذجاً"، مجلة عصور جديدة، مج09، ع01، الجزائر، 2019م، ص 188

(2) عبد الحق كركب، الأوبئة والمجاعات...، مرجع سابق، ص- ص 117-120.

(3) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 27

(4) جمال برجى، مرجع سابق، ص 128.

(5) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 86.

الأصليين هو العلاج في مراكز صحية تتوفر على ممرضا واحد فقط⁽¹⁾، والتي كان يطغى عليها طابع العنصرية في توزيعها ومهامها، حيث كانت تكثر في المناطق الأهلة بالعسكريين والمستوطنين الأوربيين⁽²⁾.

(1) نعيمة عيزل، الطب الشعبي في المجتمع الجزائري- دراسة ميدانية، اشراف عبد الغني مغربي، رسالة ماجيستر في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2004-2005م، ص 111.

(2) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 38.

1.1. الجهاز العسكري ومدى فعاليته لمواجهة الأمراض والأوبئة

ألحقت فرنسا التكفل الصحي بالجهاز العسكري وذلك بصفته عملية وقائية، وحماية من الأمراض الفتاكة، ولجأت إلى إنشاء عدة مراكز صحية أهمها: الهياكل

الصحية العسكرية: Infrastructures Sanitaires Militaires

عرف قطاع الصحة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر عدّة إجراءات، وأشكال تتماشى مع التطور العام للاحتلال، والأهداف التي يصبو إلى تحقيقها باعتباره عنصرا مهماً في تحقيق الهيمنة⁽¹⁾، فمنذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، أوكلت مهمة الإسعاف الصحي للسكان إلى قسم الصحة العسكرية، حيث نقل أسطول الأدميرال دوبيري (L'amiral Duperré) تجهيزات كاملة لخمسة (5) مستشفيات بسعة 300 سرير، وقد زود كل قسم بسيارة إسعاف ثابتة، وجنّد أطباء عسكريون ليعالجوا كلّ جندي محتل⁽²⁾، فسعت إلى إقامة نظام المستشفيات العسكرية وفقاً لوجود قواتها ومستوطناتها، منها مستشفى "الدّاي" في الجزائر العاصمة سنة 1830م بسعة 1200 سرير، ومستشفى في وهران سنة 1832م، ومستشفيات في الدويرة، ومستغانم 1835م، وفي قالمة سنة 1837م، وآخر في قسنطينة سنة 1843م⁽³⁾، هذا ما دفع ببعض الدراسات إلى أن تشير بأن الاستعمار الأوربي بصفة عامة، والفرنسي على وجه الخصوص بالرغم من كونه استعمار استغلالي امبريالي⁽⁴⁾.

فبرغم من تطور الطب الفرنسي آنذاك مقارنة بالطب الشعبي المعروف لدى السكان الأصليين، إلا أنّ الجزائريون كانوا لا يقبلون الطبيب الفرنسي (الطبيب الرومي) للدخول إلى بيوتهم، ومنهم من لا يرضى حتى العلاج عنده في المصحات، أو المستشفيات والمستوصفات، لأنّهم لا يثقون به، نظراً لما تعرض له السكان من اضطهاد من الجيش الفرنسي، فمثلاً عند ظهور التلقيح ضد مرض الجدري قامت الحكومة بنشره وسط الجزائريين، فقاوموه لأنّهم ظنّوا أنّه ليس علاجاً بل علامة يضعها الفرنسيون على أيادي أبنائهم حتى تبقى راسخة وثابتة، وفي المستقبل تجعلهم يعترفون بالحكم الفرنسي عليهم أي يصبحوا تابعين لفرنسا⁽⁵⁾، لهذا نجد أن غالبية السكان في المرحلة الأولى من الاحتلال يقاومون التدابير الوقائية الصحية، أو على الأقل يهابونها ولا يثقون فيها، لأنها تمثل بصورة أو بأخرى الوجود الاستعماري، وفي ذلك يقول الدكتور "بارتراند" بعد قيامه بجولات في أنحاء دائرة العاصمة سنة 1849م: «... لقد واجهنا معارضة شديدة من قبل الأهالي الذين تحدّثنا إليهم لمحاولة

(1) يمينة مجاهد، مرجع نفسه، ص 63.

(2) نفسه، ص 39.

(3) عبد القادر قندز، مرجع سابق، ص 69.

(4) ديفيد أرنولد، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص 7.

(5) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 150.

الدعاية لصالح إجراء الوقاية ... من المستحسن تركهم يصلون لإدراكها بمحض إرادتهم...»⁽¹⁾، وهذا الطرح قد أكدّه العديد من المؤرخين، وخاصة الغربيين الذين اعتبروا أنّ هذا النوع من الطب كان يعدّ بالنسبة للحكم الإمبريالي إحدى الدعاوي التي تبرر شرعيته، وأقلّ هذه الدعاوى إثارة الخلاف، وكان الطبيب هيوبرت ليوتي (Hubert Lyautey)، أحد الزعماء المؤيدين لفكرة أنّ الطب العسكري كأداة للمساعدة في إرساء الحكم الفرنسي في إفريقيا، وقد ذهب بعيدا إلى حدّ الزعم بأنّ "العذر الوحيد للاستعمار هو الطب"⁽²⁾، ليصبح العلاج في هذه الفترة يقدّم من قبل عدّة مؤسسات منها: المستشفيات المدنيّة ومستشفيات عسكرية التي كانت متواجدة بالجزائر مثل سور الغزلان وبوسعادة ودلس ولربعا ناث ايراثن وتيزي وزو والبليدة والقليلة وشرشال والمدية وبوغار والجلفة ومليانة والأصنام وتنس وثنية الحد وحمّام ريغة⁽³⁾. أدركت الإدارة الاستعمارية منذ أربعينيات القرن التاسع عشر، أنّ استعمال الطب ضرورة لاستمالة جزء من الجزائريين، من أجل إنجاح مشروعها الاستيطاني، واستطاعت أن تقنع وتكون أطباء يتبنون هذا النهج؛ حيث تشير الباحثة إيفون توران (Yvonne Touraine) أنّه واعتبارا من سنة 1847م، ومن أجل الدعاية للتلقيح ضدّ الجدري في الجزائر، كتب الدكتور "أنيلي فانتي" (Agnely Vint) تقريرا تضمن ما يلي: «... التأثير السياسي للطب، التأثير الأخلاقي للطبيب كأداة للغزو والحضارة... الغزو العقلي، حضارة الشعب العربي، هي بكل وضوح الهدف من المهمّة السماوية التي أسندت إلى فرنسا...»⁽⁴⁾، كما أشاد العديد من الباحثين، واستمرار عملية الاحتلال، والتوسع يعود بدرجة كبيرة إلى الطبيب العسكري مايو (Maillot)، الذي استطاع أن يستبق الأحداث إثر انتشار وباء الملاريا Paludisme أو "حمى المستنقعات" سنة 1834م حين قام بتجربته، أقلّ ما يمكن القول عنها أنّها كانت جريئة لوضع حدّ لانتشار هذا الوباء في صفوف عساكر القوات الفرنسية، وقد أشار الدكتور "لوسيان رينو" (Lucien Raynaud) إلى ذلك سنة 1930م خلال الاحتفالات المئوية للاحتلال، عندما قال: «... إنّ الفضل في عدم تخلي فرنسا عن الجزائر يعود بالدرجة الأولى إلى الطبيب العسكري مايو»⁽⁵⁾.

بعيدا عن الأهداف الخفية التي يتستّر وراءها الاستعمار الفرنسي، الذي لم يترك سبيل إلاّ وسار بدربه بغية الوصول إلى هدفه المنشود، فعمد أيضا إلى تكوين

(1) إيفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة- المدارس والممارسات الطبيّة والدين 1830-1880م، ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005م، ص 345.

(2) ديفيد أرنولد، مصدر سابق، ص 14.

(3) صليحة علامة، الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر، مرجع سابق، ص 186.

(4) Yvonne Turin: *Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale* écoles.médecines.religion.1830-1880، François Maspero imprimerie. Paris، 1971. pp 306.307.

(5) عز الدين زايدي، مرجع سابق، ص 163.

أطباء، وممرضات جزائريات إضافة الى الطواقم الطبية الفرنسية والأوربية، وكلفتهم بالتنسيق مع المكاتب العربية من أجل التنقل إلى القبائل، وتقديم الخدمات الطبية، وفي مقدمتها التلقيح ضد الأمراض، خاصة انتشار الأوبئة، ومن أهم الحملات الصحية لتلك المنظمة في 12 أبريل 1845م، وفي 21 جانفي 1853م، كما صدر قرار في 03 جويلية 1849م، الذي تمّ تعديله في 23 ديسمبر 1874م، ويقضي بأن تكون المستشفيات المدنيّة مفتوحة لكل المواطنين دون التفریق العرقي والديني⁽¹⁾.

2.1. التنظيمات الصحية التي وضعتها الإدارة الفرنسية من 1830-1850م
لقد أجرت السلطات الفرنسية أثناء احتلالها للجزائر بعدة تنظيمات صحيّة⁽²⁾، فقد تمّ إنشاء المكتب الصحي بتاريخ 28 جويلية 1830م، وعيّن لإدارته موظّف عسكري يعرف بمسؤول المكتب الصحي بالجزائر العاصمة (Capitan du bureau sanitaire d' Alger)، وربط نشاطه بمسؤولي الإدارة الصحية الفرنسية بمدينة مرسيليا، مع توكيل هيئة مكلفة بمراقبة الوضع الصحي، وكان مقرّ هذا المكتب الصحي بميناء الجزائر، الذي بدأ نشاطه بعد عقد أول اجتماع بتاريخ 22 جوان 1830م، واتخذ فرض نظام الحجز الصحي، أو الكرنطينة على كل السفن الآتية من الجزائر، تحت إشراف مسؤولون مكلفون بتطبيق عملية مراقبة السفن وتفقيشها بكل صرامة⁽³⁾.

3.1. نماذج من الهياكل الصحية المدنية Infrastructures Sanitaires Civiles

ارتأت السلطات الفرنسية، وفي سياق العمل العسكري التوسعي أن تضع مشروعا كبيرا لتأسيس هياكل صحيّة مدنيّة، مهمتها تقريب السكان والأهالي من الفرنسيين، وذلك حتى تتمّ عملية التوسع بأسرع وقت ممكن، وبأقل تكلفة في الأرواح الفرنسية، فتأسست أولى المستشفيات المدنيّة Hôpitaux Civils خلال سنة 1830م، في كل من الجزائر العاصمة، وهران، عنابة، ثم وضع مركز استشفائي في بجاية 1834م، وآخر في منطقة الدويرة سنة 1835م، ثم بدأت هذه الهياكل في الانتشار في كل مناطق البلاد، فشملت مدن مستغانم وقالمة في 1837م والبليدة في 1839م وقسنطينة في نفس السنة⁽⁴⁾.

أ. المستشفى المدني مصطفى باشا

(1) Yvonne Turin.p.308.

(2) النظام الصحي: طبقا لتعريف المنظمة العالمية للصحة فإن "النظام الصحي هو كل نشاطات، وخدمات المصالح الصحيّة الموضوعة تحت تصرف المواطنين من أجل تلبية مختلف احتياجاتهم، وحسب التعريف فإنّ النظام الصحي يساهم في عملية الوقاية وتقدّم العلاج للمواطنين، ويساهم كذلك في مجال الصحة العمومية، وتتنوع الأنظمة الصحيّة بتنوع البلدان معكسة بذلك الوزن السياسي لهذه الدولة. ينظر إلى: نعيمة عيزل، مرجع سابق، ص 114.

(3) فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص 120.

(4) عز الدين زاويدي، مرجع سابق، ص 163.

أسس سنة 1832م كمستشفى عسكري، في ثكنة قديمة للانكشارية في باب عزون، وفي سنة 1833م سلم للإدارة المدنية التي حولته وقامت بتوسيعه، فلم يعاد تنظيمه إلا في سنة 1874م على مساحة قدرها 8 هكتارات، حيث كان يضم 14 جناح، أربعة (04) منهم للعمليات الجراحية، وله عدّة ملاحق؛ هي فيلة بارني (Parnet) بحسين داي، المخصصة للنقاهاة، ملحق في مراد راييس، مستوصف بالقطار، وهي مصلحة خاصة بالأمراض المعدية في الجزائر⁽¹⁾.

جدول يوضح عدد المرضى الذين عولجوا بالمستشفى من 1862-1867م من الأوربيين والجزائريين⁽²⁾.

التواريخ	الأوربيين	الأهالي	المجموع
1862م	5949	712	6661
1863م	8889	858	6747
1864م	5155	876	6031
1865م	4980	1217	6197
1866م	4548	1471	6019
1867م	4349	1602	5731
/	30870	6376	37606

يبين الجدول أعلاه احصائيات للمرضى الأوربيين والأهالي الذين تلقوا العلاج في مستشفى مصطفى باشا، فنلاحظ من خلال استقراءنا لهذه العينة أن عدد الأوربيين الذين تلقوا العلاج كان أكبر بكثير من عدد الأهالي، لتزامن هذه الفترة بأوبئة حلت بالجزائر كالكوليرا، التي حصدت آلاف الضحايا، وايضا حلول المجاعات بشكل متكرر لاسيما مجاعة 1866-1867م، وما انجر عليها من اصابات بأمراض أخرى نتيجة

الغذاء، فهي علاقة تأثير وتأثر.

ب. معهد باستور (Institut Pasteur)

أمّا فيما يخص فتح معهد باستور، الذي مرّ بعدة مراحل بداية من سنة 1892م، أين قام الطبيب "جون باتيست بولن ترولار" Jean Baptiste Paulin Trolar، وهنري سوليه Henri Soulié بتقديم اقتراح للسلطات الفرنسية من أجل إنشاء معهد مضاد لمرض الكلب بالجزائر، فكانت الاستجابة من قبل الحاكم العام جول

(1) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 188.

(2) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 114.

كامبون Jules Cambon الذي قرّر إنشاء معهد باستور بالجزائر في الفاتح نوفمبر 1894م، فيكون مخصص في بداية الأمر في القيام بعمليات التلقيح ضدّ مرض الكلب⁽¹⁾، ثم توسعت مجاله الى تصنيع مصل الدّم واللقاح، والى مكافحة الملاريا سنة 1902م، ثم دراسة الأمراض المتعلقة بالجزائر، والبحث عن أسبابها وطرق مكافحتها، بالرغم من الصعوبات وعلى رأسها ضيق المقرّات وقلة الوسائل المادية، إلاّ أنّه أعطى نتائج مرضية ومشجعة، ضف إلى ذلك انتاج معهد باستور بالجزائر للقاح المضاد ضد الجذري، وإجراء تحاليل جرثومية، وتحاليل للمياه؛ ومن نفس السنة أي (1894م) اكتشف د. فينسن (H.Vincent) بالجزائر العاصمة الجرثومة المسببة لخلل جسم بالأجزاء الرخوة بالرجل وأحيانا باليد، المعروفة باسم رجل مادورا (Le pied de Madora)⁽²⁾.

(1) محفوظ عاشور، مرض الملاريا وتأسيس معهد باستور في الجزائر، مجلة عصور، مج21، ع01، الجزائر، 2022م، ص 383.

(2) مصطفى خياطي، مرجع سابق، ص 195.

2. هياكل أخرى في المشروع الصحي الاستعماري

تمكنت الإدارة الاستعمارية إلى جانب الهياكل المذكورة من وضع إستراتيجية في ميدان التدريس الطبي، وشبه طبي، وذلك من خلال تأسيس مدرسة الطب **L'écol Médecine** حيث تم فتح أول مدرسة للطب في الجزائر سنة 1857م، وكان يشرف عليها الدكتور "بيتراند" **Betherand** ⁽¹⁾؛ إلا أن نشاطها الفعلي لم يبدأ إلا في جانفي 1859م، تحت إشراف كلية الطب بمونبوليه (**Montpellier**) ⁽²⁾.

ما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدرسة في حقيقة الأمر لم تستقطب عددا كبيرا من الجزائريين، لأنها كانت موجّهة لأبناء الكولون، ولعلّ العدد الضئيل للطلبة الجزائريين الذين التحقوا بهذه المدرسة دليل على هذا الطرح، وقدّر عدد الجزائريين خلال سنة 1865م بخمسة مسلمين مسجلين فقط، ويعود السبب الأكبر لعامل اللغة الذي شكّل عائقا أما التحاق الجزائريين بهذه المؤسسة الطبية لمزاولة دراستهم فيها ⁽³⁾.

1.2 مراكز الإسعاف ودور الأخوات البيض

جمعت المؤسسات الصحيّة الاستعمارية بين وظائف عديدة خلال هذه المرحلة، الأمر الذي جعلها تتنوع بين ما هو سياسي وديني، في جانبه الدعائي، وبين ما هو طبي في جانبه الإنساني؛ غير أن الإثنين يلتقيان في فكرة واحدة هدفها ترسيخ ثقافة المستعمر الطبيّة، لكسب ود الأهالي الجزائريين ⁽⁴⁾.

فقد شرعت الأخوات المسيحيات في التكفل بعمليات الإسعاف، التمريض، والفحص حيث كانت أخوات سان جوزيف دي لبارسيون أوائل الأخوات البيض اللاتي وصلن إلى قسنطينة 1839م إذ أن المهمة الطبية والمرتبطة في الأساس بالهدف التنصيري، والتبشيري دفعت بهنّ للاختلاط مع الأهالي، وفي مقدّمتهنّ الأخت "كاليكتيب" التي رافقت الطبيب "دلو" أثناء زيارة المرضى، وغيرها من الأخوات البيض اللواتي تعلمن اللغة العربية، وينتقلن إلى بيوت المرضى الجزائريين بدلا من استقبالهم في المستشفيات والملاجئ ⁽⁵⁾.

2.2 مراكز الإسعاف والملاجئ Les Porte de Secours et hospices

:indigene

تعتبر هذه المراكز من المؤسسات الطبية، فتقدّم خدمات النجدة، والإسعاف للأوربيين والجزائريين، خاصة الفئات المحرومة منهم التي لم تحصل على حقوق استشفائية، وضمت هذه الملاجئ الأطفال الأيتام والمشردين، فهي تحت رعاية

(1) عز الدين زاويدي، مرجع سابق، ص 164.

(2) - Ali Tablit ,Mohamed Ben Larbey Seguir, **La Médecine Arab en Alger** .2012.p07.

(3) نفسه، ص 164.

(4) نفسه، ص 166.

(5) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 144.

الأخوات البيض إلى غاية وصول الطفل إلى سن الرشد، فيحول إلى ملجأ مصطفى باشا⁽¹⁾.

3.2. أطباء الجراحة الفرنسيين

من بين الجراحين العسكريين الذين مارسوا مهنة التطبيب في مستشفيات الجزائر خلال فترة الحرب، والحملات في الأطلس وبلاد القبائل، نأتي على ذكر أنشط الجراحين في فترة ما بين 1830-1860م اسمان هما Baudens و Sedillot من خريجي المستشفيات العسكرية القديمة، متأثران بالتقاليد الصحيّة، كما أن هناك جراحون آخرون من أمثال Guyon و Chevreau وخاصة Maricheau Baupré الجراح الرئيسي في حملة الجزائر⁽²⁾.

3. سياسة السلطات الاستعمارية وإجراءاتها الوقائية في مواجهة الأوبئة

اتبعت السلطات الفرنسية سياسة محكمة لمحاصرة الأمراض والأوبئة، ووسعت إجراءاتها الوقائية لتفادي انتشار الأمراض، والأوبئة وسط الجنود والمعمرين، ويمكن تلخيصها في:

(1) نفسه، ص 233.

(2) نفسه، ص 225 – 233.

1.3. الحجر الصحي

يعدّ أحد الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية، خاصة في فترة الأوبئة المعدية كالكوليرا، التيفوس والطاعون، وأهمّها منطقة الحجر الصحي في عين القصر على الطريق الرابط بين بسكرة، والمدخل الجنوبي لباتنة⁽¹⁾.

كما كان يتم إخطار الناس ببعض الإجراءات، كالحجر الصحي للقوارب عندما يتم الإبلاغ عن حالات المرض من طرف الركاب، وكانت تعالج أو يطبق عليها الحجر الصحي، كما تمّ فرض التدابير الوقائية من قبل السلطات الاستعمارية على مستوى المقاطعات الثلاث؛ الجزائر، وهران، قسنطينة للحدّ من تفشي الوباء⁽²⁾، حيث تمّ فرض الحجر الصحي على السفن التي كانت ترسو في ميناء الجزائر، وعزل الجنود القادمين من فرنسا في مكان خاص بباب عزون، وإجلاء الجنود المتعافين الذين يعانون من مرض آخر إلى بئر خادم، وتخصيص 10 سيارات إسعاف في مختلف أنحاء المدينة للتكفل بالمصابين، ففي 20 أوت 1854م تمّ إنشاء مستشفى مطل على البحر خاص بمرض الكوليرا، كما تمّ منع دخول السفن، والبواخر القادمة من الخارج دون رقابة، ومنع أيضا استقبال المرضى بوباء الكوليرا في المستشفيات العادية⁽³⁾، وفي ظلّ انتشار هذا الوباء بشكل كبير لجأت السلطات الإستعمارية من خلال استقرائنا لإحدى الوثائق باللغة الفرنسية الصادرة يوم 21 جويلية 1875م، بالجزائر من قبل المكلف بالأعمال الخارجية في المستعمرة، أثناء انتشار الكوليرا إصدار أوامر بحظر الحجّ، والسفر إلى مكّة عبر المناطق الموبوءة، ومنع الجزائريين العبور والعودة إلى البلاد تجنبًا لإصابات

أخرى⁽⁴⁾، ليصدر قرار آخر سنة 1878م في إحدى الوثائق المعرّبة التي تمّ فيها تنبيه الجزائريين من هذا المرض المنتشر، في بعض أقطار العالم، وأخذ الحيطة والحذر شأنه شأن القرار الأوّل الذي جاء بغرض تحذير الأهالي، الذين هم بصدد السفر لأداء فريضة الحجّ ونصّها ما يلي: «الحمد لله _ هذا تعريب من مكتوب موجّه من قنصل دولة فرنسا إلى والي الجزائر مؤرخ في أكتوبر 1878م الموافق ل 20 من شوال المبارك من عام 1295 هـ - أيها الوالي المحترم أنّ الأخبار الأخيرة المتعلقة بأحوال البلاد أنّه ذاع الخبر بظهور مرض الكوليرا في عدّة أقطار في الهند والإنكليز وهي البلاد

(رونغون) وفي المعمرات... بالمحيط الجنوبي ويخشى من ذلك إدخال المرض

(1) ياسين وادفلي، الأمراض والأوبئة بمنطقة الأوراس خلال الاستعمار الفرنسي 1844-1900م، مجلة الإحياء، مج22، ع31، الجزائر، 2022م، ص820.

(2) جمال برجى، مرجع سابق، ص130.

(3) نادية بوكوسي، وباء الكوليرا في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، المؤتمر الافتراضي الدولي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، رؤية جديدة بعد الجائحة، جامعة برج بوعريرج، 2020م، ص124.

(4) - ANT _ FA 1881 _ H_ 0068 _ document N° 225.

المذكور إلى الحجاز وذلك بزيارة الحجاج لبيت الله الحرام ومن الأمل الضروري أن تؤخذ وسائل خصوصية عند نزول الحجاج قبل دخولهم إلى ديار مصر حتى تسلم أوروبا من هجوم هذا المرض، ثم إنّه حتى يحصل هذا المقصود لابدّ من الإتفاق الكامل بين... العثمانية و... المصرية لأنّ عدم الإتفاق بينهما ولو كان يسير وتأثير الدولة العثمانية على المصرية لتحقيق شدة، وسائل الكرنيتينة عند رجوع الحجاج ويمنع الوسائل المؤدي إليه...» (1).

ولتشديد الرقابة على السفن، والمراكب انعقد اجتماع يوم السبت 29 مارس 1879م الموافق لي 6 ربيع الثاني عام 1296هـ على الساعة الثالثة زوالاً من قبل أعضاء مجلس التحفظ العمومي، والتي تضم مجموعة من قناصل الدول الأوربية، الذين اتفقوا على تطبيق نظام الكرنيتينة، على العديد من المناطق المتواجدة بايالات السلطة العثمانية على غرار جربة، حلق الواد، تونس، الجزائر أثناء ظهور وباء (الكوليرا) (2)، ومراقبة بقية مراسي السلطة العثمانية وبعض البضائع، والمراكب من شأنها نقل المرض (3)، وفي حقيقة الأمر أنّ هذا الاجراء الوقائي الذي فرضته الدول الأوروبية على مراسي وايالات السلطة العثمانية لم يكن لأول مرّة، وإنّما سبقته من قبل قرارات تفرض تطبيق الحجر الصحي على العديد من الدول، في ظل ما رآته من تسيّب، وعدم لامبالاة من طرف بعض الحكام، والمسؤولين القائمين على الأوضاع هناك، مما دفع بها الى أخذ التدابير الصحية، والوقائية؛ بدليل ما ورد في احدى الوثائق الأرشيفية المكتوبة باللغة الانجليزية المؤرخة بتاريخ 6 جويلية 1867م، وهي كإشعار حكومي يحرص على ضرورة مراقبة السفن من عدّة دول و جزر، وإخضاعها للحجر الصحي لمدة 30 يوماً كاملة،

من صقلية، نابولي، والمناطق المجاورة لها؛ الدول الرومانية، مقاطعة تونس، ساحل الجزائر (4)، وقد سبق هذا التاريخ اجتماعات أخرى، كالذي انعقد في 05 جوان 1867م، الذي يفرض على الدول بالدخول للموانئ الأوروبية بشهادات صحية تثبت سلامتهم من الوباء (5)، و بعدها بأقل من أسبوعين انعقد اجتماع آخر بتاريخ 16 جوان 1867 يقضي بإخضاع السفن الجزائرية للحجر الصحي لمدة 15 يوم (6)، ليجدد المجلس انعقاد اجتماع آخر بتاريخ 27 جوان 1867م، ويقضي بزيادة أيام الحجر

(1) - ANT _ FA 1881 _ H _ 0068 _ n° 277.

(2) السلسلة التاريخية، الصندوق 68، رقم الوثيقة 275، الأرشيف الوطني التونسي.

(3) السلسلة التاريخية، الصندوق 68، رقم الوثيقة 276، الأرشيف الوطني التونسي.

(4)-ANT_ FA1881 _ H _ 0068_0809bis _00201 - _ document n 14.

(5) - ANT_ FA1881 _ H _ 0068_0809bis _00201 - _ document n 22.

(6) - ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 20.

الصحي على الدول السابق ذكرها، ومن بينها الجزائر ليصل الى 21 يوما⁽¹⁾، وهذه القرارات كانت نتيجة المراسلات الصادرة، أو الواردة من المجلس الصحي خاصة بعد استلامهم تقارير من القناصل، والتجار الذين كانوا بهذه الإيالات فتحدّثت تقاريرهم عن أوضاع الصحة العمومية، والكرنتينة للتحفظ من الأوبئة.⁽²⁾

لعلّ ما يلاحظ في هذه الوثائق الأرشيفية أن الدول الأجنبية لم تتهاون يوما في اتخاذ الإجراءات الردعية والوقائية لحماية سكانها، ودولها من خطر الأوبئة المتنقلة من الدول المجاورة، ويتضح ذلك أكثر من خلال ما استقرأناه في هذه الوثائق، ففي شهر جوان كان هناك ثلاث اجتماعات الأول يفرض شهادة صحية تثبت سلامة الوافدون إليها، والثاني يقتضي بفرض الحجر الصحي لمدة 15 يوما، والثالث يأمر بالحجر الصحي للسفن التجارية الى 21 يوما، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على خطورة الوضع وقتئذ من خلال انتشار الأوبئة.

كما يجب الإشارة إلى أنّ هذه الفترة تزامنت مع انتشار المجاعة على نطاق واسع في الجزائر، والتي تعدّ من أخطر المجاعات التي شهدتها خلال سنوات 1866-1867م، بفعل سنوات الجفاف المتعاقبة على البلاد، وهجمات الجراد التي أتت على الأخضر واليابس، ممّا أدّى الى انتشار الجوع والفقر والأمراض بين الجزائريين، (الثالوث الأسود)، ففي هذه السنوات انتشرت أخطر الأمراض، وأشدّها فتكا بالانسان كالكوليرا، التيفوئيد، والتيفوس وغيرها من الأمراض، ممّا أدّى الى هلاك عشرات الآلاف من الجزائريين، إضافة الى الزلزال الخطير الذي هز العديد من القرى الجزائرية كالبليدة ومتيجة مع مطلع 1867م⁽³⁾.

كما ورد مقال بأحد الجرائد باللغة الفرنسية المعنون بـ "Cholera et Pélerinage" في بداية القرن العشرين (09 مارس 1902م)، حول عودة انفجار الكوليرا في تونس وعلى الحكومة أن تتخذ التدابير اللازمة لمواجهتها، كون هذه القضية متعلقة بالصحة العمومية؛ وكأول إجراء قاموا به السلطات هو حظر الحجّاج التونسيين الذين وصلوا إلى جده، بعد إبلاغهم عن طريق برقية وصلت للهيئة القائمة بتنظيم الحجّ⁽⁴⁾. وفي مقال آخر ورد في نفس الفترة بتاريخ 24 فيفري 1902 والمعنون والمعنون

بـ "Pèlerinage" والذي اتخذ مجلس الصحة والحجر الصحي، القرار حول تنبيه وكلاء شركات الشحن، وقباطنة السفن عن عودة الحجّاج من الحجاز، بحيث سيسمح للحجّاج المصريين وحدهم بمغادرة سفينتهم للعودة إلى ديارهم، وسيتم الاعتراف فقط

(1) - ANT_FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 19.

(2) - FA 1881 _ H_ 0066 _ 0798.

(3) حنيفي هلايلي، الظروف التاريخية الممهدة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الاستعمارية، مجلة الحوار المتوسطي، ع08، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص 14.

(4) - Série A _ Carton 276 _ dossie 01 (1885_ 1920)_ doc N° 18.

بالحجاج الذين يحملون بطاقة إقامة صادرة عن سلطة مصرية كمصريين أو مقيمين في مصر، ولا يسمح بإنزال المعتمرين من غير المصريين في أي ميناء مصري، ولهذا الأمر أهمية كبيرة ولا يسمح التهاون فيها⁽¹⁾، فسعت السلطات بتوعية الناس من خلال المقالات المنشورة بالجرائد التي لم يكن الحديث فيها إلا عن الكوليرا ليرد مقال آخر في 16 مارس 1902 معنون ب: " PÈLERINS " أن الكوليرا حسب آخر الأخبار في تزايد مستمر بمكة، والمدينة وبين السكان المحليين، لهذا قرّر مجلس الصحة الدولي في اجتماعه على ضرورة عودة الحجاج بأقصى سرعة⁽²⁾، وتشير إحدى الوثائق الأرشيفية للعدد الإجمالي للحجاج، من مختلف بقاع العالم، من بينهم الحجاج الجزائريين والتونسيين الذين بلغ عددهم 2926 حاج في هذه الفترة، من المجموع الإجمالي الذي وصل إلى 59657 حاج⁽³⁾.

هذه الإجراءات المكثفة تعكس مدى خطورة الوباء الذي يشكل تهديدا خطيرا للوضع الصحي لعامة الناس، لهذا نجد أنّ السلطات كانت تتخذ كل الإجراءات اللازمة، إلا أنّ بعض الأهالي من تونس، والجزائر تقاعسوا مع الوضع حسب ما ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية، التي جاء فيها ما يلي: « وبعد: فقد بلغ كثيرا من أهالي المملكة سافروا خفية للحج في العام الفارط رغما من التحجير في العام المذكور، وقد عرف المحترم قنصل فرنسا بجده أن الأنفار الذين حضروا موسم الحج الأخير كانوا أكثر عددا ممن حضروا العام قبله، كما بلغ أيضا أن بعض الأهالي يباحون العمالة قرب موسم الحج من المراسي الصغيرة، من مختلف شواطئ البحر، ويركبون مراكب صغيرة للذهاب للعمالة الطرابلسية، وعليه فاتنا نلفت أنظاركم لما ذكر لاجتناب هاته المخلفات الواقعة مع الأهالي، ويلزمكم بمقتضى هذا مراقبة أهالي عمالتكم أشد مراقبة، وتحذيرهم بواسطة مشايخ العمل، وتحذيرهم وتخويفهم من العقاب، الذي سيلحق من يسافر عند رجوعه للإيالة...»⁽⁴⁾.

وهو نفس ما ذهب إليه وزير الشؤون الخارجية السيد بيشون، المقيم العام لفرنسا من خلال بلاغ أرسله لوزير الداخلية التونسية آنذاك، يأمره فيها عن حظر الحج، ومعاقبة كل المتهاونين في تطبيق القوانين المتعلقة بالحجر الصحي، وأيضا عن تحريم الحج من وجهة نظر الصحة العامة، إلى مكة بطرق سرّية، كما يأمرهم بإرسال باخرة إلى جدة التي ستقلّ الحجاج التونسيين والجزائريين على حد سواء...⁽⁵⁾، وذكر هذا أيضا في تقارير أخرى حول ترحيل الحجاج التونسيين، والجزائريين الذين لا يحملون

(1) - Série A _ Carton 276 _ dossier 01 (1885_ 1920)_ doc N°10.

(2) - Série A _ Carton 276 _ dossier 01 (1885_ 1920)_ doc N° 20.

(3) - Série A _ Carton 276 _ bis 01 (1885_ 1899)_ doc N° 6.

(4) - Série A _ Carton 276 _ dossier 01_ doc N°48.

(5) - Série A _ Carton 276 _ dossier 01_ doc N° 19.

جوازات

سفر، أو وثائق تثبت سلامتهم من الأمراض وحقهم في الحج⁽¹⁾.
إلا أنه في حقيقة الأمر أنّ هذه القرارات كان يضرب بها مرات عديدة عرض الحائط، ولا تطبق، بحيث يسمح للسفن القادمة من مرسليليا وطولون بالرسو على الموانئ، دون تفتيش أو فحص، بالرغم من عدم حيازتها على شهادة صحّية، والسماح لها بتفريغ السلع والبضائع دون مراقبة، وفي الغالب أنّ هذه السفن هي من نقلت العدوى من الشرق الى شمال إفريقيا، وعلى ضوء هذا نستنتج أنّ الموانئ هي السبب الأول في دخول الوباء الى الأراضي المستعمرة⁽²⁾.

2.3. إنشاء المحاجر الصحية

في بداية الاحتلال لم تكن هناك مستشفيات، ولا محاجر صحّية، بحيث تمّ إنشاء أوّل مكتب صحي في الجزائر بتاريخ 27 جويلية 1830م، مهمته مراقبة الوضع الصحي بالجزائر، يترأسه ضابط بالجيش الفرنسي يعمل تحت إدارته طبيب عام، جراح، صيدلي ومقتصد، ارتبط بالإدارة الصحّية هدفه تقديم التقارير الصحّية عن الجزائر⁽³⁾، تمخّض اجتماعه الأول عن فرض التدابير الوقائية، والمتمثلة في الحجر الصحي على السفن القادمة من الخارج، حدّدت مدّة الحجر ب 20 يوم تقلصت إلى 15 يوما، والسفن القادمة من المتروبول فمدّة حجرها 05 أيام، و تمّ إنشاء مكتب صحي ببجاية في 25 أكتوبر 1833م، وأسّست ثلاث لجان صحّية في كل من الجزائر، وهران وعنابة، ودعمت المتروبول الجهاز الصحي الموجود بالمستعمرة ب 270 طبيا بين عام وجراح؛ مهمتهم هيكلية المصالح الصحّية داخل الجزائر⁽⁴⁾.

3.3. التلقيح

يعدّ التلقيح إحدى أهمّ الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية لمواجهة الأوبئة، والأمراض المختلفة التي عرفتها مختلف مناطق الوطن⁽⁵⁾، فمنذ دخول الاستعمار الفرنسي الى الجزائر سنة 1830م اهتمت الإدارة الفرنسية بتعويض طريقة التطعيم؛ وهي أخذ قبح الجذري من سقيم إلى صحيح، وإدخاله فيه بطريقة التلقيح الجارية في الوقت الحالي، فلقبت هذه الطريقة معارضة شديدة من قبل الجزائريين، والذين رفضوا التلقيح ممّا أجبر الأطباء الفرنسيين إجبار المسلمين على التلقيح لتفادي انتشار الوباء⁽⁶⁾.

(1) - FPC _ A _ 0276 bis – 0001 – 0001.

(2) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 153.

(3) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 86.

(4) أحمد أمين سالك وخالد رقيق، وباء الطاعون في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج 02، اصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2021م، ص 153.

(5) ياسين وادفلي، مرجع سابق، ص 821.

(6) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 83.

إنّ هذه التلقيحات لم تكن من قرارات الحكومة، بل كانت عبارة عن مبادرات فردية لهؤلاء الأطباء، أمّا التلقيحات الرسمية فلم تقرر إلاّ في سنة 1837م⁽¹⁾، على يد الطبيب "بوزان"، ثم اتسعت بإنشاء المكاتب العربية، إضافة إلى إنشاء فرق صحّيّة تقوم بتلقيح البدو الرحل، كما أجريت عمليات تلقيح إضافية من خلال ما جاء به في بعض النصوص القانونية؛ كعمليات التلقيح الجماعي، فتوسعت عمليات التلقيح لتشمل كل

عنابة، قسنطينة، قالمة، القالة، سكيكدة، وجيجل ليصل عدد الملقحين إلى ما يفوق 4000 ملقح، ويعود نقص الحالات الملقحة إلى رفض بعض السكان للتلقيح لأسباب عقائدية وثقافية، وكذا للتقصير من طرف الإدارة الاستعمارية وتهميشها للأهالي⁽²⁾.

رغم تكاثر الأوبئة والأمراض لم يلق التلقيح ترحيبا كبيرا، فمثلا في خريف 1851م سجل انتشار خطير لوباء الجدري في عنابة، حيث كانت نسبة الوفيات عالية رغم ذلك ظلّ التلقيح مرفوضا، فالبرغم من النداءات والتوجيهات المقدّمة للسكان من خلال شرح فوائد، وإيجابيات التلقيح إلاّ أنّه لاقى رفضا معارضا لدى السكان، فحسب ما سجله دفتر الوفيات بقسنطينة، أنّ العديد من الأهالي الذين لاقوا حتفهم نتيجة الأمراض، والحميات المنتشرة بين الفينة والأخرى⁽³⁾، على غرار ما ورد في إحدى الوثائق المدونة بهذا السجل: « الحمد لله أمام المأذون له فيما سطر علينا عينا عينا بالمحكمة المالكية بقسنطينة المرعية حضر الحاج أحمد بن الحاج عبد الله الخراز حرفة الساكن بدار سي عباس القريبة من سيدي علي بن مخلوف يوم الخميس السادس من شهر التاريخ وقت الضحى وذكر أنّ ابنته فاطمة المريضة بالسلامة التي عمرها خمس أعوام هلكت بالمرض المذكور آخر ليلة يوم التاريخ وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما... (غير واضح) الخراز حرفة الذي عمره أربعون عاما الساكن بدار... قرب سيدي علي بن مخلوف بذكره، و ثانيهما الأخضر التاجر برحبة البلد الذي عمره خمسون عاما، الساكن بدار العطار قرب سيدي علي بن مخلوف بذكره شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقع ذلك يوم الخميس من رمضان⁽⁴⁾»

(1) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 181.

(2) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 91.

(3) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 181.

(4) سجل الوفيات لسنة 1840م، المحكمة المالكية بقسنطينة، مطبوعات مديرية الوثائق، الوثيقة رقم 29 م، قسنطينة.

4.3. وظيفة المؤسسات الصحية الاستعمارية

الملاحظ من خلال انتشار هذه المراكز على مناطق مختلفة من البلاد، أنّها كانت وفق خطة محكمة، ومدروسة تهدف الى إدراج رجال الدين المسيحيين في العملية، إذ كلف الأباء البيض **Le Péres blancs** والأخوات المسيحيات **Les soeurs** بالمراكز التي كانت موجودة في بايلك قسنطينة، وكنّ أغلبهن من مدينة "نانسي" Nancy؛ أمّا مراكز الغرب فسارت وفق نظام "الترنيديين" **Le système des Trinitaires** (1) بحيث كانوا يتمركزون بالقرب من التجمعات السكانية، فأخوات القديس "جوزيف" (**Joseph**) وأخوات "سان فانسون دوبول" (**saint-Vincent de paul**)، الذين أقاموا مستوصف في بيوتهم بشارع سالوست بعمالة الوسط (الجزائر)، فكانت طريقتهن للوصول إلى هدفهم هي استقدام المواطنين إلى المستشفيات، إضافة إلى تقديم خدماتهم في التمريض(2)، مستغلين الأوضاع المزرية التي كان يعيشوها الأهالي، والأزمات كأزمة 1866-1868م ليسارعوا في التقرب من الجزائريين، وتقديم لهم يد المساعدة لأسباب إنسانية ظاهريا، وباطنيا لغرض تنصيري، بحيث أخذ المئات من الأطفال الجزائريين إلى "الدار العربية للأيتام" التي أسّسها لافيغري(3)، والذي انطلق من مبدأ "مصائب قوم عند قوم فوائد"، هلّلت الكنيسة في الجزائر لما أفرزته تلك المجاعات من مآسي، وتشرّد لعدد كبير من الأطفال اليتامى؛ وقد تحدّث لافيغري عن ذلك بشكل عام حيث كتب: «إذا لم يؤخذ هؤلاء الأطفال منّا، كما يهدّد البعض بذلك، فسوف يكون لدينا في بضع سنوات حضانة خصبة لعمّال داعمين، ومؤيدين وأصدقاء للاستعمار الفرنسي، ولنقل صراحة أنّنا سنشهد ميلاد عنصر عربي مسيحي»(4).

اشتدّ نشاط التبشير مستغلين المجاعة التي أصابت الجزائر لينطلق رجال الدين المسيحيين، وعلى رأسهم الكاردينال "لافيغري" الذي كان يجوب مختلف مناطق الجزائر، حاملا الصليب في يمينه، والخبز في يساره يدعو فيها الى المسيحية لتنصير الجزائريين، خاصة اليتامى(أبناء ضحايا المجاعات)، من خلال تقديم المساعدات الخيرية والتقرب إلى الفقراء والمحتاجين(5).

على سبيل المثال لا الحصر ففي منطقة الشلف، وضواحيها تمّ تمسيحهم إثر مجاعات 1867م، التي تراوحت سنوات ميلادهم بين سنوات (1849-1853م) فجاءت كالآتي:

(1) عز الدين زايدي، مرجع سابق، ص 167.

(2) مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر...، مرجع سابق، ص 227.

(3) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 111.

(4) العربي بلعزوز، مرجع سابق، ص 189، 190.

(5) محمد بوراس، المجاعة السوداء بالغرب الجزائري...، مرجع سابق، ص 163.

جدول يبين عينة من الأشخاص الذين تم ادخالهم للمسيحية بمنطقة الاصنام⁽¹⁾

الاسم الأصلي	المنطقة	الاسم المسيحي	الاسم الأصلي	المنطقة	الاسم المسيحي
الزّهرة بنت الطاهر	تاشتة	كارولين	رقية بنت الحاج	تنس	ماريا
بن عيسى بن أحمد	مليانة	فرانسوا	سعدة بنت عبد القادر	ثنية الحد	زووي
حليمة بنت الحبيب	تنس	بانجامين	بوزيد بن العربي	بني بودوان	جوزيف
محجوبة بنت محمد	العطاف	مارغوريت	حليمة بنت خليفة	الشلف	ماجدالين
الطاهر بن عمر	تنس	ماتيو	جلول بن طويل	مجاة	جون
يحي بن أحمد	مليانة	باسكال	قدور بن طويل	مجاة	جوليان
أم الخير بنت محمد	شرشال	جوزيفين	عبد القادر بن محمد	تنس	فيليب
قدور بن أحمد	الشلف	بروسبار	فاطمة بنت الطاهر	بني بودوان	ايليزا

ما يجب الإشارة إليه هنا إلى أنّ هؤلاء عيّنة ممن تم تجنيسهم فقط حتى ذلك التاريخ، كما أنّ الأسماء وردت بالشكل القديم، بحكم أنّ قانون الحالة المدنيّة الذي أقرّ بالأسماء العائلية الجديدة لم يصدر إلّا سنة 1882م (قانون الحالة المدنيّة)، كما أنّ عمليّة تغيير الدين (من الاسلامي للمسيحي)، وأسماء هؤلاء تمّت خلال سنتي (1874-1875م)

4. العلاج عند المجتمع الجزائري ووسائله

لقد استعمل الأطباء الجزائريين الطب التقليدي معتمدين في ذلك على الطب الطبيعي بما في ذلك من الحجامة، الكي، والقصد، ويتم ذلك باستخدام سكين صغير بشفرة منحنية يسخن على النار، وبعدها يقوم الطبيب بكي العضو المصاب بسرعة، واستخدام مياسن صغيرة دائرية لإزالة الاحتقان في البطن، كما تستعمل هذه الطريقة في الدمّل والأورام، أمّا الطلقات النارية فتسخن حلقة حديدية على شكل خاتم، وإذا كان الجرح عميقا نضع فيها زبدة الزنخ، أو العسل لتجنب ملامسته مع

(1) العربي بلعزوز، مرجع سابق، ص ص191، 194

الهواء ممّا يؤدي الى التهام الجرح بسرعة، أمّا الفصد فيمارس في حالة تورم وانتفاخ⁽¹⁾.

1.4. العلاج بالقرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم شفاء للإنسان من ناحيتين: من ناحية القلب فهو يشفيه من الجهل، والريب، والضلال والهّم والغمّ، ومن ناحية البدن فهو يشفيه من الأمراض التي تصيبه لما فيه من البركة، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم الجوزية: «ما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله»، ومن أجل ذلك كان العلاج بالرقية سبيلا ينتهجه المسلمون منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام، في التداوي والمعالجة من مختلف الأمراض خاصة منها النفسية⁽²⁾.

ثمّة رقية خاصة ومن يرقئها لا يصيبه الطاعون، ولا الجدري، ولا برد ولا فالج ولا حكة، كما أنّها نافعة كثيرا لوجع الأسنان ووجع الأذنين، حيث يأخذ من ماء المطر، ويوضع في إناء وتقرأ عليه الفاتحة سبعين مرّة، ثم يشرب من ذلك الماء سبعة أيام متتالية على الريق وعند العشاء⁽³⁾.

2.4. المداواة بالسحر والشعوذة

هو عمل يقوم به الطالب، أو المرابط حيث يقتنع المريض بأنّ سبب مرضه الجن أي أنه مرض نفسي أكثر منه جسدي، ويستعمل في طريقة العلاج هذه بعض التعويذات منه ما هو مرتكز على القرآن الكريم، والحديث الشريف، كما يستعمل فيه العبارات غير

المفهومة، والتي لا علاقة لها بالدين الاسلامي، وهذا له علاقة بالشعوذة والسحر⁽⁴⁾. قدّ فصلّ ابن خلدون في هذه الطريقة من العلاج على قدرة بعض النفوس البشرية" على التأثيرات في عالم العناصر إمّا بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات"، وبالرغم من أنّ هذه الأساليب كانت منبوذة في كل المجتمعات الإسلامية حتى الآن لأنّها كفر وشرك، لما كان لها من وجهة أخرى في التعظيم، وعبادة غير الله عزّوجل كالشياطين، والكواكب والأفلاك⁽⁵⁾. فصحيح أنّ هذه الأساليب العلاجية تحتوي على بعض الأعشاب الطبية، والتوابل والأغذية المفيدة للجسم كالعسل، لكنّها لا تخلو دائما من مظاهر السحر والشعوذة⁽⁶⁾.

(1) يمينة مجاهد، مرجع سابق، ص 81.

(2) عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 111.

(3) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 176.

(4) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 166.

(5) سمية مزدور، مرجع سابق، ص 184.

(6) نفسه، ص 185.

كما كان الطالب يلجأ الى كتابة حروز أو حجاب، فيحملها الانسان حتى وهو غير مريض وذلك للوقاية من مرض معين ومن الجن والعين الحاسدة، وتعلق على الرقبة أو مكان الألم لمحاربة تأثيرات القوى المسببة للمرض⁽¹⁾.

3.4. العلاج بالمياه الطبيعية المعدنية

كانت الينابيع الطبيعية الساخنة والمياه المعدنية، منذ أمد بعيد من أهم وسائل العلاج الجزائرية، وقد اعترفت الحكومة الفرنسية رسميًا بفوائدها، وقد اشتهرت الجزائر بالعديد من الحمامات التي لم تكن تقتصر على التنظيف فقط، وإنما في الغالب كان بهدف التداوي والعلاج ومن أشهرها:

- حمام بني كشة؛ الواقع في الطريق الرابط بين قسنطينة وسطيف، والذي يمتاز بخواص علاجية هامة، تتمثل في علاج الأمراض الجلدية والعظام.

- حمام اللوان؛ الواقع بقبائل بني موسى بمقاطعة الجزائر، يزوره الجزائريون ويبحث إليه الأطباء مرضاهم بهدف العلاج من الجرب⁽²⁾.

- حمام ريغة؛ الموجود بالقرب من مدينة مليانة بمقاطعة الجزائر، ماؤه غني بالمعادن ويعالج عدّة أمراض.

ومن بين الطرق العلاجية أيضا، نجد استعمال الحمامات البخارية المعروفة بحمامات الحضر (Les Bains Maures)، التي يتم فيها الاستحمام بالبخر مرفوق بعملية الدلك، والتي أثبتت فعاليتها العلاجية، خاصة فيما يتعلق بعلاج الأمراض الصدرية، وأيضا الى حمامات من الرمل الحار⁽³⁾.

(1) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 168.

(2) نفسه، مرجع سابق، ص 161.

(3) صليحة علامة، مرجع سابق، ص 162.



خاتمة

بناءً على دراستنا المستفيضة و عملنا الدؤوب من خلال طرحنا المتكون من فصل تمهيدي وخمس فصول، توصل البحث إلى النتائج التالية:

✓ يعدّ العامل الطبيعي أحد الأسباب المباشرة في تأزم الحالة البشرية في غالب الأحيان، فهو ناتج عن تذبذب المناخ لأنّ كثرة الأمطار وقلتها من شأنها أن تحدث كوارث، إمّا فيضانات وثلج وبرد، وإمّا قحط وجفاف وجراد، فأى خلل في المناخ يؤدي إلى هلاك الزرع وما ينتج عنه من علاقة تراتبية بين المناخ والماء والغذاء فتحدث بذلك مجاعة وما ينجّر عنها من أزمات أخرى.

✓ تعدّ المجاعات والأوبئة وجهان لعملة واحدة، فطالما كانت الأزمات الغذائية، والمجاعات التي تصيب الجزائر أرض خصبة لحدوث الأوبئة بعدها مباشرة؛ بسبب ما تحدثه من نقص في المناعة، وسوء التغذية، بالتالي يصبح الجسم عاجزاً عن مواجهة الأوبئة بغض النظر عن درجة قوتها وانتشارها.

✓ كان للحالة الصحيّة والمعاشية تأثير حاسم على الوضع الديمغرافي، والاقتصادي للمدينة والريف على حدّ سواء.

✓ أنّ الجزائر كانت عرضة للأوبئة التي اجتاحتها خلال الفترة العثمانية، وفترة الإحتلال الفرنسي نتيجة اتصالها المستمر بالخارج، وانفتاحها على المبادلات التجارية. ✓ تعتبر الحروب، والفتن الداخلية من أهم الأسباب البشرية التي نتج عنها حدوث المجاعات، والغلاء في الأسعار كثورة ابن الأحرش في العهد العثماني، والاحتلال الفرنسي في الفترة المعاصرة، تمخض عن هذه الحروب حدوث مجاعات، وغلاء في الأسعار، وانحدار ديمغرافي، وخراب عمراني، فضلاً عن حالة شبه دائمة من الأمن والإستقرار داخل الجزائر خلال الفترة المدروسة.

✓ تعدّ الأزمات الصحيّة، والغذائية إحدى الركائز الأساسية التي تأسست عليها الحياة العامة في المجتمع الجزائري، بحيث تعتبر العلاقة بين الثنائيين علاقة متداخلة أثرت كل واحدة منهما في الأخرى وتأثرت بها، ما نتج عنه أزمات اقتصادية، واجتماعية أدت إلى تراجع النشاط الفلاحي في الجزائر، والجدير بالذكر أنّ المجاعات، والأوبئة ماهي في الحقيقة إلاّ تجسيدا لشكل من أشكال البؤس، الذي عاشه الفرد الجزائري خلال الفترة مدار البحث.

✓ أنتجت الكوارث الطبيعية مظاهر عديدة منها ما هو اقتصادي واجتماعي وثقافي وديمغرافي فالاقتصادي تجلّى أساساً في حركة الأسعار، وتراجع النشاط الفلاحي بصفة عامة من زراعة، وصناعة، وحرف وثروة حيوانية، بالإضافة إلى اليد العاملة، أمّا الضعف الاجتماعي هو ما أفرزته هذه الكوارث من ظواهر كاللصوصية والتسول والاسترقاق والاحتكار.

✓ أمّا ديمغرافياً فتعد الكوارث الطبيعية من زلازل، فيضانات، مجاعات، وأوبئة أحد أهم الأسباب التي دفعت بالهجرة، وإن كان بسبب الوباء مكروها بناءً على أحاديث نبوية شريفة حول ذلك، أمّا الوفيات نتيجة الحروب، والمجاعات، والأوبئة فكانت من

أبرز الإنعكاسات الديمغرافية، فشكّلت ثلوثا حقيقيا هدّد حياة سكان الجزائر طيلة الفترة المدروسة، فقد أدّت بحياة العامة والخاصة من فئات المجتمع.

✓ كما أنّ تطبيق الحجر الصحي في الجزائر عموما لم يحترم ولم يطبق بشكل صارم، وهذا لتساهل السلطات أحيانا وعدم مبالاتها بالرعية من جهة، ومن جهة أخرى هو عقلية الفرد الجزائري الذي كان يؤمن بالقضاء والقدر ويوكل كل شيء لله دون أخذ الأسباب.

✓ ما يجدر الإشارة إليه أيضا أنّ الوضع الصحي لم يتغير كثيرا في الفترة الاستعمارية، بالرغم من إنشاء العديد من الهياكل الصحية الحكومية منها والمدنية، لأنها كانت تصب لغرضين أولهما حماية المستوطنين من الأمراض المنتشرة، وأيضا استخدمته كوسيلة لتنصير الجزائريين، بحيث أدركت الإدارة الاستعمارية منذ أربعينيات القرن التاسع عشر أنّ استعمال الطب ضرورة لاستمالة جزء من الجزائريين، من أجل إنجاح مشروعها الاستيطاني، واستطاعت أن تقنع، و تكون أطباء يتبنون هذا النهج لتحقيقها أهدافها السياسية والاقتصادية، فالسلطات الاحتلالية لم تبد أي اهتمام بصحة البلاد، ولم تسع قط لتحسين حالة الجزائريين الصحية، و إنّما زادت من مأساتهم وأوجاعهم بعد أن جرّدتهم من ممتلكاتهم و أراضيهم.

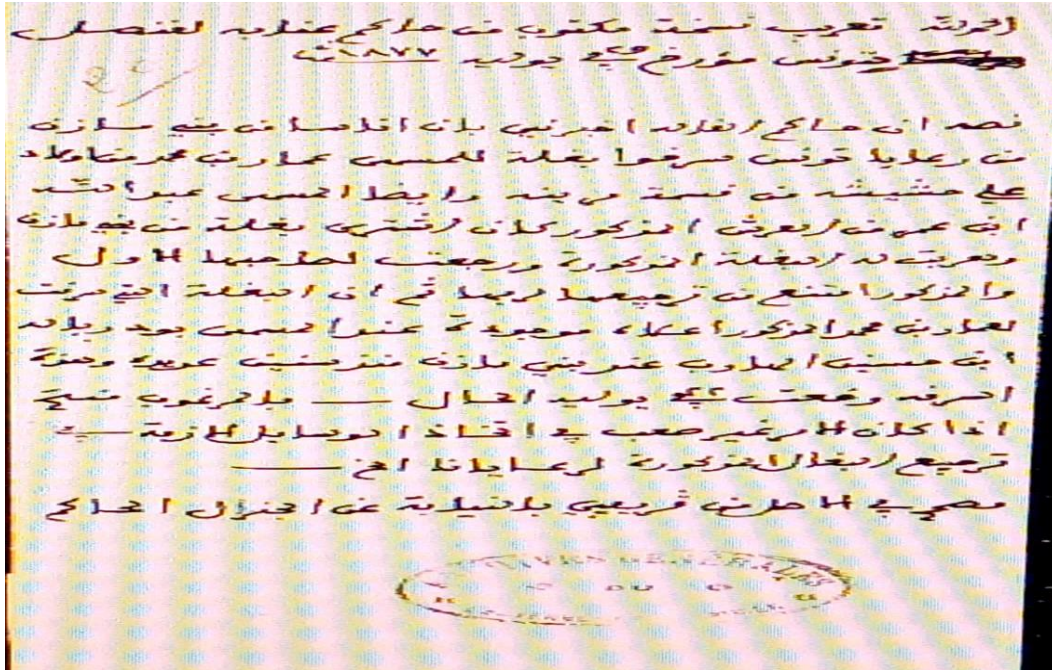
✓ إنّ انعكاس مجمل الأزمات على السكان، والتي شملت أغلب سنوات القرن التاسع عشر، إلا أنّ حدة الوضع اتضحت معالمه خلال أزمة 1867_1868م، والتي استهلها الجفاف الكبير الذي عرفته الجزائر، وصارت من خلاله القبائل العربية في ضيق شديد نتيجة قلّة وندرة المحصول ما أدّى إلى نفوق أعداد كبيرة من الماشية وارتفاع الأسعار في السوق، وذلك تزامنا مع العديد من الجوائح، والتي سبق لنا ذكرها كزلزال 1867م وقدم وباء الكوليرا الذي وفد من الخارج ليزيد الوضع تآزما وخطورة، فكانت أكبر دليل على حالة البؤس التي عاناها الشعب الجزائري.

✓ اشتدّ نشاط التبشير انطلاقا من مبدأ " مصائب قوم عند قوم فوائد"، مستغلين المجاعة التي أصابت الجزائر لينطلق رجال الدين المسيحيين لتنصير الجزائريين خاصة اليتامى (أبناء ضحايا المجاعات)، من خلال تقديم المساعدات الخيرية والتقرب الى الفقراء والمحتاجين.

✓ يعتبر الطب العسكري الفرنسي جزءا لا يتجزأ من الطب الكولونيالي، الذي ساهم بشكل مباشر في عملية التوغل، فقد لعب دورا متميزا في معالجة الأمراض والأوبئة التي أصيبت بها قوات الاحتلال.

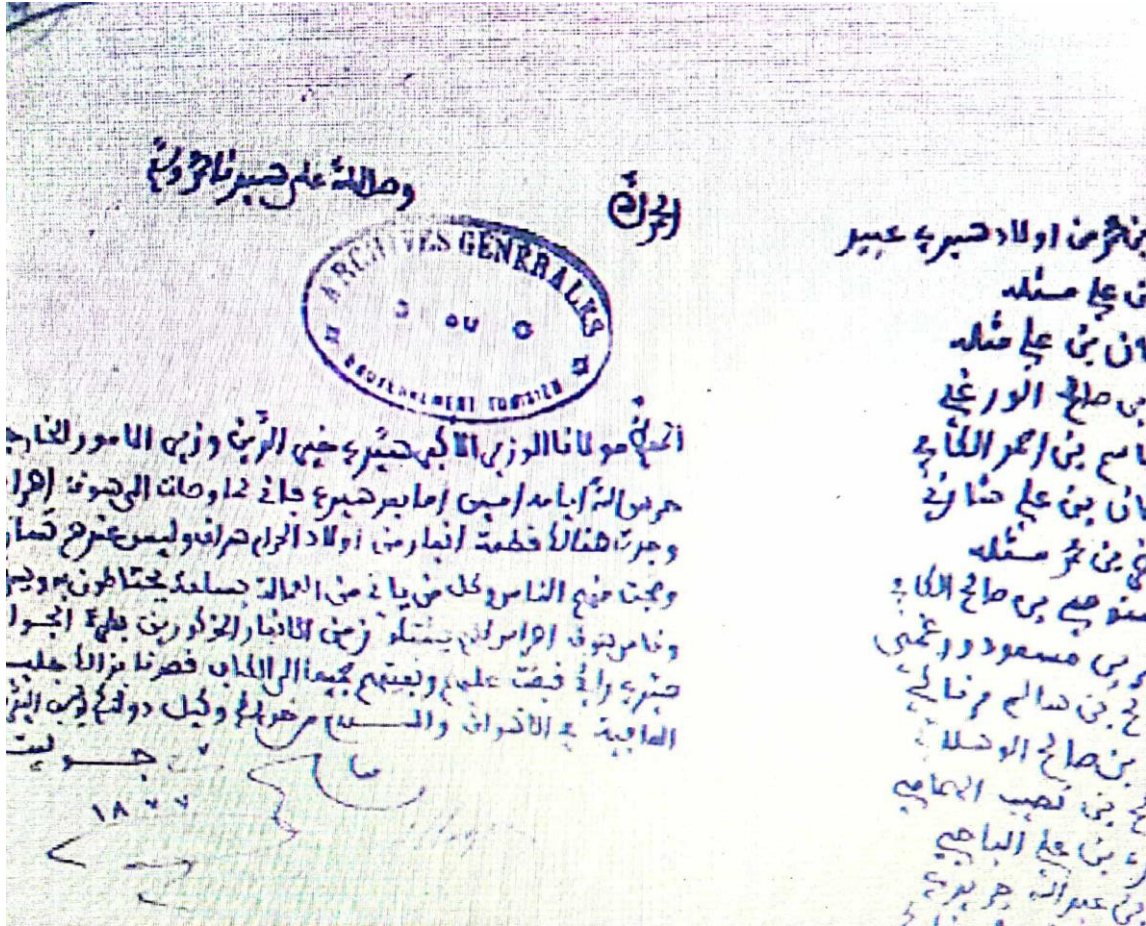
الملاحق

الملحق رقم 01: مراسلة بين حاكم عنابة لقتل تونس حول السرقة واللصوصية التي تكررت بين بعض القبائل الجزائرية والتونسية¹.



(1) السلسلة التاريخية 1881، الصندوق 211، الملف 225.

الملحق رقم 02: مراسلة بين خير الدين باشا إلى يوسف باشا تتضمن قائمة بأسماء لصوص (أولاد الحرام) كما ورد ذكرها في الوثيقة الارشيفية، الذين كانوا ينشطون بين مدينة سوق أهراس والحدود التونسية¹.



(1) -ANT- FA1881- H- 0211- 0225- 0016.

الملحق رقم 03: قرار صادر من قبل المكلف بالأعمال المستعمرة بإعطاء شروط جديدة في ظل انتشار الكوليرا، ومنع الجزائريين عبور المنطقة المصابة، وإصدار أوامر بحظر الحج والسفر الى مكة¹.

Alger le 21 Juillet 1875

Monsieur le Charge d'Affaires

Monsieur le Ministre des Affaires
Etrangères m'annonce que le cholera
sevit avec une certaine rigueur en
Syrie. J'ai jugé nécessaire dans ce

(1) ANT _ FA 1881 _ H_ 0068 _ document N° 225.

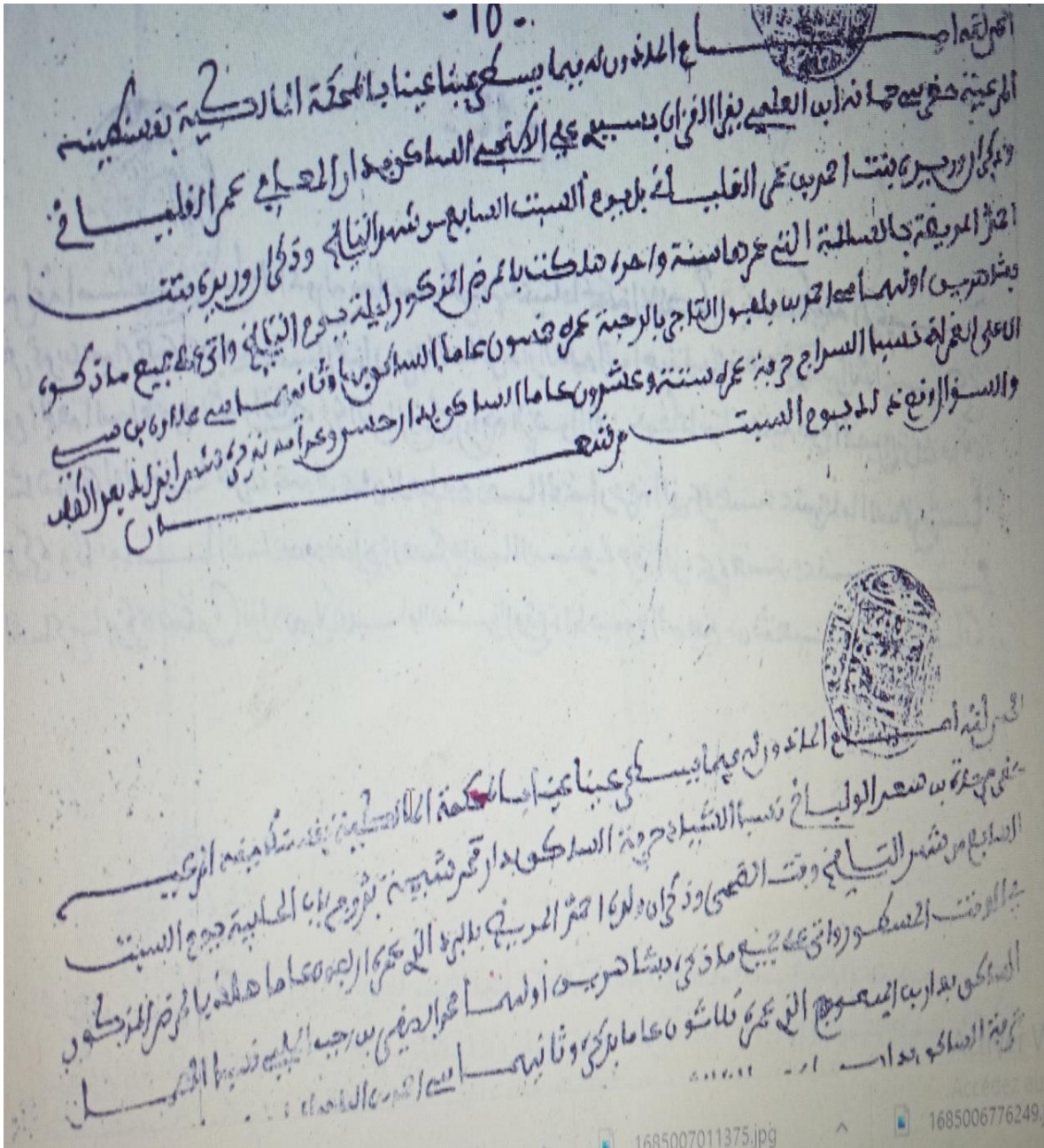
الملحق رقم 04: تلغرام مرسل من قبل قنصل بريطانيا لبلادهم يعلمهم بوجود الكوليرا في مدينة بونة (عنابة)، ومدينة الجزائر¹.

N° du dépôt: <i>1110</i>	TÉLÉGRAMME	BUREAU
Nombre de mots: <i>19</i>		N° d'arrivée: <i>17694</i>
INDICATIONS DE SERVICE	<i>Boite 1000</i>	à domicile... <i>17 h.</i> du
<i>Boite N° 1000</i>	déposé le <i>11/10/06</i>	au bureau c
Reçu de <i>Boite</i>	à <i>10 heures</i> minutes du	Fil n°
Fait par <i>Boite</i>		à <i>10 h.</i> du
L'Employé, <i>Boite</i>		Le <i>11/10/06</i>
		L'Employé.

*M^{re} Mary British Consul
Paris
Cholera exists at Bona
in Algeria and in Algiers
L. Lambra*

(1) ANT 1881 _ H _ 0068 _ 0809_ bis 201 , doc N° 26.

الملحق رقم 05: نماذج من الوفيات نتيجة الأمراض بقسنطينة¹.



(1) دفتر الوفيات العقد 15، ارشيف قسنطينة.

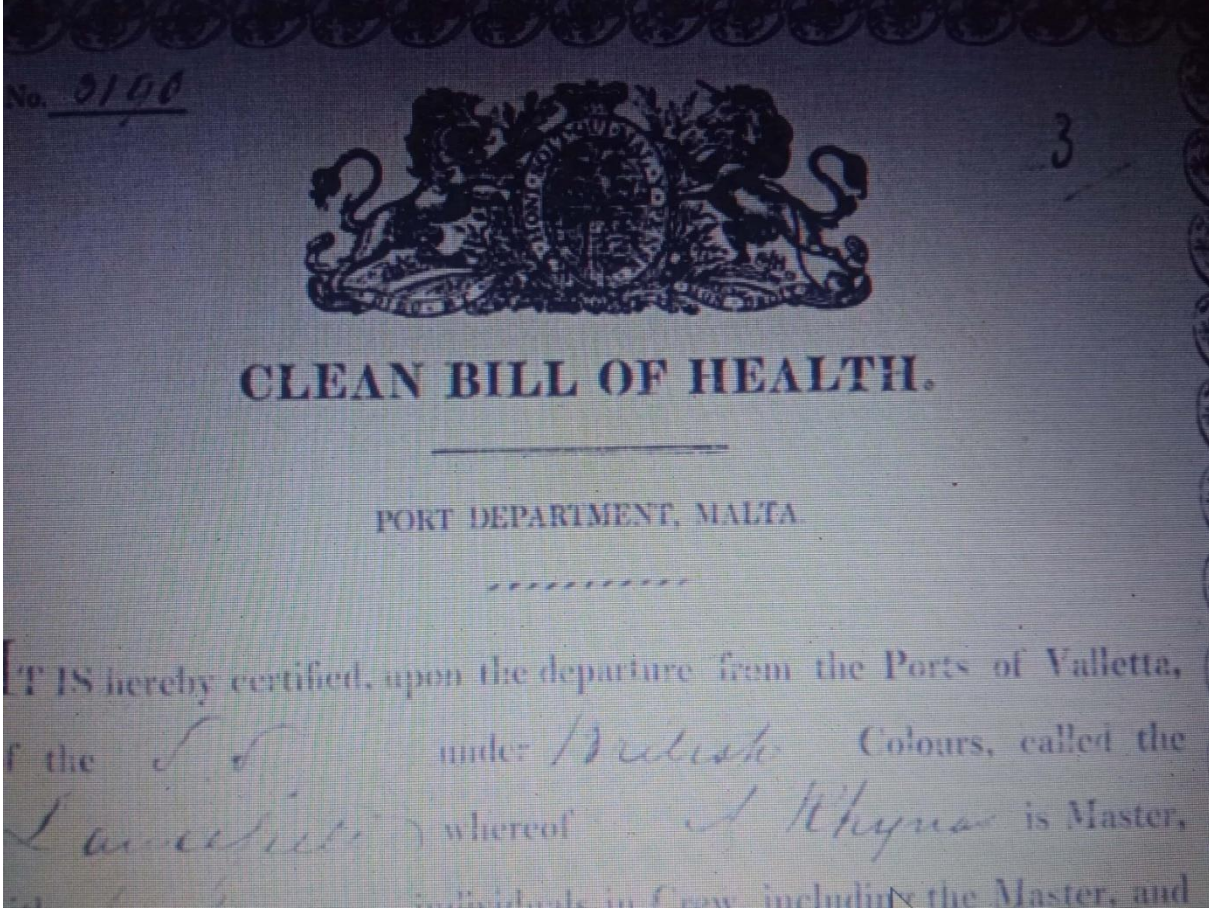
الملحق رقم 05: عدد الحجاج من بينهم الجزائريين والتونسيين زمن وباء الكوليرا¹.

Nationalité	Sexe masculin	Sexe féminin	Total	Observations
Indiens.....	4.400	838	5.238	
Afghans.....	408	14	422	
Boukhariens....	11.187	776	11.963	
Javanais.....	5.224	1.257	6.481	
Autres Malais..	2.243	733	2.976	
Persans.....	5.719	599	6.318	
Hadramoutiens..	254	47	301	
Zansibaristes..	6	1	7	
Somalis.....	48	7	55	
Soudanais.....	672	181	853	
Marocains.....	479	49	528	
Algériens & Tunisiens	2721	205	2.926	
Egyptiens.....	4.957	529	5.486	
Autres Africains	6	3	9	
Hedjazis & Yéménis	2.556	247	2.803	
Arabes de l'Irac	390	54	444	
Syriens.....	908	164	1.072	
Tripolitains...	706	37	743	
	2.216	229	2.445	

Total des pèlerins arrivés à Djeddah 52.616
à Yambo.. 7.041
Total général 59.657

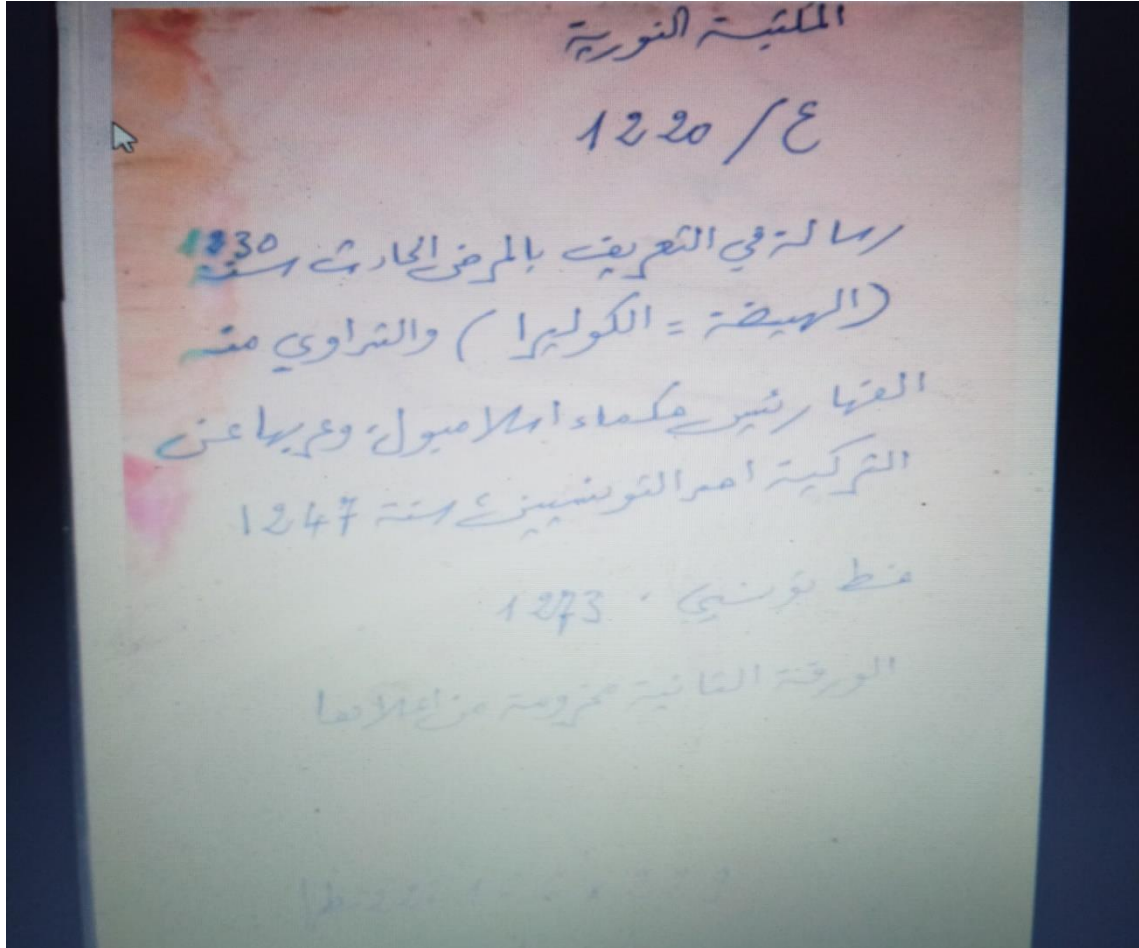
(1) Série A _ Carton 276 _ bis 01 (1885_ 1899). Doc N° 6.

الملحق رقم 07: الوثيقة التي يتم اصدارها من قبل السفن التجارية المتجهة من شمال افريقيا لموانئ مالطا والتي تؤكد سلامة طاقم السفينة والتجار من الأمراض¹.



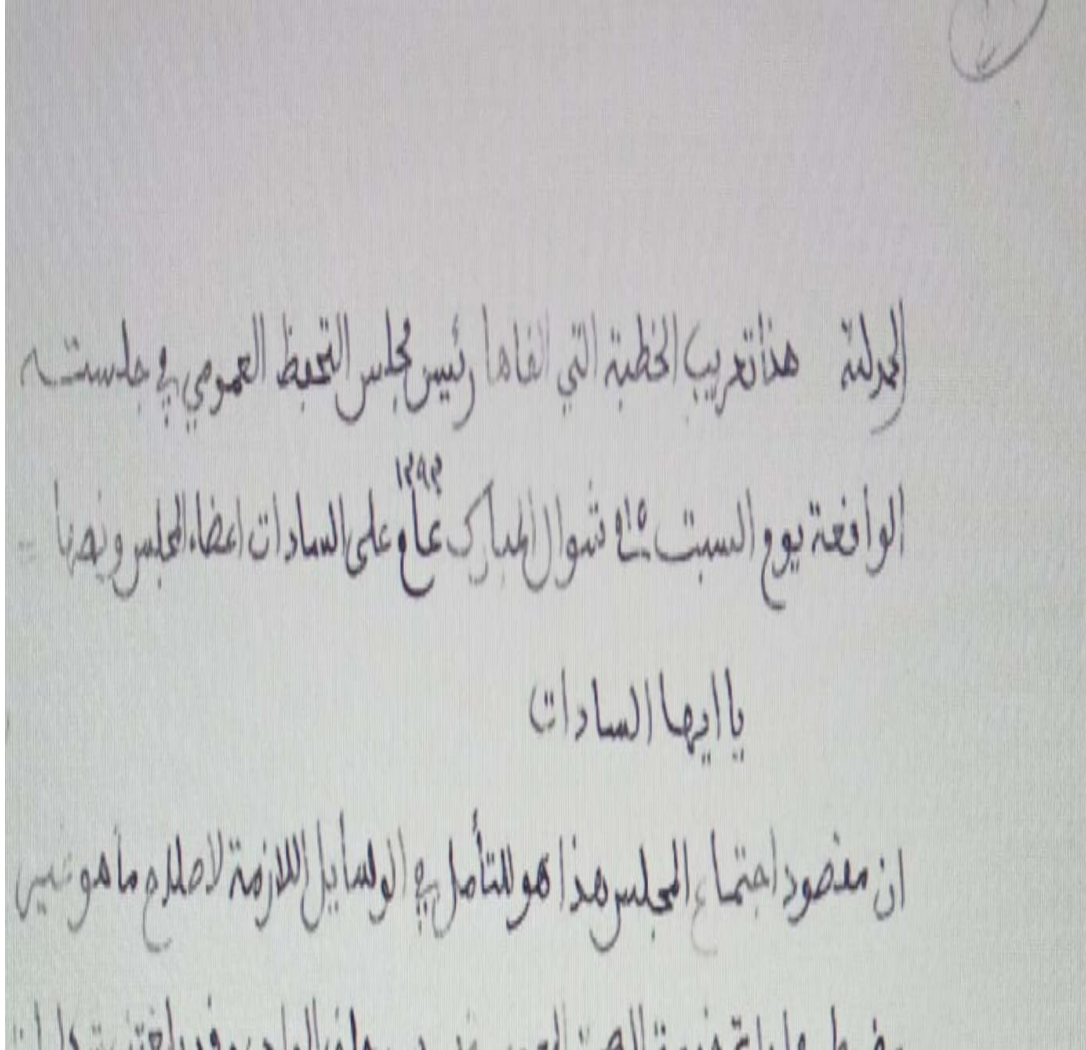
(1) ANT_FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 23.

الملحق الرقم 08: يمثل نسخة من مخطوط يعرف بمرض الكوليرا والذي ألفه رئيس
حكماء اسطمبول¹.



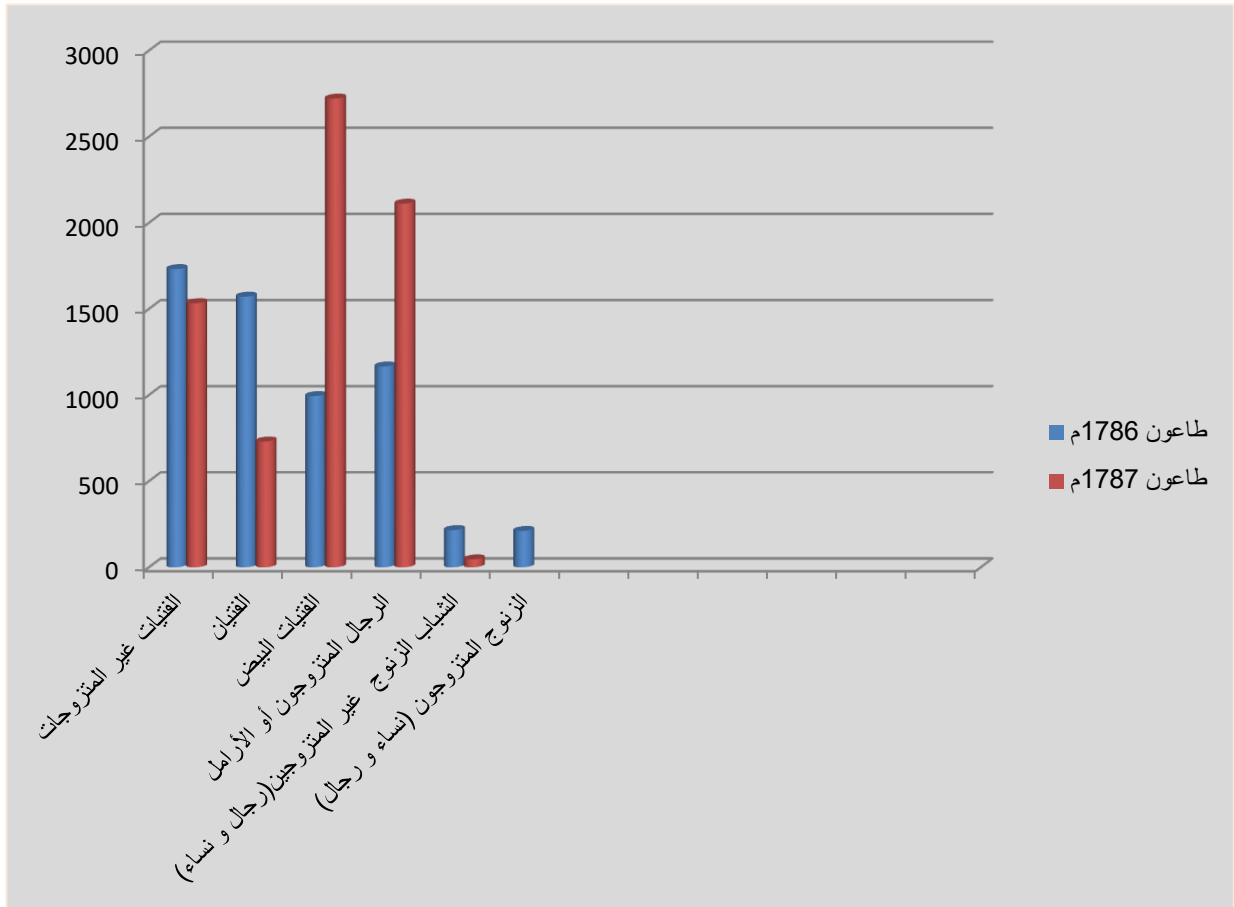
(1) مخطوط 19824، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية التونسية، الورقة 01.

الملحق رقم 09: الخطبة التي ألقاها رئيس مجلس التحفظ العمومي في جلسته والمنعقدة بحلق الوادي لدراسة الوضع الصحي بدول شمال إفريقيا¹.



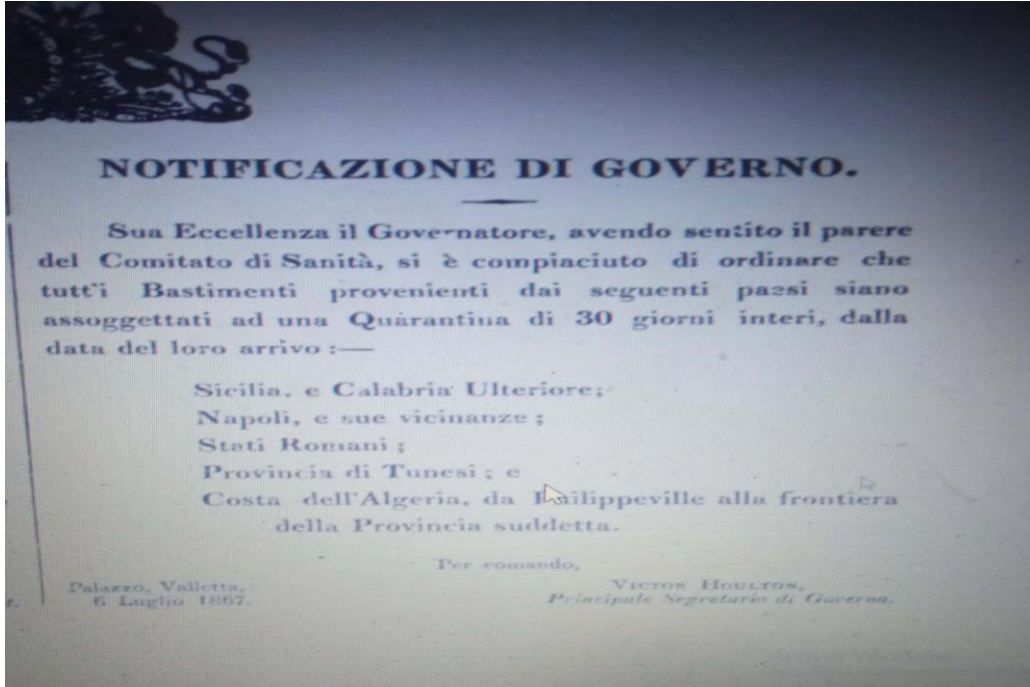
الملحق رقم 10: أعمدة بيانية توضح ضحايا الطاعون في الجزائر خلال سنتي 1786-1787م¹.

(1) السلسلة التاريخية 1881، الصندوق 68، الوثيقة 219.



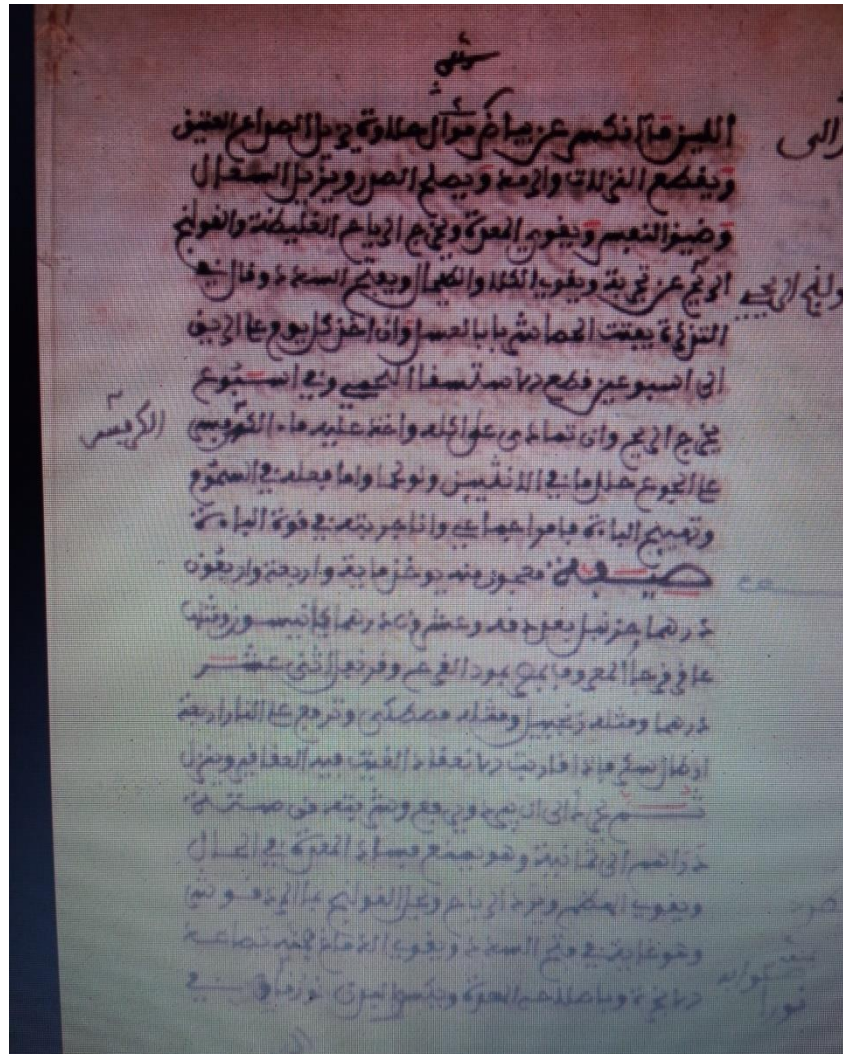
¹ ملاحظة: الأعمدة البيانية من إنجاز الباحثة نقلا عن معطيات وردت في كتاب لويسات فنري، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر، 1790-1830، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الحقيقة للنشر، بيروت، ط01، ص 126.

الملحق رقم 11: احدى الوثائق المكتوبة باللغة الايطالية، والصادرة من مجلس الصحة ومرددها إخضاع السفن القادمة من الدول المذكورة في الوثيقة للحجر الصحي لمدة ثلاثين يوماً اعتباراً من تاريخ وصولها (من بينها الجزائر)¹.



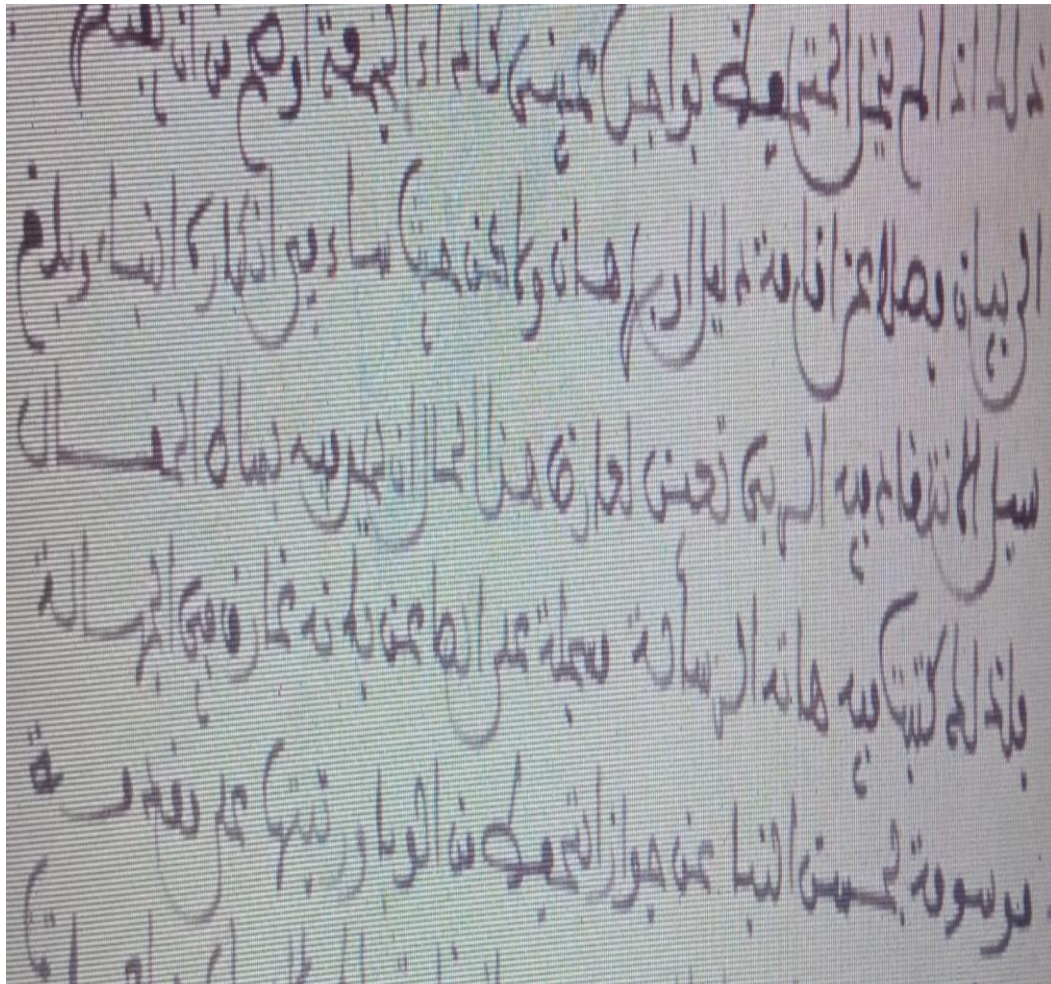
(1) ANT_FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 14.

الملحق رقم 12: نسخة من أحد المخطوطات المذكور فيها الأعشاب المتداولة وكيفية استعمالها للوقاية والعلاج من الأمراض¹.



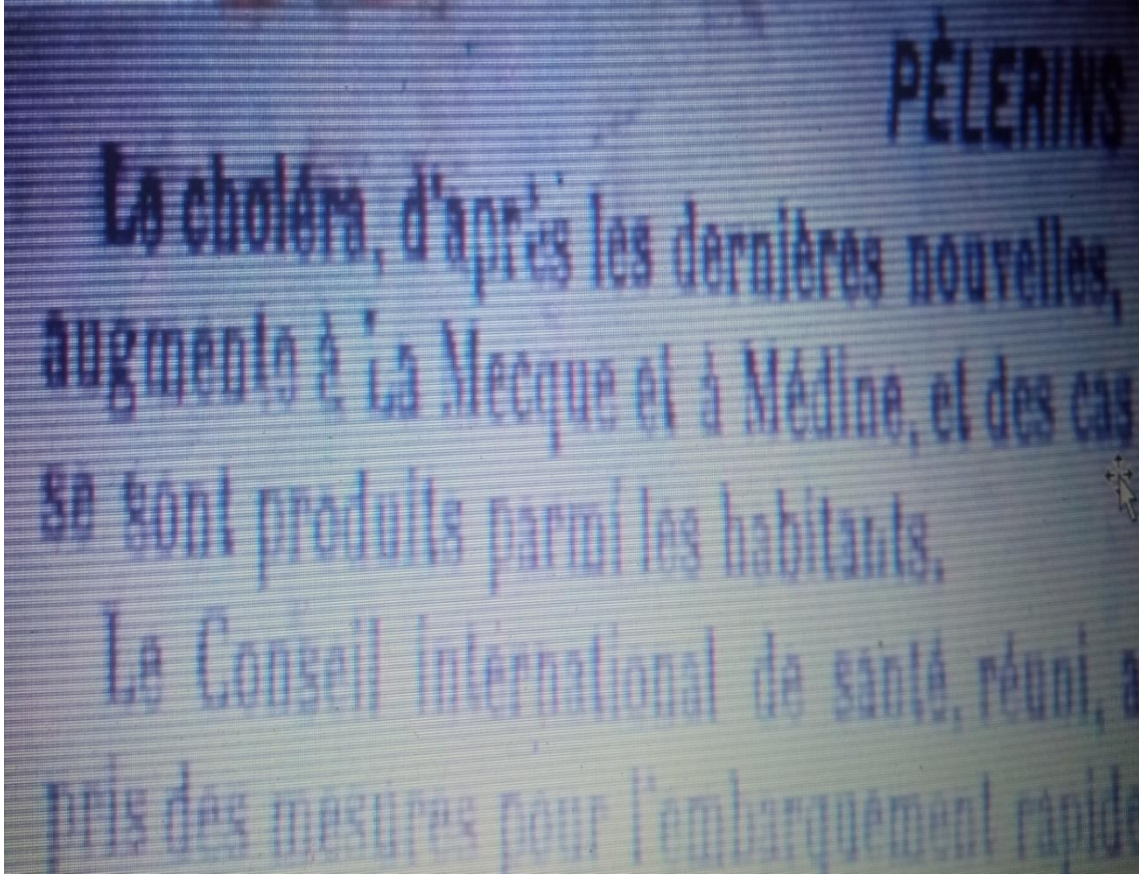
(1) مخطوط رقم 16444، نفائس الدرر الحسان فيما يزيل المرض...، المصدر السابق، ص 63.

الملحق رقم 13: نسخة من مخطوط والتي جاء فيها رد عن جواز التحفظ من الوباء وأخذ التدابير اللازمة للوقاية من الأمراض¹.



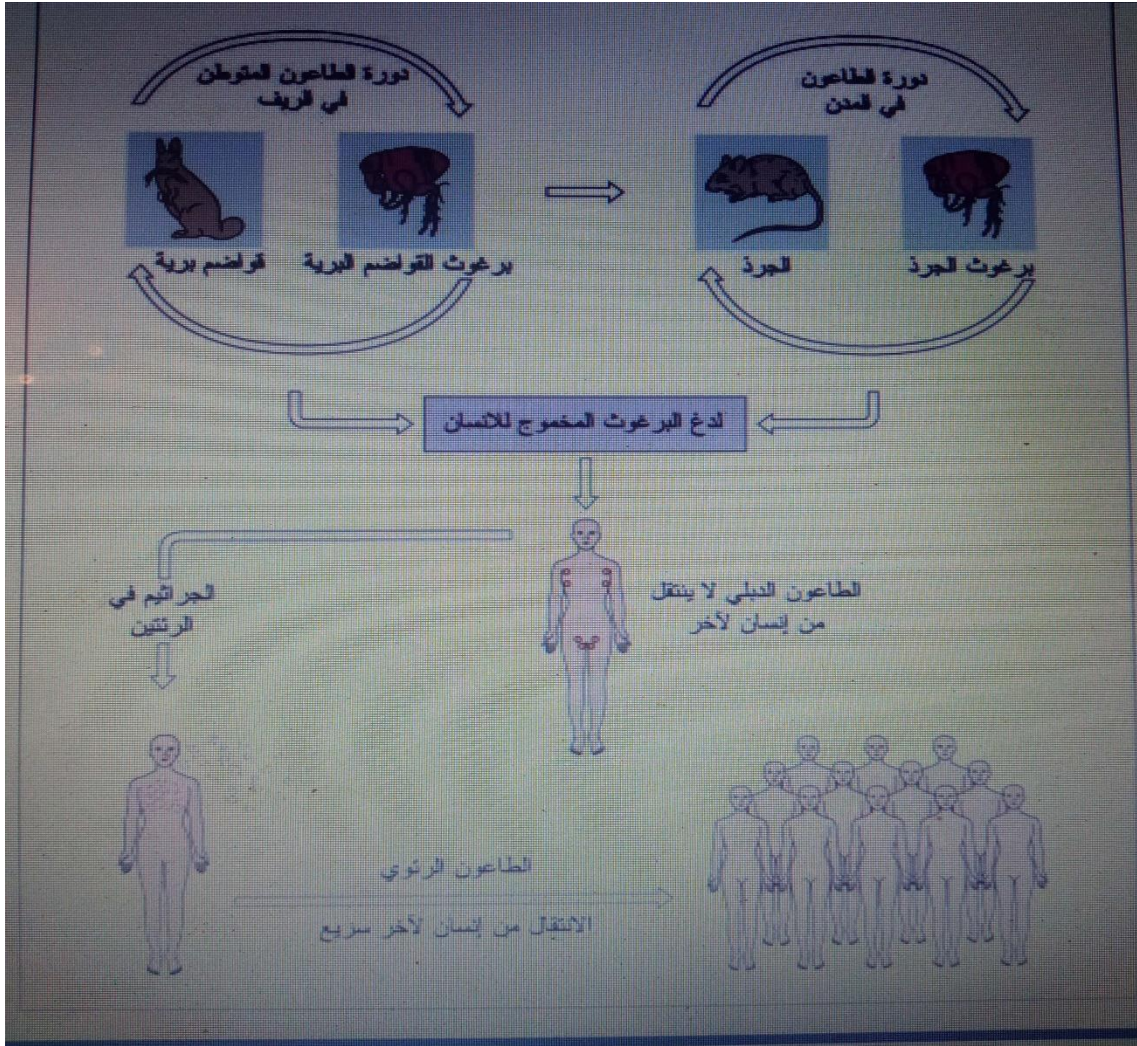
(1) مخطوط رقم 18371، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية التونسية.

الملحق رقم 14: مقال بإحدى الجرائد التي جاء فيها قرار مجلس الصحة الدولي بعودة الحجاج لبلدانهم بعد عودة الكوليرا وتزايدها بشكل مستمر بين السكان المحليين¹.



(1) Série A _ Carton 276 _ dossier 01, N° doc 20.

الملحق رقم 15¹:



(1) خير الدين سعدي، مرجع سابق، ص 324.

الملحق رقم 16: أهم العوامل المؤثرة في الوضع الصحي بشكل مختصر لمقاطعة الجزائر فيما بين 1830-1900م¹.

ملاحظة: كلما زاد عدد العلامة (x) في الخانة، زاد عدد العوامل المؤثرة في الوضع الصحي في تلك السنة

الثورات	الجراد	الجفاف	الزلازل	المجاعات	الأوبئة	السنوات
X			X			1830م
X			X		X X	1831م
X X					X X	1832م
X						1833م
X					X X	1834م
X			X		X	1835م
X					X	1836م
X					X X	1837م
X		X			X	1838م
X		X	X		X	1839م
X		X			X	1840م
X		X			X	1841م
X		X			X	1842م
X		X			X	1843م
X		X			X	1844م

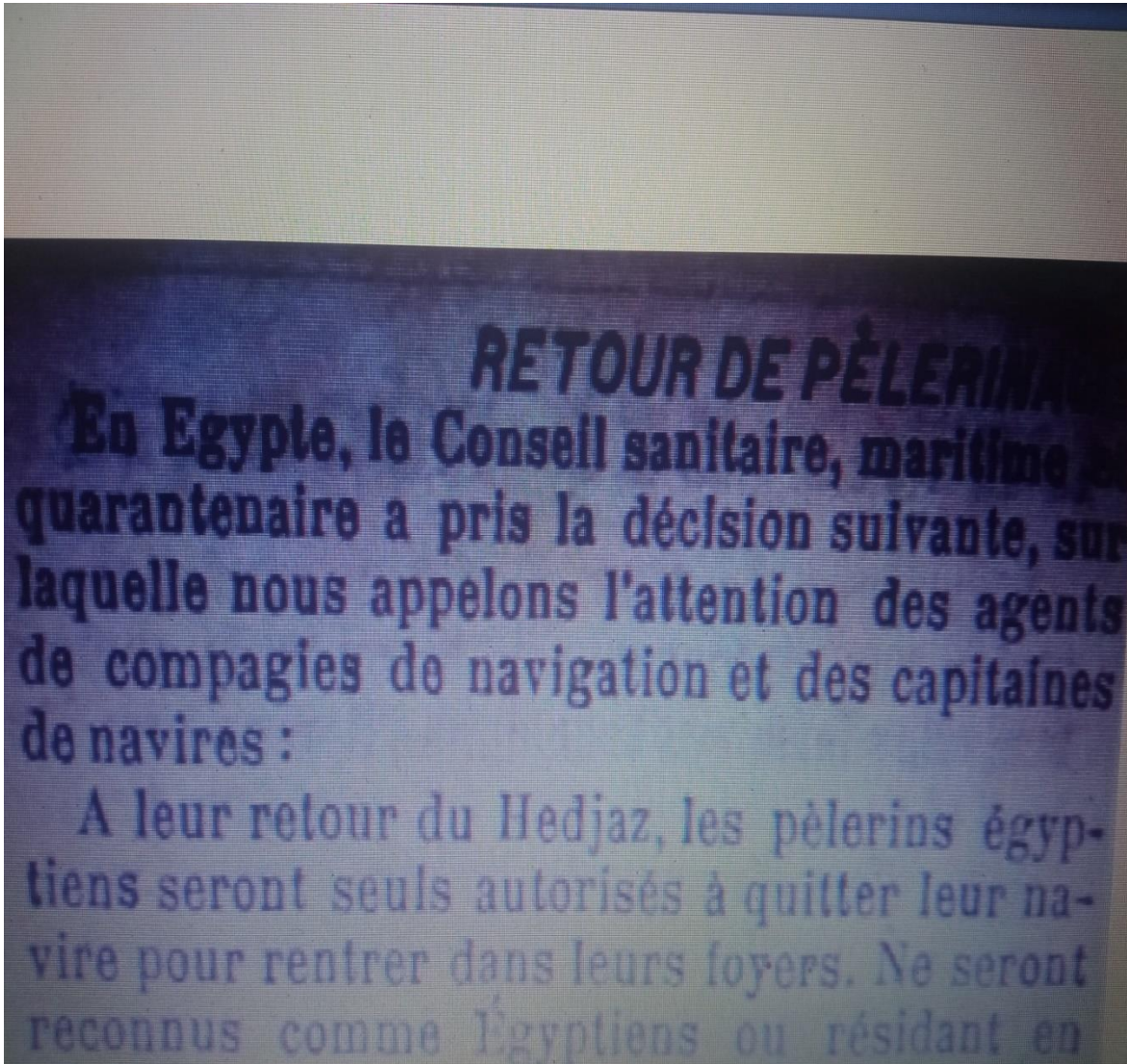
¹ - صليحة علامة، مرجع سابق، ص - ص 236 - 238.

XX	X	XX			XX	م1845
XX	X	XX			X	م1846
X	X				XX	م1847
X					XX	م1848
X		X			XX	م1849
X		X			XXX	م1850
X		X			X	م1851
X		X			X	م1852
X		X			X	م1853
X		X			X	م1854
X		X				م1855
X						م1856
X					X	م1857
X		X			X	م1858
X		X			X	م1859
		X			X	م1860
		XX			X	م1861
		XX			X	م1862
		X			X	م1863
X	X	X			X	م1864
	X	X			XX	م1865
		XX			XXX	م1866
		XX	X	X	XXX	م1867
		X		X	XXX	م1868
		X		X	XX	م1869

		X			X X	م1870
X		X			X	م1871
		X X			X	م1872
		X X			X	م1873
		X X			X	م1874
		X				م1875
		X				م1876
		X			X	م1877
		X			X	م1878
		X			X	م1879
		X			X	م1880
		X			X	م1881
		X			X	م1882
		X			X	م1883
		X			X	م1884
		X			X	م1885
		X			X	م1886
		X			X	م1887
		X			X	م1888
		X			X	م1889
		X			X X	م1890
	X	X			XX	م1891
	X	X			X X	م1892
	X	X			XXX	م1893
		X			X X	م1894

		X X			X	م1895
		X X			X X	م1896
					X	م1897
					X X	م1898
					X X	م1899
					X X	م1900

الملحق رقم 17: مقال من احدى الجرائد عن عودة الحجاج الى ديارهم، والاعتراف فقط بالحجاج الذين معهم بطاقة صادرة عن السلطة المصرية، كما تم منع إنزال المعتمرين من غير المصريين في الموانئ المصرية¹.



(1) Série A _ Carton 276 _ dossier 01, N° doc 10.

قائمة المصادر والمراجع

1_ القرآن الكريم

2_ الحديث النبوي

المصادر:

❖ المخطوطات بالعربية:

• مخطوطات بالمكتبة الوطنية التونسية.

1. مخطوط 18371 بعنوان: " حسن النبأ في جواز التحفظ من الوباء" لمحمد بيرم الثاني.

2. مخطوط رقم 16444 بعنوان: " نفائس الدرر الحسان فيما يزيل المرض ويحفظ صحة الانسان " لأحمد الدهماني.

3. مخطوط رقم 19824 بعنوان: " رسالة في التعريف بالمرض الحادث (الكوليرا) والتداوي منه" سنة 1230هـ ألفها رئيس حكماء اسطنبول.

❖ الوثائق الارشيفية "الأرشيف الوطني التونسي"

• وثائق باللغة العربية:

1. السلسلة التاريخية (قبل 1881م)، الصندوق 68، رقم الوثيقة 275، الأرشيف الوطني التونسي.

2. السلسلة التاريخية (قبل 1881م)، الصندوق 68، رقم الوثيقة 276، الأرشيف الوطني التونسي.

3. السلسلة التاريخية 1881، الصندوق 211، الملف 215، الملف الفرعي. 0004، رقم 03.

4. السلسلة التاريخية 1881، الصندوق 68، الوثيقة 219

5. السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي، الصندوق 223، الملف 384 مكرر، الملف الفرعي 14، وثيقة رقم 9.

6. السلسلة التاريخية، الصندوق 212، الملف 247، الوثيقة 12، الأرشيف الوطني التونسي.

7. السلسلة التاريخية، الصندوق 223، الملف 384، الملف الفرعي 17، وثيقة رقم 12.

• الوثائق باللغة الفرنسية:

1. ANT _ FA 1881 _ H_ 0068 _ document N° 225.

2. FA 1881 – H- 0211 _ 0225.

3. FA 1881 _ H_ 0066 _ 0798.

4. FA 1881 _ H_ 0068 _ 0810.

5. FA 1881 _ H_ 0068_ 0813.

6. FA 1881- H- 0223- 0384- 0001.

7. FPC .A. 0277 – 0010.
8. FPC _ A _ 0276 bis – 0001 – 0001.
9. FPC _ A 8 0276 BIS _ 0003 _ 0025.
- 10.FPC- A- 0277-0010.
- 11.FPC_ A_ 0212 _ 0023 _ 0002.
- 12.FR_ RAF_ 2145_ 2145.
- 13.Série A _ Carton 276 _ bis 01 (1885_ 1899) _ doc N° 6.
- 14.Série A _ Carton 276 _ dossier 01 (1885_ 1920)_ doc N° 18.
- 15.Série A _ Carton 276 _ dossier 01 (1885_ 1920)_ doc N° 20.
- 16.Série A _ Carton 276 _ dossier 01 (1885_ 1920)_ doc N°10.
- 17.Série A _ Carton 276 _ dossier 01(1885_ 1920) _ doc N° 21.
- 18.Série A _ Carton 276 _ dossier 01(1885_ 1920) _ doc N 129.
- 19.Série A _ Carton 276 _ dossier 01_ doc N° 19.
- 20.Série A _ Carton 276 _ dossier 01_ doc N°48.

• وثائق باللغة الانجليزية:

1. ANT – FA 1881 – H – 0227 _ 0411 _ 0010 _ 0031.
2. ANT – FA 1881- H – 0211 _ 0225 _ 0016.
3. ANT _ FA 1881 _ H _ 0068 _ doc 276.
4. ANT _ FA 1881 _ H _ 0068 _ n° 223.
5. ANT _ FA 1881 _ H _ 0068 _ n° 277.
6. ANT _ FA 1881 _ H_ 0223_ 0348 bis 0012.
7. ANT 1881 _ H _ 0068 _ 0809_ bis 201 , doc N° 26.
8. ANT_ FA 1881 _ H _ 211 _ 0225_ 0019.
9. ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 14.
- 10.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 15.
- 11.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 15.
12. ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 17.
- 13.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 18.
- 14.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 19.
- 15.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 20.
- 16.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 20.
- 17.ANT_ FA 1881 _ H 0068 _ 0809 bis _ 00201 _ document n 23.
- 18.ATE _ ESP1 _ 4802 _ 0001.

• وثائق باللغة الإيطالية:

1. ESTADO5001BISEXP.13.001 (p3).
2. ESTADO5001BISEXP.13.001 . n°174.
3. H. N. ESTADO. n° 13.

❖ الأرشيف الوطني بقسنطينة:

● سجل الوفيات لسنة 1840م للمحكمة المالكية بقسنطينة.

1. الدفتر رقم 2307.
 2. الدفتر رقم 2984، الدفاتر الإدارية والجبائية، الأرشيف الوطني التونسي.
 3. العقد الأول، ص 52.
 4. العقد الثالث، ص 52.
 5. العقد الثاني، ص 52.
- الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي.
1. التميمي عبد الجليل، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990.
 2. الدفتر 139 من موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي.
 3. العقد الأول ص 29.
 4. العقد الأول، ص 73.
 5. العقد الثالث ص 29 مكرر.
 6. العقد الثاني ص 15.
 7. العقد الثاني ص 29 مكرر.

❖ المصادر باللغة العربية

1. ابن النفيس علي الدين، الصيدلة المجرية، تح: محسن عقيل دار المحجة البيضاء، بيروت، 2002م.
2. ابن الوردي زين الدين، الديوان، تح: أحمد فوزي، دار العلم، الكويت 1986م. 2_ الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ط02، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج01، بيروت 1830م.
3. ابن حمادوش عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والمال، ط01، تق وتحو: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
4. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، تح: حامد أحمد الطاهر، ط01، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004م.
5. أبي السعادات مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط01، 1421هـ/2000م.
6. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج01، ط01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م.
7. أنولاد ديفيد، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، عالم المعرفة، الكويت، 1998م.

8. الأغواطي، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال أفريقيا والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
9. أوصديق الطاهر، ثورة 1871، تر: مسعود جباح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.
10. البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب – هو جزء من كتاب المسالك والممالك – مكتبة المثنى للطباعة والنشر، بغداد(د-ت).
11. برنيان وأ. نوشي، وإ. لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
12. بن العطار الحاج أحمد بن المبارك (1790-1870م)، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، طبعة جديدة، قسنطينة- الجزائر- 2011م.
13. التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، تقديم: محمد بن عبد الكريم، ارتياد الآفاق، الجزائر، 1968م.
14. التمكروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية (1589)، تقديم وتعليق: محمد الصالحي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2007م.
15. جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصرة- الغزو وبدايات الاستعمار (1827- 1871م)، تر: المعهد العربي العالي للترجمة، مج01، ط01، دار الأمة، الجزائر، 2008م.
16. جونفريد روبرت، الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، تر: أبو أدهم عبادة كحيل، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017م.
17. خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبير، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
18. الدرقاوي أبو عبد الله محمد العربي، بشور الهدية في مذهب الصوفية- المعروف برسائل مولاي العربي الدرقاوي، ط01، المكتبة المصرية، بيروت، 2004.
19. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط 01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
20. الزهار احمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168_هـ/1246-1754-1830م، تق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

21. الزياتي محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،
تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،
2013م.
22. سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار
القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.
23. السخاوي شمس الدين، وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام، ج01، تح:
بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت 1995م.
24. شالر وليام، مذكرات وليام شالر، تعريب وتعليق وتحقيق: اسماعيل العربي،
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
25. شونبيرغ أف، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ط01، ترجمة: أبو
العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، 2004م.
26. الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر، تق وتح وتغ: ناصر
الدين سعيديوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.
27. العسقلاني الحافظ بن حجر، نذل الماعون في فضل الطاعون: تح: أحمد عصام
الكاتب، دار العاصمة، الرياض، السعودية.
28. العنتري محمد بن الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة،
واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتقديم: يحي بوعزيز، ديوان
المطبوعات الجامعية، الجزائر.
29. فايز سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر تق وتح: أبو العيد
دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
30. فايسست أوجين تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1873م)، تر:
طالح نور، عبد الرحمن شيبان، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ-2010م.
31. فنري لويسات، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر، 1790-1830، ترجمة:
حمادي الساحلي، ط01، دار الحقيقة للنشر، بيروت.
32. كاتكارت جيمس، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر،
تق، تع: اسماعيل العربي، (د، م، ج) الجزائر، 1982م.
33. مجهول(دت)، تاريخ بايات قسنطينة، المرحلة الأخيرة، تحقيق حساني مختار،
دط، الجزائر، مطبعة دحلب.
34. المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب – أخبار الأندلس،-،
ج02، مكتبة صادر، بيروت، 2016م.
35. المزارى الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا
وفرنسا، ج01، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط01، دار الغرب الاسلامي، لبنان،
1990.

37. المقريري تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط01، ج04، دار الكتب العلمية للطبع والنشر، بيروت، 1418هـ-1997م.
38. المليي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد المليي، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.س).
39. هابنسترايت ج. أو. ، رحلة العالم الألماني :ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/1732م)، تر وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م.
40. الهذلي أبو ذؤيب، ديوان أبو ذؤيب الهذلي، تحقيق وشرح أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003م.
41. الهواري عدي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكير الاقتصادي الاجتماعي 1830-1960م، ترجمة: جوزف عبد الله، ط01، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983.
42. ولد خليفة محمد العربي، المحنة الكبرى، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
43. وولف جون، الجزائر وأوربا 1500-1830م، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م.
- ❖ المصادر باللغة الأجنبية:

1. Venture de paradis . Alger au XVIII eme Siecle. 2 ° E dition .
editions Bouslama _ Tunis.

❖ المراجع باللغة العربية

1. ابن الخطيب، مقتعة المسائل عن المرض الهائل، منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت-ألمانيا- 1417هـ/1997م.
2. أبو العينين حسن سيد أحمد، أصول الجيومورفولوجيا- دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، ط1، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
3. أبو عواد ابراهيم، المرجع السهل في علوم الأرض والبيئة، دار البازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2007 م.
4. أمين محمد، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، د.ط، مطبعة أنفو، فاس، 2011م.
5. ايشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصة للنشر، الجزائر
6. 2007.
7. أجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج01، نقله الى العربية م. حاج مسعود وأ. بكلي، الجزائر، 2007م.
7. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، مطبعة دحلب، دت.
8. بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م، ج01، ط01، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
9. بن سعدي سمير، المختصر في تاريخ زمورة، مطبعة زعياش، بوزريعة، الجزائر، 2013م.
10. بوتشيش ابراهيم، ظاهرة الدين والسلف في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط-أساليب التعامل والاشكاليات المطروحة ضمن حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الاسلامي، ط01، دار الطليعة، بيروت، 2006م.
11. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962م، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت(لبنان)، 1997م.
12. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1980م.
13. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، د.ط، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
14. بوعزيز يحيى، ثورة 1871م- دور عائلي المقراني والحداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.
15. بوعزيز يحيى، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ضمن كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1999).

16. بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
17. بوعزيز يحيى، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
18. بوعزيز يحيى، موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، الجزائر.
19. البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوكيات وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-6/8-12-14م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط01، أغسطس 2008م، بيروت.
20. الجوهري أبو نصر اسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص 1224.
21. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط03، ديوان المطبوعات الجامعية، ج03، الجزائر 1994م.
22. حبيدة محمد، بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات، ط02، دار الأمان، المغرب، 2016م.
23. حسين بوجرة، الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350م-1800م)، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 2011م.
24. حليمي عبد القادر علي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط01، دار الفكر الإسلامي، الجزائر 1982م.
25. خالد بن سليمان بن سالم الخروصي، الطبوغرافيا وتطور علم الخرائط - قراءة الخرائط والملاحة الأرضية، ط01، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 2006.
26. خوجلي مصطفى محمد، مقدمة في دراسة الكوارث التصحر والجفاف والاحتباس الحراري والفيضانات والزلازل، مطبعة جامعة إفريقيا، السودان، 2012م.
27. خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، منشورات ANEP، دب، د.س.
28. رشدي راسم، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط01، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 1953م.
29. رويان بوجمعة، الطاعون الزهري بالمغرب خلال عهد الحماية 1912-1938م- المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب-، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2011م.

30. الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
31. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ط منفحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م.
32. زوليخة اسماعيلي، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ الى الاستقلال، ط01، دار الدزاير إيفو، الجزائر 2013.
33. ساراتشي رودوفو، علم الأوبئة، ط01، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2021م.
34. سعد الله ابو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج01، ط4، الغرب الاسلامي، بيروت، 1996.
35. سعد الله ابو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج01، دار البصائر، الجزائر، 1992م.
36. سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط01، ج01، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998م.
37. سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة حتى 1954م، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
38. سعيدوني ناصر الدين والشيخ البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
39. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.
40. سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر(دار السلطان آواخر العهد العثماني 1791-1830م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
41. سعيدوني ناصر الدين، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، د.س.
42. سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2011م.
43. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط02، دار البصائر، الجزائر، د.س.
44. سليمان عبد العزيز نوار ونعني عبد المجيد، التاريخ المعاصر لأوربا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1973م.
45. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، دار الكتاب العربي، ط01، الجزائر 2009م.

46. شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعواما انهياره (1800-1830م)، دار الكتاب العربي، ط01، 2011م، الجزائر.
47. صحراوي عبد القادر، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830م، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م.
48. العامري نللي سلامة الولاية والمجتمع، مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لأفريقية في العهد الحفصي، ط02، دار الفارابي، بيروت، 2006م.
49. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر 2012م.
50. عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
51. عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة- دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للنشر، دس.
52. عسقلان فادي حسين، إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية، ط01، دار المعتز للنشر والتوزيع، 2015، الأردن.
53. العسلي بسام، محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، ط01، (1982)، ط03 (1990م)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت.
54. عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، (دط)، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
55. علي ابراهيم، جغرافية المدن- دراسة منهجية تطبيقية-، (دط)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، 2008م.
56. الغربي الغالي، العدوان الفرنسي على الجزائر- الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
57. الفرقان الحسين، مفهوم الوباء عند الاخباريين المغاربة في القرن التاسع عشر، دار المنظومة، الرباط، 2002م.
58. الأزرق مغنية، نشوء الطبقات في الجزائر دراسة في الاستعمار والتغيير الاجتماعي السياسي، ترجمة: سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1980.
58. فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، ط01، بصائر للنشر والتوزيع، 2013م.
59. فركوس صالح، شهادة ايداع مشروع بحث في إطار البرنامج الوطني للبحث- التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري، قالمة، 2010م.

60. فيلالي عبد العزيز ولعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للنشر، دس.
61. قارة مبروك بن صالح، مسار المدن والعمران بالجزائر، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية الاعلامية، ط01، الجزائر، 2017م.
62. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، (دط)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، وحدة الطباعة بالروبية، الجزائر، 1994م.
63. لونيبي رابح، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، (د.ت).
64. الماجري عبد الكريم، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغربية الجاونة إلى تونس 1831-1937م، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط01، 2010.
65. ماكمان محمد، الرحلات المغربية ق 11-17/12-18م، ط01، مطبعة الأمنية، الرباط، 2014م.
66. محب قربة جهاد، الخصائص الديناميكية للجفاف في العالم وأساسيات التصدم، جامعة أم القرى، دس.
67. المحلي جلال الدين والسيوطي جلال الدين، تفسير الامامين الجلالين، (د. ط)، دار المعرفة، بيروت (د.ت).
68. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، المكتبة الجامعية المركزية، ط01، دمشق 1969.
69. محمد صبري محسوب، الجغرافيا والطبيعة أسس ومفاهيم حديثة، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مصر 1996م.
70. محمد عليش، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، ط01، مطبعة بولاق، مصر، 1301هـ.
71. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دس.
72. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دس.
73. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، دار المعارف، الجزائر، (د.ت).
74. المدني أحمد توفيق، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
75. مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني- العملة - الأسعار- المداخل، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2009م.
76. مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر (1830-1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.م)، 2014.

77. المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة والأسعار والمداخل)، (د.ط)، دار القصبه للنشر، ج01، الجزائر، 2009م.
78. موسى عزّ الدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط01، دار الشروق، بيروت، 1983م.
79. الميلّي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلّي، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.س).
80. هلال عمار، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 - 1918م)، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2007م.
81. صاري الجيلالي وقداش محفوظ، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954م، ترجمة: عبد القادر بن حرات، م. و.ك، الجزائر، 1987م.
82. الطبراني، الروض الداني، تح: محمد شكور، محمود الحاج أمرير، ط01، بيروت.
83. هلايلي حنفي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الايالة (1518-1830م)، ط01، دار الهدى، 1428هـ-2007م، الجزائر.
84. الويسي هدى محمد حسين، الهزات الأرضية في بلاد الشام القرنين (6-12/هـ-13 م)، ط01، دار العالم العربي، 2008 م، القاهرة.
85. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، ج2، الجزائر، 2009م.

❖ المراجع باللغة الفرنسية:

1. A.Amina Abd essamed- Foufa and D. Benouar: **Atlas of Earthquake- Resistant Traditional Techniques.**
 - a. Abbé Burzet. **Histoire des désastres de l' Algérie.** 1866- 1867-1868. Sauterelle. Tremblement de terre. Choléra.Famine.1869
2. Ali Tablit ,Mohamed Ben Larbey Seguir, **La Médecine Arab en Alger .**2012.
3. -boutin vincent _ yves: **Dépôt de la guerre:Aperçu historique , statistique et topographique sur l'étât d'Alger à l'usage de la l'armée expéditionnaire d'Afrique,**3 editions,ch,picquet paris, 1830..
4. Daniel Panza,"**La peste est une constante de l'Algérie Ottamane**",**La peste dans lémpire ottoman 1700-1850**, Edition peeters louvain 1985.
5. Jean Joseph Marie TREMSAL, **Un siècle de médecine colonial française en Algérie 1830- 1929**,Tunis, imp.Général.J,Barlier et C ie,1928.
6. J-L.G.Guyon :**Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les plus reculés jusqua a nos jours.** Imprimerie du gouvernement. 1855.

7. L'Abbé, Burzet, Histoire de désaster de l'Algérie contemporaine.(paris 1964). ANEP, Alger, 2000.

8. Pierre Laporte (Jean) ,Peuplement et catastrophes naturelles dans L'Afrique de nord anciennes, dans le Maghreb antique et médiéval actes du troisième colloque international,(souse,05-06 et 07 Mai 2016.

9. -Pietra Santa .Du climat d'Alger dans les Affection de la poitrine.J.B.Bailliere et fils.paris.1860.

10. Vital :climat et météorologie,Gazett médicale de l'Algérie,Directeur Dr eE.l Bertherand éditeur J.B.Bailliére,paris,année 23.N°,1879.

11. YvonneTurin .Affrontements cultur elsdansl'Agérie ،coloniale:écoles.médecines.religion.1830-1880،François Maspero imprimerie. Paris، 1971.

❖ قائمة المجلات باللغتين العربية

1. ابرير حمودي، الهوية الوطنية الجزائرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية في عهد نابليون الثالث 1852-1870م، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج06، العدد01، الجزائر، 2021م.

2. الأحمد سهيل، التدابير الشرعية المتعلقة بالنظافة والطهارة لحماية الانسان من الأمراض

3. اخلف زينب، الطب الشعبي في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط " إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة"، مجلة رفوف، مج 10، العدد 2، جويلية 2022م، الجزائر.

4. آل الشيخ سعاد، الأوضاع الصحية وانعكاساتها على المجتمع الريفي اجتماعيا واقتصاديا بالجزائر العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، المجلد التاسع، العدد الأول، صفر 1443هـ/سبتمبر 2021م.

5. آل سيد الشيخ سعاد، الأوضاع الصحية وانعكاساتها على المجتمع الريفي اجتماعيا واقتصاديا بالجزائر العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، المجلد 09، العدد 01، صفر 1443هـ/2021م.

6. أمير يوسف، الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة القضايا التاريخية، مج 01، ع01، المدرسة العليا للأساتذة د.س.

7. أمير يوسف، الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة قضايا تاريخية، مج01، ع01، الجزائر، 2016م.

8. أنكادري يوسف و المودان نور الدين، مفاهيم ديمغرافية –الحدث الديمغرافي والظاهرة الديمغرافية- مجلة كنانيش، العدد 03،

9. باقر جمال وجاسم حيدر محمد جواد، إدارة الكوارث الفيضانات والسيول في منطقة بحر النجف، مجلة البحوث الجغرافية، العدد27، بغداد، د.س.

10. بلاغ عبد الرحمن، الوضع الثقافي في الجزائر خلال القرن 19م في سياق السياسة الاستعمارية، مجلة البدر، مج03، العدد 9، الجزائر، 2011م.
11. بلعزوز العربي، السياسة الاستعمارية في الجزائر وأثرها على تطور الهجرة الأوربية بها (1830-1900م)، مجلة عصور جديدة، العدد 7-8، الجزائر، 2012، 2013م.
12. بلعزوز العربي، تأثير الحملة التنصيرية على اليتامي الجزائريين خلال مجاعات 1867-1868م "منطقة الشلف أنموذجاً"، مجلة عصور جديدة، مج09، ع01، الجزائر، 2019م.
13. بلمداني نوال، الكوارث الطبيعية وتأثيراتها في الحيوانات خلال القرنين (4-5هـ / 9-10م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد 04، 2013، الجزائر.
14. بلهوارى فاطمة، وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي- المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 6، العدد 7، جوان 2010، الجزائر.
15. بن الشيخ حكيم، المشروع التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر من خلال كتاب: بول ريمبو، الوجوه البارزة لمنوية احتلال الجزائر من 1830-1930، مجلة دراسات وأبحاث، مج10، ع 04، الجزائر، 2018م.
16. بن جبور محمد، الوضع الصحي بالجزائر في أواخر العهد العثماني، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 07، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013م.
17. بن داهة، عدة السرعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 03، ديسمبر 2008م.
18. بن صحراوي كمال، مراجعة 1868م بالجزائر من خلال نصوص محلية وأخرى فرنسية، عصور جديدة، مج07، ع26، الجزائر، 2016-2017.
19. بن عمارة زوينة و ابراهيم لونيبي، الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين 1841-1847م، مجلة الإحياء، مج22، ع30، الجزائر، 2022م.
20. بن فاطمة سامية، الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م- قراءة في الأسباب والدوافع، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 27، الجزائر، 2017م.
21. بن فاطمة سامية، الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، مجلة العلوم الاجتماعية، مج11، ع27، الجزائر، 2017م.

22. بن موسى حمادي، الضرائب والغرامات في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1850-1900م)، مجلة الحقيقة، العدد 36، مج15، الجزائر، 2016م.
23. بن موسى حمادي، مشكلة ملكية الأرض في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1850-1900م)، المجلة التاريخية الجزائرية، مج06، العدد01، الجزائر، 2022م.
24. بوبكر هشام وعياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية (دراسة سوسيو- تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري)، مجلة آفاق للعلوم، العدد 07، مارس 2017م.
25. بوتشيثة عبد القادر، لافيجري و التنصير في الجزائر: ضخامة الامكانيات والجهود وضالة النتائج والمردود قرى العرب النصارى أنموذجا، مجلة آفاق علمية، مج11، ع02، الجزائر، 2019م.
26. بودلاعة رياض، السياسة المالية الفرنسية في الجزائر (1830-1962م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع02، مج07، الجزائر، 2021م.
27. بورغدة رمضان، مصادرة الأراضي والضرائب والغرامات وأثرها على المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي خلال النصف الثاني من القرن 19، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، مج02، ع02، الجزائر، 2008م.
28. بوعزيز يحي، المجاعات بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن التاسع عشر ومواقف وآراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها، مجلة الأصالة، العدد 26-40، الجزائر، 1976م.
29. بوعزيز يحي، طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، العدد 59، الجزائر، 1980م.
30. بوعلام بلقاسمي، خصائص ومميزات ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة عصور جديدة، مج01، ع01، الجزائر، 2002م.
31. بولغيث محمد الصديق وحمدادو بن عمر، المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي في بايلك الغرب الجزائري في أواخر القرن الثامن عشر، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11، العدد01، مارس 1442هـ/2021م.
32. جغني زينب، ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807)، مجلة العصور الجديدة، العدد 18، 1436هـ_2015م.
33. جمال عطابي و ابراهيم لونييسي، موقف الجزائريين من السياسة الاستعمارية اتجاه مصادرة الأوقاف، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، مج11، العدد 02، الجزائر، 2021م.

34. حبيرة محي الدين، التأمين على الكوارث الطبيعية في الجزائر- فعل اقتصادي لعقلنة التضامن وترشيد الموارد، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 33، جوان 2010.
35. حران العربي وعويسي خيرة، مقاربة نظرية حول الطب الشعبي في الجزائر بين احتواء النموذج الثقافي ونمط الحياة الاجتماعية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 12، العدد 01، الجزائر، 2020م.
36. حساني حسين، إدارة خطر الكوارث الطبيعية في الجزائر الواقع والأفاق، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاقتصادية والقانونية، العدد 11، جانفي 2014.
37. حساين عبد الكريم، الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية المؤثرة في النشاط الزراعي خلال العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مج 11، العدد 03، ديسمبر 2020م، الجزائر.
38. حساين عبد الكريم، الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية المؤثرة في النشاط الزراعي خلال العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مج 11، العدد 03، ديسمبر 2020م.
39. خطابي صادق، جرائم الاستعمار الفرنسي ضد مقومات المجتمع الجزائري (السياسة الفرنسية ضد اللغة والدين والتعليم من 1870 - 1914م)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 10، ع 02، الجزائر، 2022م.
40. حمدادو بن عمر، ظاهرة الأوبئة والأمراض بالجزائر من خلال كتاب " أقوال المطاعين في الطعن والطواعين لأبي حامد العربي المشرفي"، عصور جديدة، العدد 37.
41. خيراني صلاح، الحجر الصحي- الكرنطينا- في مواجهة الأمراض والأوبئة بالدولة العثمانية (1831 - 1923م)، مجلة آفاق فكرية، مج 09، العدد 02، الجزائر، 2021م.
42. دحماني توفيق، الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، مج 05، ع 02، الجزائر، 2009م.
43. دحماني توفيق، نظرات على الضرائب في الجزائر " العهد العثماني- الأمير عبد القادر- الاحتلال الفرنسي حتى 1914م، مجلة مصادر، مج 10، ع 02، الجزائر، 2008م.
44. الدسوقي رمزي عبد الرحيم، ال جراد، مجلة العلوم التقنية، العدد 32، مارس 1995م، الرياض.
45. دغموش كاميليا و حمدادو بن عمر، الوضع الصحي والمعيشي لبايلك الغرب الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 10، العدد 02، جوان 2019م.

46. دويذة نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات، المجلد 19، العدد 68، الجزائر، 2015م.
47. الريح علي عبد الرحمن، دراسة جيومورفولوجية خور أبو فارغة ولاية القصارف شرق السودان وأثر ذلك على فيضانات الخور، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، فيفري، 2018م.
48. زاوي نبيل وولد النبية كريم، فشل الاستعمار في نشر التعليم التبشيري في الجزائر (1867-1904م)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 14، ع 01، الجزائر، 2022م.
49. زايدي عز الدين، الجزائريون والأوضاع الصحية الجديدة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 07، العدد 01، جوان 2021م.
50. الزين محمد، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، 2012م، الجزائر.
51. سعيداني محفوظ، التجارة بأقطار المغرب العربي في العهد العثماني ما بين القرنين 18-19م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 05، العدد 02، الجزائر.
52. سعيدوني ناصر الدين، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، العددان 39-40، ديسمبر 1985م.
53. سعيدوني ناصر الدين، ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، مجلة الثقافة، العدد 1، 78، ديسمبر 1983.
54. سعيدوني ناصر الدين، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، 1415هـ/ 1995م.
55. سعيدوني ناصر الدين، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، مج 06، ع 01، الجزائر، 1995م.
56. سلاماني عبد القادر، سياسة الأرض المحروقة وأثرها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر 1830-1847م، مجلة دراسات، مج 07، العدد 03، الجزائر، 2018م.
57. سيدي محمد رامي، دور الاستعمار الفرنسي في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال القرن 19م، مجلة عصور جديدة، مج 10، ع 04، الجزائر، 2020م.
58. شافو رضوان و لمقدم عمر، نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 01، ع 01، الجزائر، جوان 2017م.

59. شريخي نبيل، موقف مجتمع المغرب الأوسط من المجاعات والأوبئة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15) من خلال النصوص النوازلية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 01، جامعة سيدي بلعباس، أفريل، 2021م.
60. صاحب منعم أسامة، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الفرنسية(1830-1962م) ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مج 04، ع03، العراق.
61. صحراوي عبد القادر، مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين Louis Rinn في ضوء المجلة الافريقية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11- 12، الجزائر، 2016م.
62. صندوق ستي، مكانة الثروة الحيوانية والنباتية في التعاملات التجارية قديما، مجلة عصور جديدة، العدد 16- 17، 2014-2015م.
63. طوبال نجوى، قراءة في التطور الديمغرافي لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 03، العدد 01، مارس 2021.
64. طيطوش حدة، الكاردينال لافيغري وأبعاد مهمته التبشيرية الجزائر 1867 – 1880م، مجلة مدارات تاريخية، مج 01، ع3، الجزائر، 2019م.
65. عادل شيهب، الدعاة أسبابها وتمظهراتها في المجتمع الجزائري، المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، مج 03، العدد 04، الجزائر، 2010م.
66. عاشور محفوظ، مرض الملاريا وتأسيس معهد باستور في الجزائر، مجلة عصور، مج 21، ع01، الجزائر، 2022م.
67. عبابو فاطمة و مسعودي مو الخير، الدعاة الخفية لدى الفتاة في المجتمع الجزائري، مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية، مج 10، ع01، الجزائر، 2021م.
68. عباس رشيد، النظام الغذائي زمن المجاعات والأوبئة، مجلة البحوث والدراسات التاريخية، مج 4، ع 8، الجزائر، الجزائر، 2018م.
69. عبو إبراهيم ، الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، مجلة متون، مج 9، ع04، الجزائر، 2016م.
70. عبيد مصطفى، دراسة في رسالة الامبراطور نابليون الثالث الى المارشال بيليسي بتاريخ 06 فيفري 1863م، مجلة المصادر، مج 14، ع 01، الجزائر، 2012م.
- a. عزة احمد عبد الله، إدارة الكوارث الطبيعية مع تطبيقات على الزلازل والسيول، مجلة كلية التدريب والتنمية، أكاديمية مبارك للأمن، جامعة الزقازيق، العدد 09، مصر، 2003م .
71. عزة أحمد عبد الله، أساليب مواجهة الكوارث الطبيعية، مجلة مركز بحوث الشرطة، أكاديمية مبارك للأمن، العدد 21، 2002م.

72. علامة صليحة، تاريخ الأوبئة في الجزائر(الطاعون، الجذري، التيفوس، الملاريا)، مجلة القرطاس، العدد الثاني، جانفي 2015م، الجزائر.
73. عليش حبيبة، الحجر الصحي في الجزائر إبان الفترة العثمانية(926-1246هـ/1519-1830م)، مجلة التاريخ المتوسطي، مج4، العدد01، الجزائر، جوان 2022م.
74. العمراني محمد، صورة من تداعيات المجاعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي بالمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12، ع01، أبريل 2021م.
75. العمري عبد الله محمد، الكوارث الطبيعية، مجلة العلوم والتقنية، العدد 32، الرياض، شوال 1415هـ/ مارس 1995م.
76. عميرايي أحميدة، وثيقة نادرة عن المؤسسات الثقافية لمدينة قسنطينة في بداية الاحتلال، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 87-88، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان(تونس)، ماي 1997م.
77. عيساوي محمد، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (07/09هـ/13م/15م)، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 2، العدد2، الجزائر، 2018م.
78. عيساوي محمد، الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (07-09هـ/13-15م)، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 02، ع02، ديسمبر 2018م.
79. غالم محمد، ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين (الذاكرة والتاريخ)، مجلة إنسانيات، العدد 03، شتاء 1997م.
80. غضبان شادي، العمارة المحلية جذور وآفاق، مجلة عالم البناء، العدد 69، القاهرة، 1986م.
81. غطّاس عائشة، من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة إنسانيات، العدد 19_2003 م.
82. فريال يحيوي ومحمد مجاود، تداعيات تطبيق قانون السيناتوس كونسلت العقاري 22 أبريل 1863م على منطقة الجلفة، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع02، مج13، الجزائر، 2021م.
83. فكري محمد عصام، الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، المجلد 02، العدد 3، الكويت، 1971م.
84. القادري بوتشيش ابراهيم و عبد الهادي البياض، ثقافة الطعام وتنوع خطباتها في زمن المجاعات بالمغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ/12-14، مجلة عصور جديدة، ع08، وهران، 2013م.

85. قبال مراد، مدينة البليدة خلال العهد العثماني (1518-1830م)، مجلة الرواق، العدد 03، جوان 2016م، الجزائر.
86. القشاعي فلة موساوي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدّته وطرق انتقاله، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 01، العدد 01، الجزائر، 2001م.
87. القضاة أحمد حامد ابراهيم، الكوارث الطبيعية في إمارة شرقي الأردن- الجراد كحالة- (1828-1930م)، دراسة وثائقية تاريخية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 11، العدد 02، 2017م.
88. قن محمد، بعض المعالم الحضارية لمدينة الجزائر قبيل 1830م، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 14، العدد 01، الجزائر، جانفي 2022م.
89. قندوز عبد القادر، الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني، المجلة الخلدونية، المجلد 07، العدد 04، الجزائر، 2014م.
90. كعوان فارس، أزمة التغذية وتغذية الأزمة في الجزائر سنتي 1867-1868م في ضوء بعض الوثائق والمصادر المحلية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 03، ع 01، الجزائر، جوان، 2019م.
91. الكيلاني زيد، سري تدابير رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، مجلة دراسات علوم التشريع والقانون، المجلد 41، العدد 02، 2014م.
92. لزغم فوزية، الأطباء الأوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور، المجلد 12، العدد 02، الجزائر، 2013.
93. لهلالي سلوى، السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه التعليم في الجزائر نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 04، العدد 07، الجزائر، 2013م.
94. لونيس محمد، أهمية الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي في الوقاية من الأمراض المعدية، مجلة التمكين الاجتماعي، مج 02، العدد 02، الجزائر، جوان 2020م.
95. لونيسي ابراهيم، مجاعة 1866-1868م في الجزائر من خلال جريدة المبرشر الاستعمارية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 08، العدد 01، الجزائر، جوان 2022م.
96. مباركي نادية، إطلالة تاريخية على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقها المائية خلال العهد العثماني- على ضوء مصادر غربية ووثائق محلية من الرصيد العثماني، مجلة دراسات تراثية، مج 07، ع 01، الجزائر، 2017.
97. محدي محمد، ثورة المقراني بمجانة في الشرق الجزائري سنة 1871م: ثورة للمال أم للمال، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج 17، ع 01، الجزائر، 2021م.

98. مختاري الطيب، مواقف الجزائريين من السياسة الاستعمارية (العقارية) عقب مجاعة 1867م، مجلة الانسان والمجال، مج08، العدد01، الجزائر، 2022م.
99. مزهورة صالح، طبيعة النظام الضريبي للحكومة العامة الجزائرية 1845-1901م، مجلة البحوث التاريخية، العدد01، مج06، الجزائر، 2022م.
100. مسعودي فتيحة وبن عتو حمدون وفارس العيد، المجاعات بين الآفات السماوية والعوامل البشرية في الجزائر- من مطلع القرن الثامن عشر الى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية الجزائرية، مج06، العدد01، الجزائر، 2022م.
101. المشهداني مؤيد محمود حمد وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج05، ع16، نيسان 2013م.
102. مصطفى أمال، الحج والوباء خلال القرنين 18 و19م- تونس أنموذجاً- المجلة التاريخية المغاربية، العدد162، تونس، 2016م.
103. معيوف جلال الدين وعبد القادر برطال، أثر الأمراض المعدية وغير المعدية على عقد الزواج، مجلة العلوم الاسلامية، مج04، العدد01، الجزائر، جوان 2022م.
104. موالكية نجمة، الوقاية من الأمراض المعدية والأوبئة في السنة النبوية، مجلة المعيار، مج25، العدد60، الجزائر، 2021م.
105. ناصر نجاة، الطب الشعبي في المجتمع الجزائري، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج10، ع02، الجزائر، 2014م.
106. نفطي وافية، مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة آفاق فكرية، مج05، العدد10، ماي 2019، الجزائر.
107. هجالة خيرة المهدي، سياسة الفرنسة في الجزائر 1830-1962م، مجلة الإحياء، مج21، العدد29، الجزائر، 2021.
108. هلايلي حنفي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، المجلد21، العدد01، الجزائر، 2006م.
109. هلايلي حنفي، الظروف التاريخية الممهدة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الاستعمارية، مجلة الحوار المتوسطي، ع08، جامعة سيدي بلعباس، 2016.
110. وادفلي ياسين، الأمراض والأوبئة بمنطقة الأوراس خلال الاستعمار الفرنسي 1844-1900م، مجلة الإحياء، مج22، ع31، الجزائر، 2022م.

111. وشن مزيان، سياسة الهجرة والتهجير أسلوب استعماري في الجزائر، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج3، العدد 06، الجزائر، 2012م.
112. وقادّ محمد، ظاهرة التهرب الضريبي والتمرد ضدّ السياسة الجبائية العثمانية في الجزائر أواخر العهد العثماني (1700-1830م)، مجلة الابراهيمية للأداب والعلوم الإنسانية، المجلد02، العدد 01، جانفي 2021م، الجزائر.
113. يوسف صرهودة، سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيالة الجزائر خلال القرن 18-19م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج06، ع 01، الجزائر، 2022م.
- ❖ المقالات باللغة الفرنسية:

1. Salvatore Speziale. **Au Dela De Peste: Problemes Methodologiques et Resultats Demographiques Dans L'Etude De La peste en Afrique Medtterraneenne**, Département d'Histoire et Sciences Sociales Université de Messine, Revue D'Histoire Maghrebine, N°121, Mars 2006.

❖ قائمة المقالات والمنشورات:

2. ابن الخطيب، مقتعة المسائل عن المرض الهائل، منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت-ألمانيا- 1417هـ/1997م.
3. إمام محمد مسعد، الايكولوجيا والأمراض بالمجتمعات الحدودية الإفريقية "دراسة في الأنثروبولوجيا الطبية"، المؤتمر الدولي بعنوان: الأوبئة والمجاعات في الوطن العربي عبر العصور، ج01، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م.
4. بخدة الطاهر، مجاعات القرنين 4-5هـ / 10-11م في الغرب الاسلامي بين آفات الطبيعة وعمل الانسان، المؤتمر الدولي بعنوان، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
5. براهيم محمد، تاريخ الأمراض والمجاعات في الجزائر وسبل الوقاية منها (1939-1949م)، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
6. برجى جمال، وباء الكوليرا في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، مؤتمر دولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية – برلين- ألمانيا، 2021م.
7. برنو توفيق، وباء الكوليرا في الجزائر من خلال تقرير الطبيب الفرنسي بارتراند سنة 1852م، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة عبر العصور،

- ج02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
8. بستي محمد ومسعودي أمينة، الأوبئة والأمراض في الجزائر خلال القرن التاسع عشر (طبيعتها- تأثيرها وطرق الوقاية منها)، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج2، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية – برلين- ألمانيا، 2021م.
9. بعكاك نور الدين، المجاعات والأوبئة في تلمسان الزيانية من خلال النوازل الفقهية، المؤتمر الدولي بعنوان: الأوبئة والمجاعات في الوطن العربي عبر العصور، ج01 المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م.
10. بكري حمزة ومحمد الصديق بولغيث، التطور الكرونولوجي للمجاعات والأوبئة في الجزائر العثمانية أواخر القرن 18م وانعكاساتها ديمغرافيا "بايلك الغرب أنموذجاً"، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية – برلين- ألمانيا، 2021م.
11. بلعربي خالد، المجاعات والأوبئة وآثارهما على مجتمع المغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15)، المؤتمر الدولي بعنوان، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
12. بن خيرة رقية، أثر الأوبئة والمجاعات على السلوك الغذائي بالمجتمع الأندلسي خلال القرنين (6-8هـ / 12-14) - دراسة في المواقف الذهنية والممارسات الاجتماعية، المؤتمر الدولي بعنوان، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
13. بن دراجي بشرى، العلاقة بين المناخ والأوبئة وآثارها على الحياة في مصر المملوكية، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
14. بن مصطفى دريس، رواية الطاعون لألبير كامو أنموذجاً، المؤتمر الدولي بعنوان المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م.

15. بوراس محمد، المجاعة السوداء بالغرب الجزائري (1866-1868م)-العوامل، الوقائع، الآثار، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي المعاصر، ج02، اصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
16. بوزياني زبيدة وآخرون، السلوك الانساني في زمن المجاعات والأوبئة، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
17. بولقطيب الحسن، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
18. التادلي يوسف بن يحيى، التشوف الر رجال التصوف، تحقيق: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب (جامعة محمد الخامس) ، ط02، الرباط، 1997م.
19. التازي عبد الهادي، ظاهرة التعاون في التاريخ الدولي للمغرب "الجراد"، مقال ضمن الكوارث الطبيعية - آفة الجراد، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1989م.
20. تلي رفيق، المجاعات والأوبئة دراسة في الدلالة والمفهوم، المؤتمر الدولي العلمي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م.
21. خباشة سارة وزروق فاروق، المناخ الطبيعي للجزائر وأثره في انتشار الأوبئة والأمراض خلال القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، اصدارات لمركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، برلين- ألمانيا، 2021م.
22. رويان بوجمعة، الطاعون الزهري بالمغرب خلال عهد الحماية 1912-1938م- المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2011م.
- زروقي الميلود، نمذجة فيضانات واد كرد: نموذج مدينة الدريوش من خلال استعمال ARC_ GIS_ GEORAS_HFC، الندوة الدولية الثالثة لمستخدمي نظم المعلومات الجغرافية، وجدة، 2016م.
23. سالك أحمد أمين ورقيق خالد، وباء الطاعون في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، المؤتمر الدولي العلمي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، اصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.

24. السلاوي سماح عبد المنعم، سلوكيات وأخلاقيات المجتمع المصري تجاه المجاعات والأوبئة عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م)، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج02، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
25. سليم بلوج، الأوبئة والمجاعات الفتاكة في الجزائر خلال الفترة العثمانية 1917م، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج02، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2021م.
26. سليمان عبد العليم سعد وسعودي عبد الوهاب سيد، دراسة حول القوارض (تصنيفاتها- صفاتها المورفولوجية- سلوكياتها- مكافحتها)، منشورات قسم وقاية النبات، كلية الزراعة، جامعة أسيوط، مصر، 2017.
27. الشمري غازي ويايوش جعفر، ابن زهر دراسة في الكتابة والتطبيب، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، 2013م.
28. طيبي عبد العال، أثر الأوبئة والكوارث في طبائع وسلوك الانسان في مغرب العصر الوسيط، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
29. عرايبي مليكة، دور القوى الفاعلة في المجتمع الجزائري في مواجهة المجاعات خلال العهد العثماني، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.
30. الغربي الغالي، العدوان الفرنسي على الجزائر- الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
31. قائمة المؤتمرات
32. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، (دط)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، وحدة الطباعة بالروبية، الجزائر، 1994م.
33. كيداني فؤاد، المجاعة وانتشار الأمراض- معالم المأساة الانسانية بالجزائر 1866-1868م من خلال الكتابات الأجنبية، المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01، اصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية – برلين- ألمانيا، 2021م.
34. محروق اسماعيل، الطاعون الجارف وأثره على الحياة الفكرية في بلاد المغرب الاسلامي، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج01،

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م.

35. محياوي رحيم، **الاستيطان والتوطين**، (الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين)، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة.

36. مشوشة سمية، **الاسطوغرافيا التاريخية تؤرخ للحالات الوبائية ببلاد المغرب خلال القرن 18م- الرحلات أنموذجا**، مؤتمر دولي بعنوان: **المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور**، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021م.

37. معطا الله عزيزة وبوشريشة حياة، **الأوبئة وتأثيرها على مجتمع بايلك الشرق الجزائري- وباء الطاعون أنموذجا**، مؤتمر دولي بعنوان **المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور**، ج02، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية – برلين- ألمانيا، 2021م.

38. موساوي مجدوب، **الطاعون في الجزائر خلال الفترة العثمانية دراسة في الدوافع والانعكاسات**، ج01، المؤتمر الدولي الافتراضي بعنوان: **المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور** تحت اشراف رفيق تلي، المركز الديمقراطي العربي – ألمانيا.

الندوات:

39. نمير عقيل لطف الله، **تاريخ الجزائر الحديث**، منشورات جامعة دمشق، 1435هـ-2014م.

40. نميش سميرة، **الجوائح والأوبئة بالدولة الزيانية- قراءة في الأسباب والنتائج - المؤتمر الدولي بعنوان: المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور**، ج01، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية- برلين- ألمانيا، 2021م.

❖ الرسائل والأطروحات:

• أطروحة الدكتوراه:

1. بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007-2008م.
2. بلحسان محمد، ظاهرة اللصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ق13-15م، أطروحة دكتوراه علوم، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2021-2022م.
3. بن سادات نصر الدين، العلاقات السياسية والصّلات الاقتصادية بين المغرّبين الأوسط والأدنى في نهاية القرن الثاني الى القرن السادس هجريين، أطروحة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011م.
4. بودريعة ياسين، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800م)- دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات- أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2016-2017م.
5. بوغفالة ودان، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2016م.
6. حفيان رشيد، الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: خليفة حماش، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2020/2021م.
7. حلوان محمد، السلطة الاستعمارية في الجزائر و مسائل التخوم مع تونس (1830-1881)، إشراف: كريم ولد النبية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجيلالي، 2019، 2020م.
8. دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر (1206هـ- 1282 / 1792م- 1865م)- دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة يوسف بن خدة - الجزائر (2007-2008م).
9. دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تحت إشراف: عبد الرحمن تبرماسين، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة 1435هـ-1436هـ/2014-2015م.

10. درياس ليلي، جودة الحياة لدى المتفوقين في ضوء السلوك الغذائي، أطروحة دكتوراه- علم نفس الصحة الاكلينيكي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، 2019-2020م.
11. دغموش كاميليا، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792م-1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران، 2019-2020م.
12. الزين محمد، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجيلالي يابس، سيدي بلعباس، 2010-2011م.
13. سعدي خير الدين، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قلمة، 2018-2019م.
14. سيدهم فاطمة الزهراء، علاقة دايات الجزائر بالدولة العثمانية ما بين 1791م-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2011-2012م.
15. شبلي شهرزاد، المؤسسات المالية في الجزائر أواخر العهد العثماني – المؤسسات المالية أنموذجاً- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة باتنة 2019م.
16. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
17. طعبه حورية، السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة أدرار، 2019-2020م.
18. الطويل احمد السعيد سالم، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوروبا المتوسطة 1795-1832م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، الجزائر 02، 2008م.
19. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م.
20. قرباش بلقاسم، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671م-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الانسانية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015-2016م.

21. قندوز عبد القادر، الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي 1830-1914م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي يابس-الجزائر-2016 - 2017م.
22. مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1892م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: فغور دحو، قیلان اللوم، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018م.
23. مخلوفي جمال، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954، تحت إشراف: شيخ بوشيخي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران 01، 2018-2019م.
24. موساوي القشاعي فلة، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830م)، أطروحة دكتوراه، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004.
25. نواري خولة، الحرف والصناعات ومنتجاتها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة فنية تحليلية-، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2018-2019م.
26. الونيسي عبد الرحمن، السياسة الصحية بتونس في عهد الحماية (1881-1939م)، ج 01، إشراف: خليفة شاطر، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2002/2003م.
- رسائل الماجستير:
1. أبو هويشل محمد عطية، الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (649- 1250/923-1517م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2021م.
2. بن موسى محمد، نماذج من القوانين الرّجعية الفرنسية المطبّقة على الجزائريين على عهد الجمهورية الثالثة (1881- 1912م)، رسالة ماجستير، إشراف: مزيان سعدي، في تاريخ الجزائر المعاصر، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2016-2017م.
3. بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)- مقارنة اجتماعية- رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2014 - 2015م.

4. بولافة حدة، واقع المجتمع المدني الجزائري إبان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، رسالة ماجستير في العلوم السياسية – تخصص السياسات العامة والحكومات المقارنة-قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010م-2011م.
5. بولحبال رياض، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، رسالة ماجستير الدراسات العليا، قسم التاريخ، علم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009_2010.
6. خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007م.
7. خميسي عبد الحميد، مشكلة الغذاء وثورات الخبز في الجزائر وفرنسا القرن 18 وبداية 19م، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م.
8. الدراجي بلخوص، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16 و17م (10-11هـ)، رسالة ماجستير، تحت إشراف: مختاري حساني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012م.
9. رامول سهام، حساسية الأخطار الطبيعية بولاية قالمة (حالة حوض وادي سيبوس الأوسط)، رسالة ماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، د.س.
10. سعودي يمينة، الحياة الأدبية بقسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، تحت إشراف: الربيعي بن سلامة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة.
11. سعيدان جمال الدين، الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين 1830- 1919م، رسالة ماجستير تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (دت).
12. سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206- 1246هـ / 1792- 1830م)، رسالة ماجستير تاريخ حديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م.
13. الشوامرة نافذ محمد عبد ربه، الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي (648-922هـ/1250-1517م)، رسالة ماجستير في التاريخ المملوكي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الخليل، فلسطين، 2012م.

14. عقاد سعاد، **الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1836م**، دار السلطان أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: محمد دادة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014م.
15. علامة صليحة، **الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830-1930م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م.
16. عيزل نعيمة، **الطب الشعبي في المجتمع الجزائري- دراسة ميدانية-**، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، تحت إشراف: عبد الغني مغربي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2004-2005م.
17. محرز أمين، **الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، **إشراف:** عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 2007_2008م.
18. مزدور سمية، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588_927هـ/1192_1520م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، تحت إشراف: محمد الأمين بلغيث، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص2008-2009م.
19. مقصودة محمد، **الکراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف: محمد دادة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 1435هـ-2014م.
- ❖ **القواميس والمعاجم:**
1. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم، **لسان العرب**، المجلد الثاني.
2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج05، دار الفكر للطباعة والنشر.
3. الجوهري أبو نصر اسماعيل، **تاج اللغة وصحاح العربية**، دار الحديث، القاهرة، 2009م.
4. الفيروز آبادي، **قاموس المحيط الحديث**.
5. قنيبي محمد رواس قلعه جي وحامد صادق، **معجم لغة الفقهاء**، ط02، دار النفائس، بيروت، 1996م.
6. المعجم الوجيز، **مجمع اللغة العربية**، جمهورية مصر الغربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1419_1998م.
- المواقع الالكترونية:**

<https://www.asjp.islamweb.net/ar/article>



فهرس المحتويات

الفهرس	
	الإهداء
	الشكر
	قائمة المختصرات
01	مقدمة
الفصل التمهيدي: مقاربات مفاهيمية حول الكوارث الطبيعية والأوبئة	
14	المبحث الأول: الكوارث الطبيعية مصطلحات ومفاهيم.
14	1. الكارثة (التعريف اللغوي والفقهى والاصطلاحي).
17	2. نظرة الفرد للكوارث الطبيعية.
21	3. الكوارث والأوبئة في الفكر الإنساني.
22	4. تصنيف الكوارث الطبيعية.
28	المبحث الثاني: قراءة حول الكوارث الطبيعية وأنواعها.
28	1. كوارث المناخ (الزلازل، الفيضانات، القحط، الجفاف، المجاعة).
40	2. الآفات الزراعية (الجراد، القوارض).
41	المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض بين المسارات التاريخية والمفاهيم الطبية.
41	1. الوباء بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي.
43	2. أنواع الأوبئة (الطاعون، الكوليرا).
52	3. حقيقة الأمراض المعدية وطرق الوقاية.
الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر من 1700 إلى 1830	
58	المبحث الأول: الكوارث المناخية في الجزائر خلال العهد العثماني.
58	1. الزلازل في ذهنية المجتمع الجزائري
59	2. الزلازل.
66	3. الفيضانات.
67	4. القحط والجفاف.
75	5. المجاعة.
79	المبحث الثاني: الكوارث الزراعية.
79	1. الجراد.

84	2. القوارض.
85	المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض في الجزائر العثمانية (1700 إلى 1830م)
86	1. الطاعون
102	2. الكوليرا.
104	3. الأمراض (حمى المستنقعات، التيفوس، أمراض العيون).
الفصل الثاني: انعكاسات الكوارث الطبيعية على الأوضاع السياسية من 1700 إلى 1830م	
110	المبحث الأول: الدوافع الأساسية لاندلاع الثورات المناهضة للحكم العثماني.
111	1. السياسة الضريبية.
113	2. الاحتكار.
117	3. غلاء الأسعار.
121	4. ثورة ابن الأحرش ونتائجها.
130	5. أثار الوضع الصحي على الأنشطة الاقتصادية.
133	المبحث الثاني: جهود السلطة في مواجهة النكبات الطبيعية.
133	1. في مواجهة المجاعات.
140	2. في مواجهة الجراد.
141	3. في مواجهة الزلازل والهزات الأرضية
147	4. في مواجهة الأوبئة.
164	5. السياسة المنتهجة للحكام العثمانيين في ظل تعرض الولاية للأزمات الصحية
الفصل الثالث: التأثيرات الاجتماعية للكوارث الطبيعية على المجتمع الجزائري 1700م إلى 1830م	
170	المبحث الأول: تأثير الكوارث الطبيعية على السلوكيات في المجتمع الجزائري.
170	1. سلوكيات ذات بعد انساني.
173	2. موقف الفقهاء والمتصوفة في احتواء المجتمع في ظل الكوارث والأزمات.
175	3. سلوكيات لا تمت للإنسانية بصلة.
182	4. ثقافة الادخار في زمن الكوارث والجوائح عند المجتمع الجزائري.
185	المبحث الثاني: أثار الكوارث الطبيعية على الممارسات الدينية والهندسة

	المعمارية.
185	1. الجانب الديني والمؤسسات الثقافية.
187	2. العمران.
191	3. التركيبة الاجتماعية.
212	4. الوضع الصحي.
216	المبحث الثالث: طرق التداوي في المجتمع الجزائري.
216	1. الطب الشعبي.
222	2. الهياكل الصحية.
233	3. انعكاس الحالة الصحية على الأنشطة الاقتصادية.
الفصل الرابع: الكوارث الطبيعية خلال الفترة الاستعمارية من 1830 إلى 1899م	
242	المبحث الأول: العوامل المناخية والطبيعية المؤثرة على الصحة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830 إلى 1899م).
242	1. لمحة عامة عن المناخ العام للجزائر خلال القرن 19.
245	2. العوامل المناخية والطبيعية المؤثرة على الوضع الاجتماعي.
258	3. الأوبئة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية من (1830-1899م).
270	المبحث الثاني: السياسة الفرنسية تجاه الأهالي في ظل الظروف والكوارث ودورها في تردي الأوضاع.
271	1. العوامل البشرية المساعدة في تأزم الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائر.
274	2. السياسة الفرنسية في مجال الأرض بعد السنوات الأولى من الاحتلال.
283	3. تأثير نظام الضرائب والغرامات على الأهالي المسلمين.
الفصل الخامس: انعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري	
289	المبحث الأول: الانعكاسات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية على المجتمع الجزائري.
289	1. الانعكاسات السياسية -المقاومات الشعبية كرد فعل على السياسة الفرنسية (مقاومة سيدي الشيخ، مقاومة محمد التومي بوشوشة، مقاومة المقراني والحداد أنموذجاً).
294	2. الانعكاسات الاجتماعية (الهجرة، الآفات الاجتماعية، انتشار ظاهرة اللصومية).
304	3. الانعكاسات الثقافية والدينية (تجهيل الأهالي، محاربة اللغة العربية).
310	4. الانعكاسات الاقتصادية.

315	المبحث الثاني: معالم الصحة في الجزائر خلال السبعين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي.
317	1. البدايات الأولى للمنظومة الصحية الاستعمارية.
324	2. هياكل أخرى في المشروع الصحي الاستعماري.
325	3. سياسة السلطات الاستعمارية وإجراءاتها الوقائية في مواجهة الأوبئة.
336	4. العلاج عند المجتمع الجزائري ووسائله.
341	خاتمة
346	الملاحق
368	قائمة المصادر والمراجع
413	فهرس المحتويات